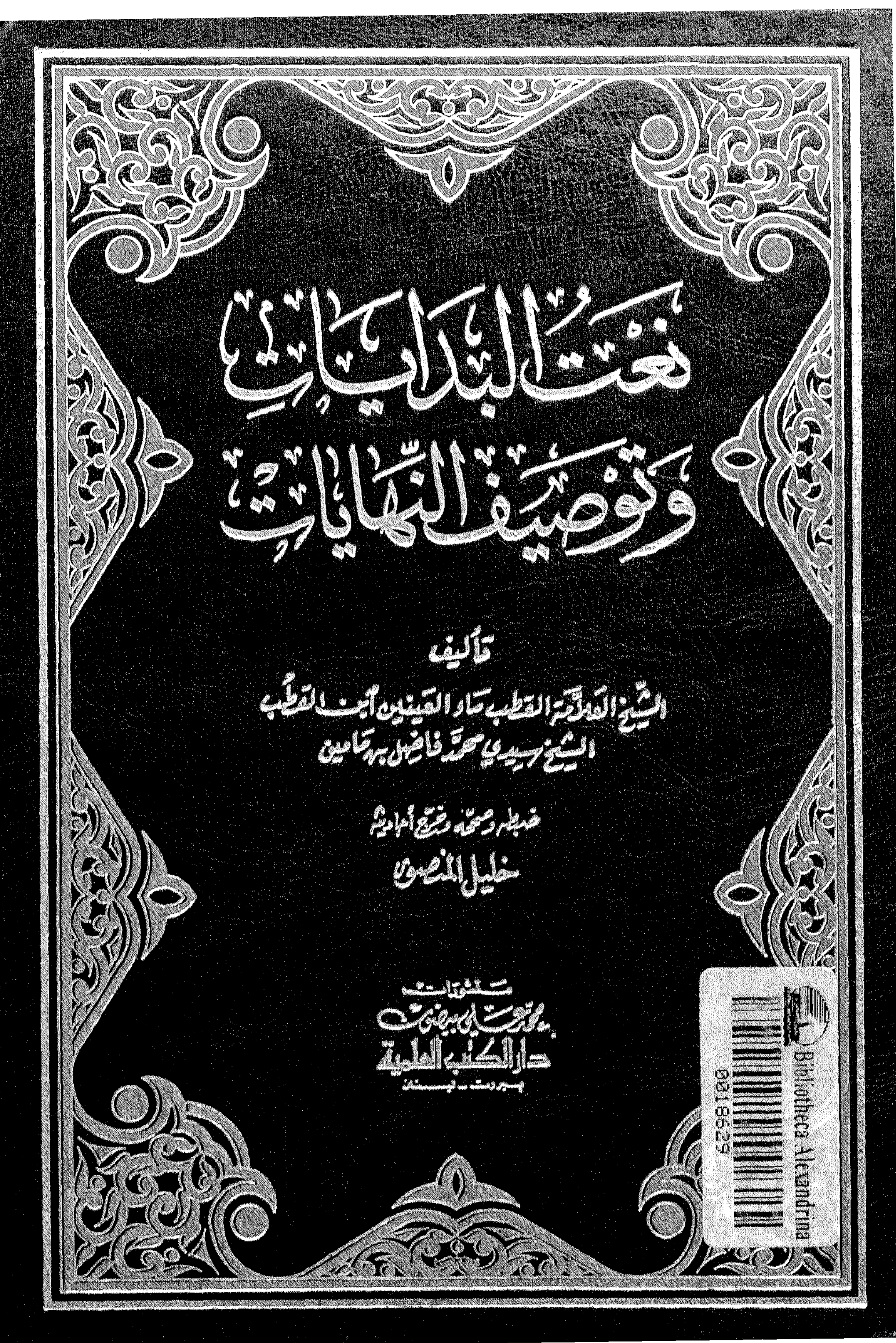
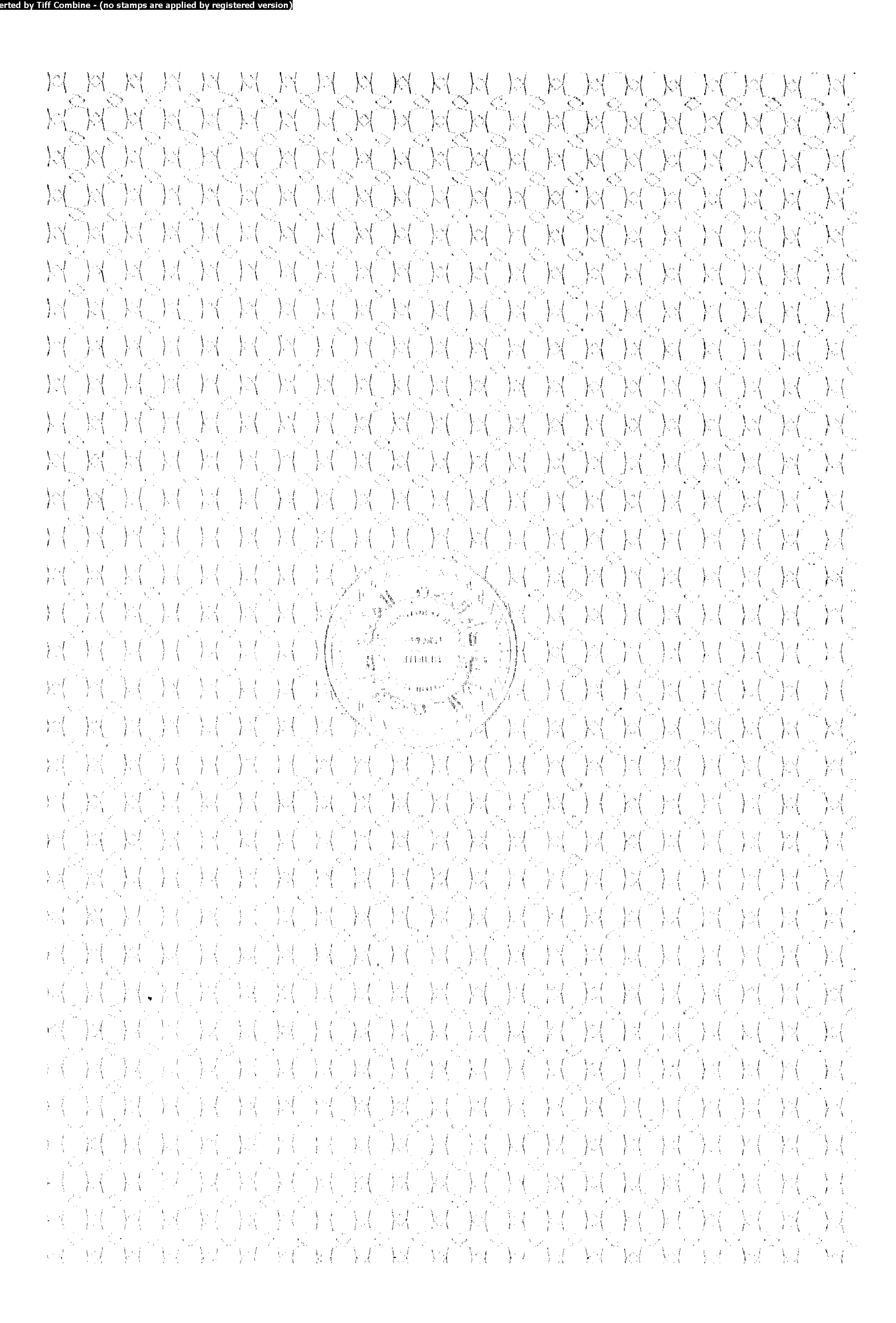
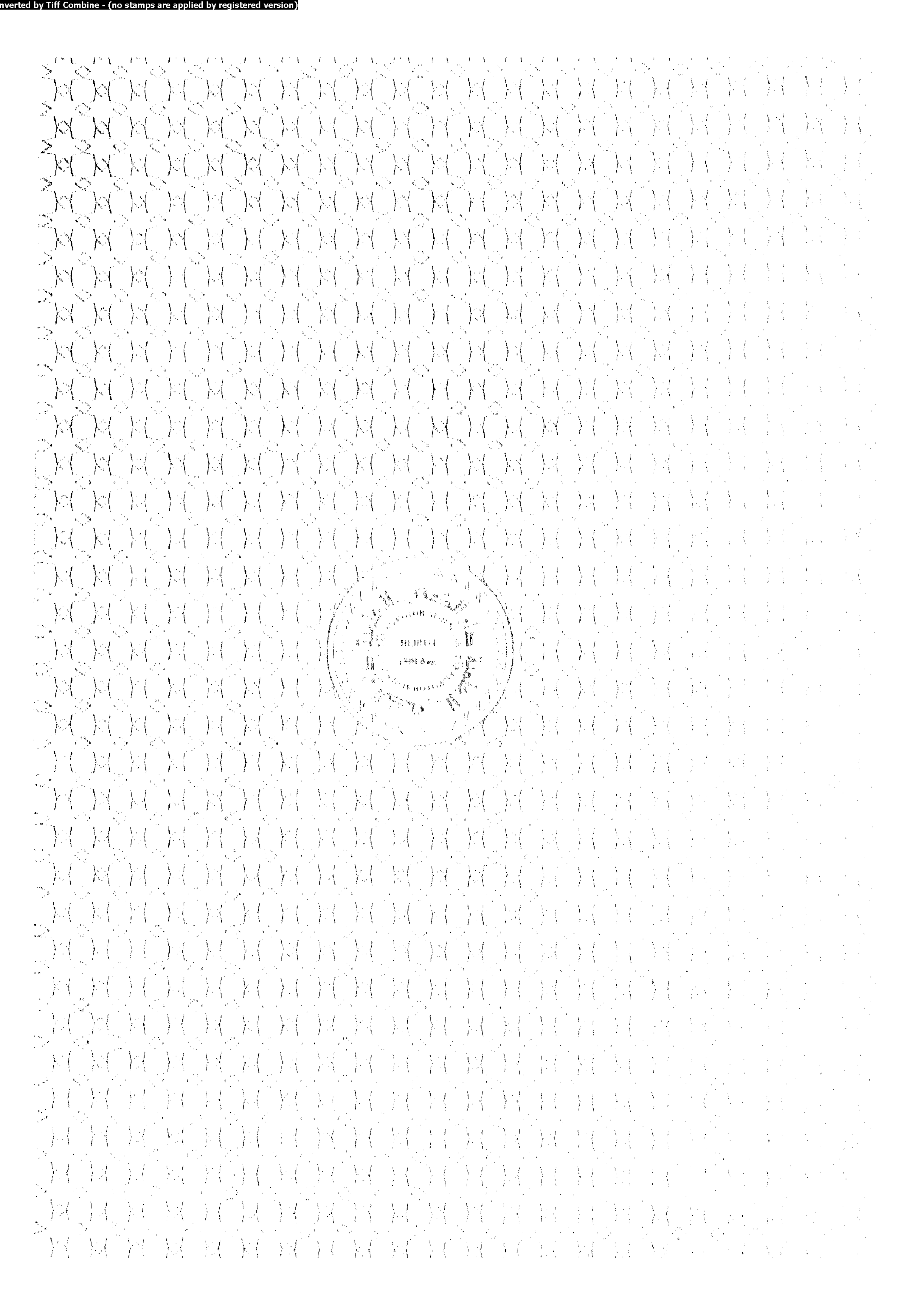

نعت البدايات
وتوصيف النهايات
تأليف
الشيخ العلامة القطب تار العينين ابن القطب
الشيخ سيدي محمد فاضل بن مامين
ضبطه وصححه وخرج أحاديثه
خليل المنصور
منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان
Bibliotheca Alexandrina
0018629





نعت البدايات وتوصيف النهايات

تأليف

الشيخ العلامة القطب ماء العينين ابن القطب

الشيخ سيدي محمد فاضل بن مامين

ضبطه وصححه وخرّج أحاديثه

خليل المنصور

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1)'60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar al-Kotob al-Ilmiyah - Publishing House
P.o.box : 11-9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-0050-5

EAN 9782745100504

No 00051



بسم الله الرحمٰن الرحيم
نسب المؤلف رضي الله عنه

يقول أحمد بن عبد المولى — العلمي: أحسن قول يُتلَى
بعد الثناء والصلاة والسلامْ — على النبي المصطفى خير الأنامْ
سلسلة الشيخ المربّي الكاملْ — من ذكرُه يجملُ المحافلْ
محمد المصطفى ماء العينينِ — ابنٌ لقطب جامع الكونينِ
محمد الفاضل ابن مامين — ابن لأخيار ابن الجيه ذي لين
يدعى بمختار هو ابن للحبيب — ابن علي بن محمد النجيب
سليل يحيى الأول بن عال — ابن لشمس الدين ذي الكمال
ابن ليحيى بالكبير القلقمي — يدعى إلى الأب محمد نُمي
ابن لعثمان بن أبي بكر نُسِبْ — لذي التقى يحيى فعِي لما حُسِبْ
ابن لذي المعالي عبد الرحمٰنْ — ابن أران الزكي أتلانْ
ابن أجملان ابن الوفي إبراهيمْ — ابن لمسعود أخي المكاريمْ
ابن لعيسى ابن الجليل عثمانْ — ابن لإسماعيل بحر الإحسانْ
فعبد وهّاب ويوسف عُمَرْ — يحيى وعبد الله أحمد الأغرْ
ابن لعبد الله من بالأكبرِ — يدعى ابن إدريس التقيّ الأزهرِ
من فتح الله به مَغْربَنا — وأسّس المبنى على التقوى لنا
أبوه إدريس الجليل الأكبرُ — جلب مآثر له لا تُحصرُ
وجدُّه ذو الفضل عبد اللّهِ — الكامل المجد بلا تناهِ
يكفيك عن وصفه ما شاع وذاعْ — مِنْ حلمِهِ وعلمِهِ بلا نزاعْ
أكْرِمْ به ابن الحسن المُثَنّى — مَنْ لا يفي بحقّه من أثْنَى
إذْ هو ابنٌ لعظيم الجاهِ — الحسن السبط حبيب اللّهِ
ابن علي المجتبى صهر الرسولْ — وأمّه فاطمةُ الزهرا البَتُولْ

لله نــــرغـــــب بكـــــلّ مــــــن ذُكِـــــرْ   أن يمنــــح التيسيـــــر فـــــي كـــلّ عَسِـــرْ
بجـــاه مـــن صلّـــى عليـــه ذو الجـــلال   محمـــــــد نبيّنـــــا بـــــدر الكمـــــــال

﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي به بداية الخلق ونهايته، ومنه هدايته واجتبايته، وبه سيره وثباته وصيانته، وبه سبب نيله للعلى ومكانته، وصلاته وسلامه على أفضل من به أنيلت هدايته، محمد الذي به أبصر من أعمته عمايته، وبه أهدى من أضلته غوايته، وبعد فيقول عبيد ربه، وأسير ذنبه، الذي ليس له إلا رجاء فضل ربه المبين، ماء العينين ابن الشيخ محمد فاضل ابن مامين، غفر الله لهم وللمسلمين آمين، أنه لما كانت وجوه التقرب إلى الله كثيرة، ومن أفضلها العلوم المعمول بها المنيرة، التي تهدي إلى الآداب الجمة الغزيرة، وكان علم التصوف من أفضلها، وأجملها وأجلها، لأنه علم به صلاح القلوب، وبه تهذيبها من العيوب، وبه انكشاف الحجب عنها لمشاهدة الغيوب، وله كغيره شروط لا بد لطالبه منها، ولا يستغني في بدايته ونهايته عنها، وقد وضع القوم فيه كتباً جليلة، وافية بشروطه حسنة جزيلة، لكن قصر عنها وعن شروطها أهل هذا الزمن، وتعذر عليهم اتباع معرفتها لكون تحريك علو هممهم سكن، وذلك وقع فيهم لأجل موالفتهم للمألوفات الداعية للوهن وعدم مجاهدتهم لأنفسهم لينقل عنهم ما فيهم منها عدن، ومع ذلك كثر فيهم للبدايات والنهايات المدعون، الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، والله أعلم بما يكتمون، ولذلك قيل بلسان الحال والمقال إنا لله وإنا إليه راجعون، دعت الحاجة إلى وضع تصنيف فيه، يبين وصف المريد وشيخة المربية، وما يجب على كل منهما فيما يليه.

وسميته بنعت البدايات وتوصيف النهايات

ومع اختصاره آتياً بالمهمات، وجعلت كتابين هذا الكتاب، وفي كل كتاب أربعة أبواب، فسارت كأبواب الجنة الثمانية المنفية للعذاب، المديمة للنعيم المؤبد بلا ارتياب.

(**فالكتاب الأول**) في نعت البدايات، وما يصلح لأهلها إلى النهايات، (**بابه الأول**) في آداب المريد مع شيخه. (**الثاني**): في آدابه مع عبادة ربه.

(**والثالث**): في آدابه مع إخوانه، (**والرابع**) فيما من الأقوال والأفعال ينتفع به.

(**والكتاب الثاني**): في توصيف النهايات، وما يصلح لأهلها إلى الممات (**بابه الأول**) في آداب المربى مع ربه.

(**والثاني**): في آدابه مع تلامذته.

(**والثالث**): في آدابه مع غيرهم من الخلق أجمعه.

(**والرابع**): فيما من الأقوال والأفعال ينتفع به، والله أسأل أن ينفع به كل من سمعه أو رآه، أو سعى في شيء منه، ولو قلماً أعطاه، لمن ينقله أو براه، أو بالقبول لما سمعه أو سمع به تلقاه، واستوهب العون عليه من العليم الخبير، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، والصلاة والسلام على محمد المهدي به كل خامل وشهير.

الكتاب الأول في نعت البدايات وما يصلح لأهلها إلى النهايات

الباب الأول في آداب المريد مع شيخه .
وما يصلح له معه إلى تمام رسخه

اعلموا إخواني، وفقني الله وإياكم لطاعته، وأعانني وإياكم على ما به أتم مرضاته، أن هذه الأمة اتفقت خلفاً عن سلف أن أول ما يجب على المرء بعد انتباهه من الغفلة، أن يعمد إلى شيخ ناصح مرشد عالم بعيوب النفس، وأغراضها، ودواعيها وأدوية أمراضها، فارغ من تهذيب نفسه وأغراضها، يبصره بعيوب نفسه، ويخرجه من دائرة حسه، لأن من لم يكن له شيخ يقوده إلى طريق الهدى، قاده الشيطان لا محالة إلى طريق الردى، ولتعلم أن المريد مشتق من الارادة، وهي لوعة في القلب يطلقونها، ويريدون بها إرادة المتمني، وهي منه وإرادة للطبع ومتعلقها الحظ النفساني، وإرادة الحق ومتعلقها، الإخلاص، وهذه هي التي اشتق للمريد منها اسمه عندهم، لأنه المتجرد عن إرادته لما أراد الله منه، وهو العبادة، قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦]، ويطلق عندهم على شخصين واحد من سلك الطريق بمكابدة، ومشاق، ولم تصرفه تلك المشاق عن طريقه والآخر من تنفيذ في إرادته الأشياء.

وهذا هو المتحقق بالإرادة، وإذا كان كذلك فلتعلم أن الطرق إلى الله تعالى، وقد تعلق كل شيء بطريقة لا يتعداها، بل كلما تحملها خلف عن سلف أداها للطالب على طريقه، وممكن له من المواظبة عليها برسم تحقيقه، من غير تشويش لعزمه، ولا تشتيت لهمه، بالميل تارة إلى هذه، والميل أخرى إلى غيرها فيكون مذبذباً بين ذلك لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء والمبتدي غير مستقل بالاختيار، لأنه غير مستغن عن الشيخ في تعليم الآداب الظاهرة، والشرائط المتعلقة بأعمال التعبدات ممن أخذها بالسند المتصل إلى النبي ﷺ الهادي المرسل من غير زيادة ولا نقصان، إذ هو الداعي إلى الله تعالى من كل الوجوه حقيقة، والشيخ نائب عنه، ولو فرضنا للمريد اختياراً فإنه ليس في وسعه الثبات عليه إذ

الولاية في باطنه للنفس، والشيطان فإذا شرع في طريقته، وتعلق بها زين له الشيطان أخرى وساعدته النفس، وخيل بالبرهان أنها أفضل من هذه، ومقصوده إخراجه عن الأولى، وقطع سلوكه عليه فإذا انتقل عنها واشتغل بالأخرى زين له الأخرى، وهكذا إلى أن يمل الطالب، وتسكن حرارة طلبه فيرجع القهقرى، فإذا كان في حكم الشيخ تحت كنف ولايته حفظ الشيخ أحواله بقوة ولايته المستفادة من نور الحضرة النبوية، وثبته عليها بهمته العاملة، وكلامه المؤثر فيعلم بديهة أن الداخل عليه شيطان فيضعف، إذ الشيطان لا يقوم أمام الشيخ.

قال أبو النجيب السهروردي في كتاب آداب المريدين: أول ما يجب على المريد، بعد الانتباه من الغفلة قصد شيخ مؤتمن ناصح عارف بالطريق فيسلم نفسه لخدمته، ويعتقد ترك مخالفته، ويتخذ الصدق حالاً في صحبته، ويلزم الشيخ أن يعرفه كيفية الرجوع إلى سيده، ويدله على الطريق المؤدية إلى رشده، ويسهل عليه سلوكها، ولا يجوز للمريد مفارقة أستاذه قبل انفتاح عين قلبه، بل عليه أن يصير تحت أمره ونهيه في خدمته حتى يكمل اهـ. وذلك لأنه لا بد له من مجالسته، ما دام يجد لنفسه الملالة، والقبض لينشطه بكلامه المنور بنور شهود الحق، والحضور فتندفع عنه الملالة والقبض، وتشتعل نار طلبه بحرارة نفس الشيخ وقربه، وكذلك ما دام يعرض له القنوط من قول الشيطان له إنك لا تصلح للحضرة للعيوب الكثيرة التي أنت بها مرتد فمثلك لا يصلح للحضرة الطاهرة مع تلوثك بهذه النجائس، والخسائس الظاهرة فيحصل له انكسار عظيم يقضي به إلى يأس، وذهاب بعثته فتثقل عليه الأعمال فيملها، ويتركها بالتدريج فمتى لم يكن في قرب الشيخ، وخفارته لم يتخلص من هذا المكر، بل لا بد له من مجالسة الشيخ وقربه، ولو نال الفتح في دقائق العلوم، وغوامض الأسرار والمكاشفات، والكرامات فإنه ربما يحصل له الاعجاب، والتعلق بها، واعتقاداته عين الكمال فينقذه من ذلك تصرف الشيخ وإشارته، بل ولو وصل إلى التجليات الروحانية لأن التجليات الروحانية كثيرة ما تلتبس بالتجليات الرحمانية، فيحسب المريد أنه وصل إلى المقصد الأقصى فينقطع، ولا يميز بينهما إلا الشيخ الواصل الكامل.

(تنبيه): اعلم أن قولهم الطرق إلى الله كثيرة يكفيه من الدليل في السنة قوله ﷺ: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»، وهو الدليل أيضاً على أنها كلها موصلة إلى الله تعالى، وذلك أن النجوم كلها تطلع من جهة واحدة، هي جهة المشرق، وتغرب من جهة واحدة هي جهة المغرب، كما أنهم كلهم رضي الله عنهم صادرون منه ﷺ، موصلون إليه تعالى، وهو الدليل أيضاً على أن لكل شيخ طريقاً لا يتعداها، وذلك لأن المهتدي بنجم يمني مثلاً لا يمكن أن يهتدي إلى جهته بنجم شمالي، لكنه يوصله إلى جهته في نفسه، وهي تكفيه من جهة المشرق إن كان مشرقاً، ومن جهة المغرب إن كان مغرباً فافهم.

ولهذا طلب من المريد على جهة الوجوب أن يعتصم بشيخه، ويتمسك به تمسك الأعمى على شاطىء البحر بالقائد، بحيث يفوض أمره إليه بالكلية فلا ينازعه في أمر، ولا يخالفه في ورود، ولا صدور، ومما يلزمه من الأدب معه كونه يصحبه بالاحترام، والتعظيم، ويتابعه على المنشط، والمكره، ويكشف له عما يعرض له في حاله أو يخطر في ضميره، وباله ولا يعترض عليه فيما يكون منه، ولا ينظر في الأفعال الصادرة عنه، ولا يتعدى له أمراً، ولا يتأول عليه كلاماً بل يقف عند ظاهر كلامه، ولا يطلب علة الأمر الذي يأمره به، بل يبادر إلى امتثاله عقل معناه أو لم يعقله، بل وان تيقن خطأه، وليعتقد أن نفعه في خطأ شيخه إن لو أخطأ أكثر من نفعه لنفسه لو أصاب، وليحذر من الاعتراض على الشيخ بباطنه فإنه السم القاتل، والإعتراض سبب الانقراض، وأصل كل خير الانقياد، وأصل كل شر الانتقاد، فقل: أن يكون مريد يعترض على الشيخ بباطنه فيسلم، واعلم أنه متى صح توجه المريد بالقصد التام إلى الله تعالى رماه إلى شيخ ناصح، قال ابن عطاء: الله جد صادقاً تجد مرشداً، واعلم أن المريد إذا كانت همته فوق معرفة الشيخ، فلا بد أن يفتح الله الشيخ في المعرفة التي تعلقت بها همة المريد، وترقى إليها، وذلك من بركة صدق المريد، فمتى دخل المريد الصادق تحت حكم شيخ، وتأدب بآدابه، وصار على يقين بما خصه الله به سرى من باطن الشيخ حال إلى باطن المريد، كما يقتبس السراج من السراج إذ كلام الشيخ يلقح باطن المريد أن نفائس الأحوال مستودعة في باطن الشيخ، فينتقل الحال منه إلى المريد بواسطة الصحبة، والمقال، وهذا في مريد حضر بنفسه مع الشيخ وانسلخ من إرادة نفسه، وبقي في الشيخ بترك اختياراته فيصير بين الشيخ، والمريد امتزاج، وتأليف لا هي حتى يرتقي بترك الاختيار معه إلى ترك الاعتبار مع الله، ويفهم من الله كما كان يفهم من الشيخ، ولتعلم أن الكشف ليس من شرط الشيخوخة، وإن كوشف الشيخ فما كوشف من حيث اقتضاه الشيوخة ذلك، وإنما يكون في مصلحة ما أراده الله تعالى في ذلك الأمر في حق الشيخ أو في حق غيره على يديه، فمن دخل على الشيخ ليختبره فهو جاهل هالك، فإن الشيوخ لا يخبرون، ولا يطلب منهم الكلام على الهواجس، وإنما تراد منهم معرفة الأمراض والادواء وأدويتها لا غير، ولينظر المريد كون الشيخ باباً فتحه الله تعالى له إلى جناب كرمه منه يدخل، وإليه يرجع فلينزل به حوائجه، ومهماته الدينية والدنيوية، إذ هو الوسيلة بينه وبين ربه، واعلم أن المريد إذا فارق الشيخ، وتركه قبل أوان انفطامه يناله من الاعلال في الطريق بالرجوع إلى الدنيا، ومتابعة الهوى ما ينال الصبي المفطوم قبل أوان انفطامه، ولذلك حرموا عليه المفارقة المذكورة قبل الأوان المعلوم لأنها إلقاء بالأيدي إلى التهلكة، قال تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة: ١٩٥]، واعلم أن تصاريف الشيخ محمولة على السداد، والصواب إذ لا تخلوا من نية صالحة فيها فيجب على المريد أن يكون

بين يدي الشيخ كالميت بين يدي غاسله فلا يخطر عليه خاطر اعتراض، ولو عاينه قد خالف ظاهر الشرع عنده لأنه قد لا يكون كذلك اعتباراً بقضية الخضر وموسى على نبينا وعليهما السلام، واعلم أن الشيخ إذا عاقب المريد على الخطرة واللحظة وضايق عليه أنفاسه، فليبشر بالقبول والفتح، والرضى، وكذلك إذا غرضه لما يكون عنده أن له فيه الضياعة لقولهم:

وحيث عرضوك للضياع ... فذلك العين للانتفاع

وإن وقعت منه زلة وسوء أدب، وعرف أنه سامحه، ولم يعاقبه فليحذر من مكره في ذلك أو من أن سكوته ناشيء عن علمه أنه لا يجيء منه شيء، وإن باسطه لم يترك أدبه بل كلما انبسط معه فليزد في قلبه المهابة، والتعظيم، والإجلال، والاحترام وكذلك إن ساواه في المرتبة أو جاوزه في المقام فإنه يتأكد في حقه الاحترام الزائد، والتأدب معه للسببية، قال الشاعر:

كلما زاد بسطة وخضوعاً ... زدت فيه مهابة وجلالا

ثم إن زادني علو ارتفاع ... زدت في تعظيمي له ودلالا

وليجلس بين يديه مطرقاً جلسة العبد بين يدي سيده، فإذا أمره بفعل شيء فليثب إليه، وإذا عرف له عدواً فليهجره في الله، ولا يجالسه، ولا يعاشره، وإذا رأى من يثني عليه ويحبه فليحبه، وليقض حوائجه، ويتابع، ويخدم، ويحترم كل من قدمه عليه، وإن كان أقل علماً وعملاً، ولا يمشي أمامه إذا سار، ولا يمر بين يديه إلا لحاجة له أي للشيخ أو كان خائفاً عليه في ظلمة ونحوها، ولا يديم النظر إليه. إذ ذاك يورث قلة الحياء، والأدب، ويخرج الاحترام من القلب، ولا يكثر مجالسته، ولا سيما في أوقات ضرورياته، ولا يقضي لأحد حاجة حتى يشاوره، ولا يدخل عليه إلا وقبل يديه باطراق، ويتحبب إليه بامتثال أمره واجتناب نهيه، ولا يتطلع على أموره العادية من أكل أو نوم، وإن سافر وتركه في موضع، فليتعاهد موضع الاجتماع به بالسلام عليه في كل يوم في الأوقات التي كان يأتي إليه فيها كأنه ما غاب عنها، ويراعى من حرمة ذريته، وزوجاته، وأقاربه في غيبته ما يراعيه في حضوره، وليعتقد في شيخه أنه عالم بالله ناصح لخلق الله على بينة من ربه، وحظوة من خصوصيته وقربه، ولا يزن أحواله بميزانه إذ قد يصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر، وهي محمودة في الحقيقة، والباطن، ويجب عليه كتمان ما أسر به إليه من الأسرار الإلهية، أو الأمور العادية إذ لا يوهب ذلك عندهم إلا للأمناء قال قائلهم:

من ساروه فأبدى السر منكشفا ... ولم يأمنوه على الأسرار ما عاشا

وأبعدوه فلا يحظى بقربهم ... وأبدلوه مكان الأنس إيحاشا

وينبغي له أن لا يترك نفسه تتشوف إلى منزلة فوق منزلة شيخه، لا ظاهراً ولا باطناً.

أما باطناً فإنه ينظر أنه عاجز عن إدراك منزلته، ولو عمل كل عمل، وأما ظاهراً فإنه يكون مؤثراً له بكل منزلته عالة، ويتمنى له غزير المنح، وغرائب المواهب، إذ إرادته للشيخ تعطيه فوق ما يتمنى لنفسه، ولأن الهدية دليل على صدق النية، وليباعد المريد جهده الانبساط برفع الصوت إلا بالذكر، والاستغراب في الضحك، وكثرة الكلام بحضرة الشيخ إلا إذا باسطة الشيخ فإنه يباسطه مع الوقار، إذ قد يبلغ بعض المريدين من الوقار مع شيخه، إلى حد لا يستطيع أن يمتع النظر إليه، قال السهروردي: كنت أحم فإذا دخل على عمي، وشيخي يرشح جسدي عرقاً، ولا أستطيع أعرف ما أنا فيه من الهيبة، والإجلال، وكنت أجد لذلك بركة عظيمة وشفاء، وكنت يوماً خالياً في البيت، وعندي منديل أعطانيه الشيخ كان يتعمم به، فوقع قدمي عليه فتألم باطني غاية، وهالني وضع قدمي عليه، قال القشيري، رحمه الله: كنت في بدايتي لا أدخل على شيخي أبي علي الدقاق إلا صائماً مغتسلاً، وكنت أحضر باب مدرسته غير ما مرة فارجع من الباب احتراماً، واحتشاماً منه أن أدخل عليه فإذا تجاسرت، ودخلت كنت إذا بلغت وسط المدرسة يصحبني شبه تحدر حتى لو غرزت في إبرة ما كنت أظن أني أحس بها، ولم أذكر أني في طول اختلافي إلى مجلسه، ومذاكرتي معه بعد حصول الوصلة جرى على قلبي، أو خطر ببالي عليه اعتراض إلى أن خرج من الدنيا رحمه الله.

وقال القرطبي صاحب التفسير: من لم تجتمع برؤيته، ولم تنتفع بصحبته من لم يأخذ كلام شيخه بالقبول خرج نور الاقتداء من قلبه، ومن لم ير شيخه نائباً عن الحق فيما يأمره به لا يصل إلى الحق، ومن تأدب مع شيخه تيسر له الأدب مع ربه، وكل من أهله الحق لمعرفته قيض له عالماً ولياً يقتدي به، وكلما أشكل عليه شيء من حال الشيخ، وأمره ذكر قصة موسى مع الخضر على نبينا، وعليهما السلام، ولذلك إذا رأى من الشيخ ما يرى أنه غير مشروع عنده فليتهم نفسه، وليحمله على قصور علمه ونظره إذ قد يكون للشيخ فيه دليل وبرهان قصر فهمه عن إدراكه، ومما ينفعه في دفع الإنكار كون الكامل من دونه لحاله ليس بكامل، وليعتقد أن الشيخ أوْلى برعاية الشريعة منه، وأشد اهتماماً بها إلا أنه لو طلب لصحة ما ينكر عليه وجهاً، وتفكر لظفر به، ولا كن النفس لا تساعده، بل تعطي وجه الصحة، وإن كان واضحاً بيناً، وتلقنه وجه الفساد، وإن كان خفيفاً ضعيفاً لتستوفي حظها من الفساد، والإفساد عليه، ومن جنس الاعتراض أن يكون مسلماً بالظاهر معترضاً بالقلب، وذلك مما يقطع الرابطة بينه وبين الشيخ، وبوقع بينه وبينه مفارقة معنوية، فلا ينفعه التسليم باللسان مع وجود الانكار بالباطن إذ الرابطة أمر معنوي، ولا تعلق له باللسان، وإنما يتعلق بالقلب، فإذا تمكن الإنكار فيه زال اتصال الباطن فلا تبقى بين قلبه، وبين قلب الشيخ علاقة فينسد طريق الفيض الذي يصل من قلب الشيخ إلى قلوب المواريد عنه، وبسبب قطعه ينقطع عنه المدد

فيكون إذا مع الشيخ باللسان، وبالقلب مع النفس، والشيطان فيعد من جملة المخادعين، ومن قبيل المنافقين، فإذا تحققت هذا وجدت ترك الاعتراض على الشيخ وقاية من الاعتراض على النبي ﷺ، لأنه نائب عنه، وللواسطة حكم الموسوط، وترك الاعتراض على النبي وقاية من ترك الاعتراض على الله قال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران: ٣١] يروى أن بعض أصحاب الجنيد سأله عن مسألة، فأجابه فعارضه المريد في ذلك، فقال الجنيد: فإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون، ولتعلم أن آداب المريد مجال واسع الاكناف رحب عريض الأطراف، مبناه على قواعد سير الصحابة الكرام مع الرسول المصطفى عليه أزكى الصلاة والسلام، وتلك القواعد مبنية على ما أشار إليه إلهنا العلام قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم إلى تشعرون﴾ [الحجرات: ٢]، وقال ﴿إن الذين يغضون أصواتهم إلى عظيم﴾ [الحجرات: ٣] وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلى عليماً﴾ [الأحزاب: ٥٣] إلى غير ذلك من الآي تفضل الله علينا وعليكم بتوفيقه الذي ننال به كل خير، ويدفع به ربنا عنا كل ضير، ثم لتعلم أن ضابط الأدب مع الأشياخ في أمرين، أحدهما التسليم، والانقياد فيما يفعلون، ويأمرون، والثاني: صد النفس عن ترفهها وتزينها معه، وهذا يختلف باختلاف الناس والبلدان، فمنها ما الترفه عنده في كثرة الطعام، ورقة اللباس كأرض الغرب، وما قاربها، ومنها ما الترفه عنده في تعدد اللباس واختلاف ألوانه، ولذاذة الطعام كالمشارق ونحوها، ومنها ما الترفه عنده في طول الكم، وحسن الثوب، وطول اللمة وحسنها، والاجتماع مع الجنس، والضحك معه كبلادنا غفر الله لنا ولأهلها، وللمسلمين آمين إلى غير ذلك مما يطول بنا جلبه فعلى المريد أن ينظر إلى ما يعجبه في نفسه، وما يألفه في بلده كل جنسه، ويترك من ذلك ما يكون فيه فساد قلبه، ويأخذ منه ما يصلحه، وما فيه مرضاة ربه، وكل من مات شيخه قبل كماله، ولم يستخلف ممن تخرج على يديه من يقوم مقامه في قامة طريقه، وسياسة مريديه على تحقيقه تعين عليه الانتقال إلى من يربيه، ويكمل له بقية ترقيه، وليعتقد المريد أن طريق شيخه أشرف الطرق، لأنه إن لم يكن يعتقد تشوفت نفسه إلى ما هو أشرف منه، وما ثم طريق أشرف منه لأن الطرق، وإن تعددت واختلفت مرجعها كلها لأمر واحد هو الفناء في مشاهدة الله، والنظر إليه عن كل ما سواه، لأنها طرق الملائكة، والخلفاء من النبيين والمرسلين وعباد الله الصالحين، وهؤلاء الأصناف هم أعلم الخلق بالعلوم الإلهية، التي هي أشرف العلوم وأجلها، قال الغزالي رحمه الله: ماذا يقول القائل في طريقة أولها شغل القلب بالذكر، وأخرها الفناء بالكلية في الله إلى أن تكون حركاتهم، وسكناتهم في ظاهرهم، وباطنهم متنبسة من نور مشكاة النبوة الذي ليس على وجه الأرض نور يستضاء به إلا نوره، ولولا ما شرطت لك من الاختصار لأتيتك في هذا الباب بكثير مما تقر به الأسماع، والأبصار مع أني

أتيتك بما لا تجده مجموعاً في كتاب في الأقطار، وذلك لاحتياج المواريد إليه في جميع الأعصار، إلا أن الجهال هم المنكرون لأصل ذلك، والمتعجبون مما هنالك، ويسمعون ويسخرون، ولا غرو، وقد قال الله تعالى في أمثالهم: ﴿فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون﴾ [النحل: ٢٢]، وقال: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾ [لقمان: ٢٠] ثاني عطفه إلى الحريق وكيف يهتدون وفيهم قال الله: ﴿ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم إلى أهوائهم﴾ [محمد: ١٦] وأشدهم في ذلك من يدعي أنه يعلم العلم الظاهر، ولو كان يعلمه على الحقيقة ما أنكر على أهل الطريقة، لكن في مثله: قال تعالى: ﴿وإذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم﴾ [الأحقاف: ١١] وقال تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون﴾ [الجاثية: ٢٣] جعلنا الله وإياكم ممن ذكر فتذكر وممن بصر فأبصر وليكن في كريم علمك أن من أحسن ما وجدته في أدب المواريد مع الأشياخ، وأخصره أبيات الحبر الهمام، والعلم العلام محمد المختار بن جد بن الطالب الوافي الجكني وهي:

إذا هديت لشيخ واعتصمت به — فثق بنيلك نصر الله والأملا
لا تيأسن وظن البوء جنبه — وأسلم له النفس والأولاد والشغلا
وصن علومك وابغ ما لديه ولا — تبغ النزاع ولا المراء والجدلا
لا ترغبن رجوعا إن نزلت به — فكن كميت إذا في القبر قد نزلا
وكن أديباً ذليلاً واستغث به — لا تزهدن إذا ترى به خللا
والأمر والنهي بادر إن بليت به — فانهض وكف سريعاً لا تكن كسبلا
وظن خيراً بما تراه فاعله — من بحر كنز علوم الله ما فعلا
واقصد شمائله واحمل نكايته — فلا تخل أبداً نداءه زللا
واحفظ رعايته واحفظ ودائعه — تشهد مشاهده تكمل كما كملا
وعد زيارته ترى زيارته — تفرج الهم والكروب والعللا
واسلك مسالكه واقصد مقاصده — كل المواهب إن حصلت ذا حصلا
فهو الذي اختاره المولى وطهره — قد خص بالقرب والتجديد واعتدلا

انتهت، وفيما هي فيه كفت، وذلك أن ما فيها هو قطب رحا الآداب مع الأشياخ الذي به تنال المعارف، والتطهير من الأدران والأوساخ، ثم لتعلم أن ما تقدم من الآداب والأوصاف، إنما هو للمريد الذي سلك الطريق بمكابدة ومشاق، ولم تصرفه تلك المشاق عن طريقه.

وأما الآخر الذي هو من تنفذ إرادته في الأشياء الذي هو المتحقق بالإرادة إنما هو من فنيت إرادته في إرادة الله لا يلتفت إلى حظه، ولا إلى حظ سواه، وقد سلب اختياره في

اختيار شيخه سراً وعلانية، كل ما فعل شيخه فيه ترى أن شيخه فيه على نية ذلك أن سلب الاختيار في الاختيار هو الذي به ينال أعلى مقامات الأخيار، وقد سألت شيخنا أطال الله بقاءه، وأدام علينا مع مرضاته دنيا وأخرى لقاءه، فقلت: له يا سيدي ما سلب الاختيار في الاختيار، قال لي هو: كما قال بعضهم: أريد أن لا أريد، وهذا الوصف إذا صار فيه المرء صار من المتوكلين الذين تولاهم الله في الأمور أجمعين، ونفذ لهم إرادته في جيع المكونين، لكن هذا المريد قل من يسلك طريقه ويتحقق تحقيقه، وذلك لثقل النفس في هذا الفلك ولقللة من لها عن مألوفاتها ملك، ولذلك ترى اليوم من تسما باسم المريد يتحلى بحظوظ نفسه، ويتخلى عن التسديد، ولا يزن أعماله بالشرع، ويجفوا ما من الأدب والعلم بالطبع، وهو مع هذا يظن أنه يفوز بالوصول فهيهات ما أبعد الفرع من هذا وأحرى الأصول، وقد جمع شيخنا أطال الله حياته وصف هذا المريد في أبيات من مطية المجد لعمري أنها لمن أحسن ما يجعل في القصد، وهي قوله:

ومـن أراد الـذي منـه يـراد	ذاك المريد قد سما بين العباد
يفعل ما ساء وسر ونفع	وضر لاتباع ما الشرع وضع
مع سكونه بلا اضطراب	تحت مجاري قدر الوهاب
وقد صرف همته إليه	وترك النفس اتكل عليه
وطمعاً قطع عن خلائق	لنسبة المنع العطا من خالق
لذاك كان اللّه في رضاه	على حسب مرضاته مولاه
طريق ذا المزيد قل من سلك	لثقل حمل النفس في هذا الفلك
وقل من يصلح فيه الظاهرا	كيف بمن يراقب الخواطرا
ترى الذي يسمى بالمريد	بزيهم تنحى عن تسديد
خلى حساب نفسه وركنا	لراحة وحظ نفس سكنا
ولم يزن أعماله بالشرع	والعلم قد جفا له بالطبع
يظن أنه يفوز بالوصول	دون سلوك وامتحان وفصول

والفصول هي فصل الأمارة، واللوامة والملهمة والمطمئنة، والراضية والمرضية، والكاملة، ولولا ما شرطت لك في الاختصار لأتيتك بفصل كل نفس، ووصف صاحبها سواء من الأغيار أو الأخيار، وما يصلح له في جميع المقامات من الأذكار، لكن في هذا كفاية لمن أراد الله به عناية، وبشر نفسك بأن الفصل بيد الله يؤتيه من يشاء لا من يستحق، ولا من يتقدم، ولا من يتأخر من الفضلاء، قال ﷺ: «أمتي أمة مباركة لا يدري أولها خير أو آخرها»[1]، وليكن هذا آخر هذا الباب، والصلاة والسلام على محمد أفضل الأحباب.

---

(١) أخرجه الترمذي (أدب، ٩١).

الباب الثاني
في آدابه مع عبادة ربه

اعلموا إخواني وفقني الله وإياكم لما فيه الرضى، وأعاذنا وإياكم مما فيه البغضى أن حقيقة الأدب اجتماع أفعال الخير، فالأديب هو الذي اجتمعت فيه خصال الخير.

وأما حده فهو كما قال بعض الحكماء: وقد قيل له ما الأدب فقال: الأدب التمكن، وذلك بأن يكون المرء متمكناً من نفسه، بمعنى أن كل ما يراد منه يوجد قال ﷺ: «المؤمنون هينون لينون كالجمل الأنف إن قيد انقاد وإن أنيخ على صخرة استناخ»[1]، ولذلك قالوا: كاد الأدب أن يكون ثلثي الدين، وقال الإمام عبد الله بن المبارك: الأدب أشواق أخلاق العبد، وقال أيضاً: نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم، وقال الأدب للعارف كالتوبة للمستأنف، وقال أبو نصر السراج: التوحيد موجب يوجب الإيمان، فمن لا إيمان له لا توحيد له، والإيمان موجب أيوجب الشريعة، فمن لا شريعة له لا إيمان له، ولا توحيد له، والشريعة موجب يوجب الأدب، فمن لا أدب له لا شريعة له، ولا إيمان له ولا توحد، وقال الأستاذ أبو علي الدقاق: العبد يصل بطاعته إلى الجنة، ولا يصل إلى الله إلا بالأدب في طاعته، وقال: أيضاً ترك لأدب موجب يوجب الطرد، فمن أساء الأدب على البساط رد إلى الباب، ومن أساء الأدب على الباب رد إلى سياسة الدواب، وقال أبو بكر الدينوري، ما ارتفع من ارتفع بكثرة صلاة، ولا صيام، ولا صدقة، وإنما ارتفع بالأدب وحسن الخلق، وقال الشيخ أبو السعود بن أبي العشائر: لم تصل أولياء الله إلى ما وصلوا إليه إلا بالأدب، وقال سيدي: على الخواص أشد العذاب سلب الروح، وأكمل النعم سلب النفس، وألذ العلوم معرفة الحق، وأفضل الأعمال الأدب، وبداية الإسلام التسليم، وبداية الإيمان الرضى، وقال أيضاً: ثلاث خصال ليس معهن غربة مجانبة أهل الريب، وحسن الأدب وكف الأذى، وأقوال السلف والخلف في مدح الأدب، والحث عليه كثيرة فلنقتصر

---

(١) أخرجه ابن ماجه (مقدمة، ٦)، وأحمد بن حنبل (٤، ١٢٦).

منها على هذا القدر الكافي، ولنصرف العنان إلى ما نحن بصدده من ذكر آداب المريد في عبادة ربه الشافي.

اعلم يا أخي وفقني الله وإياك، لأقوم طريق، وجعلني وإياك من أهل التحقيق، ان كلما يروى ويرى من الشروط والأدب كلها عن قوم العبادات، إنما هي التزامات مما لا يلزم أصلاً إلا أنه لما كان أهل الدنيا ضبطوا أمر دنياهم، ورتبوا فيها لأنفسهم أموراً مكملة لأغراضهم، ومتممة لأهوائهم، كذلك أهل الآخرة ضبطوا أحوالهم في وجهتهم إلى الله تعالى بأمور مكملة لمقاصدهم متممة لأحوالهم، ولكل فريق شرب معلوم كلا نمد هؤلاء، وهؤلاء من عطاء ربك، وكيف يكون ذلك ملتزماً أصلاً، وقد قال تعالى: ﴿فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم﴾ [آل عمران: ١٩١]، فما كان من الشروط والآداب، فإنما هو على جهة الكمال لا على جهة اللزوم، فمن استدام ذكر الله على أي حال كان، وبأي وجه أمكن ابتغاء فضل الله ومرضاته، لا بد من نجحه وظفره بالمقصود إلا أنه مع الشروط، والآداب أسرع للنجح وأولى للفضل، والشروط كلها، والآداب كلها منحصرة في خمسة شروط، وخمسة آداب كما قال شيخنا: أطال الله حياته في كتابه المسمى ببدر التم وسأجلب لك كلامه تبركاً بما من البركة تم.

أما الشروط فأكدها الذي عليه ينبني أساسها المقصد لأن المقاصد هي أرواح الأعمال، ولا يستقيم عمل لا روح له، فلا بد من احضار قصد بين يدي الذكر يبني عليه الفكر تدبره لمعنى الذكر، وبحسب تلمح الفكر معنى القصد أثناء الذكر تكون قوة التأثير في النفس، والمقاصد تختلف باختلاف الأذكار.

(الثاني): الذي يلي الأول في التأكيد المجاهدة في مدافعة الخواطر عن الفكر المغايرة لمعنى الذكر، وردها على حسب الإمكان، لتصفو مرآة النفس لتلمح معنى الذكر، لأنها لا تختلج في الفكر في معنى الذكر حتى يغيب عن الحس إذ من الحواس تستمد مواد مألوفاتها، ومتعلقاتها فعلى قدر الخروج عن شواغل الحس يكون خرق حجاب الغفلة، فإذا كان سبيل النجاة من ذلك المجاهدة في مدافعة الخواطر، فإن لم تذهب عنه بالجملة فستذهب شيئاً فشيئاً حتى لا يبقى منها أثر، واعلم أني ما قدمت هذين الشرطين إلا لتأكيدهما، ولانبناء غيرهما من الشروط عليهما، ولو كان غيرهما مقدماً استعمالاً، إذ المستعمل من الشروط أولاً التوجه للذكر على طهارة، لأن المتوجه إلى الله بذكر ينبغي أن يكون على أكمل الأحوال وأشرفها، فقد ورد عنه ﷺ أن رجلاً سلم عليه، وأتى ﷺ جدار قوم فتيمم عليه، ثم رد السلام، فقيل له: في ذلك، فقال: «كرهت أن أذكر اسم الله على غير طهارة»، أشار عليه السلام إلى الكمال مع ما في الطهارة من السر الذي يعود على الباطن بصفاء وتنوير، ثم يلي شرط الطهارة في الاستعمال استقبال القبلة، لأن الذاكر يناجي

ربه، فينبغي أن يكون منتصباً إلى بيت الله وحرمه، قال ﷺ: «خير المجالس ما استقبلت فيه القبلة»، مع ما في التوجه إليها من السر الذي يعود بصرف الباطن إلى رب العزة جل وعز، وجمع الفكر في مناجاته فهو سر التوجه إلى القبلة في الصلاة، ثم يلي شرط الاستقبال الشرط الخامس الذي هو خلوة الذاكر بربه في حال ذكره يقصد مكاناً خالياً عارياً عن الشواغل لما في ذلك من تهيئة الفكر للإقبال على معنى الذكر وتهيئة الوارد على موارد الإخلاص، وأسرار الاختصاص، وفي انفراده ﷺ بغار حراء أول أمره دليل لذلك، ولم تزل الخلوات من شأن أهل العبادات، والرياضات، وقلما يفتح على سالك فتح أو يلوح له سر في غير الخلوة، والمراد بالخلوة هنا العزلة وقت تأدية ما التزمه من عدد الأذكار بحسب اجتهاد مرشده، لأن ذلك موكول إليه، والتزام كل أحد على حسب حاله فيعاملون أهل البداية بالتيسير، والتقريب، والتدريج إذ النفس إذا أريد إخراجها من مألوفاتها، وما تلوثت به من الغفلات دفعة أخلدت إلى العجز، وكفت عن الانتهاض، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «إن هذا الدين متين فاوغلوا برفق ولا تبغضوا لأنفسكم عبادة الله»[1].

وأما الخلوة التي لها عدد من الأيام، وحد من الأوراد فأمرها إلى الشيخ من كونها ثلاثة، أو سبعة، أو أكثر إلى أربعين إلى سبعين إلا أنه لداخلها أن يصلي ركعتين إن كان وقت صلاة بين يدي ذكر، ثم يحض نفسه بقراءة يس، فإذا دخل بيت خلوته قرأ آية الكرسي اثنتي عشرة مرة، ثم يجلس كالمحتبي، أو كالمتورك جلسته للصلاة مستقبلاً القبلة مغمضاً عينيه، ثم يأخذ في ورده على ما حد له شيخه، فإن شق عليه مكثه على هيئة من هيئات الجلوس، فليروح نفسه ملازماً الطهارة المائية إن كانت حكمية، وإلا فالترابية يكون نومه غلبة، قال ﷺ: «إذا استعجم القرآن على لسان أحدكم فلينم»[2].

وأما الآداب فالأول منها خلو البطن من الطعام، لأن الطعام يستحيل لبابه دماً فيسري في العروق حتى يملأها فيثقل بذلك الجسم، ويكثر صعود الأبخرة إلى الدماغ فبذلك يكون الكسل، ويستولي النوم، وقد جاء عنه ﷺ: «لا تأكلوا كثيراً فترقدوا فتخسروا كثيراً» فعلى قدر كثرة الأكل وقلته تكون حياة الفطنة وموتها، قال ﷺ: «البطنة تذهب الفطنة»، وقال: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه»[3]، فالأحسن للسالك في حالة توجهه للذكر أن يكون على خلاء من بطنه، ولا سيما أهل البداية من أهل السلوك.

وأما أهل التمكن فملا يخلون حركة من حركاتهم ولا سكنة من سكناتهم عن قصد

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل (٣، ١٩٩).

(٢) أخرجه مسلم (مسافرين، ٢٢٣)، وأبو داود (تطوع، ١٨)، (إقامة، ١٨٤)، وأحمد بن حنبل (٢، ٣١٨).

(٣) أخرجه الترمذي (زهد، ٤٧)، وأحمد بن حنبل (٤، ١٣٢).

فهم متوجهون إلى الله تعالى بجميع أعمالهم من أكل وشرب، ونوم ويقظة وغير ذلك، (وروى) أنه سأل من طاووس الدعاء فقال: حتى أجد له قصداً.

(الأدب الثاني) هو الجلوس للذكر على هيئة تقتضي الذل، والخضوع، والصغار لعظمة الله جل جلاله إذ في هيئات الظاهر تأثير في الباطن بحسب مقتضى الهيئة، وذلك لأن النفس للعلاقة التي بينها وبين الجسم، إذا اتصف الجسم بصفة اتصفت النفس بموجبها، فانظر إلى وضع الجبهة على الأرض في السجود، وإلى ما يسري إلى النفس بسبب ذلك من الخضوع والذل والانكسار.

(الأدب الثالث) اغماض عينيه، وكف سمعه ما أمكن إذ بذلك يستعان على جمع الفكر لتلمح معنى الذكر إذ الفكر يتشعب بتشعب الشواغل الواردة عليه من قبل الحواس، فكل شعبة من تلك الشعب تأخذ طرفاً من الفكر على حسبها، وقد يكثر ذلك، فيستغرق الفكر حتى لا يبقى منه لتلمح معنى الذكر شيء أو تبقى منه نبذة يسيرة لا تفي بالمراد، ولا تهدي إلى الرشاد، ومن أجل هذا استحبت الخلوة للذاكر ليبعد عن الشواغل إذ الذاكر يناجي ربه، فهو حقيق بجسم مواد الشواغل عن فكرة العين أشد الحواس شغلاً للفكر.

(الأدب الرابع) إنما ينبغي لملتزم الأعداد، ولا سيما الكثيرة كالألف وألوف الألوف اتخاذ سبحة يحصر بها عدد التزامه، ولا يعدل عنها إلى الحصر بالأصابع لما في ذلك من الاشتغال لفكره إذ في اتخاذ السبحة للحصر سلامة من اشتغال الفكر، وداعية إلى اجتماع البال، (واعلم) أن اتخاذ السبحة من الأمر المعروف، والعمل المألوف الذي لا ينكر، وقد درج عليه السلف الصالح جيلاً بعد جيل، فلا ينكره إلا كل جاهل ضليل، وقد جاء في حديث مرفوع نعم ذكر السبحة وقفت عليه في تحقيق المباني على الرسالة، وقد جاء أن أبا هريرة رضي الله عنه كانت له سبحة من ألف عقدة لا ينام حتى يتممها، وروى أن أبا القاسم الجنيد كانت سبحته في يده فقيل له: أنت مع شرفك تحتاج إلى سبحة يريدون عمارة أنفاسه بالذكر، فقال: شيء وصلت به إلى الله لا أفارقه.

(الأدب الخامس) ينبغي لملتزم الأوراد، أيضاً دون غيره وهو أن يقطع في أثناء ورده بكلام أو غيره إلا لعارض واجب، أو كالواجب إذ الذاكر متى توجه لأداء ورده فهو قادم على الله تعالى يخاطبه، ويناجيه ويحاضره، فقبيح قطع ذلك بعارض واشتغال عنه بشاغل، فكما أر الذاكر يطالب بهذه الشروط المتقدمة، والآداب على جهة الكمال لا على جهة اللزوم، كذلك ينبغي أن يتحير لكل ذكر وقته المشروع فيه اهـ كلامه أطال الله حياته، ولعمري إنه لشفى الغليل وأبرأ العليل، وأهدى الضليل، ثم لتعلم أنه ينبغي للمريد قبل هذه الشروط كلها، والآداب ومعها أن يتصور صورة شيخه في ذهنه، ويجعله في جميع ذلك نصب عينه، وسلماً لقربه من ربه عن بينة لأنه إذا استمد بقلبه عند شروعه في الذكر همة شيخه ناله المدد

على قدر الاستمداد، ونصر به على جميع الأجناد، إذ قلب شيخه يحاذي قلب شيخ الشيخ إلى الحضرة النبوية، وقلب النبي ﷺ دائم التوجه إلى الحضرة الإلاهية، **(فالذاكر)** إذا صور شيخه واستمد منه قاضت الأمداد من الحضرة الالاهية إلى قلب سيد المرسلين، ومن قلب سيد المرسلين ﷺ وعليهم أجمعين إلى قلوب المشايخ على الترتيب، حتى تنتهي إلى شيخه، ومن قلب شيخه إلى قلبه بأسرع من لحظ طرفه، فيقوى بذلك على استعمال الآلة إذ هو في البداية على مثال الطفل ليس له قوة على استعمال الآلة بالوجه الذي يؤثر ويقع محصلاً للغرض، وإن كان بيده سيف الله، قال ﷺ: «الذكر سيف الله، ولكن لا يعمل السيف إلا بيد ضارب بقوة مستفادة من حضرة نبي السيف» قال الشاعر:

وعـادة النصـل أن يـزهـو بجـوهـره ... وليـس يعمـل إلا فـي يـدي بطـل

فإذا استمد من شيخه جاءه المدد لا محالة، قال تعالى: ﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر﴾ [الأنفال: ٧٢]، ثم يرى أن استمداده من شيخه هو استمداد من نبيه ﷺ، لأنه نائبه ولا علم إلا بتعلم من الشارع، أو من ناب منابه في الشريعة إنابة، إذ قال عليه السلام: «إنما العلم بالتعلم إنما الحلم بالتحلم ومن يطلب الخير يؤته ومن يتقي الشر يوقه»، وما تفيده العبادة والتقوى، إنما هو فهم يوافق الأصول، ويشرح الصدور ويوسع العقول، ثم هو منقسم لما يدخل تحت دائرة الأحكام ومنه ما لا يدخل تحت دائرة العبارة، وإن كان مما تناوله الإشارة ومنه ما لا تفهمه الضمائر، وإن أشارت إليه الحقائق مع وضوحه عند مشاهديه، وتحققه عند متلفيه، (واعلم) أن طلب الشيء من وجهه وقصده من مكانه أقرب لتحصيله وقد ثبت أن دقائق علوم الصوفية منح الاهية، ومواهب اختصاصية لا تنال بمعتاد الطلب فلزم مراعاة وجه ذلك، وهو ثلاث أولها العمل بما علم قدر الاستطاعة، الثاني اللجأ إلى الله في الفتح على قدر الهمة، الثالث اطلاق النظر في المعاني حال الرجوع لأصل السنة ليجري الفهم، وينتفي الخطأ، وينتشر الفتح، وقد أشار الجنيد رحمه الله لذلك بقوله: ما أخذنا التصوف عن القبل، والقال والمراء والجدال، إنما أخذناه عن الجوع والسهر، وملازمة الأعمال. وفي الخبر عنه عليه السلام: «من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم»، وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه: إذا اعتقدت النفوس ترك الآنام جالت في الملكوت إلى صاحبها بطرائف الحكمة من غير أن يؤدي إليها عالم علماً.

ومن **الآداب** في العبادات التي لا ينبغي للمريد إهمالها: الهروب من إظهار المعاني التي تلوح له، وذلك لأن المعاني نور، وكلما تراكمت الأنوار في قلب العبد تمكن وقوى استمداده، وكلما أظهر معنى خرج النور أولاً فأولا، فلا يثبت له قدم في الطريق، ومن كلامهم أول ما يجب على سالك طريقتنا هذه ترك الدعوى الصادقة، وإخفاء المعاني الخارقة، ومنها أيضاً الهروب من شرب الماء عقب الذكر بسرعة، وذلك لأن الذكر يورث

حرقة وشوقاً إلى المذكور الذي هو المطلوب الأعظم من الذكر، والشرب عقب الذكر يطفيء ذلك، ومنها حضور مجلس إخوانه للذكر لكي يكون من أهل البركة التي تنالهم مدى الدهر. قال ﷺ: «إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا»[1]. قالوا: وما رياض الجنة يا رسول الله؟ قال: «مجالس الذكر». وعن عمر رضي الله عنه غنيمة مجالس الذكر الجنة، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: مجالس الذكر تنزل عليهم السكينة، وتحف بهم الملائكة وتتغشاهم الرحمة، ويذكرهم الله تحت عرشه، وعنه أيضاً ما من قوم يذكرون الله تعالى إلا حفت بهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده. وعن سهيل بن حنظلة: ما اجتمع قوم على ذكر الله فتفرقوا عنه إلا قيل لهم: قوموا مغفوراً لكم، ولما فيه أيضاً من التعاون على البر والتقوى المأمور به في قوله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ [المائدة: ٢]. قال صاحب تأسيس القواعد والأصول: قاعدة التعاون على الشيء ميسر لطلبه، ومسهل لمشاقة على النفس وتعبه، فلذلك ألفته النفوس حتى أمر به على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، فلزم مراعاة الأول في كل شيء كالثاني، ومنه قول سيدي أبي عبد الله بن عباد رحمه الله: أوصيكم بوصية لا يعقلها إلا من عقل، وجرب، ولا يهملها إلا من غفل فحجب، وهي لا تأخذوا في هذا العلم مع متكبر ولا صاحب بدعة، ولا مقلد.

فأما الكبر فطابع يمنع من فهم الآيات والعبر، والبدعة توقع في البلايا الكبر والتقليد يمنع من بلوغ الوطر، ونيل الظفر. قال: ولا تجعلوا لأحد من أهل الظاهر حجة على أهل الباطن، وقال أيضاً: بل يبحثوا على أن يجعلوا أهل الظاهر حجة لهم لا عليهم إذ كل باطن مجرد عن الظاهر باطل، والحقيقة ما عقد بالشريعة فافهم، (قلت): ومما تفضل الله به علي أني ما جاءني أحد من أهل الظاهر بنص يجادلني به، إلا وغلبته بنصه الذي جاءني به، ولله الحمد والمنة. وقال أيضاً: قاعدة الفقه مقصود لإثبات الحكم في العموم بمرادك على إثبات ما يسقط الحرج، والتصوف مرصده طلب الكمال، فمرجعه لتحقيق الأكمل حكماً أو حكمة، والأصول شرط في النفي والإثبات فمدارها على التحقيق المجرد، وقد علم كل أناس مشربهم، فافهم وقابل كل قوم بالأدب معهم في فنهم، والله المستعان وعليه التكلان.

---

(١) أخرجه الترمذي (دعوات، ٨٢)، وأحمد بن حنبل (٣، ١٥٠).

الباب الثالث
في آدابه مع إخوانه الذين هم على مراده من أعوانه

اعلموا إخواني وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجعلني وإياكم ممن يصطفيه، الأخ في الأصل المشارك الآخر في الولادة من الطرفين أو من أحدهما أو من الرضاع، ويستعار في كل مشارك لغيره في القبيلة أو في الدين أو في صنعة أو في معاملة أو في مودة أو في غير ذلك من المناسبات، وسئل الجنيد قدس الله سره عن الأخ، فقال: هو أنت في الحقيقة إلا أنه غيرك في الشخص، قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [الحجرات: ١٠]، قال بعض أهل اللغة: الأخوة جمع الأخ من النسب، والأخوان جمع الأخ من الصداقة، ويقع أحدهما موقع الآخر، وفي الحديث وكونوا عباد الله إخوانا، ومعنى الآية إنما المؤمنون منتسبون إلى أصل واحد هو الإيمان الموجب للحياة الأبدية كما أن الأخوة من النسب منتسبون إلى أصل واحد هو الأدب الموجب للحياة الفانية، فالآية من قبيل التشبيه المبتني على تشبيه الإيمان بالأب في كونه سبب الحياة كالأب، فأصلحوا بين أخويكم الفاء للإيذان أي الإعلام بأن الأخوة الدينية موجبة للإصلاح، ووضع المظهر مقام المضمر مضافاً إلى المأمورين للمبالغة في تأكيد وجوب الإصلاح والتحضيض عليه، وتخصيص الاثنين بالذكر لإثبات وجوب الاصلاح فيما فوق ذلك بطريق الأولوية لتضاعف الفتنة، والفساد فيه واتقوا الله في كل ما تأتون، وما تذرون من الأمور التي من جملتها ما أمرتم به من الإصلاح، وفي التأويلات النجمية واتقوا الله في إخوتكم في الدين بحفظ عهودهم، ورعاية حقوقهم في المشهد والمغيب والحيات والممات، لعلكم ترحمون راجين أي ترحموا على تقواكم كما ترحمون.

(واعلم) أن أخوة الإسلام أقوى من أخوة النسب بحيث لا تعتبر أخوة النسب إذا خلت عن أخوة الإسلام، ألا ترى أنه إذا مات المسلم وله أخ كافر يكون ماله للمسلمين لا لأخيه الكافر، وكذلك إذا مات أخوه الكافر، وذلك لأن الجامع الفاسد لا يفيد الأخوة، وأن المعتبر الأصلي الشرعي ألا يرى أن ولدي الزنى من رجل واحد لا يتوارثان، وهذا المعنى يستفاد من الآية أيضاً لأن إنما للحصر، فكأنه قيل: لا أخوة إلا بين المؤمنين، فلا إخوة بين

المؤمن والكافر، وكسب المرتد حال إسلامه لوارثه المسلم لإسناده إلى ما قبل الردة، فيكون توريث المسلم من المسلم.

وأما كسبه حال ردته فهو وفيء يوضع في بيت المال، لأنه وجد بعد الردة فلا يتصور إسناده إلى ما قبلها، وفي الحديث: كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي، قال بعض الكبار: القرابة من رسول الله ﷺ على ثلاثة أقسام، لأنها إما قرابة في الصورة فقط، أو في المعنى فقط، أو في الصورة والمعنى، فأما القرابة في الصورة فلا يخلو إما أن تكون بحسب طينته كالسادات الشرفاء، أو بحسب دينه، وعلمه كالعلماء، والصالحين والعباد وسائر المؤمنين، وكل منهما نسبة صورية.

وأما قرابته عليه السلام في المعنى فهم الأولياء، لأن الولي هو ولده الروحاني القائم بما تهيأ لقبوله من معناه، ولذلك قال ﷺ: «سلمان منا أهل البيت» إشارة إلى القرابة المعنوية.

وأما القرابة في الصورة والمعنى معاً فهم الخلفاء، والأئمة القائمون مقامه سواء كان قبله كأكابر الأنبياء الماضيين، أو بعده كالأولياء الكاملين، وهذه أعلى مراتب القرابة، وتليها القرابة الروحانية، ثم القرابة الصورية الدينية، ثم القرابة الطينية فإن جمعت ما قبلها فهي الغاية، وقال بعضهم: إن الله خلق الأرواح من عالم الملكوت، والأشباح من عالم الملك، ونفخ فيها تلك الأرواح، وجعل بينهما النفوس الأمارة التي ليست من قبيل الأرواح، ولا من قبيل الأشباح، وجعلها مخالفة للأرواح ومساكنها أي الأشباح فأرسل عليها جند العقول ليدفع بها شرها، وهي العقول المجردة الأخروية، وإلا فالعقول الغريزية والدنيوية لا تقدر على الدفع، بل هي معينة للنفس، فإذا امتحن الله عباده المؤمنين هيج نفوسهم الأمارة ليظهر حقائق درجاتهم من الإيمان والأخوة، وأمرهم أن يعينوا العقل والروح والقلب على النفس، حتى تنهزم لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً فهم كنفس واحدة، لأن مصادرهم مصدر واحد، وهو آدم عليه السلام، ومصدر روح آدم نور الملكوت، ومصدر جسمه تربة الجنة في بعض الأقوال، ولذلك يصعد الروح إلى الملكوت، والجسم إلى الجنة كما قال عليه السلام: «كل شيء يرجع إلى أصله»، وفي التأويلات النجمية (اعلم) أن أخوة النسب إنما تثبت إذا كان منشأ النطف صلباً واحداً، فكذلك إخوة الدين منشأ نطفها صلب النبوة، وحقيقة نطفها نور الله فاصلاح ذات بينهم يرفع حجب أستار البشرية عن وجوه القلب، ليتصل النور بالنور من روزنة القلب ليصيروا كنفس واحدة، كما قال عليه السلام: «المؤمنون كنفس واحدة إن اشتكى عضو واحد تداعى سائر الجسد بالحمى والسهر»[1]،

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل (٤، ٢٧٠، ٢٦٨)، والبخاري (أدب، ٢٧)، ومسلم (بر، ٦٦).

(ومن حق الإخوة في الدين) أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، ويسرك ما يسره، ويسوءك ما ساءه وإن لا تحوجه إلى الاستعانة بك، وإن استعان تعنه وتنصره ظالماً أو مظلوماً فمنعك إياه عن الظلم، فذلك نصرك إياه. وفي الحديث: المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يشتمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة، ومن حقه أن لا تقصر في تفقده أحواله بحيث يشكل عليك موضع حاجته، فيحتاج إلى مسألتك، وأن لا تلجئه إلى الاعتذار، بل تبسط عذره، فإن أشكل عليك وجهه عدت باللائمة على نفسك في خفاء عذره، وتتوب عنه إذا أذنب، وتعوده إذا مرض وإذا أشار إليك بشيء، فلا مطالبة بالدليل، وإيراد الحجة كما قال:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... في النائبات على ما قال برهانا

وقالوا:

إذا استنجدوا لم يسئلوا من دعاهم ... لأية حرب أم بأي مكان

واستنجد استعان، قيل لفيلسوف: ما الصديق، فقال: اسم بلا مسمى، وقال فضيل لفسيان: دلني على من أركن إليه فقال: ضالة لا توجد، وقال أبو إسحاق الشيرازي:

سألت الناس عن خل وفي ... فقالوا ما إلى هذا سبيل
تمسك إن ظفرت بذيل حر ... فإن الحر في الدنيا قليل

والفرق بين الخلة، والأخوة أن الصداقة إذ قويت صارت أخوة، وإذا ازدادت صارت خلة كما في أحياء العلوم، قيل: أبعد الناس سفراً من كان سفره في طلب أخ صالح، قال أعرابي: اللهم احفظني من الصديق، فقيل له: في ذلك. قال: الحذر منه أكثر من الحذر من العدو، وقال علي كرم الله وجهه: إخوان هذا الزمان جواسيس العيوب، وقد أحسن من قال: الأخ الصالح خير لك من نفسك، لأن النفس أمارة بالسوء، والأخ لا يأمرك إلا بخير، وقيل: الدنيا بأسرها لا تسع متباغضين، وشبر بشبر يسع متحابين.

(واعلم) أن المؤاخاة أمر مسنون من لدن النبي عليه السلام، فإنه آخى بين المهاجرين والأنصار، قاله في روح البيان، وفيه قال علي كرم الله وجهه: ست مني المروآت ثلاث في الحضر وثلاث في السفر.

فأما اللاتي في الحضر فتلاوة كتاب الله، وعمارة مسجد الله، واتخاذ الإخوان في الله.

وأما اللاتي في السفر فبذل الزاد، وحسن الخلق، والمزاح في غير معاصي الله، وقال رسول الله ﷺ: «أكثروا من الاخوان فإن الله حيي كريم يستحي أن يعذب أحداً بين

إخوانه»[1]. وقال علي رضي الله عنه: المرء كثير بأخيه، وقال أيضاً: عليكم بإخوان الصدق، فإنهم زينة في الرخاء، وعصمة في البلاء، قال زياد: خيار ما اكتسب المرء الاخوان، فإنهم معونة على حوادث الزمان، وشركاء في السراء والضراء، ولعلي رضي الله عنه:

عليك بإخوان الصفا فإنهم ... عماد إذا استنجدتهم وظهور
وليس كثيراً ألف خل وصاحب ... وأن عدواً واحداً لكثير

وقال المغيرة بن شعبة التارك للأخوان متروك، ويقال: الرجل بلا أخ كشمال بلا يمين قال الشاعر:

وما المرء إلا بإخوانه ... كما يقبض الكف بالمعصم
ولا خير في الكف مقطوعة ... ولا خير في الساعد الأجذم

وقالوا: من لم يرغب في الإخوان بلي بالعداوة، والحرمان، وقالوا: اتخاذ الاخوان مسلاة للأحزان، وقالوا: مثل الصديق كاليد توصل باليد، والعين تستعين بالعين، (الثعالبي) الحاجة إلى الأخ المعين كالحاجة إلى الماء المعين، وقالوا: الصديق ثاني النفس وثالثة العين، وقال في لقاء الإخوان: روح الجنان، وراحة الجنان، وقال: لا فاكهة أطيب من مفاكهة الاخوان، ولا نسيم أروح من مناسمة الخلان، وقالوا: الأخ الصالح لا يأمرك إلا بالخير، ومما يعتمد من شروط الآخاء، والمودة رعاية الأخ أخاه في الرخاء، والشدة. (الثعالبي) ينبغي أن يكون الصديق لصديقه اسمع من خادم، وأطوع من خاتم، وقيل: لابن السماك واسمه محمد بن صبيح أي الاخوان أخلق ببقاء المودة، قال: الوافر دينه الوافي عقله الذي لا يملك عسره إن استغثته عضدك، وإن احتجت إليه رفدك، وتكون مودة فعله أكثر من مودة قوله يستقل كثير المعروف من نفسه، ويستكثر كثير المودة من صديقه، وقال جعفر الصادق: للصداقة خمسة شروط، فمن كانت فيه فانسبوه إليها، ومن لم تكن فيه فلا تنسبوه إلى شيء منها، وهي أن يكون زين صديقه زينة، وسريرته له كعلانيته، وأن لا يغيره عليه مال، وأن يراه أهلاً لجميع مودته، ولا يسلمه عند النكبات، قال الشاعر:

أحب من الاخوان كل مواتي ... وفي غضيض الطرف من عثراتي
يوافقني في كل أمر أريده ... ويحفظني حيا وبعد مماتي
ومن لي به يا ليت إني وجدته ... أقاسمه مالي من الحسنات

وقال أعرابي: أصحب من ينسى معروفه عندك، ويذكر حقوقك عليه، وقال آخر:

---

(١) أخرجه أبو داود (وتر، ٢٣)، والترمذي (دعوات،١٠٤)، وابن ماجه (دعاء،١٣)، وأحمد بن حنبل (٤٣٨،٥، ٣١٤،٦).

اصحب من إذا صحبته زانك، وإذا خدمته صانك، وإذا أصابتك خصاصة عانك، وإذا رأى منك حسنة عدها، وإذا عثر على سيئة سدها، لا تخاف بوائقه، ولا تختلف عليك طرائقه، قال أبو نصر الميكايلي:

أخــوك مــن ان كنــت فــي ... نعمــي وبــوســي عــادلــك
وإن بـــــــداك منعمـــــا ... بـــالبـــر منـــه عـــادلـــك

وقال آخر:

إن أخاك الصدق ما كان معك ... ومـــن يضـــر نفســـه لينفعـــك
ومن إذا ريب الزمان صدعك ... شتـــت فيـــك شملـــه ليجمعـــك

وقال الثعالبي: صديقك من يرضى زلتك، ويسد خلتك، وقال الحجاج لابن الغربة: ما الكرم، قال: صدق الإخاء، في الشدة والرخاء، ويقال: صديقك من ساعفك في اطوارك، وقدم سعيه في قضاء أوطارك، قال أبو تمام:

مـــن لـــي بـــإنســـان إذا أغضبتـــه ... وجهلـــت كـــان الحلـــم رد جـــوابـــه
وإذا صبوت إلى المدام شربت من ... أخـــلاقـــه وسكـــرت مـــن آدابـــه
وتـــراه يصبـــو للحـــديـــث بطـــرفـــه ... وبقلبـــــه ولعلـــــه أدرى بـــــه

وقال الخليل بن أحمد: يجب على الصديق مع صديقه استعمال أربع خصال، الصفح قبل الاستقالة، وتقديم حسن الظن قبل التهمة، والبذل قبل المسألة، ومحرج العذر قبل العتب، وقالوا: الستر لما عاينت، أحسن من إذاعة ما ظننت، قال الشاعر:

إذا شئت أن تدعي كريماً مهذباً ... حليماً صديقاً ماجداً فطناً وحرا
إذا بـدت مـن صـاحـب لـك زلـة ... فكـن أنـت محتـالا لـزلتـه عـذرا

وقالوا: لتكن معاونتك أخاك بمهجتك عند البلاء أكثر من معاونتك إياه عند الرخاء، وقالوا: اجعل حسنة أخيك لك محسوبة وسيئاته إلى الزمان منسوبة، وقالوا: من علامات الصديق أن يكون لصديقه صديقاً، ولعدو صديقه عدواً، قالوا: ليس من الحب أن تحب ما يبغض صديقك، قال الشاعر:

وليـس يكـون المـرء سلـم صـديقـه ... إذا لم يكن حرب العدو المخالف

وكان أحمد بن أبي داود إذا رأى صديقه مصافياً لعدوه قتل صديقه، وقالوا: يجب على الصديق أن يحتمل لصديقه ثلاث مظالم ظلم الغضب، وظلم الدلال، وظلم الهفوة، وعبر عن الأخيرتين بعضهم بقوله: وظلم الحب وظلم الخطأ، وهو أبين، والمعنى واحد قالوا: إذا صح الود سقطت شروط الأدب، ويقال: إذا صح الاعتقاد بطل الانتقاد، وقال

المأمون: أحب الاخوان إلي من يكفيني مؤنة التحفظ، ومما يجب عليه من حسن الصنيع رفع العتاب واجتناب الترقيع قال عيسى عليه السلام: الصبر على عدو بعيب فيه خير من أخ تستأنف مودته، وقيل: من عاتب في كل ذنب أخاه فحقيق أن يمله ويقلاه، ويقال: الأعتاب داعية الاجتناب، وقالوا: عتاب الأحباب داعية الهجر والسباب، وقالوا: العتاب أكبر دواعي القطيعة بين الأحباب قال شاعر في هذا المعنى:

لـولا كـراهيـة العتـاب وأننـي ... أخشى القطيعـة إن ذكـرت عتـابـا
لـذكـرت مـن عثـراتكـم وذنـوبكـم ... مـا لـو يمـر علـى الفطيـم لشـابـا

وقال أحمد بن يوسف:

ولمـا قلـت أقـوالا لـديـنـا ... لـه لـولا مشـابتكـم جـواب
تـركـت عتـابكـم وصفحـت أنـي ... رأيـت الهجـر مبـدأه العتـاب

ويقال: إذا انبسطت المعاتبة، انقبضت المصاحبة، وقال أبو بكر الخوارزمي: لا خير في حب لا يحتمل اقذاؤه ولا يشرب على الكدر ماؤه، وإنما العشرة محاملة والمحاملة لا تسع الاستقصاء والكشف، ولا تحتمل الحساب والصرف، قال الشاعر:

ومن لم يغمض عينيه عن صديقه ... وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومـن يتبـع جـاهـداً كـل عثـرة ... يجدها ولم يسلم له الدهر صاحب

غيره:

إذا كنت لم تصبر على الذم من أخ ... بقيت فريداً لم تجد من تقاربه
وإن أنت لم تشرب مراراً على القذى ... ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه
ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها ... كفـى المـرء نبـلاء أن تعـد معـايبـه

وقالوا: الاستقصاء أول الزهد وآخر الود، وقال العباس بن الأحنف:

إن بعض العتاب يدعو إلى الهجر ... ويـؤذي بـه المحـب الحبيبـا
وإذا مـا القلـوب لـم تضمـر الـود ... فلـن يعطـف العتـاب القلـوبـا

غيره:

أرى تحـت الـرمـاد وميـض جمـر ... ويـوشـك أن تكـون لهـا ضـرام
فـإن النـار بـالعـوديـن تـذكـى ... وأن الحـرب أولهـا كـلام

ومنهم من استحسن عتاب الأصحاب، فربما كان حضاً على اكتساب المحاب كما قيل:

إذا ذهب العتاب فليس ود ويبقى الود ما بقي العتاب

وقالوا: معاتبة الأخ خير من فقده فلعلها تكون سبباً إلى اصلاحه ورشده، وقالوا: ترك المعاتبة من علامات الإهمال والتواطيء على منهيات الأعمال، وقالوا: شر الأصحاب من لم يكن ينفع فيه العتاب، وقال علي رضي الله عنه: عاتب أخاك بالإحسان إليه، واردد شره بالإفضال عليه، وقالوا: العتاب يداوي القلوب، ويترجم عن خفيات العيوب، وما أحسن قول من قال:

توافق عاشقان على ارتقاب أرادا الوصل من بعد اجتناب
فلا هذا يمل عتاب هذا ولا هذا يمل من الجواب
فلا عيش كوصل بعد هجر ولا شيء ألذ من العتاب

غيره:

أعاتب من أهواه في كل حالة ليجتنب الأمر الذي معه الذنب
فإني أرى التأديب عند جروحه بمنزلة الغيث الذي قبله الجدب

ومما يؤكد الصحبة ما أوصى به العباس بن عبد المطلب ابنه عبد الله، لما رأى عمر ابن الخطاب يقربه عن غيره، وهو قوله له: لا تفشين له سراً ولا يجربن عليك كذباً، ولا تغتابن عنده أحداً، ومما يؤكد المحبة أيضاً أن يبدأ حبيبه بالسلام إذا دخل عليه، وأن ينظر بعين الإكبار إليه، وأن يجلس حيث انتهى به المجلس حتى يدنيه، وفي بعض الحكم الاستماع بالعين، فإذا رأيت عين من تحدثه مقبلة على غيرك فاصرف حديثك إلى غيره، فقد قيل: إن نشاط المتكلم بقدر اقبال السامع قال شاعر في بني العباس:

إذا حدثوا لم يخش سوء استماعهم وإن حدثوا أبدوا بحسن بيان

وقالوا: إذا كلمك رئيسك فاصغ إليه بسمعك واقبل عليه بوجهك، ووكل بشفتيه ناظرك واشغل بحديثه خاطرك، واسمعه سماع مستبشر به مستظرف له، وإن أحكمته وأتقنته فهما، وأن يفرط في الدلالة عليه فربما شاقت الابعاض إليه، ولتكن حرمة مجلسه إذا غاب كحرمته إذا حضر، ويقال: إن حسن الاستماع أحسن من حسن القول، ورب طرف أنطق من لسان، وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: ما بسط رسول الله ﷺ ركبته بين يدي جليسه قط، ولا جلس إليه رجل فقام من عنده حتى يكون هو الذي يقوم، ولا صافحه أحد قط فأخذ يده منه حتى يكون الرجل هو الذي يأخذ يده منه، ولا رأيته قام عن أحد من جلسائه فانصرف عنه حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف، وقال ﷺ: «للمسلم على المسلم ست»[1]، قيل

---

(١) أخرجه ابن ماجه (جنائز، ١)، وأحمد بن حنبل (١، ٨٩، ٢، ٦٨).

فما هن يا رسول الله، قال: «إذا لقيه يسلم عليه وإذا دعاه يجيبه وإذا عطس فحمد الله يشمته وإذا مرض عاده وإذا مات شيعه ويحب له ما يحب لنفسه»(١). وقال سعيد بن العاص: لجليسي علي ثلاث، إذا أتى رحبت به وإذا جلس وسعت له، وإذا حدث أقبلت عليه، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ثلاث تثبت لك المحبة في صدر أخيك أن تبدأه بالسلام، وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب الأسماء إليه، وقال يحيى بن خالد لولده جعفر: يا بني إذا حدثك جليسك فاقبل عليه وأصغ له، ولا تقل: قد سمعناه، وإن كنت أحفظ حتى كأنك لم تسمعه إلا منه، فإن ذلك مما يكسب المحبة والميل إليك، وأن لا تستخدمه إذا جلس لمؤانستك، وقام عمر بن عبد العزيز وأصلح السراج لجلسائه، فقال أحدهم: ألا أمرتني يا أمير المؤمنين فكنت أكفيك، فقال: ليس من المروءة أن يستخدم المرء جليسه، قمت أنا وعمر ورجعت، وأنا عمر حكى أن هشاماً كان يعتم فقام إليه بعض جلسائه ليسوي عمامته، فقال له: مه إنا لا نتخذ الإخوان خولاء، الخول محركة العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية للواحد والجمع والمذكر والمؤنث، ويقال للواحد: خائل واستخولهم اتخذهم خولا، وكل ما أعطاك الله من النعم يقال له: خول والخول أيضاً أصل فاس اللجام، وما يثني عطف الصديق إلى التأليف زيارته صديقه من غير انقطاع، ولا تخلف قال رسول الله ﷺ: «من عاد مريضاً أو زار أخاً ناداه منادٍ أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا»(٢). وما أحسن ما يقال: امش ميلاً عد مريضاً وامش ميلين، واصلح بين اثنين، وامش ثلاثاً وزر أخا، وقالوا: المودة جسم وروحها الزيارة، وقالوا: المحبة شجرة وثمرتها المقة وأصلها الزيارة المقة المحبة، يقال: ومقه كورثه ومقا ومقة أحبه فهو وامق، وتومق تودد، ومن أراد استيفاء حق الأخوان فعليه بشرحنا لزرع عند قولنا وأب أو أم إذا ذل أخ، (واعلم) أن الأخ في اللغة قد تقدم لك تعريفه أنه المشارك لغيره في القبيلة أو في الدين أو في غير ذلك، ثم أنه حيث أطلق عند القوم فالمراد به إخوان المريد الطالبون ما طلب، وهم المواريد الذين هم قاصدون ما قصده من الوصول إلى الله وهم له بمنزلة الرفيق في السفر الحسي كما نص على ذلك شيخنا أبونا الشيخ محمد فضال بن مامين رضي الله عنه وأرضاه آمين حيث قال في مطية المجد ناظماً لما لا بد للمريد منه:

لا بد من دليل عارف الطريق　　راحلة زاد كذاك والرفيق

سلاحه لإرهاب العدو　　ليلاً يلقي بالعشي الغدوى

(١) أخرجه الترمذي (أدب، ١، ٤)، والبخاري (أدب،١٢٥)، ومسلم (زهد، ٥٤)، والنسائي (جنائز، ٥٢)، وابن ماجه (جنائز،١)، والدارمي (استئذان،٥)، وأحمد بن حنبل (١، ٨٩، ٢، ١٦٨، ٣٢١، ٣٣٢، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٧٢، ٣٨٨، ٤١٢، ٥٤٠، ٤، ٤١٢، ٥، ٢٧٣).

(٢) أخرجه الترمذي (بر، ٦٤)، وابن ماجه (جنائز، ٢)، وأحمد بن حنبل (٢، ٣٢٦، ٣٤٤، ٣٥٤).

سـلاحـه أسمـاء الله للعـدا ... تـرد شيطـانـا ونفسـا للـردى
والـرفقـاء الطـالبـون مـا طلـب ... اخـوانـه فـي الله حيثمـا ذهـب
وزاده التقـي وأمـا الـراحلـه ... همتـه لـربـه مـوصلـه
أمـا الـدليـل فـذو رشـد عـارف ... شر الطريق خير ما قد يعرف
سلكهـا حتـى امتطـى الأحـوالا ... وشـاهـد الجمـال والجـلالا

محل الشاهد من الأبيات في الرابع، وهذه الأبيات مثل ضربه الشيخ رضي الله عنه وأرضاه للسفر المعنوي بالسفر الحسي، وذلك السفر الحسي لا بد فيه من هذه الخمسة، وهي الدليل الذي يعرف الطريق، والراحلة أي المركب الذي يركب عليه المسافر، والزاد المبلغ، والرفيق والسلاح، فهذه الخمسة في السفر الحسي ظاهرة المعنى.

وأما في المعنوي فهي التي بين رضى الله عنه وأرضاه وجعل تبينها لفاً ونشراً معكوساً، فقال: إن سلاح أهل الله الذي يردون به أعداء الله هو الأسماء أي أسماء الله.

وأما الرفقاء هم إخوانه في الله وأن الزاد هو التقي، وأن الدليل هو الشيخ الذي يعرف سر الطريق، ويعرف خيرها وأسلكها أي سار معها حتى عرف أحوالها وشاهد جمالها وجلالها، ومما يتأكد في حق الناس كلهم لا سيما الاخوان العفو قال تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ [آل عمران: ١٣٤]. وقال ﷺ في حديث: «والعفو لا يزيد العبد إلا عزاً فاعفوا بعزكم الله»[١]. وقال ﷺ: «ينادي منادي يوم القيامة ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة»، قيل: ما هم قال: «العافون عن الناس». ويروى أن فرعون قال لإبليس: هل على وجه الأرض أخبث مني ومنك؟ قال: نعم، من اعتذر إليه أخوه، فلم يقبل عذره، وقال الحسين بن علي: لو شتمني أحد في إحدى أذني، ثم اعتذر في الأخرى لقبلت، وعن النبي ﷺ: «من جاء له أخوه متنصلاً أي معتذراً فليقبل عذره محقاً كان أو مبطلاً، فإن لم يفعل لم يرد على الحوض»، وقال الشاعر:

أقبـل معـاذيـر مـن أتـاك معتـذراً ... إن بـر عنـدك فيمـا قـال أو فجـرا

وعن النبي ﷺ: «من اعتذر إلى أخيه بمعذرة، فلم يقبلها كان عليه مثل خطيئة صاحب المكوس»، وقال الشاعر:

إذا اعتـذر الصـديـق إليـك يـومـاً ... مـن التقصيـر عـذر أخ مقـر
فصنـه مـن عتـابـك واعـف عنـه ... فـإن العفـو شيمـة كـل حـر

---

(١) أخرجه الترمذي (بر، ٨٢)، والدارمي (زكاة، ٣٥)، والموطأ (صدقة، ١٢)، وأحمد بن حنبل (٢، ٣٨٦).

وفي الإحياء عن النبي ﷺ إذا بعث الله الخلائق يوم القيامة، نادى منادٍ تحت العرش ثلاث مرات يقول: يا معشر الموحدين إن الله قد عفا عنكم، فليعف بعضكم عن بعض، قاله: في نزهة المجالس، واعلم أن المودة والأخوة والزيارة سبب التألف، والتألف سبب القوة، والقوة سبب التقوى، والتقوى حصن منيع وركن شديد بها يمنع الضيم، وتنال الرغائب، وتنجح المقاصد، وقد من الله تعالى على قوم، وذكرهم نعمته عليهم بأن جمع قلوبهم على الصفاء وردها بعد الفرقة إلى الألفة، والأخاء فقال تعالى: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ [آل عمران: ١٠٣] أي متحابين مجتمعين على الأخوة في الله متراحمين متناصحين متفقين على كلمة الحق.

فائدتان

الأولى: علامة المتقي أربعة حفظه الحدود، وبذل المجهود، والوفاء بالعهود، والقناعة بالموجود.

الثانية: قال سهل: ليس للعبد إلا مولاه، وأحسن أحواله أن يرجع إلى مولاه إذ عصى، قال: يا رب استر علي فإذا ستر عليه، قال: تب علي فإذا تاب عليه، قال: يا رب وفقني حتى أعمل فإذا عمل، قال: يا رب وفقني حتى أخلص، فإذا أخلص قال: يا رب تقبل مني فعلي العاقل أن يتمسك بهذا الحبل المتين، ويطلبه لإخوانه في كل وقت وحين، وقد وصف الله تعالى نعيم الجنة، وما أعد لأوليائه من الكرامة إذ جعلهم إخوانا على سرر متقابلين، وقال الأوزاعي: الصاحب للصاحب كالرقعة للثوب إن لم تكن مثله شانته، وقال عبد الله بن طاهر: المال غاد ورائح، والسلطان كنز زائد، والاخوان كنوز وافرة، وقال المأمون للحسن ابن سهل: نظرت في اللذات فوجدتها كلها مملولة إلا سبعة، قال: وما السبعة يا أمير المؤمنين، قال: خبز الحنطة، ولحم الغنم والماء البارد، والثوب الناعم، والرائحة الطيبة، والفراش الوطيء، والنظر إلى الحسن من كل شيء، قال فأين أنت يا أمير المؤمنين من محادثة الرجال أهل العقول، قال: صدقت: وهي أولاهن، وقال شيخنا رضي الله عنه: في مطية المجد في الذي لا بد للمريد منه:

خالط جليساً صالحاً للسأم ... يزيله عنك بغير مأثم

وقال سليمان بن عبد الملك: أكلت الطيب، ولبست اللين، وركبت الفاره، وافتضضت العذراء، فلم يبق من لذاتي إلا صديق أطرح معه مؤنة التحفظ، وكذلك قال معاوية رضي الله عنه: نكحت النساء حتى ما أفرق بين امرأة وحائط، وأكلت الطعام حتى لا أجد ما استمرئه، وشربت الأشربة حتى رجعت إلى الماء، وركبت المطايا حتى اخترت

نعلي، ولبست الثياب حتى اخترت البياض، فما بقي من اللذات ما تتشوق إليه نفسي إلا محادثة أخ كريم وأنشدوا في معنى ذلك:

وما بقيت من اللذات إلا ... محادثة الرجال ذوي العقول
وقد كنا نعد بهم قليلاً ... فقد صاروا أقل من القليل

وقال:

ما عاتب المرء اللبيب كنفسه ... والمرء يصلحه الجليس الصالح

ومثل الجليس الصالح كالعطار إن لم يصبك من عطره أصابتك رائحته، ومثل الجليس السوء مثل نافخ الكير إن لم يحرق ثوبك بناره آذاك بدخانه، ولصاحب التأليف غفر الله له وأعاذه من التأفيف في التغافل عن زلة الإخوان ورحمة المسكين، وتقوى الإله والعلم:

تغافل من الأخوان عن كل زلة ... وإياك والتبصير في زلة الأخ
وكن راحم المسكين واصل رحمه ... وإياك أن تبدو له بالتبلخ
وإياك التقصير فيما أحببا ... وساوى زمان العصر في ذاك والرخ
وداوم على تقوى الإله وعلمه ... تفز وتنل مما رجوت بخ بخ

ويقال: المرء كثير بأخيه ولا خير في صحبة من لا يرى لك من الحق مثل ما ترى له، وكثيراً ما كنت أسمع شيخنا رضي الله عنه وأرضاه يحكي كلاماً يقول المرء: كثير بنفسه، ثم بأبيه، ثم بابنه، ثم بأخيه، ثم بابن عمه، ثم لا كثرة، والمعنى أن المرء يكون كثيراً بنفسه بمعنى أنه يكثر لنفسه الأحباب، ويجلب لنفسه الإخوان بالاقتراب، وإلا فبالذي صنع أبوه من الأخوان، ثم كذلك.

وأما غير هؤلاء فإن المرء لا تكون له به كثرة، وقال خالد بن صفران: أعجز الناس من قصر في طلب الأخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم، وقال علي رضي الله عنه: الغريب ليس له حبيب، وقالوا: يهنأ العيش بصحبة أهل الوداد وبذلك يسر المرء بين العباد، وعليك بصحبة الموادد، ولو أنه واحد ولبعضهم:

من لم يعش بين أقوام يسر بهم ... فدهره أبداً هم وأحزان
فأخبث العيش ما للنفس فيه أذى ... خضر الجنان مع الأعداء نيران
وأطيب العيش ما للنفس فيه هوى ... سم الخياط مع الأحباب ميدان

غيره:

رحب الفضاء مع الأعداء ضيقة ... سم الخياط مع الأحباب ميدان

وإذا كملت المشاكلة المعنوية تغرب صاحبها بين أشكاله الحسية، فليس الغريب

غريب الأوطان، وإنما الغريب غريب الأقران ولبعضهم:

وما غربة الإنسان في شقة النوى ولكنها واللّه في عدم الشكل

فالعاقل اللبيب منفرد غريب لا يتجاوز هو وإخوانه جمع القلة في كل وقت، وقوم وملة قال الشاعر:

لكل امرىء شكل من الناس مثله وأكثرهم شكلاً أقلهم عقلا

وكل أناس آلفون لشكلهم وأكثرهم عقلاً أقلهم شكلا

وقال عليه السلام: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»[1] فموجب أخوة الائتلاف موافقة الطباع والأوصاف سيما إذا ارتفع العناد ووافق الأمداد الأمداد قال الشاعر:

لعمرك ما الأخوان أخوان نطفة تصور في الأرحام في عالم الجسد

ولكنما الأخوان من كان وصفهم يطابق وصف الروح في عالم المدد

وقالوا: أخوك من وافقك في الأخلاق، وكان عنده ما عندك من الإشراق، فكان معك في حضرات البقاء ومواطن السعادة باللقاء لم تحدث عن التجانس المواصلة الناشئة عن الأنفاق بين المتواخين، ولبعضهم:

الناس إن وافقتهم عذبوا ومع الخلاف جنابهم مر

كم من رياض الأنيف بها تركت لأن طريقها وعر

ثم تحدث عن المواصلة المؤانسة وسببها الانبساط، ثم تحدث عن المؤانسة المصافات، وسببها خلوص النية، ثم تحدث عن المصافات المودة وسببها الثقة فإن اقترنت بها المعاضدة فهي الصداقة، ثم تحدث عن المودة المحبة وسببها الاستحسان فإن كان لفضيلة النفس حدث منه التعظيم، فإذا كان لجمال الصورة حدث منه الهوى، ومن المواخات القصد، وهي التي لا بد لها من باعث، وهو إما رغبة أو حاجة.

فأما الرغبة فهي أن تظهر من الإنسان فضائل يرغب في إخائه من أجلها والأكمل أن تكون طبعاً أو بعضها طبعاً، وبعضها تطبعاً وأما الحاجة فهي أن يفتقر الإنسان إلى غيرها فيواليه قيل: من لم يرغب في ثلاث بلي بست من لم يرغب في الإخوان بلي بالعداوة والحرمان، ومن لم يرغب في السلامة بلي بالشدائد والامتهان، ومن لم يرغب في المعروف

---

(١) أخرجه البخاري (أنبياء، ٢)، ومسلم (بر، ١٥٩، ١٦٠)، وأبو داود (أدب، ١٦)، وأحمد بن حنبل (٢، ٢٩٥، ٥٢٧، ٥٣٩).

بلي بالندامة والخسران، فمن كان له أخ صديق فليكن أشد ضنابه منه بنفائس أمواله قال الفرزدق:

يمضي أخوك فلا ترى له خلفا والمال بعد ذهاب المال يكتسب

ابن مسعود ما شيء أدل على شيء من الصاحب على الصاحب، إذ الإنسان موسوم بسعي من قارب، ومنسوبة إليه أفعال من صاحب، قال عليه السلام: «المرء مع من أحب وله ما اكتسب»[(١)]، ثم لا بد قبل المواخاة من الاختبار، وقد قالوا: مصارمة قبل اختيار أفضل من مواخاة على اغترار، قيل: لا تثق بالصديق قبل الخبرة، ولا توقع بالعدو قبل القدرة، وقال بعض الأكابر في مجالسة الأضداد: ذربان الروح، وفي مجالسة الأشكال تلقيح العقول، والخصال المعتبرة في الآخاء أربع: العقل فإن الأحمق لا تثبت معه مودة، قال عليه السلام: «صحبة الأحمق شؤم»، وقالوا: عداوة العاقل أقل ضرراً من مودة الأحمق، ومادة العقل مجالسة العقلاء، ثم الدين فإن تارك الدين عدو نفسه غير معول عليه، ولا موثوق به كما قيل:

من لم تكن في الله خلته فخليله منه على خطر

وفي قوله: ﴿يا ويلتي ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً﴾ تنبيه لكل ذي نهية على تجنب قرين السوء، وهذه الآية عامة في كل متحابين اجتمعا على معصية الله، والخلة الحقيقية هي أن لا تكون لطمع، ولا لخوف، بل في الدين، ولذا ورد كونوا في الله إخواناً أي في طريق الرحمان لا في طريق الشيطان، وفي الحديث: المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل، وفي الحديث: لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا نقي، وقيل لرسول الله ﷺ: أي جلسائنا خير؟ قال: «من ذكرتكم رؤيته وزاد في علمكم منطقه وذكركم بالآخرة عمله»، وقال مالك بن دينار: إنك أن تنقل الحجارة مع الأبرار خير لك من أن تأكل الخبيص مع الفجار، الخبيص المعمول من التمر والسمن مشتق من خبصه يخبصه خلطه وأنشدوا:

واصحب خيار الناس حيث لقيتهم خير الصحابة من يكون عفيفا
والناس مثل دارهم ميزتها فوجدت فيهم فضة وزيوفا

---

(١) أخرجه البخاري (أدب، ٩٦)، ومسلم (بر، ١٦٥)، والترمذي (زهد، ٥٠)، (دعوات، ٩٨)، والدارمي (رقاق، ٧١)، وأحمد بن حنبل (١، ٣٩٢، ٣، ١٠٤، ١١٠، ١٥٩، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٨، ١٩٢، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٣، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٥٥، ٢٦٨، ٢٧٦، ٢٨٣، ٢٨٨، ٣٣٦، ٣٩٤، ٤، ١٠٧، ١٦٠، ٢٣٩ ـ ٢٤٩، ٣٩٢، ٣٩٥، ٣٩٨، ٤٠٥).

قدم ناس إلى مكة، وقالوا: قدمنا إلى بلدكم فعرفنا خياركم من شراركم في يومين قيل: كيف قالوا: لحق خيارنا بخياركم وشرارنا بشراركم فألف كل شكله، وأخذ جماعة من اللصوص، فقال أحدهم: أنا كنت مغنياً لهم، وما كنت منهم فقيل له: غني فغنى بقول عدي:

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه   فكل قرين بالمقارن يقتدي

فقيل: صدقت وأمر بقتله، وحكى أن حكيماً عتب على حكيم فكتب المعتوب عليه إلى العاتب يا أخي إن العمر أقل من أن تحتمل الهجر وأنشدوا:

حسب الأحبة أن يفرق بينهم   ريب الزمان فما لنا نستعجل

ثم حسن الخلق، فإن مخالطة الأشرار تسوق إلى العار، وتورث ظن السوء بالأخيار ولبعضهم:

مخالطة السفيه فساد رأى   ومن عقل مخالطة الحليم
فإنك والقرين معاً سواء   كما قد الأديم على الأديم

ثم الميل إذا طالب فيه من هو زاهد خائب ولبعضهم:

لئن كان لا يدنيه إلا شفاعة   فلا خير في ود يكون بشافع

وقيل: ليس بلبيب من لا يدار من لا يجد من معاشرته بداً، ولقد قالوا:

سلوا عن مودات الرجال قلوبكم   فتلك شهود لم تكن تقبل الرشا
ولا تسألوا عنها العيون فإنها   تشير بشيء ضد ما أضمر الحشا

ولا تغتر بصحبة المجالسة إذا لم يكن وفاق المجانسة، فربما حصل الفرار أو بعد طول القرار وأنشدوا:

من لم تجانسه فاحذر أن تجالسه   فالسمع آفتة من صحبة الفطن

وأنشدوا:

فإذا أردت ترى فضيلة صاحب   فانظر بعين البحث من ندمائه
كالمرء مطوى على علاته   طي الكتاب وصحبة عنوانه

والرجل كل الرجل من عرف الزمان، ودرب أهله بالميزان وعاملهم بقدر بضائع عقولهم وحدثهم بقدر فهمهم، ومحصولهم وأنشدوا:

زمان كل حب فيه خب   وطعم الخل خل لو يذاق
له سوق بضاعته نفاق   فنافق فالنفاق له نفاق

يعني نفاق المدارات بلطائف العبارات، وقد أرشد إلى ذلك السميع العليم في كتابه المنزل الحكيم في قوله لهارون وموسى الكليم عليهما أفضل الصلاة والتسليم في معاملة فرعون الرجيم فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى، ففيه إرشاد لأعيان الأمة، وعلماء الملة إلى مدارات الغواة، والظلمة، وذلك لأن فرعون كان من الملوك الجبابرة، ومن عاداتهم أن يزدادوا عتواً إذا خوشنوا في الموعظة فاللين عندهم أنفع وأسلم، كما أن الغلظة على العامة أوفق حكمة، وأشد دعوة واعلم أن كلاً من اللين والخشونة يمدح به طوراً، ويذم به طوراً بحسب اختلاف الواقع، وعليه يحمل قوله عليه السلام: «لا تكن مراً فتعفى ولا حلواً فتسترط»، يقال: أعفيت الشيء إذا أزلته من فيك لمرارته واستراطه ابتلاعه، ومن أمثال العرب: لا تكن رطباً فتعصر ولا يابساً فتكسر، وذلك لأن خير الأمور أوسطها، ورعاية مقتضى الحال قاعدة الحكيم، وقد قال المأمون: الأخوان ثلاث طبقات: طبقة كالغد لا يستغنى عنه، وطبقة كالدواء يحتاج إليه أحياناً، وطبقة كالداء يرغب في دفعه، ومن كان كالداء، فليس بأخ أمل هو عدو، وإنما يعامل بالمودة استكفاء لشره، وتحرزاً من مكاشفته، ولقد قيل:

وكم من يد قبلتها عن ضرورة ... وكان مرادي قطعها لو أمكن

وقيل: العدو الضاحك إليك كالحنظلة أوراقها خضر وطعمها مر وأنشدوا:

تعاشرني كرها كأنك ناصح ... وعينك تبدي أن صدرك لي دوي
لسانك معسول ونفسك علقم ... وبشرك مبسوط وخيرك منزوي
فليت كفافاً كان خيرك كله ... وشرك عني ما ارتوى الماء مرتوي

ومن قويت أسباب مودته قويت الثقة به، وأنت أيها الأخ في الله عليك بالاعتماد على الله تعالى، واللجاء إليه في كل نائبة تنوبك وأمر يصيبك، ولا تعول على أحد من إخوانك في هذا الزمان لأن غلبهم لا ينالك منه إلا سواد الوجه، وغم النفس، ولقد تكرر ذلك إليك ممن يجتمع عليك من مثل هؤلاء الذين لديك، وما هم إلا كما قال حسان:

فلا تغرك خلة من تواخي ... فما لك عند نائبة خليل

وقال الآخر:

ما في زمانك هذا من تصاحبه ... ولا خليل إذا خان الزمان وفى
فعش فريداً ولا تركن إلى أحد ... فقد نصحتك بالغا وكفى

وقال الآخر:

فإنما رجل الدنيا وواحدها ... من لا يعول في الدنيا على رجل

والإخوان أربعة من يعين ويستعين، ومن لا يعين ولا يستعين، ومن يستعين ولا يعين، ومن يعين ولا يستعين فالذي يعين ويستعين معاوض منصف يؤدي ما عليه، ويستوفي ماله فهو مشكور في إعانته معذور في استعانته، وهو أعدل الاخوان، والذي لا يعين ولا يستعين متارك خيره وقمع شره، فلا هو صديق يرجى ولا عدو يخشى، وفساد الوقت يوجب شكر

هذا قال المتنبي:

إنـا لفـي زمـن تـرك القبيـح بـه　　　مـن أكثـر النـاس إحسـان وإجمـال

والذي يستعين ولا يعين لئيم لا يرجى خيره، ولا يؤمن شره قيل: ما في الكريم أن يمنع الناس خيره وخير ما في اللئيم أن يكف شره، ويقال أيضاً: شر ذي الخير أن يكف خيره، وخير ذي الضير أن يكف ضيره، ولابن الرومي:

عـذرنـا النخـل فـي إبـداء شـوك　　　يـرد بـه الأنـامـل عـن جنـاه
فمـا للعـوسـج الممقـوت أبـدي　　　لنـا شـوكـا ولا تمـراً نـراه

والذي يعين، ولا يستعين هو أشرف الاخوان نفساً وأكرمهم طبعاً، ومن ظفر به فليحتضنه بالسواعد، وليعض عليه بالنواجذ لأنه المطلوب في الأنام والمراد منها بالتمام.

الباب الرابع
فيما من الأقوال والأفعال ينتفع به

اعلموا اخواني وفقني الله وإياكم، لاتباع نبيه عليه السلام قولاً وفعلاً، لأنه المؤدي إلى محبته فرعاً وأصلاً أن المراد بالأقوال والأفعال النافعة هي أقوال الطاعة وأفعالها الشائعة المبنية على الاذكار النافية للأغيار، قال تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ [البقرة: ١٥٢]، أي فاذكروني بالطاعة لقوله عليه السلام: «من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه وقراءته القرآن ومن عصى الله فقد نسي الله وإن كثرت صلاته وصيامه وقراءته القرآن». أذكركم بالثواب واللطف والإحسان وإفاضة الخير وفتح أبواب السعادة. وأطلق على هذا المعنى الذكر الذي هو إدراك مسبوق بالنسيان، والله تعالى منزه عن النسيان بطريق المجاز والمشاكلة لوقوعه في صحبة ذكر العبد. ونحوه قوله تعالى: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ [المائدة: ١١٦]، أي ما تخفيه من معلوماتك، قال الإمام الغزالي: الذكر قد يكون باللسان، وقد يكون بالقلب، وقد يكون بالجوارح، فذكرهم إياه باللسان أن يحمدوه ويسبحوه ويمجدوه، ويقرأوا كتابه، وذكرهم إياه بقلوبهم على ثلاثة أنواع، أحدها أن يتفكروا في الدلائل الدالة على ذاته وصفاته، ويتفكروا في الجواب عن الشبه العارضة في ملك الله، وثانيها أن يتفكروا في الدلائل الدالة على كيفية تكاليفه وأحكامه، وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده، فإذا عرفوا كيفية التكليف، وعرفوا ما في الفعل من الوعد، وفي الترك من الوعيد سهل عليهم الفعل، والترك، وثالثها أن يتفكروا في أسرار مخلوقات الله تعالى حين تصير كل ذرة من ذرات المخلوقات كالمرآة المجلوة المحاذية لعالم القدس، فإذا نظر العبد إليها انعكس شعاع بصره منها إلى عالم الجلال، وهذا المقام مقام لا نهاية له.

وأما ذكرهم إياه تعالى بجوارحهم فهو أن تكون جوارحهم مستغرقة في الأعمال التي أمروا بها، وخالية عن الأعمال التي نهوا عنها، وعلى هذا الوجه سمى الله تعالى الصلاة ذكراً بقوله: ﴿فاسعوا إلى ذكر الله﴾ [الجمعة: ٩]، فصار الأمر بقوله: اذكروني متضمناً لجميع الطاعات، ولهذا ذكر عن سعيد بن جبير أنه قال: اذكروني بطاعتي فاجمله حتى يدخل فيه

جميع أنواع الذكر، وأقسامه اهـ كلام الإمام قال لقمان لابنه: يا بني إذا رأيت قوماً يذكرون الله فاجلس معهم فإنك إن تك عالماً ينفعك علمك، وإن تك جاهلاً علموك، ولعل الله يطلع عليهم برحمته فصيبك معهم، وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله، فلا تجلس معهم فإنك إن تك عالماً لا ينفعك علمك، وإن تك جاهلاً يزيدوك جهلاً أو غياً، ولعل الله يطلع عليهم بسخطه فيصيبك معهم، اللهم اجعلنا من الذاكرين، وقد وصى الحكماء الآلهية أن لا يجلس المريد أهل الإنكار، بل لا يلتفت إليهم أصلاً إذ للمجاورة تأثير عظيم كما قيل:

عدوى البليد إلى الجليد سريعة   والجمر يوضع في الرماد فيخمد

فإذا تمهد لديك هذا فاعلم أن الأقوال أشرفها على الإطلاق قول: لا إله إلا الله، وهو أوفقها للمبتديء والمنتهي لقوله ﷺ: «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله»[1] قلت: وهذا الحديث عندي لا ينبغي لأحد سمعه وفهمه أن يدعى أن الإذكار فيها ما هو أفضل من هذه الكلمة لكونها نصاً ظاهراً على أنها لا أفضل منها، إذ ما من شيء يتقرب به كما نطق به الأنبياء، وهو عليه السلام قال: «إنها أفضل ما قال هو والأنبياء قبله».

وقال ﷺ: أخباراً عن الله عز وجل «لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن عذابي»، فإذا هي الحصن الأكبر، وهي كلمة التوحيد، ومن تحصن بها فقد حصل سعادة الأبد ونعيم السرمد، ومن تخلف عن حصنها فقد حصل شقاوة الأبد، وعذاب السرمد، وقال ﷺ: «أبطل الحسنات لا إله إلا الله».

وقال ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ حرم الله عليه النار»[2] فقال معاذ: أفلا أخبر بها الناس يا رسول الله فيستبشروا، قال: «إذا يتكلوا» وقال ﷺ: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه ونفسه»[3].

وكان ﷺ يقول: «ما قال عبد قط لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتنب الكبائر»[4].

وفي رواية قيل: يا رسول الله وما أخلاصها؟ قال: «أن يحجزه عما حرم الله» وكان ﷺ يقول: «من قال لا إله إلا الله ومدها هدمت له أربعة آلاف ذنب من الكبائر». وفي الحديث استكثروا من قول لا إله إلا الله والاستغفار، فإن الشيطان قال: قد أهلكت الناس بالذنوب،

---

(١) أخرجه الموطأ (مس القرآن، ٣٢)، (حج، ٢٤٦).
(٢) أخرجه البخاري (رقاق، ٦)، (استتابة، ٩)، ومسلم (إيمان، ٤٧)، والترمذي (إيمان، ١٧)، وأحمد بن حنبل (٤، ٤٤، ٦، ٨٥، ٤٢٦).
(٣) أخرجه البخاري (علم، ٣٣)، (رقاق، ٥١)، وأحمد بن حنبل (٢، ٣٧٣).
(٤) أخرجه الترمذي (دعوات، ١٢٦).

وأهلكوني بلا إله إلا الله، والاستغفار فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء حتى يحسبون أنهم مهتدون فلا يستغفرون، وفي الحديث جددوا إيمانكم. قالوا: يا رسول الله كيف نجدد إيماننا؟ قال: «أكثروا من قول لا إله إلا الله»[1]. ولما بعث عليه السلام معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن أوصاه، وقال: «إنكم ستقدمون على أهل كتاب فإن سألوكم عن مفتاح الجنة فقولوا: لا إله إلا الله». وفي الحديث إذا قال العبد المسلم: لا إله إلا الله خرقت السموات حتى تقف بين يدي الله، فيقول الله: اسكني اسكني فتقول: كيف أسكن ولم تغفر لقائلي فيقول: ما أجريتك على لسانه إلا، وقد غفرت له واعلم أن الذكر بلا إله إلا الله يوافق صاحب كل مقام لما فيه من نفي الأفعال، والصفات والذوات من غير مولانا جل جلاله لا سيما النفس الأمارة بالسوء لانعقاد اجماعهم على موافقتها لصاحبها، ويقولون له: أكثر من هذا الذكر في القيام والقعود والاضطجاع في جميع الأوقات، وذلك بالجهر فإن التأثير المطلوب من هذا الذكر الشريف لا يحصل إلا بالإكثار والإجهار أناء الليل، وأطراف النهار لما تقدم من كونها حصن الله، وإن من دخله أمن من عذابه، وفي روح البيان عند قوله تعالى: ﴿واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾ [الجمعة: ١٠]. أي تفوزون بمرامكم، وتظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة، وفيه تنبيه على أن العبد ينبغي أن لا يشغله شيء عن ذكر الله، وأن يلتجيء إليه عند الشدائد، ويقبل إليه بالكلية فارغ البال واثقاً بأن لطفه لا ينفك عنه في حال من الأحوال، وعلى أن ذكر الله تعالى له تأثير عظيم في دفع المضار، وجلب المنافع قال بعض الحكماء: إن لله جنة في الدنيا من دخلها يطيب عيشاً، وهي مجالس الذكر، وفي الحديث أن لله سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر، فإذا أتوا عليهم حفوا بهم، ثم بعثوا رائدهم إلى السماء إلى رب العزة تبارك وتعالى، فيقولون: ربنا أتينا على عباد من عبادك يعظمون آلائك، ويتلون كتابك، ويصلون على نبيك محمد ﷺ ويسئلونك لآخرتهم، ودنياهم، فيقول الله تبارك وتعالى: ﴿غشوهم رحمتي فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم﴾، قالوا: في أنوار المشارق، وكما يستحب الذكر يستحب الجلوس في حلق أهله والعادة جرت حلق الذكر بالعلانية إذ لم يعرف في كر الدهور حلقة ذكر اجتمع عليها قوم ذاكرون في أنفسهم، فالذكر برفع الصوت أشد تأثيراً في قمع الخواطر الراسخة على قلب المبتدىء، وأيضاً يغتنم الناس بإظهار الدين بركة الذكر من السامعين في الدور، والبيوت، ويشهد له يوم القيامة كل رطب ويابس سمع صوته خصوصاً في موطن الازدحام بين الغافلين من العوام لتنبيه الغافلين، وتوقيف الفاسقين، وفي بعض الفتاوى لو ذكر الله في مجلس الفسق ناوياً أنهم يشتغلون بالفسق، وأنا أشتغل بالذكر فهو أفضل كالذكر في السوق أفضل

---

(١) أخرجه أبو داود (أدب، ٨٦)، والترمذي (دعوات، ١٣٠)، وابن ماجه (إقامة، ١٤)، وأحمد بن حنبل (٢، ٣٣٣، ٣٥٩).

من الذكر في غيره، وحضور مجلس الذكر يكفر سبعين مجلساً من مجالس السوء، وقد نهى عن أن يجلس الإنسان مجلساً لا يذكر الله فيه، ولا يصلي على نبيه محمد ﷺ، ويكون ذلك المجلس حسرة عليه يوم القيامة، وفي الحديث: من جلس مجلساً كثر فيه لغطه، فقال: قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم، وبحمدك أشهد أن لا إله إلا الله إلا أنت أستغفرك، وأتوب إليك غفر له ما كان في مجلسه ذلك فعلى العاقل أن يكون رطب اللسان بالذكر والدعاء، والاستغفار دائماً خصوصاً في الأوقات المباركة. روي أن النبي عليه السلام بعث بعثاً إلى نجد فغنموا، وأسرعوا، وقال رجل: ما رأينا بعثاً أفضل غنيمة، وأسرع رجعة من هؤلاء، فقال النبي عليه السلام: «ألا أدلكم على قوم أفضل غنيمة وأسرع رجعة الذين شهدوا صلاة الصبح، ثم جلسوا يذكرون الله حتى تطلع الشمس، ثم يصلون ركعتين، ثم يرجعون إلى أهاليهم، وهي صلاة الإشراق»[1]، وهو أول وقت الضحى، وذلك بعد أن تطلع الشمس، ويصلي ركعتين كانت كأجر حجة وعمرة تامة تامة. ذكر في شرح المصابيح أن في قوله، ثم قعد يذكر الله تعالى دلالة على أن المستحب في هذا الوقت إنما هو ذكر الله تعالى لا القراءة لأن هذا وقت شريف، وإن للمواظبة للذكر فيه تأثيراً عظيماً في النفوس، وقال في المنية ناقلاً عن جمع العلوم ومن وقت الفجر إلى طلوع الشمس ذكر الله تعالى أوفى من القراءة، ويؤيده ما ذكره في الغنية من أن الصلاة على النبي عليه السلام، والدعاء والتسبيح أفضل من قراءة القرآن في الأوقات التي نهى عن الصلاة فيها، وعن النبي ﷺ: «ألا أدلكم على ساعة من ساعات الجنة الظل فيها ممدود، والرزق فيها مقسوم، والرحمة فيها مبسوطة لدعاء مستجاب» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس». قال علي المرتضى رضي الله عنه: مر النبي عليه السلام بعائشة رضي الله عنها قبل طلوع الشمس، وهي نائمة فحركها برجله، فقال: «قومي لتشهدي رزق ربك، ولا تكون من الغافلين إن الله يقسم أرزاق العباد بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس». واختلف في أن التهليل والتسبيح ونحوهما بمجرد القلب أفضل، أو باللسان مع حضور القلب احتج من رجح الأول بأن عمل السر أفضل، واحتج من رجح الثاني بأن العمل فيه أكثر فاقتضى زيادة، والصحيح هو الثاني. ذكر النووي في شرح مسلم، والذكر الكثير ما كان بصفاء القلب فصفاء القلب جنة المعارف في الدنيا، فإنه يجاوز بذكر الله تعالى عن جحيم النفس الأمارة وهاويتها فيترقى إلى نعيم الحضور. وقال أبو بكر الفرغاني: كنت أسقط في بعض الأيام عن القافلة فقلت: يا رب لو علمتني الاسم الأعظم فدخل علي رجلان، وقال أحدهما للآخر: الاسم الأعظم أن تقول: يا الله ففرحت به فقال: ليس كما تقول: بل بصدق اللجاء أي الالتجاء، والاضطرار كما يقول: من كان في لجة البحر ليس ملجا غير الله.

---

(١) أخرجه الترمذي (دعوات، ١٠٨).

واعلم أن الجهاد مع الكفار جهاد أصغر والجهاد مع النفس جهاداً أكبر، والأكبر أفضل من الأصغر، ولذلك يكون القتيل في الأكبر صديقاً وفي الأصغر شهيداً فالصديق فوق الشهيد كما قال الله تعالى: ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء﴾ [الحديد: ١٩]، والخلاص من ظلمات الخليقة، والفوز بأنوار الذكر الذي الاشتغال به من أكبر أنواع الجهاد، وأسرع قدم في الوصول إلى رب العباد نسأل الله تعالى أن يحققنا بحقائق الذكر والتوحيد، وفي الفخر قال ابن عباس: أمر الله أولياءه بذكره في أشد أحوالهم تنبيهاً على أن الإنسان لا يجوز أن يخلي قلبه ولسانه عن ذكر الله، ولو أن رجلاً أقبل من المغرب إلى المشرق ينفق الأموال سخاء، والآخر من المشرق إلى المغرب يضرب بسيفه في سبيل الله كان الذاكر لله أعظم أجراً، وفي روح البيان عند قوله: ﴿والذاكرين الله كثيراً والذاكرات﴾ [الأحزاب: ٣٥] أي بقلوبهم وألسنتهم، وفي التأويلات النجمية بجميع أجزاء وجودهم الجسمانية والرحمانية، بل بجميع ذرات المكونات، بل بالله وجميع صفاته وقال ابن عباس رضي الله عنهما، يريد أدبار الصلوات وغدواً وعشياً، وفي المضاجع، وكلما استيقظ من نومه، وكلما غدا أو راح من منزله ذكر الله والاشتغال بالعلم النافع، وتلاوة القرآن والدعاء من الذكر، وفي الحديث من استيقظ من منامه وأيقظ امرأته فصليا جميعاً ركعتين، كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات، وعن مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً، ويروى أن من صلى الصلوات الخمس بحقوقها، فهو داخل في قوله تعالى: ﴿والذاكرين الله كثيراً والذاكرات﴾ [الأحزاب: ٣٥] قلت: لكن سبحان الله ما أقل من يصليها بحقوقها، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: سئل رسول الله ﷺ أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة، قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»[1]، قالوا: يا رسول ﷺ الله ومن الغازي في سبيل الله، قال: «لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى تكسر أو تخضب دماً لكان الذاكر الله كثيراً أفضل منه درجة»، وعن أبي هريرة رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان كعثمان فقال: «سيروا هذا جمدان سبق المفردون»، قالوا: وما المفردون يا رسول الله، قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات» أي كثيراً والمفردون نقله البعض بكسر الراء وتشديدها، والبعض الآخر بتخفيفها وإنما لم يقولوا من المفردون، لأن مقصودهم من النبي عليه السلام كان أن يبين لهم ما المراد من الإفراد، والتفريد لا بيان من يقوم به الفعل فبينه عليه السلام بقوله: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات» يعني المراد من الأفراد هنا أن يجعل الرجل بأن لا يذكر معه غيره، والمراد من كثرة ذكره أن لا ينساه على كل حال لا الذكر بكثرة اللغات، قلت: إلا أن ذلك ينشأ عن

---

(١) أخرجه أبو داود (تطوع، ١٨)، (وتر، ١٣)، ومسلم (ذكر، ٤)، والترمذي (دعوات، ٥)، وابن ماجه (إقامة، ١٧٥)، والدارمي (فضائل القرآن، ٣٠)، وأحمد بن حنبل (٣، ٧٥).

هذا، قال ابن مالك: وفي ذكره عليه السلام هذا الكلام عقب قوله جمدان لطيفة، وهي أن جمدان كان منفرداً، ولم يكن مثله، فكذا هؤلاء السادة منفردون ثابتون على السعادات، يقول صاحب روح البيان: أشارعليه السلام بجمدان إلى جبل الوجود، والسير فيه وقطع طريقه بتفريد التوحيد، وهو تقطيع الموحد عن الأنفس كما أن تجريد التوحيد تقطيعه عن الآفاق جعلنا الله وإياكم من السائرين الطائرين، لا من الواقفين الحائرين، وفي الفخر، والذاكرين الله كثيراً، والذاكرات يعني هم في جميع هذه الأحوال يذكرون الله، ويكون إسلامهم وإيمانهم، وقوتهم وصدقهم، وصبرهم، وخشوعهم، وصدقتهم، وصومهم بنية صادقة لله، واعلم أن الله تعالى في أكثر المواضع حيث ذكر الذاكر قرنه بالكثرة ها هنا، وفي قوله: بعد هذا يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً، وقال: من قبل لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً، لأن الإكثار من الأفعال البدنية غير ممكن أو عسر فإن الإنسان، أكله وشربه، وتحصيل مأكوله ومشروبه يمنعه من أن يشتغل دائماً بالصلاة، ولكن لا مانع له من أن يذكر الله تعالى، وهو آكل ويذكره، وهو شارب أو ماش أو بائع أو شارٍ، وإلى هذا أشار بقوله تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾ [آل عمران: ١٩٧]، لأن جميع الأعمال صحتها بذكر الله تعالى، وهي النية، وفي الفخر أيضاً عند هذه الآية للمفسرين في هذه الآية قولان، الأول: أن يكون المراد منه كون الإنسان دائم الذكر لربه فإن الأحوال ليست إلا هذه الثلاثة، ثم لما وصفهم بكونهم ذاكرين فيها كان ذلك دليلاً على كونهم مواظبين على الذكر غير فاترين عنه البتة، والقول الثاني أن المراد من الذكر الصلاة، والمعنى أنهم يصلون في حال القيام فإن عجزوا ففي حال العقود، فإن عجزوا ففي حال الاضطجاع، والمعنى أنهم لا يتركون الصلاة في شيء من الأحوال، والحمل على الأول أولى لأن الآيات الكثيرة ناطقة بفضيلة الذكر، وقال عليه الصلاة والسلام: «من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله» وقال الفخر أيضاً: قبل هذا وأصناف العبودية ثلاثة أقسام التصديق بالقلب، والإفرار باللسان، والعمل بالجوارح فقوله تعالى: ﴿يذكرون الله﴾ [آل عمران: ١٩١] إشارة إلى عبودية اللسان، وقوله: ﴿قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾ [آل عمران: ١٩١] إشارة إلى عبودية الجوارح والأعضاء، وقوله: ﴿ويتفكرون في خلق السموات والأرض﴾ [آل عمران: ١٩١] إشارة إلى عبودية القلب والفكر والروح، والإنسان، ليس إلا هذا المجموع، فإذا كان اللسان مستغرقاً في الذكر، والأركان في الشكر، والجنان في الفكر كان هذا العبد مستغرقاً بجميع أجزائه في العبودية، وقال أيضاً: بعده يحتمل أن يكون المراد بهذا الذكر هو الذكر باللسان، وإن يكون المراد منه الذكر بالقلب، والأكمل أن يكون المراد الجمع بين الأمرين، وفي روح البيان الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم نعت لأولى الألباب، أي يذكرونه دائماً على الحالات كلها

قائمين وقاعدين ومضطجعين، فإن الإنسان لا يخلو عن هذه الهيئات غالباً، واللب خالص العقل فإن العقل له ظاهر وله لب، ففي أول الأمر يكون عقلاً، وفي حال كماله ونهاية أمره يكون لباً، وعطاء ابن أبي رباح قال: دخلت مع ابن عمر وعبيد الله بن عمر على عائشة رضي الله عنها فسلمت عليها فقالت: من هؤلاء؟ فقلت: عبيد الله بن عمر. فقالت: مرحباً بك يا عبيد الله بن عمر ما لك لا تزورنا، فقال عبيد الله زر غباً تزدد حباً، قال ابن عمر: دعونا من هذا حديثنا بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ فبكت بكاء شديداً فقالت: كل أمره عجيب أتاني في ليلتي، فدخل في فراشي حتى ألصق جلده بجلدي فقال: يا عائشة أتأذنين لي أن أتعبد لربي، فقلت: والله أني لأحب قربك، وهواك قد أذنت لك فقام إلى قربة من ماء فتوضأ منها، ثم قام فبكى وهو قائم حتى بلغ الدموع حقويه، ثم اتكأ على شقه الأيمن، ووضع يده اليمنى تحت خده الأيمن، فبكى حتى أدرت الدموع وبلغت الأرض، ثم أتاه بلال بعدما أذن الفجر.

فلما رآه يبكي قال: لم تبكي يا رسول الله، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: «يا بلال أفلا أكون عبداً شكوراً وما لي لا أبكي، وقد أنزلت علي الليلة إن في خلق السموات والأرض إلى قوله فقنا عذاب النار ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها»[1]. وفي الحديث تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة. وفي التفضيل وجهان، أحدهما أن التفكر يوصلك إلى الله، والعبادة توصلك إلى ثواب الله، والذي يوصلك إلى الله خير مما يوصلك إلى غير الله، والثاني أن التفكر عمل القلب والطاعة عمل الجوارح، والقلب أشرف من الجوارح، فكان عمل القلب أشرف من عمل الجوارح، وإنما خصص التفكر بالخلق لقوله عليه السلام: «تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق» وإنما نهى عن التفكر في الخالق، لأن معرفة حقيقته المخصوصة غير ممكنة للبشر فلا فائدة لهم في التفكر في ذات الخالق، وفي هذه الآية أعني إن في خلق السموات والأرض إشارة إلى عظم ذكر الله، وإشارة إلى ثلاث مراتب، أولها الذكر باللسان، وثانيها التفكر بالقلب، وثالثها المعرفة بالروح لأن ذكر اللسان يوصل صاحبه إلى ذكر القلب، فهو التفكر في قدرة الله، وذكر القلب يوصل إلى مقام الروح فيعرف في ذلك حقائق الأشياء ويشاهد الحكم الإلهية في خلق الله فيقول: بعد المشاهدة ربنا ما خلقت هذا أي السموات والأرض، وتذكير الإشارة لما أنهما باعتبار تعلق الخلق بهما في معنى المخلوق باطلاً أي خلقاً باطلاً عبثاً ضائعاً عن الحكمة خالياً عن المصلحة كما ينبيء عنه أوضاع الغافلين عن ذلك المعرضين عن التفكر فيه، بل منتظماً

---

(١) أخرجه البخاري (تهجد، ٦)، (تفسير سورة، ٤٨)، ومسلم (منافقين، ٧٩ ـ ٨١)، والترمذي (صلاة، ١٨٧)، والنسائي (قيام الليل، ١٧)، وابن ماجه (إقامة، ٢٠٠)، وأحمد بن حنبل (٤، ٢٥١، ٢٥٥، ٦، ١١٥).

لحكم جليلة، ومصالح عظيمة من جملتها أن يكون مداراً لمعايش العباد، ومناراً يرشدهم إلى معرفة أحوال المبدأ، والمعاد حسبما أفصحت عنه الرسل والكتب الإلهية، سبحانك أي تنزهك عما لا يليق بك من الأمور التي من جملتها خلق ما لا حكمة فيه، فقنا عذاب النار أي من عذاب النار الذي هو جزاء الذين لا يعرفون ذلك، فينبغي للمؤمن أن يلازم ذكر الله بلسانه في جميع الأحوال حتى يصل بسبب الذكر باللسان إلى ذكر القلب، ثم إلى ذكر الروح، ويحصل له اليقين والمعرفة، ويخلص من ظلمة الجهل ويتنور بنور المعرفة.

قال بعضهم: معنى لا إله إلا الله للعوام لا معبود إلا الله، ومعناها للخواص لا محبوب ولا مقصود إلا الله، ومعناها لأخص الخواص لا موجود إلا الله، فإنه يكون في تلك الحالة مستهلكاً في بحر الشهود، فلا يشعر بشيء سوى الله، ولا يرى موجوداً، وفي تفسير الحنفي منقول في التوحيد أربع مراتب، وهو ينقسم إلى لب، وإلى لب لب، وإلى قشر، وإلى قشر القشر، وتمثيل ذلك تقريباً إلى الافهام الضعيفة بالجوز في قشرتيه العليا والسفلى، فإن له قشرتين وله لب وللب دهن، وهو لب اللب، فالمرتبة الأولى من التوحيد أن يقول الإنسان: باللسان لا إله إلا الله، وقلبه غافل عنه أو منكر له كتوحيد المنافق، والثانية أن يصدق بمعناه قلبه كما صدق به عموم المسلمين، وهو اعتقاد، والثالثة أن يشاهد ذلك بواسطة نور إلهي، وذلك أن يرى الأشياء صادرة من الواحد القهار، والرابعة أن لا يرى في الوجود إلا وجوداً، وهو مشاهدة الصديقين، وهو الفناء في التوحيد بمعنى أنه فنى عن رؤية نفسه، فالأول موحد بمجرد اللسان، ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا من السيف والسنان، والثاني موحد بمعنى أنه معتقد بقلبه مفهوم لفظه، وقلبه خال من التكذيب بما انعقد عليه قلبه، وهو عقد في القلب ليس فيه انشراح وانفتاح، ولكنها تحفظ صاحبها من العذاب في الآخرة إن توفى عليها، ولم يضعف بالمعاصي عقدتها، ولهذا العقد حيل يقضم بها تضعيفه، وتحليله تسمى بدعة، والثالث موحد بمعنى أنه لم يشاهد إلا فاعلاً واحداً إذا انكشف له لا فاعل بالحقيقة كما هي عليه، لأنه كلف قلبه أن يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فإن ذلك رتبة العوام، والمتكلمين إذ لا فرق بينهما في الاعتقاد، بل في صفة تلفيق الكلام، والرابع موحد بمعنى أنه لا يرى غير الواحد، وهذه الغاية القصوى في التوحيد، فالأول كالقشرة العليا من الجوز، والثاني كالقشرة السفلى، والثالث كاللب، والرابع كالدهن المستخرج من اللب، وكما أن القشرة العليا لا خير فيها، بل إن أكل فهو مر المذاق، وإن نظر إلى باطنه فهو كريه المنظر، وأن أخذ حطباً أطفأ النار وأكثر الدخان، وإن ترك في البيت ضيق المكان، فلا يصلح إلا أن يترك مدة على الجوز للصون، ثم يرمى، فكذلك التوحيد بمجرد اللسان عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن، لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى إلى وقت الموت، والقشرة السفلى هي البدن فيصونه من السيف، وإنما يتجرد عند الموت، فلا يبقى لتوحيده

فائدة بعده، وكما أن القشرة السفلى ظاهرة النفع بالإضافة إلى القشرة العليا فإنه يصون اللب، ويحرسه من الفساد عند الادخار، وإذا فصل أمكن أن ينتفع به حطباً، لكونه لا قدر له بالنسبة إلى اللب، فكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالإضافة إلى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالإضافة إلى الكشف، والمجاهدة التي تحصل بانشراح الصدر وانفتاحه، واشراق نور الحق فيه إذ ذلك الشرح هو المراد بقوله تعالى: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾ [الزمر: ٢٢] وقوله: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وكما أن اللب نفيس بالإضافة إلى القشرة، لأنه المقصود، لكن لا يخلو عن شرب بالنسبة إلى الدهن كذلك هو التوحيد لا يخلو عن ملاطفة الغير، والالتفات إلى الكثرة بالإضافة إلى من لم ير سوى الواحد الحق اهـ ما في الحنفي، واعلم أن الآية تدل على جواز ذكر الله تعالى قائماً، ولهذا قال المشايخ: ولا بأس أن يقوموا ترويحاً لقلوبهم، ولا يتحركوا في ذلك، ولا يستظهروا بحال ليس عندهم منه حقيقة قال شيخنا رضي الله عنه، وأرضاه وجعل الجنة منزله ومثواه:

ولا تمل للرقص والتواجد   إلا إذا غيبت عن تواجد

والحاصل أن التوحيد إذا قرن بالآداب، فليس له وضع مخصوص يجوز قائماً وقاعداً ومضطجعاً، ولكن ورد في الأحاديث ما يدل على استحباب الإخفاء في ذكر الله قلت: وكذلك وردت على الجهر به كما في كشف الغمة من قوله: وكان جابر رضي الله عنه يقول: رفع رجل صوته بالذكر فقال رجل: لو أن هذا خفض من صوته فقال رسول الله ﷺ: «دعوه فإنه أواه»[1] والأواه الخاشع المتضرع كما فسره به عليه السلام، والأواه الكثير التأوه، وهو أن يقول الرجل عند التضجر والتوجع: آه أو يقول: آوه بالمد والتشديد وفتح الواو وسكون الهاء، قال كعب: الأواه هو إذا ذكر عنده النار قال: آه، وعن عمر أنه سأل رسول الله ﷺ عن الأواه، فقال: «الدعاء» ويروى أن زينب تكلمت عند الرسول عليه الصلاة والسلام بما يغير لونه، فأنكر عمر، فقال عليه السلام: «دعها فإنها أواهة»، قيل: يا رسول الله وما الأواهة، قال: «الداعية الخاشعة المتضرعة». وذكر شارح الكشاف أن هذا أي الجهر والإخفاء بحسب المقام، والشيخ المرشد يأمر المبتدىء برفع الصوت لتقلع عن قلبه الخواطر الراسخة فيه، كذا في شرح المشارق ويوافقه ما ذكر في المظهر حيث قال: الذكر برفع الصوت جائز، بل مستحب إذا لم يكن عن رياء ليغتنم الناس بإظهار الدين ووصول بركة الذكر إلى السامعين في الدور والبيوت، والحوانيت، وليوافق الذاكر من سمع صوته، ويشهد له يوم القيامة كل رطب ويابس سمع صوته كما تقدم، وبعض المشايخ اختار

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل (٤، ١٥٩).

الإخفاء، لأنه أبعد عن الرياء، وهذا يتعلق بالنية فمن كانت نيته صادقة فرفع صوته بقراءة القرآن والذكر أولى لما ذكرنا، ومن خاف من نفسه الرياء فالأولى له إخفاء الذكر لئلا يقع في الرياء اهـ قيل: إذا كان وحده فإن كان من الخواص فالاخفاء في حقه أولى، وإن كان من العوام فالجهر في حقه أولى وإذا كانوا مجتمعين على الذكر فالأولى في حقهم رفع الصوت بالذكر والقوة فإنه أكثر تأثيراً في رفع الحجب، ومن حيث الثواب، فلكل واحد ثواب ذكر نفسه وسماع ذكر رفقائه، قال الله تعالى: ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾ [البقرة: ٧٤] شبه القلوب بالحجارة، ومعلوم أن الحجر لا ينكسر إلا بقوة، فقوة ذكر جماعة مجتمعين على قلب واحد أشد من قوة ذكر شخص واحد، كذا في ذخيرة العابدين قاله روح البيان، وقال: فإن الجهر وحركات الموحد بالنسبة إلى مقامه وحاله ممدوحة جداً.

وأما المتصلفون المتكلفون فحركاتهم وأفعالهم من عند أنفسهم، وقد نهى المشايخ في كتبهم عن أمثال هؤلاء وأفعالهم وأقوالهم، فعلى العاقل أن يراعي الأداب والأطوار، ولا ينفك لحظة عن ذكر الملك الغفار، وقال: عند قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ [الأحزاب: ٤١] قوله: اذكروا الله بما هو أهله من التهليل والتحميد والكبير ونحوها، والذكر احضار الشيء في القلب أو في القول، وهو ذكر عن نسيان وهو حال العامة أو إدامة الحضور، والحفظ، وهو حال الخاصة إذا ليس لهم نسيان أصلاً، وهم عند مذكورهم مطلقاً ذكراً كثيراً في جميع الأوقات ليلاً ونهاراً صيفاً وشتاء، وفي عموم الأمكنة براً وبحراً سهلاً وجبلاً، وفي كل الأحوال حضراً وسفراً، صحة وسقماً، سراً وعلانية، قياماً وقعوداً، على الجنوب، وفي الطاعة بالإخلاص وسؤال المقبول والتوفيق، وفي المعصية بالإمتناع منها، وبالتوبة والاستغفار، وفي النعمة بالشكر، وفي الشدة بالصبر، فإنه ليس للذكر حد معلوم كسائر الفرائض، ولا لتركه عذر مقبول إلا أن يكون المرء مغلوباً على عقله، وأحوال الذاكرين متفاوتة بتفاوت أذكارهم فذكر بعضهم بمجرد اللسان بدون فكر في مذكوره، ومطالعة آثاره بعقله وبدون حضور مذكوره، ومكاشفة أطواره بقلبه، وبدون أنس مذكوره، ومشاهدة أنواره بروحه، وبدون فنائه في مذكوره ومعاينة أسراره بسره، وهذا مردود مطلقاً، وذكر بعضهم باللسان والعقل فقط يذكر بلسانه، ويتفكر في مذكوره، ويطالع آثاره بعقله، لكن ليس له الحضور والأنس والفناء المذكور، وهو ذكر أهل البداية من المقربين مقبول بالنسبة إلى ذكر الأبرار، وما تحته وذكر بعضهم باللسان والعقل والقلب والروح والسر جميعاً، وهو ذكر أرباب النهاية من المقربين من الأنبياء والمرسلين والأولياء الأكملين، وهو مقبول مطلقاً، وللارشاد إلى هذه الترقيات، قال عليه السلام: «إن هذه القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد» قيل: يا رسول الله فما جلاؤها؟ قال: «تلاوة كتاب الله وكثرة

ذكره»[1] فبكثرة الذكر يترقى السالك من مرتبة اللسان إلى ما فوقها من المراتب العالية، ويصقل مرآة القلب من ظلماتها وأكدارها، ثم إن ذكر الله، وإن كان يشمل الصلاة والتلاوة والدراسة ونحوها إلى أن أفضل الأذكار لا إله إلا الله فالاشتغال به منفرداً مع الجماعة محافظاً على الآداب الظاهرة، والباطنة ليس كالاشتغال به بغيره، وقال بعضهم: الأمر بالذكر الكثير إشارة إلى محبة الله تعالى يعني أحب الله، لأن النبي عليه السلام قال: «من أحب شيئاً أكثر من ذكره فأوجب الله محبته»، بالإشارة في الذكر الكثير، وإنما أوجبها بالإشارة دون العبارة الصريحة لأن أهل المحبة هم الأحرار عن رق الكونين، والحر تكفيه الإشارة، وإنما لم يصرح بوجوب المحبة لأنها مخصوصة بقوم دون سائر الخلق، كما قال: فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه فعلى هذا فقوله: فاذكروني أذكركم يشير أحبوني أحببكم، وفي الجمل عند قوله: يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله الخ، قال ابن عباس: لم يفرض الله تعالى فريضة على عباده إلا جعل لها حداً معلوماً، وعذر أهلها في حال العذر غير الذكر، فإنه لم يجعل له حداً ينتهي إليه، ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على عقله، فلذلك أمرهم به في كل الأحوال، فقال: ﴿فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم﴾ [آل عمران: ١٩١]، وقال: ﴿اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ [الجمعة: ١٠] أي بالليل والنهار، وفي البر والبحر، وفي الصحة والسقم، وفي السر والعلانية، وفي روح البيان عند قوله: فاعلم أنه لا إله إلا الله إلى آخر الآية بعد كلام طويل، ثم هذه الكلمة كلمة التوحيد، فالتوحيد لا يماثله، ولا يعادله شيء، وإلا لما كان واحداً، بل كان اثنين فصاعداً، وإذا أريد بهذه الكلمة التوحيد الحقيقي لم تدخل في الميزان، لأنه ليس له مماثل، ومعادل فكيف تدخل فيه، وإليه إشارة الخبر الصحيح عن الله تعالى. قال الله تعالى: (لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع وعامرهن غيري في كفة ولا إله إلاَّ الله في كفة لمالت بهن لا إله إلا الله) فعلم من هذه الإشارة أن المانع من دخولها في ميزان الحقيقة هو عدم المماثل والمعادل، كما قال تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ وإذا أريد بها التوحيد الرسمي تدخل في الميزان، لأنه يوجد لها ضد، بل أضداد كما أشير إليه بحديث السجلات التسعة والتسعين، فما مالت الكفة في ميزان الشريعة هو وجود الضد والمخالف، وهو السيئات المكتوبة في السجلات، وإنما وضعها في الميزان ليرى أهل الموقف في صاحب السجلات فضلها، لكن إنما يكون ذلك بعد دخول من شاء الله من الموحدين النار، ولم يبق في الموقف إلا من يدخل الجنة لأنها لا توضع في الميزان لمن قضى الله أن يدخل النار، ثم يخرج بالشفاعة أو بالعناية الإلهية، فإنها لو وضعت لهم أيضاً لما دخلوا النار أيضاً، ولزم الخلاف للقضاء، وهو محال ووضعها فيه لصاحب السجلات اختصاص آلهي يختص برحمته من يشاء، واعلم أن الله تعالى ما وضع في العموم

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل (٣، ٨٢).

إلا أفضل الأشياء، وأعمها نفعاً لأنه يقابل به أضداداً كثيرة، فلا بد في ذلك الموضع من قوة ما يقابل به كل ضد، وهو كلمة لا إله إلا الله، ولهذا كانت أفضل الأذكار فالذكر بها أفضل من الذكر بكلمة الله الله، وهو هو عند العلماء بالله لأنها جامعة بين النفي، والإثبات وحاوية على زيادة العلم، والمعرفة فعليك بهذا الذكر الثابت في العموم، فإنه الذكر الأقوى وله النور الأضوى، والمكانة الزلفى، وبه النجاة في الدنيا والعقبى، والكل يطلب النجاة، وإن جهل البعض طريقها، فمن نفى بلا إله عين الخلق حكماً لا علماً، فقد اثبت كون الحق حكماً وعلماً، والآله من جميع الأسماء ما هو إلا عين واحد هي مسمى الله الذي بيده ميزان الرفع والخفض، قلت قوله: ولهذا كانت أفضل الأذكار، إنما هو في حق أهل الإمارة كما سيأتي توضيحه إن شاء الله بعد هذا، ثم اعلم أن التوحيد لا ينفع بدون الشهادة له ﷺ بالرسالة، وبين الكلمتين مزيد اتفاق يدل على تمام الاتحاد والاعتناق، وذلك أن أحرف كل منهما إن نظرنا إليه خطا كانت اثني عشر حرفاً على عدد أشهر السنة يكفر كل حرف منها شهراً، وإن نظرنا إليها نطقاً كانت أربعة عشر تملأ الخافقين نوراً، وإن نظرنا إليها بالنظرين معاً كانت خمسة عشر لا يوقفها عن ذي العرش موقف، وهو سر غريب دال على الحكم الشرعي الذي هو عدم انفكاك أحدهما عن الأخرى، فمن لم يجمعهما اعتقاده لم يقبل إيمانه، واسلام اليهود والنصارى مشروط بالتبري من اليهودية والنصرانية بعد الإتيان بكلمتي الشهادة، وبدون التبري لا يكونان مسلمين، ولو أتيا بالشهادتين مراراً، لأنهما فسرا بقولهما: بأنه رسول الله إليكم، لكن هذا في الذين اليوم بين ظهراني أهل الإسلام.

أما إذا كان في دار الحرب وحمل عليه رجل من المسلمين فأتى بالشهادتين، أو قال: دخلت في دين الإسلام أو في دين محمد عليه السلام، فهذا دليل توبته، ولهذه الكلمة من الأسرار ما يملأ الأقطار منها إنها بكلماتها الأربع مركبة من ثلاثة أحرف إشارة إلى الوتر الذي هو الله تعالى، والشفع الذي هو الخلق أنشأه الله تعالى أزواجاً، ومنها أن أحرفها اللفظية أربعة عشر حرفاً على عدد السموات والأرض الدالة على الذات الأقدس الذي هو غيب محض، والمقصود منها مسمى الجلالة الذي هو الإله الحق والجلالة الدالة عليه خمسة أحرف على عدد دعائم الإسلام الخمس، ووتريته ثلاثة أحرف دلالة على التوحيد، ومنها أنه لم يفعل فيها شيئاً شفهياً يمكن ملازمتها، لكونها أعظم مقرب إلى الله، وأقرب موصل إليه مع الإخلاص، فإن الذاكر بها يقدر على المواظبة عليها، ولا يعلم جليسه بذلك أصلاً، لأن غيرك لا يعلم ما في وراء شفتيك إلا بإعلامك، ومنها أن هذه الكلمة مع قرينتها الشاهدة بالرسالة سبع كلمات، فجعلت كل كلمة منها مانعة من باب من أبواب جهنم السبعة، ومنها أن عدد حروفها مع قرينتها أربعة وعشرون، وساعات اليوم، والليلة كذلك، فمن قالها: فقد أتى بخير ينجيه من المكاره في تلك الأنات، ومنها أن جميع حروفها جوفية إشارة إلى أن

الإتيان بها من خالص الجوف، وهو القلب ومنها أنه ليس فيها حرف أعجم إشارة إلى التجرد عن كل معبود سواه، ومنها كما تقدم إنها اثنا عشر حرفاً كشهور السنة، ثم منها أربعة حرم، وهي الجلالة حرف فرد وثلاثة سرد أي متتابعة، وهي أفضل كلماتها كما أن الأشهر الحرم، وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب أفضل شهور السنة، فمن قالها مخلصاً كفرت عنه ذنوب السنة، قال الشيخ العارف أحمد الغزالي أخو الإمام محمد الغزالي رحمه الله: كاشف القلوب بقول: لا إله إلا الله، وكاشف الأرواح بقوله: الله وكاشف الأسرار بقول: هو لا إله إلا الله قوت القلوب، والله قوت الأرواح، وهو قوت الأسرار، فلا إله إلا الله مغناطيس القلوب، والله مغناطيس الأرواح، وهو مغناطيس الأسرار والقلب والروح والسر بمنزلة ذرة في صدقة في حونة، ولكل من العقل والنفس والقلب والروح معنيان.

أما العقل فيطلق على قوة دراكة توجد في الإنسان بها يدرك مدركاته، وعلى لطيفة ربانية هي حقيقة الإنسان المستخدمة للبدن في الأمور الدنيوية والأخروية، وهي العالم والعارف والعاقل، وهي الجاهل والناصر والغافل إلى غير ذلك، وكذا النفس تطلق على صفة كائنة في الإنسان جامعة للأخلاق المذمومة داعية إلى الشهوات باعثة على الأهواء والآفات، وتطلق على تلك اللطيفة المذكورة كما قال بعض الأفاضل:

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته ... وتطلب الربح مما فيه خسران

عليك بالنفس فاستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وكذا القلب يطلب على قطعة لحم صنوبرية تكون في جوف الإنسان، وعلى تلك اللطيفة، وكذا الروح يطلق على جسم لطيف، وعلى اللطيفة الربانية المذكورة، فكل من الألفاظ الأربعة يطلق على نفس الإنسان الذي هو المتكلم والمخاطب والمثاب والمعاقب بالأصالة، وبتبعيتها يقع الثواب والعقاب للجسد الذي هو القفص لها فالغاير على هذا اعتباري، فإن النفس نفس باعتبار أنها نفس الشيء وذاته، وعقل باعتبار إدراكها، وقلب باعتبار انقلابها من شيء إلى شيء وروح باعتبار استراحتها بما يلائمها، وتستلذ به وعلى المعاني الأخرى لهن حقيقي، ثم إن النفس إما أن تكون تابعة للهوى فهي الأمارة لمبالغة أمرها للأعضاء بالسيئات فذكر دائرة النفس لا إله إلا الله، وإما أن يهب الله لها الإنصاف والندامة على تقصيراتها، والميل إلى التدارك لما فات من المهمات فهي اللوامة للومها صاحبها، بل نفسها على سوء عملها فذكر هذه الدائرة الله الله، ويقال لها: دائرة القلب لانقلابها إلى جانب الحق.

وأما أن تطمئن إلى الحق وتستقر في الطاعة، وتتلذذ بالعبادة فهي المطمئنة لاطمئنانها تحت أمر الله بحب الله، ويقال لهذه الدائرة: دائرة الروح لاستراحتها بعبادة الله وذكره

وتلذذها بشكره، وذكر هذه الدائرة هو هو، وأما ما قال بعض الكبار: أن الذكر بلا إله إلا الله أفضل من الذكر بكلمة الله الله وهو هو من حيث إنها جامعة بين النفي والإثبات ومحتوية على زيادة العلم والمعرفة، فبالنسبة إلى حال المبتديء فكلمة التوحيد تطهر مرآة النفس بنارها فتوصل السالك إلى دائرة القلب، وكلمة الله تنور القلب بنورها فتوصل إلى دائرة الروح، وكلمة هو تجلي الروح فتوصل من شاء الله إلى دائرة السر، والسر لفظ استأثره المشايخ للحقيقة التي هي ثمرة الطريقة التي هي خلاصة الشريعة التي هي لازمة القبول لكل مؤمن إما أخذاً مما روى عن النبي عليه السلام أنه قال حكاية عن الله: «بيني وبين عبدي سر لا يسمعه ملك مقرب ولا نبي مرسل». وأما لكونه مستوراً عن أكثر الناس ليس من لوازم الشريعة، والطريقة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم يشهد الله أينما يبدو أنه لا إله إلا هو قاله روح البيان، قلت: واعلم أن هذا الذي تقدم من كون المقامات ثلاثة إنما هو عندي بعض القوم، وبعضهم أيضاً يجعلها ثلاثاً غير أنه يقول إنها اللوامة والملهمة والمطمئنة.

وأما ما مشى عليه الشيخ الحلبي رضي الله عنه في رسالة السير والسلوك، فهو أنها سبعة: وهي الأمارة واللوامة والملهمة والمطمئنة والراضية والمرضية والكاملة، وهو الذي مشى عليه شيخنا رضي الله عنه وأرضاه في مطية المجد، وذكرا رضي الله عنهما أن صاحب الأمارة يوافقه الذكر بلا إله إلا الله، صاحب اللوامة يوافقه الذكر بالاسم الفرد، وهو الله، وصاحب الملهمة يوافقه الذكر بهو هو، وصاحب المطمئنة يوافقه الذكر بيا حق يا حق، وصاحب الراضية يوافقه بيا حي يا حي، وصاحب المرضية يوافقه الذكر بيا قوم يا قيوم، وصاحب الكاملة يوافقه الذكر باسمه تعالى: القهار القهار، وهذا هو المشهور عند أكثرهم، وفي روح البيان اعلم أن هو من أسماء الذات عند أهل المعرفة، لأنه بانفراد عن انضمام لفظ آخر إشارة إلى الله المستجمع لجميع الصفات المدلول عليها بالأسماء الحسنى، فهو من جملة الأذكار عند الأبرار، قال الإمام القشيري رحمه الله: هو للإشارة وهو عند هذه الطائفة إخبار عن نهاية التحقيق، فإذا قلت: هو لا يسبق إلى قلوبهم غيره تعالى فيكتفون به عن كل بيان يتلوه لاستهلاكهم في حقائق القرب، واستيلاء ذكر الحق على أسرارهم، وقال الإمام الفاضل محمد بن أبي بكر الرازي رحمه الله في شرح الأسماء الحسنى، اعلم أن هذا الاسم عند أهل الظاهر مبتدأ يحتاج إلى خبر ليتم الكلام، وعند أهل الطريق لا يحتاج هو مفيد، وكلام تام بدون شيء آخر يتصل به أو يضم له لاستهلاكهم في حقائق القرب، واستيلاء ذكر الحق على أسرارهم وعن بعض المشايخ رأيت بعض الوالهين فقلت له: ما اسمك؟ فقال: هو، قلت: من أنت؟ قال: هو، قلت: من أين تجيء؟ قال: هو، قلت: من تعني بقولك: هو؟ قال: هو، فما سألته عن شيء إلا قال: هو، فقلت: لعلك تريد الله فصاح، وخرجت

روحه فكن من الذاكرين بهو، ولا تلتفت إلى المخالفين، فإنهم من أهل الأهواء.

وأما كلام الفخر الرازي في مفاتيح الغيب على هذا الاسم أعني هو فإنه مما لا يجارى ولا يبارى، وقال: في أول الكلام عليه، واعلم أن لفظ «هو» فيه أسرار عجيبة وأحوال عالية، فبعضها يمكن شرحه وتقريره وبيانه، وبعضها لا يمكن، ثم أنه ساق من ذلك الذي يمكن إحدى عشرة فائدة كل واحدة منها تكفي، وتشفي إلى أن قال في الفائدة الخامسة: أن المواظبة على هذا الذكر تفيد الشوق إلى الله، والشوق إلى الله ألذ المقامات، وأكثرها بهجة وسعادة، وقال: في الحادية عشرة أن الذكر أشرف المقامات، قال عليه السلام حكاية عن الله تعالى: «إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه»[1] وإذا ثبت هذا فنقول: أفضل الأذكار ذكر الله بالثناء الخالي عن السؤال، قال عليه السلام حكاية عن الله تعالى: «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين»[2]، إذا عرفت هذه المقدمة، فنقول: العبد فقير محتاج، والفقير المحتاج إذا نادى مخدومه بخطاب يناسب الطلب والسؤال كان ذلك محمولاً على السؤال، فإذا قال الفقير للغني: يا كريم كان معناه أكرم، وإذا قال له: يا نفاع كان معناه طلب النفع، وإذا قال: يا رحمن كان معناه ارحم، فكانت هذه الأذكار جارية مجرى السؤال، وقد بينا أن الذكر إنما يعظم شرفه إذا كان خالياً عن السؤال والطلب.

أما إذا قال: يا هو كان معناه خالياً عن الإشعار بالسؤال، والطلب، فوجب أن يكون قولنا هو أعظم الأذكار، وهذا ذكر شريف أتى به بعد كلامه عليه قال: إنه رآه في بعض الكتب يا هو يا من لا هو إلا هو يا من لا إله إلا هو يا أزل يا أبد يا دهر يا ديهار يا ديهور يا من هو الحي الذي لا يموت، اعلم أن الذكر له سبع درج في المرء إذا انتهى إليها كان أقصا الكمال، وكلها ناشئة عن الذكر باللسان، أولها الذكر باللسان، وثانيها الذكر بالقلب، وثالثها الذكر بالروح، ورابعها الذكر بالعقل، وسادسها الذكر بالشعور، وسابعها الذكر بالله ولا وراء وراء ذلك، لأنه الكمال للأيام، وهو المطلوب عند المشايخ بالتمام، وإذا وصل المرء لهذا المقام شاهد ما لا تبتغي عنه العبارة، وأخذ ما ينبغي من مقامات الإنارة، وقد أتيت بالجميع في أبيات لا بأس بذكرها هنا لتسهيل الحفظ وهي:

يا ذاكراً تذكر باللسان   أدم لكي تذكر بالجنان
وأدمنه بهما لكي يرى   بالروح والسر وعقل قد جزى

---

(١) أخرجه البخاري (توحيد، ١٥)، والترمذي (دعاء، ١٣١)، وأحمد بن حنبل (٢، ٢٥١، ٣٥٤، ٤٠٥، ٤١٣، ٤٨٠، ٤٨٢، ٣، ١٢٨).

(٢) أخرجه الترمذي (ثواب القرآن، ٢٥)، والدارمي (فضائل القرآن، ٦).

وأدمنه بالجميع في الدهور لكي يكون منك في كل شعور

وأدمنه بالشعور حتى يكون منه فيه عنك بتا

هناك تشهد لدى لا تنبغي عنه العبارة وخذ ما تبتغي

من المقامات بلا مزاحم من ذاكر وغافل وقائم

صلى على النبي مدى الأزمان يا ذاكر تذكر باللسان

قال في روح البيان، والذكر طرد الغفلة، ولذا لا يكون في الجنة لأنها مقام الحضور الدائم، وقال أيضاً: والذكر المطلوب من العبد أن يذكر الله باللسان، ويكون حاضراً بقلبه وروحه وجميع قواه، بحيث يكون بالكلية متوجهاً إلى ربه فتنتفي الخواطر وتنقطع أحاديث النفس عنه.

ثم إذا داوم عليه ينتقل الذكر من لسانه إلى قلبه، ولا يزال يذكر بذلك حتى يتجلى له الحق من وراء أستار غيوبه، فيتنور باطن العبد بحكم، وأشرقت الأرض بنور ربها وبعده إلى التجليات الصفاتية والأسمائية، ثم الذاتية فيفنى العبد في الحق فيذكر الحق نفسه بما يليق بجلاله وجماله، فيكون الحق ذاكراً، ومذكوراً وذلك بارتفاع التنويه، وانكشاف الحقيقة الأحدية، كذا في شرح الفصوص لداود القيصري في الكلمة اليونسية فوائد الأولى قال تعالى: ﴿واذكر ربك في نفسك﴾ [الأعراف: ٢٠٥]. قال في الفخر: المراد بذكر الله في نفسه كونه عارفاً بمعاني الأذكار التي يقولها بلسانه: مستحضراً لصفات الكمال والعز والعلو والجلال والعظمة، وذلك لأن الذكر باللسان إذا كان عارياً عن الذكر بالقلب كان عديم الفائدة، ألا ترى أن الفقهاء أجمعوا على أن الرجل إذا قال: بعت واشتريت مع أنه لا يعرف معاني هذه الألفاظ، ولا يفهم منها شيئاً، فإنه لا ينعقد البيع والشراء، فكذا ههنا.

الثانية روى أن بعض الأكابر من أصحاب القلوب كان إذا أراد أن يأمر واحداً من المريدين بالخلوة والذكر أمره بالخلوة، والتصفية أربعين يوماً، ثم عند استكمال هذه المدة، وحصول التصفية التامة يقرأ عليه الأسماء التسعة والتسعين، ويقول لذلك المريد: اعتبر حال قلبك عند سماع هذه الأسماء بكل اسم وجدت قلبك عند سماعه قوى تأثره، وعظم شوقه فاعرف أن الله إنما يفتح أبواب المكاشفات عليك بواسطة المواظبة على ذكر ذلك الاسم بعينه، وهذا طريق حسن لطيف في هذا الباب، الثالثة اعلم أن من حاول مقابلة وجوه إحسان الله بشكره، فقد أشرك لأن هذا التقدير يصير كأن العبد يقول: منك النعمة ومني الشكر، ولا شك أن هذا شرك.

فأما إذا أتى بالشكر مع خوف التقصير ومع الاعتراف بالذل والخضوع، فهناك يشم فيه رائحة العبودية، الرابعة قد جمع النووي بين الأحاديث الواردة في استحباب الجهر بالذكر،

والواردة في استحباب الأسرار به بأن الاخفاء أفضل حيث خاف الرياء أو تأذى المصلون أو النائمون، والجهر أفضل في غير ذلك لأن العمل فيه أكثر، ولأن فائدته تتعدى إلى السامعين، ولأنه يوقظ قلب الذاكر، ويجمع همه إلى الفكر، ويصرف سمعه إليه ويطرد النوم ويزيد في النشاط، الخامسة في تعريف الغدو والآصال والعشي والأبكار، فالغدو جمع غدوة وهي ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس، والآصال جمع أصيل، وهو الوقت بعد العصر إلى المغرب والعشي، والعشية من صلاة المغرب إلى العتمة، وقيل: الغدو والآصال عبارتان عن الليل والنهار اكتفى عن ذكرهما بذكر طرفيهما، والمراد بذكره تعالى فيهما المواظبة عليه بقدر الإمكان، وعن ابن عباس أنه قال في قوله: الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم لو حصل لابن آدم حالة رابعة سوى هذه الأحوال، لأمر الله بالذكر عندها، والمراد منه أنه تعالى أمر بالذكر على الدوام، والمراد من ذكر العشي والإبكار الدلالة على المداومة على الذكر في جميع الأوقات بناء على أن الإبكار عبارة عن أول النهار إلى نصفه، والعشي عبارة عن نصف النهار إلى أول النهار من اليوم الثاني، فيدخل فيهما كل الأوقات اهـ من روح البيان وبعضه من الفخر، السادسة وعن النبي ﷺ: «من أكثر ذكر الله أحبه الله، وعنه ﷺ: «مررت ليلة أسرى بي برجل مغيب في نور العرش، قلت: من هذا أهذا ملك، قيل: لا، قلت: نبي، قيل: لا، قلت: من هذا؟ قيل هذا رجل كان في الدنيا لسانه رطباً بذكر الله، وقلبه معلق بالمساجد»[1]، وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ عن ربه عز وجل: «لا يذكرني عبد في نفسه إلا ذكرته في ملأ من ملائكتي، ولا يذكرني في ملأ إلا ذكرته في الرفيق الأعلى»، السابعة قال أهل التصوف للذكر بداية، وهي توجه صادق وله توسط وهو نور طارق وله نهاية وهو حال خارق، وله أصل وهو الصفاء وفرع وهو الوفاء، وشرط وهو الحضور، وبساط وهو العمل الصالح، وخاصية وهو الفتح المبين، قال أبو سعيد الخراز رضي الله عنه: إذا أراد الله أن يوالي عبداً فتح له باب الذكر.

فإذا استلذ بالذكر فتح عليه باب القرب، ثم رفعه إلى مجالس الإنس، ثم أجلسه على كرسي التوحيد، ثم رفعه عن الحجب، وأدخله دار الفردانية، وكشف عنه الجلال والعظمة، فإذا نظر الجلال والعظمة بقي بلا هو فيصير فانياً بارئاً عن دعاوى نفسه محفوظاً لله، وقال غيره الذكر ترياق المذنبين وأنس المنقطعين وكنز المتوكلين وغذاء الموقنين، وحلية الواصلين، ومبدأ الغارفين وبساط المقرنين وشراب المحبين، وقال ﷺ: «ذكر الله علم

---

(١) أخرجه البخاري (بدء الخلق، ٧)، (أنبياء، ٢٤، ٤٨)، ومسلم (إيمان، ٢٦٧، ٢٧٢)، (فضائل، ١٦٤)، والترمذي (تفسير سورة، ١٧، ١، ٢، ٥)، (دعوات، ٥٨)، وابن ماجه (صدقات، ١٩)، (تجارات، ٥٨)، وأحمد بن حنبل (١،٢٤٥، ٢٥٩، ٣٠٩، ٣٤٢، ٣٥٤، ٣٧٤، ٣٧٥، ٢، ٢٨٢، ٥٢٨، ٣، ١٢٠، ١٤٨، ١٨٠، ٢٣١، ٢٣٩، ٢٤٨، ٣٧٧، ٥، ٣٦٢، ٣٦٥، ٤١٨).

الإيمان وبراءة من النفاق، وحصن من الشيطان، وحرز من النار».

(مسألة): سأل ابن الصلاح رحمه الله عن القدر الذي يصير به العبد من الذاكرين الله كثيراً، فقال: إذا واظب على الذكر المأثور صباحاً ومساء في الأوقات المختلفة، فهو من الذاكرين الله كثيراً.

(حكاية) قال موسى عليه السلام: يا رب أقريب أنت فأناجيك أم سعيد فأناديك، فأوحى الله إليه أنا جليس لمن ذكرني، فقال: يا رب إنا نكون على حال نجلك أن نذكرك بالجنابة، قال: اذكرني على كل حال ذكره في الأحياء.

(سئل) الشبلي رحمه الله تعالى عن قول النبي ﷺ: «إذا رأيتم أهل البلاء فاسئلوا الله العافية، فقال: أهل البلاء هم أهل الغفلة عن ذكر الله تعالى»، وقال بعضهم في قوله تعالى حكاية عن سليمان: ﴿لأعذبنه عذاباً شديداً﴾ [النمل: ٢١]، أي لأبعدنه عن مجالس الذكر.

(فائدة) الأولى قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿فمنهم ظالم لنفسه هو الذاكر بلسانه ومنهم مقتصد وهو الذاكر بقلبه ومنهم سابق بالخيرات هو الذي لا ينسى ربه﴾ [فاطر: ٣٢]، قال ابن عطاء: الله يحتاج قائل كلمة التوحيد إلى ثلاثة أنوار: نور الهداية، ونور الكفاية، ونور العناية، فمن من الله عليه بنور الهداية، فهو معصوم من الشرك، ومن من الله عليه بنور الكفاية، فهو معصوم من الكبائر والفواحش، ومن من الله عليه بنور العناية، فهو محفوظ من الخطرات الفاسدة، والحركات التي لأهل الغفلات، فالنور الأول للظالم، والثاني للمقتصد، والثالث للسابق.

(الثانية): جاء في الخبر أن العبد ليأتي إلى مجالس الذكر بذنوب كالجبال، فيقوم من المجلس، وليس عليه منها فلذلك سماه النبي ﷺ روضة من رياض الجنة، حيث قال: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قيل: وما رياض الجنة، قال: حلق الذكر بكسر الحاء وفتح اللام»[١]. وقال عطاء رحمه الله: من جلس مجلساً يذكر الله فيه كفرا الله عنه عشرة مجالس من مجالس السوء، وتقدم مثله، وعن النبي ﷺ: «ما من جماعة اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفوراً لكم فقد بدلت سيئاتكم حسنات»، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «ليبعثن الله أقواماً يوما القيامة في وجوههم النور على منابر اللؤلؤ يغبطهم الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء فجثا أعرابي على ركبتيه وقال: أجلهم أي صفهم لنا يا رسول الله، قال: هم المتحابون في الله من قبائل شتى وبلاد ومدائن شتى يجتمعون على ذكر الله تعالى يذكرونه» وقال الجنيدي رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿والذي يميتني ثم يحيين﴾ أي يميتني بالغفلة، ثم يحيين بالذكر،

---

(١) أخرجه الترمذي (دعوات، ٨٢)، وأحمد بن حنبل (٣، ١٥٠).

وقال الحسن البصري رحمه الله: ما جلس قوم يذكرون الله تعالى وفيهم واحد من أهل الجنة إلا شفعه الله في الجميع.

(الثالثة): قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال النبي ﷺ «خلق الله ملكاً يوم خلق السموات والأرض وأمره أن يقول لا إله إلا الله فهو يقولها ماداً بها صوته لا يفرغ منها حتى ينفخ في الصور»، وقال بعض الصحابة: من قال لا إله إلا الله ومدها للتعظيم كفر الله بها عنه أربعة آلاف ذنب من الكبائر، فإن لم يكن عليه أربعة آلاف ذنب من الكبائر كفر الله عن أهله وجيرانه، وفي الحديث من قال: لا إله إلا الله ومدها بالتعظيم هدمت من ديوان سيئاته أربعة آلاف ذنب، فيستحب مد الصوت بها كما قاله النووي رحمه الله، وقال النبي ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله ومد بها صوته أسكنه الله دار الجلال داراً سمى بها نفسه فقال: ذو الجلال والإكرام، ورزقه الله النظر إلى وجهه الكريم»، وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ: «معاشر الناس من قال لا إله إلا الله متعجباً من شيء خلق الله من كل شيء شجرة عليها ورق عدد أيام الدنيا تستغفر له كل ورقة وتسبح له إلى يوم القيامة».

(حكاية): اجتمع إبليس بذي القرنين، فقال: يا اسكندر ما كفاك ملك الضوء حتى دخلت الظلمة، ثم قال الناس: يقولون: لا إله إلا الله، قال: نعم فقال: لا يشقى من يقولها اهـ. وفي الحديث أنها في جنب إبليس كالأكلة في جنب ابن آدم، وفي الشفاء عن ابن عباس رضي الله عنهما مكتوب على باب الجنة لا إله إلا الله محمد رسول الله لا أعذب من قالها.

(الرابعة): خلق الله عموداً من ياقوتة حمراء من نور، وأصل ذلك العمود تحت الأرض السابعة، ورأسه ملتو تحت قائمة العرش، فإذا قال العبد لا إله إلا الله محمد رسول الله تحركت الأرض والحوت والعرش، فيقول الله: اسكن، فيقول: لا وعزتك حتى تغفر لقائل لا إله إلا الله. فيقول له: اسكن، فإني آليت على نفسي قبل أن أخلق خلقي، إني لا أجريها على لسان عبد إلا غفرت له قبل أن يقولها.

(الخامسة): قال ابن عباس رضي الله عنهما: ينادي منادٍ تحت العرش أيتها الجنة، وما فيك من النعيم لمن أنت؟ فتقول: لأهل لا إله إلا الله، وأنا محرمة على من لم يقل: لا إله إلا الله، ثم تقول النار وما فيها من العذاب: لا يدخلني إلا من أنكر لا إله إلا الله، ولا أطلب إلا من كذب بلا إله إلا الله، وأنا محرمة على من قال: لا إله إلا الله، ثم تقول: مغفرة الله ورحمته أنا لأهل لا إله إلا الله وناصره لمن قال: لا إله إلا الله ومحبة لمن قال: لا إله إلا الله، والجنة مباحة لمن قال: لا إله إلا الله، والنار محرمة على من قال: لا إله إلا الله.

(السادسة): ما من شيء يطلبه المريد إلا وهو في لا إله إلا الله إن كان يريد الوصل

فما من شيء أسرع أيضاً للمريد منها لا سيما من استدام على اثني عشر ألفاً بين الليل والنهار، وصاحبه ينال من الفتح ما يريد سريعاً، وهو الذي يقول فيه شيخنا رضي الله عنه في تأليف كشف الحجاب:

ولازم الـذكـر العـديـد المشـرعـا يجيئـك الفتـح القـريـب مسـرعـا

وإن كان يريد تيسير أسباب الرزق، فعليه بلا إله إلا الله كل صبيحة ألف مرة، وهو على طهارة فإن الله تعالى ييسر عليه أسباب الرزق، وإن كان يريد أن تبيت روحه تحت العرش تتغذى من عالمه فعليه بألف من لا إله إلا الله عند منامه، وإن كان يريد أن يضعف عنه شيطان الباطن، فعليه بألف من لا إله إلا الله عند وقوف الشمس وقت القائلة، وقال بعض الأكابر: من قال في الثلث الأخير من ليلة الثلاثاء لا إله إلا الله ألف مرة يجمع همة وحضور قلب، وأرسلها إلى ظالم عجل الله دماره وخرب دياره وسلط عليه الآفات، وأهلكه بالعاهات، ومن قال: لا إله إلا الله ألفاً عند رؤية الهلال بنية الاستشفاء شفاه الله وعافاه من الآلام، ومن قال: لا إله إلا الله ألفاً عند مجيئه لقوم أو دخوله لقرية بنية تسخيرهم سخرهم الله له، ولا ينال منهم إلا ما يحب، وفي الحديث لو يعلم الأمير ماله في ذكر الله لترك أمارته، ولو يعلم التاجر ما له في ذكر الله لترك تجارته، ولو أن ثواب تسبيحه قسم على أهل الأرض لأصاب كل واحد منهم عشرة أضعاف الدنيا، وفي حديث آخر للمؤمنين حصون ثلاثة ذكر الله، وقراءة القرآن، والمسجد، والمراد بالمسجد مصلاه سواء كان في بيته أو في الخارج، كذا أوله بعض الكبار، قال الحسن البصري: حادثوا هذه القلوب بذكر الله، فإنها سريعة الدثور اهـ من روح البيان، وبعضه من نزهة المجالس، وبعضه من شمس المعارف، واعلم أن الفناء في الله عند القوم حاصله في ثلاث فناآت، ولو كانت أنواعه كثيرة هي فناء في الأفعال كان يقول المرء في قلبه: لا فاعل إلا الله، ولا مانع إلا الله، ولا معطي إلا الله ونحو ذلك، الثاني فناء في الصفات، كان يقول: لا حي لا الله، ولا سميع إلا الله، ولا بصير إلا الله ونحو ذلك، الثالث فناء في الذات كان يقول: لا موجود إلا الله وكلها توجد شريعاً بلا إله إلا الله.

(السابعة): اعلم أن البداية عند من جعل الأنفس سبعة لها بداية، ووسط ونهاية.

أما بدايتها فهي الأمارة وتقدم أنها لا أنفع لصاحبها من لا إله إلا الله، وتقدم من فوائدها ما يكفي ويشفي.

وأما نهايتها فهي الملهمة وتقدم أن صاحبها لا أوفق له من يا هو، وتقدم أيضاً من الحث عليه وفضله ما يكفي ويشفي.

وأما وسطها فهي اللوامة وتقدم أن صاحبها يوافقه الذكر بالاسم الفرد، وهو قولنا: الله

الله ولا بد إن شاء الله من ذكر بعض فوائده هنا ترغيباً فيه وتبركاً به، من ذلك أن الله هو أعظم الأسماء المذكورة في القرآن وغيره، لأنه دال على الذات الجامعة لصفات الألهية كلها بخلاف سائر الأسماء، فإن كلا منها لا يدل إلا على بعض المعاني من علم أو فعل أو قدرة أو غيرها، ولأنه أخص الأسماء إذ لا يطلق على غيره لا حقيقة، ولا مجازاً بخلاف سائر الأسماء فإنه قد يسمى به غيره مجازاً كالقادر والعليم والرحيم، والله علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد، وأل لازمة له لا لتعريف ولا غيره، وهو ليس بمشتق كما نقل من الشافعي، والخليل وسيبويه وابن كيسان والأكثرون على أنه مشتق، ونقل عن الخليل وسيبويه أيضاً، قاله الجمل: ومن أراد استيفاء الكلام على اشتقاقه وعدمه فعليه بكتابنا المسمى بابراز اللألىء المكنونات في أسماء الله الظاهرات والمضمرات، فإني أتيت فيه بما يشفي العليل، ويبرىء الغليل أو القاموس عند مادة أله أو الفخر الرازي في أوله، وقال في روح البيان: روي أن بعض الجبابرة سمى نفسه بلفظ الجلالة فظهر أي ذاب ما في بطنه من دبره، وهلك من ساعته لأن هذا الاسم الجليل لا يليق إلا لجناب الحق تعالى، ولهذا لم يشاركه فيه أحد كما قال تعالى: ﴿هل تعلم له سمياً﴾ [مريم: ٦٥] أي مشاركاً له في هذا الاسم.

وقال فرعون مصر للقبط: أنا ربكم الأعلى، ولم يقدر أن يقول: أنا الله تعالى ومن ذلك أن له خاصيتين لم توجد في غيره من الأسماء الخاصية، الأولى أنك إذا حذفت الألف من قولك الله بقي الباقي على صورة لله، ومختص به سبحانه كما في قوله: ﴿ولله جنود السموات والأرض ولله خزائن السموات والأرض﴾ [الفتح: ٧]، وإن حذفت عن هذه البقية اللام الأولى بقيت البقية على صورة له، كما في قوله تعالى: ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ [الشورى: ١٢ والزمر: ٦٣] وقوله: ﴿له الملك وله الحمد﴾ [التغابن: ١] فإن حذفت اللام الباقية كانت الباقية هي قولنا: هو، وهو أيضاً يدل عليه سبحانه كما في قوله: ﴿قل هو الله أحد﴾ [الإخلاص: ١] وقوله: ﴿هو الحي لا إله إلا هو﴾ [البقرة: ٢٥٥] والواو زائدة بدليل سقوطها في التثنية، والجمع فإنك تقول: هما هم فلا تبقى الواو فيهما، فهذه الخاصة موجودة في لفظة الله غير موجودة في سائر الأسماء، وكما حصلت هذه الخاصية بحسب اللفظ، فقد حصلت أيضاً بحسب المعنى، فإنك إذا دعوت الله بالرحمن، فقد وصفته بالرحمة وما وصفته بالقهر، وإذا دعوته بالعليم، فقد وصفته بالعلم وما وصفته بالقدرة.

وأما إذا قلت: يا الله فقد وصفته بجميع الصفات، لأن الإله لا يكون آلهاً إلا إذا كان موصوفاً بجميع هذه الصفات، فثبت أن قولنا: الله قد حصلت له هذه الخاصية التي لم تحصل لسائر الأسماء.

(**الخاصية الثانية**): أن كلمة الشهادة، وهي الكلمة التي بسببها ينتقل الكافر من الكفر إلى الإسلام لم يحصل فيها إلا هذا الاسم، فلو أن الكافر قال: أشهد أن لا إله إلا الرحمن والرحيم، وإلا الملك وإلا القدوس، لم يخرج من الكفر ولم يدخل في الإسلام.

أما إذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله فإنه يخرج من الكفر، ويدخل في الإسلام، وذلك يدل على اختصاص هذا الاسم بهذه الخاصية الشريفة، ومن ذلك أن كل اسم وخاصيته في معناه وسره في عدده إلا الله، فإن عدده تنال به سر كل اسم، وخاصيته تنال بها خاصية كل اسم، وقد قال لي شيخنا رضي الله عنه وأرضاه: من خفي عليه عدد من اسم أو ثقل عليه، فإنه يتلو عدد اسم الله من ذلك الاسم فإنه ينال تلك الخاصية، ومن عرف العدد وخفي عليه الاسم، فإنه يتلوا ذلك العدد من اسم الله، فإنه ينال أيضاً تلك الخاصية، وهذه الخاصية لا توجد في اسم ما غير الله.

(قلت): وكذلك الآيات كما وجدته في بعض كتب الأسرار، ووعده ست وستون، ومن ذلك أن من داوم عليه باثر كل فريضة ستاً وستين إلى ست وستين يوماً يصير له ذكر جليل، وخير جزيل في العالم العلوي والسفلي، ومن ذلك أن من أكثر من ذكره لا يطيق أحد النظر إليه إجلالاً له، وهو ذكر الأكابر والمتولهين من أرباب الخلوات، وما من مقام إلا ويصلح له، ويرقى صاحبه إلى أعلى منه ولو نصوا على موافقته لصاحب اللوامة، كما إذا قلنا مثلاً زيد لا أوفق له من عمر وفاته لا يدل على أن عمرواً لا يوافق غير زيد، بل يمكن أنه يوافق كثيراً غيره، وكذلك زيد يمكن أنه يوافق غير عمرو كما أنا قدمنا، أيضاً لا إله إلا الله توافق كل مقام، قلت: وبيان ذلك أن لما قلنا: أن لا إله إلا الله يصلح بها نفي كل الأفعال والصفات والذوات عن غير مولانا عز وجل على الحقيقة، صارت بسبب ذلك موافقة لكل مقام، ولما كان اسم الله موصوفاً بكل الصفات صار موافقاً لأهل كل المقامات لا محالة، ومن ذلك أنه لا يصلح لمن كان اسمه محمداً أو عبد الله قلت: بل ما من ذي اسم إلا ويصلح له كما يصلح لكل مقام كما تقدم بيانه قريباً، ومن ذلك أنه تداوى به جميع العلل الظاهرة والباطنة، وذلك بأن يتلى عليها أو يكتب لصاحبها ستاً وستين، ويمحى له ويشربه تجربة صحيحة، ومن ذلك أن كتبه في إناء حتى يمتلىء منه الإناء بحسب ما يسع مع كبر أو صغر، وصب عليه ماء وغسل به وشربه صاحب الصرع وأديم له عليه مراراً، فإنه يشقى بإذن الله تجربة أيضاً صحيحة، ومن ذلك أن من داوم على فائدة منه بأثر كل فريضة بصيغة بالله يا هو صار من أهل الكشف الرباني، ومن جعل من هذه اللفظة ألفاً كل يوم صلحت أحواله ظاهراً وباطناً، ومن ذلك أن في الحديث لا تقوم الساعة، وعلى وجه الأرض من يقول: الله الله، ومن ذلك أن من أحب أن يكون من أولياء الله بلا تعب ولا نصب، فليتطهر كل يوم بما هو حكمه من الطهارة، وليقل: بقلبه الله الله ثلاث مرات إلى تمام أربعين يوماً، فإنه

يصير من أولياء الله، ومن ذلك أن من استدام منه على العدد الذي جاء في القرآن نال به ما تعجز عنه الأكوان، وهو ألفاً وثلاثمائة وستون كما قال بعضهم:

عـدد لفـظ اللّـه فـي القـرآن ألفـان مـع ستيـن يـا إخـوان

مـع ثـلاثمـائـة وأنـه لهـو الاسـم الأعظـم احفظنـه

وللفقيـر صـاحـب التـأليـف

عـدد لفـظ الله فـي القـرآن صـاد وسيـن وكـذا شيئـان

وبالجملة فهو اسم الذات، والاسم الأعظم الذي تنال به الحوائج العظام، والمقامات بالتمام.

(الثامنة): اعلم أنه لا ينبغي لأحد أن يزهد فيما يكفر الذنوب لا سيما أهل البدايات لاشتغالهم في كثير الأحوال بالبطالات، وهذه أشياء تنفع في ذلك موثرقات، قال ﷺ: «ما على الأرض أحد يقول لا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة العلي العظيم إلا كفرت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»[١]، رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، وعن النبي ﷺ: «ما من عبدين متحابين في الله يستقبل أحدهما الآخر فيصالحه ويصليان على النبي ﷺ إلا لم يفترقا حتى تغفر ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر». رواه ابن السني، وفي البخاري عن النبي ﷺ: «من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار»[٢]. وعن النبي ﷺ: «من صلى قبل الظهر أربعاً وبعدها أربعاً حرمه الله على النار»، وعن النبي ﷺ: «من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى الليل»[٣]. وفي كتاب البركة عن النبي ﷺ: «من صلى أربع ركعات عند زوال الشمس يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي عصمه الله في أهله وماله ودينه ودنياه»[٤]، وعن النبي ﷺ: «لا تزال أمتي يصلون هذه الأربع ركعات قبل العصر حتى يمشي أحدهم» يعني على الأرض مغفوراً له مغفرة حتماً رواه الطبراني قال: في

---

(١) أخرجه البخاري (دعوات، ٦٥)، ومسلم (ذكر، ٢٨)، (مساجد، ١٤٦)، وأبو داود (تسبيح، ٢٤)، (تطوع، ١٢)، (وتر، ٢٤)، والترمذي (وتر، ١٥)، (دعوات ١٧، ٥٧، ٥٩)، والنسائي (سهو، ٩٦)، وابن ماجه (أدب، ٥٦)، (إقامة، ١٨٧)، وأحمد بن حنبل (٢، ١٥٨، ٢١٠، ٢١١، ٣٠٢، ٣٧١، ٣٧٥، ٤٤٣، ٤٨٣، ٤٩٧، ٤٩٩، ٣، ١٠، ٤٣٩، ٥، ١٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (جمعة، ١٨)، (جهاد، ١٦) [في الترجمة]، والترمذي (فضائل الجهاد، ٧)، والنسائي (جهاد، ٩)، والدارمي (جهاد، ٨)، وأحمد بن حنبل (٣، ٣٦٧، ٤٧٩، ٥، ٢٢٥، ٢٢٦، ٦، ٤٤٤).

(٣) أخرجه أبو داود (جنائز، ٣)، وأحمد بن حنبل (١، ١٣٨، ٣، ٢١).

(٤) أخرجه الدارمي (مناسك، ٥٨)، والبخاري (مواقيت، ١١)، وأحمد بن حنبل (١، ٢٤٨، ٢٩٠، ٣٢٨، ٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤٢٠).

العوارف يقرأ في الأربع قبل العصر إذا زلزلت والعاديات والقارعة وألهاكم، وفي رواية ابن عمر رحم الله امرءاً صلى قبل العصر أربعاً وعن سهل بن سعد عن النبي ﷺ: «من قعد في مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى يسبح ركعتي الضحى لا يقول إلا خيراً غفر الله خطاياه وإن كانت أكثر من زبد البحر»[1]. وفي رواية الحسن بن علي رضي الله عنهما لم تمس جلده النار، وفي رواية عائشة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وفي رواية من صلى صلاة الفجر، ثم قعد في مجلسه حتى تطلع الشمس، ستره الله من النار ستره الله من النار ستره الله من النار ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب الذكر، وعن ابن عباس عن النبي ﷺ: «من مشى مع أخيه في حاجة فناصحه فيها جعل الله بينه وبين النار سبع خنادق ما بين الخندق والخندق كما بين السماء والأرض»[2]. وفي طبقات الاتقياء عن النبي ﷺ: «من كبر تكبيرة عند غروب الشمس على ساحل البحر رافعاً صوته أعطاه الله من الأجر بعدد كل قطرة في البحر عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات»[3]، هكذا قال صاحب نزهة المجالس: رأيته في كتاب الذريعة لابن العماد بخط مؤلفه، وعلى النبي ﷺ: «إذا زار أحدكم أخاه فألقى له شيئاً يقيه التراب وقاه الله من النار». وفي ربيع الأبرار عن النبي ﷺ: «استكثروا من الإخوان فإن الله تعالى حي كريم يستحي من عبده أن يعذبه بين إخوانه يوم القيامة»[4]. وفي كتاب البركة عن جعفر الصادق: أطيلوا الجلوس على المائدة مع الإخوان فإنها ساعة لا تحسب من أعماركم، وورد الأكل مع الإخوان شفاء، وعن النبي ﷺ: «من رد عن عرض أخيه بالغيب كان حقاً على الله أن يعتقه من النار»[5]. وعن النبي ﷺ: «أي عبد قال لا إله إلا الله الحليم الكبير سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين حق على الله أن يحرمه على النار»[6]، وعن النبي ﷺ: «من قال حين يصبح لا إله إلا الله والله أكبر أعتقه الله من النار»، وعن النبي ﷺ: «إذا قال العبد: يا معتق الرقاب، يقول الرب: جل وعلا يا ملائكتي قد علم عبدي أنه لا يعتق الرقاب غيري، أشهدكم أني قد أعتقته من النار»، وعنه ﷺ: «إذا قال العبد في ركوعه سبحان ربي العظيم أعتق الله ثلث جسده من النار وإذا

---

(١) أخرجه أبو داود (تطوع، ١٢).

(٢) أخرجه الترمذي (فضائل الجهاد، ٣).

(٣) أخرجه الترمذي (دعاء، ٣٥)، وابن ماجه (إقامة، ٢٠١)، (تجارات، ٤٠)، والدارمي (استئذان، ٥٧)، وأحمد بن حنبل (١، ٤٧، ٢، ٨٩، ٤، ٢٩، ٥، ٤١٥).

(٤) أخرجه أبو داود (وتر، ٢٣)، والترمذي (دعوات، ١٠٤)، وابن ماجه (دعاء، ١٣)، وأحمد بن حنبل (٥،٤٣٨، ٦، ٣١٤).

(٥) أخرجه أحمد بن حنبل (٦، ٤٤٩، ٤٥٠)، والترمذي (٦، ٤٤٩، ٤٥٠).

(٦) أخرجه البخاري (جهاد، ٥٩، ٤)، (رقاق، ٣٨)، (توحيد، ٢٢)، ومسلم (إمارة، ٤٦) وأبو داود (أدب، ٨، ٩، ١٠١)، والترمذي (جنة، ٤)، والنسائي (خيل، ١٤، ١٦)، (جهاد، ١٨، ١٩)، وابن ماجه (أشربة، ٤)، (دعاء، ١٤)، والدارمي (أشربة، ٣)، وأحمد بن حنبل (٥، ٢٤٠).

قالها ثلاث مرات أعتق الله جسده كله من النار»، واعلم أن النبي ﷺ قال: «من بلغه عن الله فضيلة فلم يصدقها لم ينلها»، وعن النبيْ ﷺ: «إذا لعق العبد القصعة استغفرت له القصعة وتقول اللهم اعتقه من النار كما اعتقني من الشيطان، لأن الشيطان يلعقها عند فراغها»، وعن النبي ﷺ: «من لعق الصحفة ولعق أصابعه أشبعه الله في الدنيا والآخرة»[1]، وعنه ﷺ: «اغسلوا القصعة واشربوا فمن فعل ذلك كان كمعتق أربعين رقبة من ولد إسماعيل»[2]، وقال أنس رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «أحب شيء إلى الله تعالى أن يرى عبده المؤمن مع امرأته وولده على مائدة يأكلون فإذا اجتمعوا عليها نظر الله إليهم بالرحمة ويغفر لهم قبل أن يتفرقوا». وفي ربيع الأبرار عن النبي ﷺ: «من نظر إلى أخيه نظرة مودة لم يطرق حتى يغفر الله له ما تقدم من ذنبه»، قال ابن المبارك: من كان في قلبه مودة لأخيه المسلم، ولم يعلمه بها فقد خانه، وقال علي رضي الله عنه: أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وقال أيضاً: القلوب وحشية فمن تالفها أقبلت عليه، وكان ﷺ إذا حضر له طعام يقول: عند أول لقمة يا واسع المغفرة اغفر لي، وكان ﷺ يكره الطعام الحار، ويقول: «عليك بالطعام البارد فإنه دواء وبركة ألا وأن الحار لا بركة فيه». وفي العوارف عن النبي ﷺ: «النفخ في الطعام يذهب البركة»، قال أنس رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «من سأل الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم ادخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم اجره من النار»[3]، وقال ﷺ: «من صلى خلف عالم فكأنما صلى خلف نبي».

وعنه ﷺ: «من طلب العلم لغير الله لا يخرج من الدنيا حتى يأتي عليه العلم فيكون لله ومن طلب العلم فهو كالصائم نهاره وكالقائم ليله فإن باباً من العلم يتعلمه الرجل خير له من أن يكون أبو قبيس ذهباً له تنفقه في سبيل الله»[4] وقال علي رضي الله عنه: العلم يقوي الرجل على المرور على الصراط، قال القرطبي: من أطاع مولاه وخالف هواه كانت الجنة مأواه، ومن تمادى في عصيانه، وأرخى زمام طغيانه، وأتبع هوى نفسه وشيطانه كانت النار أولى به، وذكر في الوجوه المسفرة عن اتساع المغفرة عن النبي ﷺ قال: «من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤنة حسنة». وقال أبي بن كعب للبراء ابن مالك رضي الله عنهما: ما تشتهي؟ قال: سويقاً وتمراً فأطعمه حتى أشبعه، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «إن المرء إذا فعل ذلك بأخيه لوجه الله لا يريد بذلك جزاءاً ولا شكوراً بعث الله إلى منزله عشرة من الملائكة يسبحون الله ويهللونه ويكبرونه ويستغفرون له حولاً كاملاً فإذا

---

(١) أخرجه الدارمي (أطعمة، ٧).
(٢) أخرجه الترمذي (دعوات، ٦١)، وأحمد بن حنبل (٦، ٣٤٤).
(٣) أخرجه الترمذي (جنة، ٢٧)، وابن ماجه (زهد، ٣٩).
(٤) أخرجه الترمذي (علم، ٢، ٦)، وابن ماجه (مقدمة، ٢٣)، والدارمي (مقدمة، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٤٦).

كان الحول كتب له مثل عبادة أولئك الملائكة وحق على الله أن يطعمه من طيبات الجنة في جنة الخلد وملك لا يبيد» وقالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «إذا قال العبد: يا رب الأرباب قال الله تعالى لبيك عبدي سل تعظ»، وهو صحيح الإسناد فرحم الله امرءاً قال: يا رب الأرباب أسألك النجاة من جهنم دار الهوان والعقاب، والفوز بالجنة محل الرضوان، ومجمع الأحباب لي وللمسلمين، ومؤلف هذا الكتاب من سبق عذاب يا كريم يا وهاب يا منزل الكتاب.

(التاسعة): في خمس أوعية لقضاء الدين، **(الأولى)**: دخل النبي ﷺ على أبي أمامة في المسجد فوجده مهموماً، فقال: «ما لي أراك جالساً في غير وقت الصلاة»؟ فقلت: لهموم لزمتني وديون يا نبي الله، فقال: «أفلا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك، قلت: بلى يا رسول الله، قال: قل إذا أصبحت وإذا أمسيت اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال»[1]. **(الثانية)**: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: علمني رسول الله ﷺ دعاء كان عيسى عليه السلام يعلمه لأصحابه، وقال: لو كان على أحدكم جبل ذهب ديناً فدعا الله به لقضاه عنه: «اللهم فارج الهم وكاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أنت ترحمني فارحمني برحمة منك تغنيني بها عن رحمة من سواك». وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: كان علي دين فدعوت به فقضاه الله عني، وقالت عائشة رضي الله عنها: أصابني دين فدعوت به فقضاه الله عني، وقال كعب الأحبار رضي الله عنه، والله إنه لفي التوراة من دعا بهذا الدعاء قضى الله دينه وكفاه عدوه، **«الثالثة»**: امتنع النبي ﷺ من الصلاة على ميت لدين عليه، فجاءه جبريل عليه السلام بدراهم قدر دينه، وقال: صل عليه يا محمد فإنه كان يقرأ كل يوم قل هو الله أحد مائة مرة، الرابعة: قال صاحب نزهة المجالس: أنه رأى في كتاب الدعاوى لابن أبي الدنيا عن معاذ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من كان عليه دين فقال: اللهم منزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان العظيم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ورب الظلمات والنور والظل والحرور أسألك أن تفتح لي أبواب رحمتك وأن تحل عقدتي من ديني وأن تؤدي عني أمانتي إليك وإلى خلقك» إلا قضى الله عنه دينه، الخامسة، قال أيضاً رأيت في روض الأفكار، قال الفضيل بن فضالة: أصابني دين، فكنت أقول بإلحاح: يا ذا الجلال والإكرام بحرمة وجهك الكريم اقض عني ديني، فقال لي قائل في المنام: كم تلح على الله بوجهه الكريم اذهب إلى موضع كذا وخذ منه قدر دينك، قال: فتعلمه بعض أصحابي، فكان يقول: يا ذا الجلال والإكرام بحرمة وجهك الكريم أعطني صحة في تقواي، وطول عمر في حسن عمل، وسعة رزق، ولا تعذبني عليه فأعطاه الله الثلاثة.

---

(١) أخرجه البخاري (جهاد، ٧٤)، (دعوات، ٣٥، ٤٠)، وأبو داود (وتر ٣٢)، والترمذي (دعوات، ٧٠)، والنسائي (استعاذة، ٧، ٨، ٢٥، ٤٥)، وأحمد بن حنبل (٣، ١٢٢، ١٥٩، ٢٢٠، ٢٢٦، ٢٤٠).

(**العاشرة**) عن ابن عباس رضي الله عنهما نزل إسرافيل على النبي ﷺ، وقال: قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عدد ما علم الله، ووزن ما علم، ومثل ما علم الله فمن قالها مرة واحدة كتبه الله من الذاكرين الله كثيراً، وكان أفضل ممن ذكر الله بالليل والنهار، وكان له غراساً في الجنة، وتساقطت ذنوبه كما يتساقط ورق الشجر، ونظر الله إليه، ولم يعذبه بالنار، وفي الحديث من قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، عدد ما في علم الله، ودوام ملك الله تنقطع الدنيا وأهل الدنيا، ولا ينقطع ثواب قائلهم.

(**حكاية**): قال الحسن البصري: رأيت في المنام كان منادياً ينادي من السماء، أيها الناس خذوا سلاح فزعكم فعمد الناس إلى سلاحهم، فنادى ليس هذا سلاح فزعكم، فقال رجل من أهل الأرض، وما سلاح فزعنا؟ قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(**تتمة**) عن النبي ﷺ: «إذا كان يوم القيامة تأتي لا إله إلا الله أمام قائلها وسبحان الله من ورائه والحمد لله عن يمينه والله أكبر عن يساره ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم على رأسه مثل القبة فلا يصيبه من شر الناس شيء»، ذكره ابن العماد في الذريعة قاله في نزهة المجالس فينبغي للمريد أن يكثر من هذه الألفاظ بحسب الإمكان، حتى يبلغ بها مراده في الزمان، ويحافظ على الطهارة والصلاة في أول وقتها، وما أمكنه من صيام النافلة بعد الصيام المفروض لا سيما الشتاء، فإن صيامه ليس من المرفوض، وسيأتي بعض فضائل هذه الأشياء في الكتاب الآتي إن شاء الله كما أن هذا الكتاب حصل فيه ما يفيد المبتدي إلى منتهاه، أفاد الله به كل خلقه لا سيما من سمعه أو رآه، واعلم أن المريد المبتدي ينبغي له أن لا يلتفت إلى كلام الناس، ولا يطلب إلا رضى ربه مالك الأنفاس، لأن ذلك هو الذي يحصل مقصوده بالتمام، وينال به الفوز إلى حسن الختام تذنيب بثلاث حكايات، (**الأولى**) قال ذو النون المصري: رأيت صبياناً يرجمون رجلاً، فقلت لهم في ذلك فقالوا: مجنون يزعم أنه يرى ربه فدنوت منه فأخبرته بذلك، فقال: لو احتجب عني طرفة عين لتقطعت من ألم البين، ثم قال:

طلب الحبيب من الحبيب رضاه ... ومني الحبيب من الحبيب لقاه
أبداً يلاحظه بأعين قلبه ... والقلب يعرف ربه ويراه
يرضى الحبيب من الحبيب بقربه ... دون البعاد فما يريد سواه

فقلت له: أمجنون أنت، قال: عند أهل الأرض نعم.

وأما عند أهل السماء فلا، فقلت له: كيف أنت مع الله؟ قال: ما جفوته مذ عرفته، قلت متى؟ قال: لما جعل اسمي في المجانين، (**الثانية**): قال الخواص: رأيت بالبصرة عبداً يباع بعيوب ثلاثة لا ينام من الليل إلا قليل، ولا يأكل بالنهار، ولا يتكلم إلا عند الحاجة، فقلت لسيده: كيف تبيعه؟ قال: رأيت درجته أرفع من درجتي فكلما أفقت وقمت على باب

الخدمة، وجدته سبقني فأردت بيعه غيرة منه، فقلت: بعني إياه، قال: نعم أنت مجنون، والعبد مجنون، والمجنون بالمجنون أليق، فقلت: من أين عرفتني؟ قال: لأني أراك كل ليلة واقفاً على الباب فعرفت أنك من جملة الأحباب، **(الثالثة)**: قال الشبلي: رأيت صبياناً يرجمون مجنوناً فسألتهم، فقال: يزعم أنه يرى ربه فدنوت منه، وإذا هو يرمق ببصره نحو السماء، ويقول: يا مولاي أجميل منك تسلط عليّ هؤلاء الصبيان، فقلت له: تزعم أنك ترى ربك، فقال: وحق من تيمني بحبه وهيمني بقربه، لو احتجب عني طرفة عين لتقطعت من ألم البين، ثم ولى وهو يقول:

جمالك في عيني وذكر في فمي وحبك في قلبي فأين تغيب

وههنا انتهى الكلام على هذا الباب، وبتمامه تم الكتاب الأول من الكتاب، ويتلوه الثاني بعون العليم الوهاب.

الكتاب الثاني
(في توصيف النهايات وما يصلح لأهلها إلى الممات)

(الباب الأول في آداب المربي مع ربه)

اعلم أن المربي في إصلاح القوم هو الشيخ، وهو الأستاذ ويعرفون كلا بتعاريف مختلفة فمن تعاريفهم للمربي قولهم، المربي من انكشف له طرق النجاة فسلك عليها، ثم أذن له بالتسليك والدعاء إليها، المربي خلقه واسع، وعلمه أبداً نافع، المربي مخصوص بحسن الشارة، وعلم الإشارة، المربي يتوجه الحق بالجمال مع الظرف، ويخلع عليه القبول واللطف، المربي يكشف له عن الغيوب، ويجيبه الرب لحميع القلوب، وفي تعاريفهم للشيخ قولهم الشيخ من علمك بقاله، ونهضك بحاله، الشيخ من أفاد الطالب، وفتح المطالب، الشيخ من كمل في ذاته وكمل بصفاته، الشيخ من إذا حللت حماه، وجدت به الغني عما سواه، الشيخ من يفيدك في الشهادة والغيب ويطهر سرك بسره من العيب، الشيخ من إذا طلبت همته لهم وجدتها سبقت، لا من إذا دعوتها أدركت ولحقت، الشيخ من تلمذ له المشايخ، وكان القدم الراسخ الشيخ من يحفظ المريد بكلاءته، وبريحه من العنا بعنايته، الشيخ سر الله المحجب بحجاب البشرية، غيرة على خاصة الخصوصية، ومن تعاريفهم للأستاذ قولهم، الأستاذ من وهب المواهب وأراح من تعب المكاسب، الأستاذ أكمل من الشيخ في الأحوال وأعلى منه بالمعارف والأقوال، الأستاذ من جمع دين الأنبياء، وتدبير الأطباء، وسياسة الملوك، وافتقر لغنائه الملك والصعلوك، الأستاذ له تصريف التمكين، وإيضاح التبيين، الأستاذ من كمل الدوائر، وانطوى في قشره الأوائل والأواخر، الأستاذ عالم مطلق، وسند محقق، الأستاذ فتى الأخلاق، نجيب الخلاق، انتهى ما تقدم من التعاريف من رسالة قوانين حكم الإشراق إلى كل الصوفية بجميع الآفاق للأستاذ شمس الدين محمد بن أحمد بن محمد التونسي الشاذلي الوفاءي المالكي، وفي شرح القاموس تاج العروس الأستاذ من الألفاظ الدائرة المشهورة التي ينبغي التعرض لها، وإيضاحها وإن كان

أعجمياً، وكون الهمزة أصلاً هو الذي يقتضيه صنيع الشهاب الفيومي، لأنه ذكره في الهمزة، وقال الأستاذ: كلمة أعجمية ومعناها الماهر بالشيء العظيم، فإذا تمهد لديك هذا فاعلم أن أول مقامات التربية النفس المطمئنة التي هي النفس الرابعة.

وأما ما قبل ذلك فصاحب الملهمة ينتفع منه بدعائه، وصاحب اللوامة ينتفع منه برؤية أفعاله، ومجاهدته في أحواله، ومن أوصاف صاحب المطمئنة الذي هو أول المربين، وأولياء الله المرشدين الجود والتوكل والحلم والعبادة والشكر والرضى بالقضاء، والصبر على البلاء، ومن علامته أنه لا يفارق الأمر التكليفي شبراً، ولا يلتذ إلا بأخلاق المصطفى ﷺ، ولا يطمئن إلا لاتباع أقواله وأفعاله، وفي هذا المقام تلتذ بالسالك أعين الناظرين واسماع السامعين حتى أنه لو تكلم طول الدهر لا يمل كلامه، وذلك لأن لسانه يترجم عما ألقاه الله تعالى في قلبه من حقائق الأشياء، وأسرار الشريعة، فلا يتكلم كلمة إلا وهي مطابقة لما قال الله ورسوله، من غير مطالعة كتاب، ولا سماع من أحد، وقد غرق في بحر الحياء، والأدب ولزم الخشية والهيبة، وخلعت عليه خلع الوقار، فيجب عليه الاجتماع مع الخلق في بعض الأوقات ليفيض عليهم مما أنعم الله سبحانه به عليه، ويترجم عما في قلبه من الحكم، قال تعالى: ﴿وأحسن كما أحسن الله إليك﴾ [القصص: ٧٧].

وفي بعض الأحيان يخلو بربه ليزيده مما ألقاه له في قلبه، ومن علامات المرشد أن يكون ستاراً لما ظهر عليه من المريدين وغيرهم من العيوب، وأن يكون غني النفس حسن الخلق لا يغضب إلا لله تعالى، وأن يكون قد استوى عنده جميع المآكل حسنها وخشنها، وكذلك استوى عنده جميع الملابس، فلا يكون عنده فرق بين الصوف وغيره من الملابس الحسنة، وأن يكون أكبر همه تسليك السالكين لا جمعهم حواليه لتصرف وجوه الخلق نحوه بسببهم، وأن يكون في جميع أحواله في الحالة الوسطى في الجوع والشبع والنوم والسهر، أعني بين الإفراط والتفريط، كما قال ﷺ: «إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء»[1]. فأشار عليه الصلاة والسلام إلى أن الحالة الوسطى، شيء حسن، وأنها حالة الاتقياء الكمل، ولا شك أن الحالة الوسطى لا يقدر على الإتصاف بها إلا الكمل من الرجال، ولذلك كان من أتصف بها صالحاً للإرشاد، وإذا لم يكن متصفاً بها لم يقدر عليه، لأنه لا ينبغي أن يكون جلاله ممزوجاً بجماله، وغضبه ممزوجاً بحلمه، وقهره ممزوجاً بلطفه يسخط في عين الرضى، ويرضى في عين السخط، وذلك لقيامه بالله تعالى، فإن سخط فسخطه بالله، وإن رضي فرضاه بالله، ثم لتعلم أن الآداب في العبادة يكفي منها ما

---

(١) أخرجه البخاري (إيمان، ١٣)، (نكاح، ١)، (اعتصام، ٢٧)، ومسلم (صيام، ٧٤)، (حج، ١٤١)، والموطأ (صيام، ١٣)، وأحمد بن حنبل (٣، ٣١٧، ٥، ٤٣٤، ٦، ٦١).

تقدم في الباب الثاني المتقدم من هذا الكتاب، وذلك بعينه هو المخاطب به المربي في هذا الكتاب إلا أن للمربي زيادات لا يقدر عليها غيره من الآداب، ونحن نأتي إن شاء الله هنا بجملة من ذلك صالحة للأواب، من ذلك دوام الشهود في الحركات والسكنات.

أما شهود الأفعال أو الصفات أو الذات أو الجمع إلا أن الأخير الأكثر في صاحبه أن يغيب عن الأولين وذلك أن الشهود على ثلاثة مراتب، ولو كثرت أوصافه وتفننت فيه عرافه، فأوله شهود الأفعال، وذلك أن تشهد أن الأفعال كلها صادرة من الله، وأهل هذا الشهود على ثلاثة أقسام منهم قسم، وهو أدناهم لا يشاهد فعلاً إلا وشاهده بعد أن الله فاعله، ويستريح ذلك بعدما يحصل فيه أولا من تعب، وحزن أو فرح، ومنهم قسم وهو وسطهم لا يشاهد شيئاً إلا وشهد الله معه، وهذا لا يقع في تعب أصلاً لشهوده لقيام الله تعالى عنه بالأشياء، ومنهم قسم وهو اعلاهم لا يشاهد شيئاً إلا وشهد الله قبله، وهذا يلتذ بالأشياء، ووقوعها لصدورها من الحبيب، وأفعال الحبيب محبوبة شعر:

أحببت فعلك يا حبيب لحبك وفعال محبوب يحب حبيبه

والثاني شهود الصفات، وأهل هذا الشهود أيضاً على ثلاثة مراتب، منهم قسم مشاهدون للصفات جارية على الأكوان جريان حق على مجاز، وذلك أنهم مشاهدون مثلاً للرازق جار بصفته الحقيقة على مجاز وجود الخليقة، والمحيي بصفته الحقيقة على حياة خلقه المجازية، ثم كذلك وهذا هو أدناهم، ومنهم قسم مشاهد للصفات كأنها واقعة على أشياء فانية فناء محضاً لكنها جارية مجرى ما يراه الرائي من صفته في المرآة، فإنه في الحقيقة ليس إلا هو فالمحيي والرزاق عنده، والجبار ليست عنده واقعة إلا على شيء صار منه تعالى راجع إليه واقع عنده، حيثما استبان في قوله: كل من عليها فان، إلا أن وجوده للشيء فانياً فيه شائبة من الوجود، لكنها دون الأول وهذا هو وسطهم، وبينهم قسم فانون عن الفناء مشاهدون للظاهر والباطن في القدم، والبقاء ليس عندهم إلا أن الله تعالى في قدمه وبقائه ظاهر باطن لا وجود للمكونات في جميع الحالات مشاهدون لله بالله في الله هو الأول ليس قبله شيء، وهو الآخر ليس بعده شيء، وهو الظاهر ليس فوقه شيء، وهو الباطن ليس دونه شيء، فني عن الأحكام الطبيعية وبقي بالتجليات الإلهية فنت الكثرة النسبية الأسمائية، وبقت الوحدة الحقيقية الذاتية الموصوفة بالصفة الجلالية القهرية والجمالية اللطفية، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام بعد فناء جميع الأنام، وهذا هو أعلاهم، والثالث شهود الذات الذي يقع فيه من وقع في هذا الشهود الذي قبله من الصفات بلا واسطة، لأنه متى وقع في ذلك الفناء الذي لم يبق فيه إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام حصل شهود الذات التي تستحيل فيه الجهات، ولا ظهور فيه لاسم ولا نعت ولا نسب ولا إضافات، إذ حكم الذات في نفسها شمول الكليات والجزئيات، والنسب والاعتبارات، ولهذا الشهود كثير

مجالي وتنحصر كلها في ثلاثة.

(المجلى الأول): الأحدية ليس لشيء من الاعتبارات والإضافة والأسماء والصفات ولا غير ذلك فيها ظهور، فهي ذات صرف، ولكن قد نسبت الأحدية إليها فمقام الأحدية هي النقطة الغير المنقسمة التي انبسطت منها جملة التراكيب الواحدية، والأحد اسم لمن لا يشاركه شيء في ذاته كما أن الواحد اسم لمن لا يشاركه شيء في صفاته يعني أن الأحد هو الذات وحدها بلا اعتبار كثرة فيها فأثبت لها الأحدية التي هي الغني عن كل ما عداه، وذلك من حيث عينه وذاته من غير اعتبار أمر آخر، والواحد هو الذات مع اعتبار كثرة الصفات، وهي الحضرة الأسمائية، ولذا قال تعالى: ﴿إن إلهكم لواحد﴾ [الصافات: ٤] ولم يقل لأحد، لأن الواحدية من أسماء التقييد فبينهما، وبين الخلق ارتباط أي من حيث الإلهية والمألوهية بخلاف الأحدية إذ لا يصح ارتباطها بشيء.

(المجلى الثاني): ألهوية ليس لشيء من جميع المذكور فيها ظهور الأحدية إليها، إذ روى أن المشركين قالوا للنبي عليه السلام: صف لنا ربك الذي تدعونا إليه وانسبه أي بين نسبه واذكره، فنزلت: ﴿قل هو الله أحد﴾ [الإخلاص: ١]، فبين الله نسبه بتنزيهه عن النسب حيث في عنه الوالدية، والمتولودية والكفاءة فالضمير حينئذ مبتدأ، والله خبره واحد بدل منه، وإبدال النكرة المحضة من المعرفة يجوز عند حصول الفائدة على ما ذهب إليه أبو علي، وهو المختار والله علم دال على الإله الحق جامعة لمعاني الأسماء الحسنى كلها، وقال القاشاني: هو عندنا اسم الذات الإلهية من حيث هي أي المطلقة الصادق عليها جميعها أو بعضها أولاً مع واحد منها لقوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾ [الإخلاص: ١] ويروى أن هو الضمير للشأن، كقولك: هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة، ولا حاجة إلى العائد لأنها عين الشأن الذي عبر عنه بالضمير أي الله أحد هو الشأن هذا أو هو أن الله أحد، وقد جمح بنا القلم هنا لهذا الكلام النحوي مع أنه مبسوط في كتبه لما يظهر به لأهل الحقيقة من ظهور الأحدية في الهوية، والحاصل أن الهوية من مشاهد الذات الذي لا له مفتتح ولا مختتم.

(المجلى الثالث): الآنية، وهو كذلك لا لغير الهوية فيها ظهور البتة قال تعالى: ﴿إنه أنا الله﴾ فدل الخبر، وهو الله إلى تنزيل الآنية منزلة الهوية، والأحدية والجميع عبارة عن الذات الساذج، أي الذي لا لون له، ولا أمارة يدرك بها، بل هو الوجود الصرف الذي لا ذات إلا ذاته، ولا صفة إلا صفاته فسبحانه لا إله إلا هو وسبحان من لا يعلم قدره غيره، ولا يبلغ الواصفون قدر صفته، ومن ذلك أي آداب المربي مع ربه دوام الذكر ليستعين به على دوام الشهود، لأن الذكر للعارف كالتوبة للمستأنف، واعلم أن أول الذكر الذي يليق بالمربي في أول أمره هو الذكر باسمه تعالى يا حق، قال شيخنا في مطية المجد رضي الله

عنه:

وكـــن مكـــرراً فـــي ذا المقـــام   يـــا حـــق يـــا حـــق بجهـــر ســـام

وذلك لأنه الذي يحصل به التمكين بعد التلوين، فليكثر منه ولا يلتفت إلى ما يظهر له من الكشف، والكرامات ونحو ذلك وليطلب من الله أن لا يجعل ما يظهر له أو على يديه سبباً لانقطاعه عن خدمته، وعن الدخول على بابه فإن ما يكشف لك عنه إن لم تكن محفوظاً معه كان سبباً لبعدك عن حضرة الرب، لأن حضرة القرب لا يدخلها إلا العبيد الخلص الذين ليس لهم ما يفترون به من خوارق العادات، ولذلك ترى المحفوظين من الكمل إذا أظهر الله تعالى على أيديهم شيئاً من الكرامات لا يحسون بها، ولا يعلمون أظهرت لهم كرامة أم لا، وروى أن رجلاً من أولياء الله تعالى مر برجل فضربه بحصات أصابت كعبه فما التفت إلى الضارب، ولا عن عليه، ولكن الله عز وجل أكرمه بأن سقط الضارب ميتاً، فقيل للولي: أين أنت من العفو والسماح، وهل يجوز لك أن تقتل نفساً حرمها الله تعالى؟ فقال: والله ليس لي علم بما تقولون، ولا أعرف الرجل، ولكن جرت عادة الله بإكرام أوليائه من حيث لا يعلمون، وأمثال هذه الحكاية كثيرة جداً فافهم المقصود منها، ومعنى الحق أنه المتحقق الثابت وجوده أزلاً وأبداً فلا يقبل الانتفاء بحال، فمعناه يستلزم القدم والبقاء، وقيل: هو الحقيق بأن يعبده العابدون، وقول الحسين بن منصور الحلاج رحمه الله تعالى: أنا الحق إشارة إلى فنائه عن مشاهدته لا أنه أراد الاتحاد، وهذا التأويل لأجل حسن الظن به، وحظ العبد منه فناؤه عن نفسه، وعن إرادته وأن يرى الله تعالى حقاً، وما سواه باطلاً في ذاته حقاً بإيجاده واختراعه، وأن له تعالى حكماً ولطائف في كل ما يوجده وإن خفي علينا كنهه، ومن خاصيته أن من أكثر من ذكره ثبته الله تعالى على الطاعات، وأظهر له حقائق الأمور، وأطلعه على خفيات الأسرار، وبغض إليه الباطل وجعل حكمته قاهرة غالبة، وهو من الأسماء العظيمة القدر وبه يثبت الله الذين آمنوا، وهو سيف الله في الأرض يقطع به حبال الباطل، والمنخلق بهذا الاسم يشهد مصنوعات الله تعالى كلها حقاً، وأن ما نطق به الكتاب حقاً، ويشهد كل حركة وكل نفس، وكل فعل هو من فعل الحق، وتسمع وتشاهد وتبصر وتتكلم بها على اختلاف أنواع تركيبها، ومن خاصيته أيضاً أن يكتب في كاغد مربع على أركانه الأربع من جعله في كفه سحراً، ورفعه إلى السماء فإن الله يكفيه ما أهمه، والذكر الثاني الذي يليق بالمربي في ثاني أمره هو الذكر باسمه تعالى يا حي يا حي، لأنه الذي يزول به الفناء، ويحصل البقاء، قال شيخنا رضي الله عنه، وأرضاه في مطية المجد تكريره يا حي يا حي هنا يصير حياً باقياً بعد الفناء، وكلما اشتغلت بهذا الاسم زال فناؤك، وبقيت بالحي واتصفت بالصفات الكمالية، وهي معنى كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، وفي الجمل الحي هو الذي لا يموت فهو الباقي أزلاً وأبداً، وحظ العبد منه السعي في

تحصيل الشهادة، لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، واعلم أنه لا يجوز إطلاق الحيوان على الله تعالى مع أنه يجوز إطلاق لفظ الحي عليه، والفرق هو التوقيف اهـ كلام الجمل، وفي روح البيان عند قوله هو الحي لا إله إلا هو، أن معنى الحي المنفرد بالحياة الذاتية الحقيقية لا يموت ويميت الخلق، وفي التأويلات النجمية هو الحي أي له الحياة الحقيقية الأزلية الأبدية، ومن هو حي باحيائه من نور صفاته، كما قال تعالى: ﴿فاحييناه وجعلنا له نوراً﴾ [الأنعام: ١٢٢]. وقال: في روح البيان أيضاً عند آية الكرسي الحي في اللغة له الحياة، وهي صفة تخالف الموت والجمادية، وتقتضي الحس والحركة الإرادية، وأشرف ما يوصف به الإنسان الحياة الأبدية في دار الكرامة، وإذا وصف الباري عن شأنه بها، وقيل: أنه حي كان معناه الدائم الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء، فهو الموصوف بالحياة الأزلية الأبدية، قال الإمام الغزالي في شرح الأسماء الحسنى: الحي هو الفعال الدراك حتى إن من لا فعل له أصلاً، ولا إدراك فهو ميت، وأقل درجات الإدراك أن يشعر المدرك بنفسه فما لا يشعر بنفسه، فهو الجماد والميت فالحي الكامل المطلق هو الذي تندرج جميع المدركات تحت إدراكه، وجميع الموجودات تحت فعله حتى لا يشذ عن علمه مدرك، ولا عن فعله مفعول، وذلك هو الله تعالى فهو الحي المطلق، وكل حي سواه لحياته بقدر إدراكه وفعله، وفي بعض شروح الأسماء الحي هو الموصوف بالحياة التي لا يجوز عليها فناء، ولا موت ولا يعتريها قصور ولا عجز لا تأخذه سنة ولا نوم، ومن خاصيته ثبوت الحياة في كل شيء ومن داوم عليه عدده بأثر الفرائض أحيا الله ذكره في الأنام، ومن تلاه ثلاثمائة ألف لم يمرض أو قل مرضه، قلت: ومن أحسن أوصاف تلك التلاوة أن يستعمله المرء سبعة آلاف ليلاً وخمسة آلاف نهاراً، فالجميع اثنا عشر حتى تتم ثلاثمائة ألف هكذا، وهي خلوة نفيسة ولها تأثير عظيم لأهل البدايات والنهايات، ويروى أن من داوم على ذكره زيد في بقائه في الدنيا وأحيا الله تعالى قلبه بنور التوحيد، والمتقرب بهذا الاسم تحيي أنفاسه بالذكر إذ كل نفس يخرج بالذكر حي وقلب غافل ميت وتحيي معدته بتقليل الطعام، ويحيي جسده بالطهارة الدائمة ليلاً ونهاراً، وتقضي حوائجه ظاهراً وباطناً، والذكر الثالث الذي يليق بالمربي في ثالث أمره هو الذكر باسمه تعالى القيوم، لأنه الذي يحصل به شهود أن ربنا قيوم على كل شيء يحفظه ويرزقه، قال: الجمل القيوم القائم المقيم لغيره، وقيل: الدائم الباقي فيكون تأكيداً للحي، وقيل: مبالغة في قيامه بتدبير خلقه وحصول الاستغناء به عن كل ما سواه القائم عن كل نفس بما كسبت وحظ العبد منه كمال تمكنه بأن يلتفت إلى الأسباب، ويشهد أن المسببات صادرة من عين القدرة، وأن ترتبها على الأسباب أمر ظاهري فقط، واعلم أن من عرف أنه سبحانه هو القائم والقيم، والقيام والقيوم انقطع قلبه عن الخلق، قال أبو يزيد رحمه الله: حسبك من التوكل أن لا ترى لنفسك ناصراً غيره، ولا لرزقك

خازنا غيره، ولا لعملك شاهداً غيره، وقال في روح البيان: القيوم من قام بالأمر إذا دبره مبالغة القائم فإنه تعالى دائم القيام على كل شيء بتدبير أمره في انشائه وترزيقه، وتبليغه إلى كماله اللائق به وحفظه.

قال الإمام الغزالي: اعلم أن الأشياء تنقسم إلى ما يفتقر إلى محل كالإعراض والأوصاف، فيقال فيها: أنها ليست قائمة بنفسها، وإلى ما لا يحتاج إلى محل، فيقال أنه قائم بنفسه كالجواهر إلا أن الجوهر، وإن قام بنفسه متسغنياً عن محل يقوم به فليس مستغنياً عن أمور لا بد منها لوجوده، وتكون شرطاً في وجوده فلا يكون قائماً بنفسه، لأنه محتاج في قوامه إلى وجود غيره، وإن لم يحتج إلى محل فإن كان في الوجود موجود يكفي ذاته بذاته، ولا قوام له بغيره، ولا شرط في دوام وجوده وجود غيره، فهو القائم بنفسه مطلقاً فإن كان مع ذلك يقوم به كل موجود حتى لا يتصور للأشياء وجود، ولا دوام وجود إلا به فهو القيوم، لأن قوامه بذاته وقوام كل شيء به، وليس ذلك إلا الله تعالى، ومدخل العبد في هذا الوصف بقدر استغنائه عما سوى الله تعالى اهـ كلام الغزالي قيل: الحي القيوم اسم الله الأعظم، وكان عيسى عليه الصلاة والسلام إذا أراد أن يحيي الموتى يدعو بهذا الدعاء، يا حي يا قيوم ويقال: دعاء أهل البحر إذا خافوا الغرق، يا حي يا قيوم، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما كان يوم بدر جئت أنظر ما يصنع النبي ﷺ، فإذا هو ساجد يقول: «يا حي يا قيوم»[1] وترددت مرات وهو على حاله لا يزيد على ذلك إلى أن فتح الله له، وهذا يدل على عظمة هذا الاسم، وفي التأويلات النجمية إنما أشير في معنى الاسم الأعظم إلى هذين الاسمين، وهما الحي والقيوم، لأن اسمه الحي مشتمل على جميع أسمائه وصفاته، فإن من لوازم الحي أن يكون قادراً عالماً سميعاً بصيراً متكلماً مريداً باقياً واسمه القيوم، مشتمل على افتقار جميع المخلوقات إليه، فإذا تجلى الله لعبد بهاتين الصفتين، فالعبد يكاشف عند تجلي صفة الحي معاني جميع أسمائه وصفاته، ويشاهد عند تجلي صفة القيوم فناء جميع المخلوقات إذا كان قيامها بقومية الحق لا بأنفسهم، فلما جاء الحق زهق الباطل، فلا يرى في الوجود إلاّ الحي القيوم إذا سلب الحي جميع أسماء الله، .وسلب القيوم قيام المخلوقات فترتفع الأثنينية بينهما، وإذا فني التعدد وبقيت الوحدة فيصيران اسماً أعظم للمتجلي له، فيذكره عند شهود عظمة الوحدانية بلسان عيان الفردانية لا بلسان الإنسانية، فقد ذكره باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى.

فأما الذاكر عند غيبة فبكل اسم دعاه لا يكون الاسم الأعظم بالنسبة إلى حال غيبه، وعند شهود العظمة فبكل اسم دعاه يكون الاسم الأعظم كما سئل أبو يزيد البسطامي قدس

---

(١) أخرجه الترمذي (دعوات، ٩١)، والنسائي (سهو، ٥٨)، وأحمد بن حنبل (٣،١٥٨، ٢٤٥).

سره عن الاسم الأعظم، فقال: الاسم ليس له حد محدود، ولكن فرغ قلبك لوحدانيته فإذا كنت كذلك فاذكره بأي اسم شئت اهـ، ما في التأويلات، واعلم أن الاسم الأعظم عبارة عن الحقيقة المحمدية، فمن عرفها عرفه، وهي صورة الاسم الجامع الإلهي، وهو ربها، ومنه الفيض فاعرف تفز بالحظ الأوفى، وروى عنه ﷺ: «اسم الله الأعظم في ثلاث سور في سورة البقرة الله لا إله إلا هو الحي القيوم، وفي آل عمران الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم، وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم»[1]. ومن خاصية القيوم حصول القيام، والقيومية ذاتاً وصفانا قولاً وفعلاً، فمن ذكره مجرداً أذهب الله عنه النوم، ومن ذكر يا حي يا قيوم من مبدإ الفجر إلى طلوع الشمس، فيجد ذاكره من الخصلة والنهضة والتوفيق ما لا مزيد عليه لا سيما إن استدام ذلك سبعة أيام متوالية.

ومن أراد أن يحيي قلبه فلا يموت أبداً، فليقل كل يوم بين ركعتي الفجر وصلاة الصبح: يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت أربعين مرة، ومن كرر اسمه القيوم في السحر كان له التصرف في قلوب الناس، ومن أدام ذكره أقام الله أمره ظاهراً وباطناً، فإن كان صاحب حال صادقة أقام الله به كل شيء، ولذلك طلب من صاحب هذا المقام أعني مقام المرضية التكثير منه حتى يصل به إلى مقام الكمال الأكمل والجلال الأجمل الذي ما بعده للواصلين مقام، لأنه مقام القطبانية الكبرى في الأنام، فالقيوم صريخ بإحاطة توحيده بكل اسم من أسمائه في كل ظاهر من الخلق، وباطن من الأمر وبرزخ بينهما، لأنه القائم بنفسه لا يفتقر إلى غيره، وهو القائم بغيره من خلقه، فهو القائم بأول الأمور وآخرها وباطنها وظاهرها، وفي القاموس القيوم والقيام الذي لا ندله من أسمائه عز وجل، ومن خواص هذين الاسمين ما نظمه بعض الفضلاء، وجعل معهما وهاب بقوله:

أتطلب أن تكون كثير مال	ويسمع منك قولك في المقال
ومن كل النساء ترى وداداً	تسر به ومن كل الرجال
ويأتيك الغنى وترى سعيداً	مهاباً مكرماً وكثير مال
وتكفي كل حادثة وضر	من الأمرا وممن كان وال
فقل يا حي يا قيوم ألفا	مكملة على مر الليالي
بليل أو نهار إن فيما	أشرت إليه يرخص كل غال
فلازم ما ذكرت ولا تدنه	ففيه تبلغ الرتب العوال
وفي ذكراك يا وهاب سر	ينيلك ما تريد من السؤال
وتكبر عند كل الناس طراً	وتقبض باليمين وبالشمال

---

(١) أخرجه ابن ماجه (دعاء، ٩)، والدارمي (فضائل القرآن، ١٤، ١٥)، وأحمد بن حنبل (٦، ٤٦١).

ويروى أن آية الكرسي هي سيدة آيات القرآن، ويكفي في استحقاقها السيادة أن فيها الحي القيوم، وهو الاسم الأعظم كما ورد في الخبر عن سيد المرسلين ﷺ، وتذاكر الصحابة أفضل ما في القرآن، فقال لهم علي: أين أنتم من آية الكرسي، ثم قال رسول الله ﷺ: «يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان، وسيد الروم صهيب، وسيد الحبشة بلال، وسيد الجبال الطور، وسيد الأيام يوم الجمعة، وسيد الكلام القرآن، وسيد القرآن البقرة، وسيد البقرة آية الكرسي». وعن علي كرم الله وجهه قال، قال رسول الله ﷺ: «ما قرئت هذه الآية في دار إلا هجرتها الشياطين ثلاثين يوماً، ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة، يا علي علمها ولدك وأهلك وجيرانك فما نزلت آية أعظم منها»، وعن علي أيضاً سمعت نبيكم على أعواد المنبر، وهو يقول: «من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت، ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد، ومن قرأها إذا أخذ مضجعة آمنة الله على نفسه وجاره وجار جاره والآبيات حوله»[1]، وعن محمد بن أبي بن كعب عن أبيه أن أباه أخبره أنه كان له جرن فيه خضر، فكان يتعاهده فوجده ينقص فحرسه ذات ليلة، فإذا هو بدابة تشبه الغلام المحتلم، قال: فسلمت فرددت عليها السلام، وقلت: من أنت جن أم أنس، قالت: جن، قلت: ناوليني يدك فناولتني يدها، فإذا يد كلب وشعر كلب، فقلت: هكذا خلقة الجن، قالت: لقد علمت الجن من فيهم أشد مني، قلت: ما حملك على ما صنعت، قالت: بلغني إنك رجل تحب الصدقة فأحببنا أن نصيب من طعامك، فقال لها أبي: فما الذي يجيرنا منكم، قالت: هذه الآية التي في سورة البقرة: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ [البقرة: ٢٥٥] من قالها حين يصبح أجير منا حتى يمسي، ومن قالها حين يمسي أجير منا حتى يصبح.

فلما أصبح أتى النبي عليه السلام فأخبره، فقال النبي عليه السلام: «صدق الخبيث» وروى أن رجلاً أتى شجرة أو نخلة فسمع فيها حركة فتكلم فلم يجب، فقرأ آية الكرسي، فنزل إليه الشيطان، فقال: أن لنا مريضاً فبم نداويه؟ فقال: بالذي أنزلتني به من الشجرة، وخرج زيد بن ثابت إلى حائط له فسمع فيه جلبة، فقال: ما هذا، قال: رجل من الجان أصابتنا السنة فأردنا أن نصيب من ثماركم أفتطيبونها، قال: نعم، فقال له زيد بن ثابت: ألا تخبرني بالذي يعيذنا منكم، قال آية الكرسي، وبالجملة إن آية الكرسي من أعظم ما ينتصر به على الجن، فقد جرب المجربون الذين لا يحصون كثرة أن لها تأثيراً عظيماً في طرد الشياطين عن نفس الإنسان، وعن المصروع، وعن من تعينه الشياطين مثل أهل الشهوة

---

(١) أخرجه البخاري (توحيد، ١٣)، ومسلم (ذكر، ٥٧، ٥٩)، والترمذي (دعوات، ١٩)، والنسائي (صيام، ٧٠)، وابن ماجه (دعاء، ١٥)، والدارمي (استئذان، ٥١)، وأحمد بن حنبل (١، ١١، ٢، ٧٩، ٢٠٥، ٢٨٥، ٣٠٠، ٥، ١٥٤، ٣٨٧، ٣٩٩، ٦، ٢٨٧).

والطرب وأرباب سماع المكاء، والتصدية، وأهل الظلم، والغضب إذا قرأت عليهم بصدق كما في أكام المرجان في أحكام الجان قاله روح البيان، وكل ما وقع بطريق الحال وجد عنده التأثير بخلاف ما وقع بطريق الفال فقط، ولذا ترى أكثر الناس محرومين، وإن دعوا بالاسم الأعظم اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها، وهذه الآية الكريمة منطوية على أمهات المسائل الإلهية المتعلقة بالذات العلية، والصفات الجلية فإنها ناطقة بأنه تعالى موجود متفرد بالألوهية متصف بالحياة واجب الوجود لذاته، موجود لغيره لما أن القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبره من التغير والفتور لا مناسبة بينه وبين الأشباح، ولا يعتريه ما يعتري النفوس والأرواح مالك الملك والملكوت، ومبدع الأصول والفروع ذو البطش الشديد لا يشفع عنده إلا من أذن له فهو العالم وحده بجميع الأشياء جليها وخفيها كليها وجزءيها، واسع الملك، والقدرة لكل ما من شأنه أن يملك ويقدر عليه، ولا يشق عليه شاق ولا يشغله شأن عن شأن متعال عما تناله الأوهام عظيم لا تحدق به الأفهام، ولذلك قال عليه السلام: «إن أعظم آية في القرآن آية الكرسي من قرأها بعث الله له ملكاً يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته إلى الغد من تلك الساعة»، يعني أنها صارت آية الكرسي أعظم الآيات لعظم مقتضاها، فإن الشيء إنما بشرف ذاته ومقتضاه ومتعلقاته، وآية الكرسي افتضت التوحيد في خمسين حرفاً أي كلمة، وسورة الإخلاص في خمسة عشر حرفاً، قال الإمام، في الاتقان: اشتملت آية الكرسي على ما لم تشتمل عليه آية في أسماء الله تعالى، وذلك أنها مشتملة على سبعة عشر موضعاً فيها اسم الله تعالى ظاهراً في بعضها ومستكناً في بعض، وهي: الله، هو، الحي، القيوم، وضمير لا تأخذه، وله، وعنده، وبإذنه، ويعلم، وعلمه، وشاء، وكرسيه، ويؤوده، وضمير حفظهما المستتر الذي هو فاعل المصدر، وهو، العلي، العظيم، وسيأتي مزيد في فؤادها إن شاء الله في الباب الرابع من هذا الكتاب.

(واعلم) أن خواص الحي القيوم على وجهين أحدهما لأهل البدايات، والثاني لأهل النهايات، ولذلك لا ينبغي لأحد من أهلهما أن يخلو عن ذكرهما، وأقل ذلك لأهل البدايات ألف، وتحصل بمائتين بأثر كل فريضة.

وأما أهل النهايات فهم بحسب الحال والمقام، وربما كان القليل منهم أكثر من كثير من غيرهم لما لهم من تمام الحضرة.

(والذكر الرابع): الذي يليق بالمربي في رابع أمره هو الذكر باسمه تعالى القهار، لأنه لما شاهد أن القيوم هو الذي يحصل به شهود أن ربنا قيوم على كل شيء يحفظه ويرزقه ينبغي له أن يشاهد مع ذلك أنه القهار، لأن القهار مبالغة في القهر والقهر في اللغة الغلبة، وصرف الشيء عما طبع عليه على سبيل الإلجاء، فيرجع إلى القدرة على المنع، وقيل:

نفس المنع فمن قهره جمعه بين الطبائع المتنافرة وإسكان الروح اللطيف النوراني في البدن الكثيف المظلم، ومن قهره تسخير الأفلاك الدائرة، وجمع الخلائق في مشيئته ومنع العقول من الوصول إلى كنه حقيقته، ولا يحيطون به علماً، ومعناه الذي يقصم ظهور الجبابرة فيقهرهم بالإماتة، والاذلال والإهلاك، فهو من أسماء الأفعال، وقيل: هو الذي قهر قلوب الطالبين فأنسها بلطف مشاهدته، وقيل: هو الغالب جميع الخلائق وحظ العبد منه قهر النفس الأمارة بالسوء، والأضرار بالقوى الشهوانية والغضبية وتضييق مجاري الشيطان بالصوم، قال تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، قاله الجمل قلت: فإذا شاهد ذلك المشهد من القهار علم عين يقين، أنه القهار حقاً حتى يرى من قهره أنه قهر العدم حتى أوجد فيه الوجود، وقهر الوجود حتى أوجد فيه العدم فيتحصل له من ذلك شهود التفرد بالألوهية للإله، والغلبة له على كل شيء سواه، قال تعالى: ﴿قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار﴾ [الرعد: ١٦]، أي خالق كل شيء من الأجسام والأعراض المتوحد بالألوهية الغالب على كل شيء فما سواه مقهور مغلوب له، قال روح البيان: وفي التأويلات النجمية الواحد في ذاته وصفاته القهار لمن دونه، أي هو الواحد في خلق الأشياء، وقهرها لا شريك له فيه ولا في المطلوبية والمحبوبية، فالعارف لا يطلب غير الله، ولا يرى في مرآة الأشياء إلا الله، وفي الآية إشارة إلى أنه تعالى خالق الخير والشر، روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ أقبل أبو بكر وعمر في جماعة من الناس فلما دنوا سلموا على رسول الله فقال بعض القوم: يا رسول الله قال أبو بكر: الحسنات من الله والسيئات منا، وقال عمر: الحسنات والسيئات كلها من الله تعالى فتابع بعض القوم أبا بكر، وبعض القوم عمر فقال عليه السلام: «ما أقضي بينكما إلا كما قضى إسرافيل بين جبريل وميكائيل، أما جبريل فقال: مثل مقالتك يا عمر، وأما ميكائيل فقال مثل مقالتك يا أبكر»، فقال جبريل: إذا اختلف أهل السماء اختلف أهل الأرض فهل نتحاكم إلى إسرافيل فقصا عليه القصة فقضى بينما أتى القدر خيره وشره من الله تعالى، ثم قال النبي عليه السلام: «فهذا قضائي بينكما»، ثم قال: «يا أبا بكر لو شاء الله أن لا يعصي في الأرض لم يخلق إبليس» اهـ ثم أن هذا الاسم إذا شرب الولي مشربه الخاص، وظفر منه بالقرب الذي بلا تناص علم بحق اليقين أن هذا الاسم جار في كل الأسماء والصفات، وفي كل جوهر من جواهر وإعراض المخلوقات يصير مستغرقاً في شهود بروز الحركات والسكنات من عين قهره بالأحياء والإماتة، فسبحانه من قاهر على كل شيء قدير، وهو القاهر فوق عباده، وهو الحكيم الخبير، وهو القاهر أي القادر الذي لا يعجزه شيء مستعلياً فوق عباده، وهو الحكيم أي في كل ما يفعله ويا من به الخبير بأحوال عباده وخفايا أمورهم صور قهره تعالى، وعلو شأنه بالعلو الحسي فعبر عنه بالفوقية بطريق الاستعارة

التمثلية فقوله: وهو القاهر فوق عباده عبارة عن كمال القدرة، كما أن قوله: وهو الحكيم الخبير عبارة عن كمال العلم، قال المولى الفناري في تفسير الفوقية من حيث القدرة لا من حيث المكان لعلو شأنه تعالى عن ذلك، فإنه تعالى قاهر الممكنات معدومة كانت أو موجودة، لأنه يقهر كل واحد منهما بضده، فيقهر المعدومات بالإيجاد والتكوين والموجودات بالإفناء والإفساد، وفي التأويلات النجمية، وقد عم قهره جميع عباده فقهر الكفار بموت القلوب، وحياة النفوس إذا أخطأهم النور المرشش على الأرواح في بدء الخلقة فضلوا في ظلمات الطبيعة، وما اهتدوا إلى نور الشريعة، وقهر نفوس المؤمنين بأنوار الشريعة فأخرجهم من ظلمات الطبيعة بالقيام على طاعته، وقهر قلوب المحبين بلوعات الاشتياق فآنسها بلطف مشاهده، وقهر أرواح الصديقين بسطوات تجلي صفات جلاله، وبالجملة لا ترى شيئاً سواه إلا وهو مقهور تحت أعلام عزته، وذليل في ميادين صمديته فعلى العبد أن يعرف مولاه، ويشتغل بعبوديته، وهو الله تعالى الذي خلق كل شيء وأجده وقهره.

(وحكي) عن الشيخ عبد الواحد بن يزيد قدس سره، قال: كنت في مركب فطرحتنا الريح إلى جزيرة، وإذا فيها رجل يعبد صنماً فقلنا له: يا رجل من تعبد؟ فأومأ إلى الصنم، فقلنا له: إن إلهك هذا مصنوع، وعندنا من يصنع مثله ما هذا باله يعبد، قال: فأنتم من تعبدون؟ قلنا: نعبد الذي في السماء عرشه، وفي الأرض بطشه، وفي الأحياء والأموات قضاؤه تقدست أسماؤه، وجلت عظمته وكبرياؤه، قال: ومن أعلمكم بهذا؟ قلنا: وجه إلينا رسولاً كريماً فأخبرنا بذلك، قال: ما فعل الرسول فيكم؟ قلنا: لما أدري الرسالة قبضه الملك إليه، واختار له ما لديه، قال: فهل ترك عندكم من علامة؟ قلنا: نعم ترك عندنا كتاباً للملك قال: فأروني كتاب الله، فإنه ينبغي أن تكون كتب الملوك حسناً فآتيناه بالمصحف، فقال: ما أعرف هذا فقرأنا عليه سورة، فلم يزل يبكي حتى ختمنا السورة، فقال: ينبغي لصاحب هذا الكلام أن لا يعصى، ثم أسلم وحسن إسلامه، ثم مات بعد أيام على أحسن حال، والحمد لله الكبير المتعال في الغدو والآصال إنه هو المعبود المقصود، وإليه يئول كل أمر موجود قاله: روح البيان، فسبحان الله القاهر لكل خطره ولحظة، وهو القاهر فوق عباده، ويرسل عليكم حفظة أي وهو القاهر مستعلياً فوق عباده أي المتصرف في أمورهم لا غيره، يفعل بهم ما يشاء إيجاداً واعداماً وإحياء وإماتة وتعذيباً وإثابة إلى غير ذلك، ويجوز أن يكون فوق خبراً بعد خبر، وليس معنى فوق المكان لاستحالة إضافة الأماكن إلى الله تعالى، وإنما مع معناه الغلبة والقدرة، ونظيره فلان فوق فلان في العلم أي أعلم منه قوله، ويرسل عليكم حفظة عطف على الجملة الاسمية قبلها أي يرسل عليكم أيها المكلفون خاصة ملائكة تحفظ أعمالكم، وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه أن المكلف إذا علم أن أعماله

تكتب عليه، وتعرض على رؤوس الأشهاد كان أزجر عن المعاصي، وإن العبد إذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمة المطلعين عليه، ورد في الخبر أن على كل واحد منا ملكين بالليل وملكين بالنهار يكتب أحدهما الحسنات، والآخر السيئات، وصاحب اليمين أمير على صاحب الشمال، فإذا عمل العبد حسنة كتبت له بعشرة أمثالها، وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتب قال له صاحب اليمين: امسك فيمسك عنه ست ساعات أو سبع ساعات، فإن هو استغفر الله لم يكتب عليه، وإن لم يستغفر كتب سيئة واحدة، فإن قلت: هل تعرف هؤلاء الملائكة العزم الباطن كما يعرفون الفعل الظاهر، قلت: نعم لأن الحفظة تنتسخ من السفرة، وهي في الخزنة التي وكلت باللوح، وقد كتب فيه أحوال العوالم وأهاليها من السرائر والظواهر، فبعد وقوفهم على ذلك يكتبون ثانياً من أول اليوم إلى آخره، ومن أول الليل إلى آخره حسبما يصدر عن الإنسان، وقيل: إذا هم العبد بحسنه فاح من فيه رائحة المسك فيعلمون بهذه العلامة فيكتبونها، وإذا هم بسيئة فاح منه ريح النتن، فإن قلت: الملائكة التي ترفع عمل العبد في اليوم أهم الذين يأتون غداً أم غيرهم، قلت: قال بعض العلماء الظاهر إنهم هم، وأن ملكي الإنسان لا يتغيران عليه ما دام حياً، وقال بعض المشايخ: من جاء منهم لا يرجع أبداً مرة أخرى، ويجيء آخرون مكانهم إلى نفذا العمر، واختلف في موضع جلوس الملكين، وفي الخبر النبوي نقوا أفواهكم بالخلال، فإنها مجلس الملكين الكريمين الحافظين، وإن مدادهما الريق وقلمهما اللسان، وليس عليهما شيء أمر من بقايا الطعام بين الأسنان ولا يبعد أن يوكل بالعبد ملائكة سوى هذين الملكين كل منهما يحفظه من أذى كما جاء في الروايات، وقد جمح بنا القلم هنا إلى ما ليس من هذا القبيل للفائدة، ثم إنه إذا تمكن تجلى هذا الاسم الذي هو القهار من قلب الكامل شاهد كل شيء تحت قهره تعالى من إيجاد وإعدام، وما يترتب عليهما وينظر سريان سر أسمائه تعالى كلها بذلك الاسم، فأول ما يجاهد سريانه فيه أول ما يدخل به المرء الإسلام، وهو الذكر الذي يليق بأهل الإمارة، وتقدم أنه ما من مقام إلا ويوافق أهله، وهو الذكر بكلمة الإخلاص أعني لا إله إلا الله فيتجلى له فيه كل نفي، وما يدخل تحته من إعدام وكل إثبات وما يدخل تحته من إيجاد بقهره تعالى، فالمنفي منفي بقهره، والموجود موجود بقهره تعالى، ثم يتلوا ذلك شهوده في سلطان الأسماء الموصوف بها في المنع والعطاء والبدء والانتهاء، أعني الله الذي هو مخرج الأشياء من العدم فيشاهده قهر تعالى سارياً بذلك الاسم في كل شيء، أيضاً إيجاداً وإعداماً ونقصاناً وإتماماً، ومن هذا الاسم يشهد إنبثاث سر القهر من الرحمة والعذاب إلى الأشياء من أسماء الرحمة نحو الرحمن الرحيم اللطيف الكريم الوهاب ذي الجلال والإكرام، ومن أسماء العذاب نحو الشديد المنتقم المميت ونحو ذلك، فإذا حصل للمربي هذا الشهود الذي هو الغاية

القصوى، والمطلوب في السر والنجوى طولب العبد بالتأدب بالآداب الربانية، وخوطب بطلب التخلق بالأخلاق الرحمانية فيتقابل كل حال بما يليق به من الأسماء في كل حالة من أحوال المنع والعطاء، فإن كان يطلب مثلاً لأحد أو لنفسه زوال النسيان والغفلة استعمل يا رحمن مائة بأثر كل فريضة، وأن كان يطلب الشفقة من الخلق أو عليه قال: يا رحيم كل يوم مائة وإن كان خائفاً من الوقوع في مكروه ذكرهما معاً أو حملهما، وإن كان خائفاً من سلطان أو ملك فليقل: كل يوم يا ملك مائة مرة، وإن كان يريد صفاء القلب فليقل: عند الزوال كل يوم يا قدوس مائة، وإن كان يريد شفاءه أو شفاء غيره من مرض، فليقل لذلك: يا سلام مائة وإحدى وعشرين، وإن كان يريد الإخبار بالعلم الظاهر والباطن فليدم على مائة من يا مهيمن بعد صلاة العشاء، وإن كان يريد الغني عن الناس فليدم إحدى وأربعين من يا عزيز بعد صلاة الصبح، وإن كان يريد الحفظ من كل ظالم فليقرأ الجبار إحدى وعشرين بعد الوضوء أو بعد المسبعات.

(والمراد بالمسبعات): الفاتحة سبعاً والمعوذتان سبعاً، وقل هو الله أحد سبعاً، وقل يا أيها الكافرون سبعاً وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبعاً، والصلاة على النبي ﷺ سبعاً، ويستغفر المرء لنفسه ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم، والأموات سبعاً، ويقول: اللهم افعل بي وبهم خيراً عاجلاً وآجلاً في الدنيا والآخرة ما أنت أهله، ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن أهله، فإنك غفور حليم جواد كريم رؤوف رحيم سبعاً، وهذه المسبعات تقرأ قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها ويذكر لها من الفضل ما لا يحصى حتى يروى أنها لا تحتاج إلى شيخ، وأن من استدامها لا يخرج من الدنيا حتى يرى الجنة، ويأكل من ثمارها، ويرى النبي ﷺ والملائكة وغير وغير، وهكذا يقابل كل حال بما يليق به أدباً مع الله فيدعو الجائع باسمه الصمد، والمقيت والتائه باسمه الهادي والرشيد والفقير يدعو باسمه والمغني والضعيف يدعوا الغني باسمه القوي والمتين، ويدعو الذليل باسمه العزيز والعظيم ويدعو المكروب باسمه اللطيف، والواسع والعاجز بالعليم والقادر والقاهر والبليد بالعليم والمحصى والمريض بالشافي والمعافي فافهم تبلغ الوطر بلا خطر، **(حكاية)** قال لي شيخنا رضي الله عنه وأرضاه، وجعل في أعلى الفردوس مثواه إنه لبث برهة من الزمن إن أراد الغيث يأتي يقول: يا شديد البطش ونحوه من أسماء الشدة، وأن ينتقم من أحد بهلاك ونحوه يقول: يا رحيم أو يا رحمن ونحوهما من أسماء الرحمة، وأن أراد شفاء مريض قال: أي كلمة كانت على لسانه حتى أنه ربما قال: على المريض عرعر ويقع الغرض المراد عنده من ذلك حتى تبين له أن الأدب ليس إلا في مقابلة كل شيء، بما قابله الله تعالى به فأسماء الرحمة للرحمة، وأسماء العذاب للعذاب، وأسماء الشفاء للمرض وغير ذلك، فصار يعامل كلاً بما يليق به، وهذا هو الأدب المطلوب في كل مرغوب ومرهوب، ومن آدابه في العبادة أن يكون سائراً فيها سير الواسط بلا إفراط، ولا تفريط ولا تقريب ولا تشطيط يأخذ في فرائض الصلاة بين التعجيل والتأخير، وفي فريضة الصوم بين التيسير والتعسير، وفي النوافل بين التقليل والتكثير، فيصلي ستاً بين المغرب والعشاء، وستاً بعد

العشاء، وأربعاً ضحى، وأربعاً قبل الظهر، وأربعاً بعده وأربعاً قبل العصر تلك ثمانية وعشرون على عدد المنازل.

وأما الأسماء فينبغي له أن لا يترك منها واحداً إلا وصار له منه ذكر مرة ليتخلق بأخلاقها، ويتحقق بتحقاقها لا سيما التسعة والتسعون، ولو أن يتلوها مجموعه مرة واحدة باثر كل فريضة، ويروى أن هذه التلاوة تؤدي للغني وحسن الخاتمة.

(فائدة) من قرأ أسماء الله الحسنى ثلاث مرات أو خمساً أو سبعاً، ثم قال: كهيعص يا حم عسق أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك أو أنزلته في محكم كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تصلي على سيدنا محمد ﷺ، وأن تفعل بي كذا وكذا في أمر الدين والدنيا والآخرة قضى الله تعالى بفضله حاجته إن شاء الله، فإذا تأدب المربي بتلك الآداب الربانية، وتخلق بتلك الأخلاق الأسمائية هان عليه التأدب مع جميع المخلوقات وأخرى مواريده، وجميع المتعلقات وعلى محمد أفضل السلام مع الصلاة.

(الباب الثاني في آدابه مع تلامذته)

(اعلموا) إخواني وفقني الله وإياكم لمرضاته، وحفظني وإياكم مما فيه سخطاته، أن المشايخ المريدين بمثابة الأباء للأولاد، فإن الشيخ في قومه كالنبي في أمته على ما قاله عليه السلام، وقال ﷺ: «إنا لكم كالوالد لولده»[1]، وقال روح البيان بعد كلامه على ظاهر يوصيكم الله ففي قوله تعالى: ﴿يوصيك﴾ [النساء: ١١] الآية إشارة إلى وصايات المشايخ والمريدين ووراثتهم في قرابة الدين، لقوله تعالى: ﴿أولئك هم الوارثون﴾ [المؤمنون: ١٠] فكما أن الوراثة الدنيوية بوجهين بالسبب والنسب، فكذلك الوراثة الدينية بهما.

أما السبب فهو الإرادة وليس خرقتهم والتبرك بزيهم والتشبه بهم وأما النسب فهو الصحبة معهم بالتسليم لتصرفات ولايتهم، ظاهراً وباطناً بصدق النية وصفاء الطوية مستسلماً لأحكام التسليك، والتربية ليتوالد السالك بالنشأة الثانية، فإن الولادة تنقسم على نشأتين النشأة الأولى، وهي ولادة جسمانية بأن يتولد المرء من رحم الأم إلى عالم الشهادة، وهو الملكوت كما حكى النبي عليه السلام عن عيسى عليه السلام أنه قال: «لن يلج ملكوت السموات والأرض» من لم يولد مرتين فالشيخ هو الأب الروحاني، والمريدون المتولدون من صلب ولايته هم الأولاد الروحانيون، وهم فيما بينهم أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال عليه السلام: «الأنبياء إخوة من علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد»، ولهذا قال عليه السلام: «كل حسب ونسب ينقطع إلا حسبي ونسبي» لأن نسبه كان بالدين كما سئل النبي ﷺ من آلك يا رسول الله قال: «آلي كل مؤمن تقي» وإنما يتوارث أهل الدين على قدر تعلقاتهم، السببية والنسبية والذكورة والأنوثة والاجتهاد، وحسن الاستعداد، وإنما مواريثهم العلوم الدينية واللدنية كما قال ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء وأن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر».

---

(١) أخرجه أبو داود (طهارة، ٤)، والنسائي (طهارة، ٣٥)، وابن ماجه (طهارة، ١٦)، وأحمد بن حنبل (٢، ٢٤٧، ٢٥٠).

(فائدة): من حق الولد على الوالد التسمية باسم حسن كأسماء الأنبياء، والمضاف إلى اسمه تعالى لأن الإنسان يدعى في الآخرة باسمه واسم أبيه، قال عليه السلام: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم»(١)، ولذا قيل: يستحب تغيير الأسماء القبيحة المكروهة، فإن النبي ﷺ، سمى المسمى بالعاصي مطيعاً، وجاء رجل اسمه المضطجع فسماه المنبعث، ومن حقه عليه الختان وهو سنة واختلفوا في وقته، قيل: لا يختن حتى يبلغ لأنه للطهارة، ولا طهارة عليه حتى يبلغ، وقيل: إذا بلغ عشر أو قيل: تسعاً والأولى تأخير الختان إلى أن يثغر الولد، ويظهر سنه لما فيه من مخالفة اليهود، لأنهم يختنون في اليوم السابع من الولادة، ومن حقه أن يرزقه بالحلال الطيب، وأن يعلمه علم الدين ويربيه بآداب السلف الصالحين، روى أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يعق عنه في اليوم السابع ويسمى ويماط عنه الأذى فإذا بل ست سنين أدب وإذا بلغ سبع سنين عزل فراشه وإذا بلغ عشر سنين ضرب على الصلاة وإذا بلغ ست عشرة زوجه أبوه ثم أخذ بيده وقال: قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة»(٢)، والحاصل أنه ينبغي أن لا يعتمد الإنسان على رأي نفسه، بل يكل أمره إلى الله، فإنه أعلم وأرحم قاله روح البيان، ومن آداب الشيخ مع تلامذته أن يكون لين الجانب لهم رقيق القلب عليهم، يعفوا عنهم فيما يتعلق بحقوقه، ويستغفر لهم فيما يتعلق بحقوقه تعالى، ويشاورهم في الأمور، قال عليه السلام: «ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم»، كما قال تعالى: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ولا علينا أن نتكلم على معنى هذه الآية، وبعض ما يتعلق بها لما في ذلك من الفائدة، فأقول قوله فبما رحمة من الله لنت لهم، ما مزيدة للتأكيد أي فبرحمة عظيمة لهم كائنة من الله تعالى، وهي ربطه على جأشه وتخصيصه بمكارم الأخلاق كنت لين الجانب لهم، وعاملتهم بالرفق، والتلطف بعدما كان منهم ما كان من مخالفة أمرك وإسلامك للعدو، ولو لم تكن كذلك، بل كنت فظاً جافياً في المعاشرة قولاً وفعلاً غليظ القلب قاسية غير رقيق فالفظ سيء الخلق، وغليظ القلب هو الذي لا يتأثر قلبه من شيء، فقد لا يكون الإنسان سيء الخلق، ولا يؤذي أحداً، ولكنه لا يرق لهم ولا يرحمهم، فظهر الفرق بينهما لانفضوا من حولك، أي لتفرقوا من عندك، ولم يسكنوا إليك وترددوا في مهاوي الردى فاعف عنهم فيما يتعلق بحقوقك كما عفا الله عنهم، واستغفر لهم فيما يتعلق بحقوقه تعالى إتماماً للشفقة عليهم وإكمالاً للبر بهم، وشاورهم في الأمر أي استخرج آراءهم، واعلم ما

(١) أخرجه أحمد بن حنبل (٥، ١٩٤)، وأبو داود (أدب، ٦١)، والدارمي (استئذان، ٥٩).

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل (٥، ١٧).

عندهم في أمر الحرب إذ هو المعهود أو فيه، وفي أمثاله مما تجري فيه المشاورة عادة استظهاراً بآرائهم وتطييباً لقلوبهم ورفعاً لأقدارهم، وتمهيداً لسنة المشاورة للأمة فإذا عزمت أي عقيب المشاورة على شيء، واطمأنت به نفسك، فتوكل على الله في إمضاء أمرك على ما هو أرشد وأصلح، فإن ما هو أصلح لك لا يعلمه إلا لله لا أنت، ولا من تشاور أن الله يحب المتوكلين عليه تعالى فينصرهم ويرشدهم إلى ما فيه خير لهم وصلاح، والتوكل تفويض الأمر إلى الله، والاعتماد على كفايته قال الإمام: دلت الآية على أنه ليس التوكل أن يهمل الإنسان نفسه كما يقوله بعض الجهال: وإلا لكان الأمر بالمشاورة منافياً للأمر بالتوكل، بل التوكل أن يراعي الإنسان الأسباب الظاهرة، ولكن لا يعول بقلبه عليها بل يعول على عصمة الحكمة، واعلم أن الله تعالى بين أن أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام يتفرقون عنه لو كان فظاً غليظاً مع أن اتباعه دين، وفراقه كفر فكيف يتوقع من يعامل الناس على خشونة اللفظ مع قسوة القلب أن ينقاد الناس كلهم له، ويتابعوه ويطاوعوه فاللين في القول أنفذ في القلوب وأسرع إلى الإجابة، وأدعى إلى الطاعة، ولذلك أمر الله موسى وهرون به فقال: فقولا له قولاً ليناً، قال الإمام في تفسيره اللين والرفق إنما يجوز إذا لم يفض إلى إهمال حق من حقوق الله، فأما إذا أدى إلى ذلك لم يجز، قال الله تعالى: ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾ [التوبة: ٧٣]، وقال للمؤمنين في إقامة حد الزنى، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله، والتحقيق أن طرفي الإفراط، والتفريط مذمومان، والفضيلة في الوسط فوره الأمر بالتغليط مرة وأخرى بالنهي عنه إنما كان لأجل أن يتباعد عن الإفراط، والتفريط، فيبقى على الوسط الذي هو الصراط المستقيم، ولهذا السر مدح الله الوسط فقال: ﴿كذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ [البقرة: ١٤٣]، قال عليه الصلاة والسلام: «لا تكن مراً فتعقي ولا حلواً فتسترط»، واعلم أن المقصود من البعثة أن يبلغ الرسول تكليف الله إلى الخلق، وهذا المقصود لا يتم إلا إذا مالت قلوبهم إليه، وسكنت نفوسهم لديه، وهذا لا ينم إلا إذا كان كريماً رحيماً يتجاوز عن ذنبهم، ويعفو عن إساءتهم، ويخصهم بوجوه البر والمكرمة والشفقة، فلهذه الأسباب وجب أن يكون الرسول متبرئاً من سوء الخلق، وحيث يكون كذلك وجب أن يكون غير غليظ القلب، بل يكون كثير التجاوز عن سيئاتهم كثير الصفح عن زلاتهم، فلهذا المعنى قال: ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك، ولو انفضوا من حولك فات المقصود من البعثة والرسالة، وهكذا ينبغي أن يكون علماء الآخرة والوارثون والمشايخ، فإن الناس على دين متبوعهم في الظاهر والباطن، وقلما يوجد من يتصف بالأخلاق الحسنة من المشايخ والعلماء في هذا الزمان، إلا من عصمه الله وهداه إلى التمسك بالشريعة والتحقق بآداب الحقيقة وهذه الحال ليست إلا لواحد بعد واحد، روى أنه خلا لأحنف المضروب به المثل في الحلم رجل فسبه سباً قبيحاً، فقام الأحنف، وهو يتبعه

فلما وصل إلى قومه وقف وقال: يا أخي إن كان قد بقي من قولك فضلة فقل: الآن ولا يسمعك قومي فتؤذي، فانظر إلى خلق الأحنف كيف عمل مع الرجل، وجامل وقال له رجل: دلني على المروءة فقال: عليك بالخلق الفسيح، والكف عن القبيح، قال نجم الدين في تأويلاته الكبرى: كل لين يظهر في قلوب المؤمنين بعضهم على بعض، فهو رحمة الله ونتيجة لطفه مع عباده لا من خصوصية أنفسهم، فإن النفس لأمارة بالسوء، وإن كانت نفس الأنبياء عليهم السلام اهـ وفي هذا الكلام تنبيه على أن الأنبياء، وإن كان سلوكهم من النفس المطمئنة إلى الراضية والمرضية والصافية إلى أن بلغوا مبلغ النبوة والرسالة، لكن نفوسهم متصفة بالأمارية كسائر الناس، ولكن الله يعصمهم من مقتضاها، فافهم فإنه محل اعتبار وامعان قاله روح البيان والفخر الرازي، ومن فوائدها لين الجانب أنه يصاد به الشارد ويحبه الصادر والوارد، ولذلك قال في إنسان العيون ومما لا يكاد يقضي منه العجب حسب تدبيره عليه السلام للعرب، الذين هم كالوحوش الشاردة كيف ساسهم واحتمل جفاهم، وصبر على أذاهم إلى أن انقادوا إليه، واجتمعوا عليه ﷺ، واختاروه على أنفسهم، وقاتلوا دونه أهلهم وآباءهم وأبناءهم، وهجروا في رضاه أوطانهم، وقد قلت له ﷺ ثلاث أبيات في هذا المعنى في بحر الخفيف لا بأس بالإتيان بها هي قولي:

يا رسول الله الذي أنت كنت — رحمة مرسلاً من اللّه أنت
أنت باللّه رحمة وبقول — فبما رحمة من اللّه لنت
قد رجونا ممن أنالك رحمي — رحمة أنت للمحبين صنت

ومن آدب الشيخ مع تلامذته أن يتواضع لهم، ويرفق بهم قال تعالى لنبيه الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم: ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ [الشعراء: ٢١٥]، أي ألن جانبك لهم، وقاربهم في الصحبة واسحب زيل التجاوز على ما يبدو منهم من التقصير، واحتمل منهم سوء الأحوال، وعاشرهم بجميل الأخلاق، وتحمل عنهم كلهم فإن حرموك فاعطهم وأن ظلموك فتجاوز عنهم، وإن قصروا في حقك فاعف عنهم واستغفر لهم، والخفض ضد الرفع، وجناح العسكر جانباه وهو حث على تليين الجانب والانقياد، وهو مستعار من خفض الطائر جناحه إذا أراد أن ينحط، فشبه التواضع ولين الأطراف والجوانب عند مصاحبة الأقارب والأجانب بخفض الطائر جناحه، أي كسره عند إرادة الانحطاط.

وأما الفاسق والمنافق فلا يخفض له الجناح إلا في بعض الأحوال إذ لكل من اللين والغلظة وقت دل القرآن، فلا بد من رعاية كل منهما في وقته، ومن أدبه معهم أن يجلس معهم في بعض الأوقات ويحثهم على الطاعات، ويبين لهم أسنى الطرقات، ولا يرفع عينه عنهم إلى غيرهم من المخلوقات، ولا يطرد فقيرهم لأجل غنى من سواهم لشيء من

الرغبات قال تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا﴾ [الكهف: ٢٨]، أي احبس نفسك وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يعني أنهم يشتغلون بالعبادة دائماً في جميع الأوقات، قال الفخر في قوله بالغداة والعشي وجوه، الأول المراد كونه مواظبين على هذا العمل في كل الأوقات، كقول القائل: ليس لفلان عمل بالغداة والعشي إلا شتم الناس، الثاني أن المراد صلاة الفجر والعصر، الثالث المراد أن الغداة هي الوقت الذي ينتقل الإنسان فيه من النوم إلى اليقظة، وهذا الانتقال شبيه بالانتقال من الموت إلى الحياة والعشي هو الوقت الذي ينتقل الإنسان فيه من اليقظة إلى النوم، ومن الحياة إلى الموت، والإنسان العاقل يكون في هذين الوقتين كثير الذكر لله عظيم الشكر لآلاء الله ونعمائه.

ثم قال تعالى: ﴿ولا تعد عيناك عنهم﴾ [الكهف: ٢٨] والمقصود من الآية أنه تعالى نهى رسول الله ﷺ عن أن يزدري فقراء المؤمنين، وأن تنبوا عيناه عنهم لأجل رغبته في مجالسته الأغنياء وحسن صورتهم، وقوله: تريد زينة الحياة نصب في موضع الحال، يعني إنك إن فعلت ذلك لم يكن إقدامك عليه إلا لرغبتك في زينة الحياة الدنيا، ولما بلغ في أمره بمجالسة الفقراء من المسلمين بالغ في النهي عن الالتفات إلى أقوال الأغنياء والمتكبرين، فقال: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه﴾، وكان أمره فرطا الغفلة معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقيقة الأمور، أي جعلت قلبه في فطرته الأولى غافلاً عن الذكر، ومختوماً عن التوحيد كرؤساء قريش والهوى مصدر هويه إذا أحبه واشتهاه، ثم سمي به المهوي المشتهي محموداً كان أو مذموماً، ثم غلب على غير المحمود وقيل: فلان اتبع هواه إذا أريد ذمه، ومنه فلان من أهل الهوى إذا زاغ عن السنة متعمداً، وحاصله ميلان النفس إلى ما تشتهيه، وتستلذه من غير داعية الشرع، قالوا: يجوز نسبة فعل العبد إلى نفسه من جهة كونه مقروناً بقدرته ومنه واتبع هواه، وإلى الله من حيث كونه موجداً له ومنه أغفلنا والفرطة بضمتين الظلم والاعتداء، والأمر المجاوز فيه عن الحد اهـ أي متقدماً للحق والصواب نابذاً له وراء ظهره من قولهم: فرس فرط أي متقدم للخيل، وفي التأويلات، وكان أمره فرطاً في متابعة الهوى هلاكاً وخسراناً، وفي الآية تنبيه على أن الباعث لهم إلى هذا الاستعداد إغفال قلوبهم عن ذكر الله واشتغالها بالباطل الفاني عن الحق الباقي، وعلى أن العبرة والشرف بحالة النفس وصفاء القلب وطهارة السراير لا بزينة الجسد وحسن الصورة والظواهر، وفي الحديث أن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، بل إلى قلوبكم وأعمالكم يعني إذا كانت لكم قلوب وأعمال صالحة تكونوا مقبولين مطلقاً سواء كانت لكم صورة حسنة وأموال فاخرة، أم لا، وإلا فلا مطلقاً، وكذا الحكم في الظاهر والباطن، فافهم روى أن الله لما اتخذ إبراهيم خليلاً قالت الملائكة يا رب أنه كيف يصلح للخلة وله شواغل من النفس والولد والمال

والمرأة، فقال تعالى: ﴿أنا لا أنظر صورة عبدي وماله بل إلى قلبه وأعماله﴾ ليس لخليلي محبة لغيري، فإن شئتم جربوه فجاء جبريل، وكان لابراهيم عليه السلام اثنا عشري كلباً للصيد ولحفظ الغنم وطوق كل كلب من الذهب إيذاناً بخساسة الدنيا وحقارتها، فسلم عليه جبريل، فقال لمن هذه؟ فقال لله: ولكن في يدي فقال: تبيع واحداً منها قال: اذكر الله وخذ ثلثها، فقال: سبوح قدوس رب الملائكة والروح فأعطى الثلث، ثم قال: اذكر ثانياً وخذ ثلثاً واذكره ثالثاً وخذ كلها برعاتها وكلاتها، ثم اذكره رابعاً، وأنا أقرأ لك بالرق، فقال الله تعالى: كيف رأيت خليلي يا جبريل قال: نعم العبد خليلك يا رب فقال إبراهيم لرعاة الغنم سوقوا الأغنام خلف صاحبي هذا فقال جبريل: لا حاجة لي إلى ذلك وأظهر نفسه، فقال: أنا خليل الله لا استرد هبتي فأوحى الله إلى إبراهيم أن يبيعها ويشتري بثمنها الضياع والعقار، ويجعلها وقفاً فأوقاف الخليل، وما يؤكل على مرقده الشريف من ثمنها، واعلم أن قدر الاذكار لا يعرفه إلا الكبار ألا ترى إلى الخليل، كيف فدى نفسه بعد إعطاء الكل بشرف ذكر الله وتعظيمه، فليسارع العشاق إلى ذكر القادر الخلاق، فإن صقيل القلوب ذكر علام الغيوب قال أهل التحقيق: إن كلمة التوحيد لا إله إلا الله إذا قالها الكافر تنفي عنه ظلمة الكفر، وتثبت في قلبه نور التوحيد، وإذا قالها المؤمن: تنفي عنه ظلمة النفس وتثبت في قلبه نور الوحدانية، وإن قالها في كل يوم ألف مرة تنفي عنه شيئاً لم تنفه في المرة الأولى فإن مقام العلم بالله لا ينتهي إلى الأبد وفي الحديث جلوسك ساعة عند حلقة يذكرون الله خير من عبادة ألف سنة كما في مجالس الهداءي قدس سره، والذكر يوصل إلى حضور المذكور وشهوده في مقام النور، ثم إنه تعالى أردف هذه الآية بقوله: ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ [الكهف: ٢٩] أي وقل لأولئك الغافلين المنعين هواهم الحق ما يكون من ربكم من جهة الله لا ما يقتضيه الهوى، فإنه باطل أو هذا الذي أوحى إلى هو الحق كائناً من ربكم، فقد جاء الحق وانزاحت العلل، فلم يبق إلا اختياركم لأنفسكم مما شئتم مما فيه النجاة والهلاك، وفي التأويلات الجمية، وقل الحق من ربكم في التبشير والإنذار وبيان السلوك لمسالك أرباب السعادة، والاحتراز عن مهالك أصحاب الشقاوة فمن شاء فليؤمن من نفوس أهل السعادة، ومن شاء فليكفر من قلوب أهل الشقاوة في الإرشاد، فمن شاء فليؤمن كسائر المؤمنين، ولا يتعلل بما لا يكاد يصلح للتعليل، ومن شاء فليكفر لا أبالي بإيمان من آمن وكفر من كفر فلا أطرد المؤمنين المخلصين لهواكم لرجاء إيمانك بعد ما تبين الحق، ووضح الأمر وهو تهديد ووعيد لا تخيير أراد أن الله لا ينفعه إيمانكم، ولا يضره كفركم فإن شئتم فآمنوا، وإن شئتم فاكفروا فإن كفرتم فاعلموا أن الله يعذبكم، وإن آمنتم فاعلموا أنه يثيبكم كما في الأسئلة المقحمة قال تعالى: ﴿إن تكفروا فإن الله غني عنكم﴾ [الزمر: ٧] أي عن إيمانكم، ولا يرضى لعباده الكفر، وإن تعلق به إرادته من

بعضهم، ولكن لا يرضى رحمة عليهم لاستضرارهم به، وإن تشكروا الله فتؤمنوا يرضه لكم أي الشكر قال في بحر العلوم: فمن شاء الإيمان فليصرف قدرته وإرادته إلى كسب الإيمان، وهو أن يصدق بقلبه بجميع ما جاء من عند الله، ومن شاء عدمه فليختره فإني لا أبالي بكلهما، وفيه دلالة بينة على أن للعبد في إيمانه وكفره مشيئة واختياراً فهما فعلان يتحققان بخلق الله وفعل العبد معاً، وكذا سائر أفعاله الاختيارية كالصلاة والصوم مثلاً فإن كل واحد منهما لا يحصل إلا بمجموع إيجاد الله وكسب العبد، وهو الحق بين الجبر والقدرة، وقد قلت: فيما مضى من الزمان بيتين لأهل المحبة كالعنوان مقتبساً لهذه الآية من القرآن العظيم هما:

ألا إنما قلبي به الحب قد يبصر ... أموراً ولا يدري لها غير من ينظر

فلا هو موجوداً ولا هو فانياً ... فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر

قولي ويبين لهم أسنى الطرقات أعني أن من آداب الشيخ مع مريديه أن يبين لهم طريقه التي هي أسنى أي أرفع الطرقات عنده لسيره معها، وذلك أن الطرق إلى الله تعالى كثيرة، وقد تعلق كل شيء بطريق سائراً معها لا يتعداها إلى غيرها، منهم من اختار طريق الذكر والجهر به، ومنهم من اختار طريقه مع الإسرار به، ومنهم من اختار طريق التلاوة كذلك، ومنهم من اختار طريق الجداول والخلوات وتعمير الجداول بالأسماء، ومنهم من اختار تعميرها بالآيات، ومنهم من اختار تخديم خدامها من العلوية أي الملائكة الروحانيين، ومنهم من اختار تخديم خدامها من السفلية أي الجنية والشياطين، وهكذا قد علم كل أناس مشربهم كلا نمد هؤلاء، وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً أي ممنوعاً عمن يريده من البر والفاجر، بل هو فائض على البر في الدنيا والآخرة وعلى الفاجر في الدنيا فقط، وإن وجد منه ما يقتضي الحظر، وهو الفجر والكفر فعلى الشيخ أن يبين لمريده طريقه التي هو آخذ بها، ويكون له على ذلك مرة بعد مرة منبهاً، قال تعالى لنبيه الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ [يوسف: ١٠٨]، قوله: قل هذه سبيلي أي هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي أي طريقي، وهما يذكران ويؤنثان، ثم فسرها بقوله أدعو إلى الله إلى دينه وطاعته وثوابه الموعود يوم البعث على بصيرة بيان وحجة بصيرة أي واضحة مرشدة إلى المطلوب فإن الدليل إذا كان بصيراً يتمكن من الإرشاد والهداية بخلاف ما إذا كان أعمى أنا تأكيد للمستتر في أدعو، ومن اتبعني عطف عليه أدعو إلى الله، وأنا ويدعو الذاتي إليه من اتبعني وسبحان الله اسم من التسبيح منصوب بفعل مضمر، وهو أسبح أي أسبيح الله تسبيحاً أي أنزهه تنزيهاً عن الشركاء، وما أنا من المشركين عطف علي، وسبحان الله عطف الجملة على الجملة، وفي نفائس المجالس قل هذه سبيلي أي الدعوة إلى التوحيد

الذاتي طريقي المخصوصة بي، ثم فسر السبيل بقوله: أدعو إلى الله إلى الذات الأحدية الموصوفة بجميع الصفات على بصيرة، وأنا ومن اتبعني فكل من يدعوا إلى ذلك السبيل، فهو من اتباعي، قلت الحمد لله الذي جعل دعوة أبينا شيخنا الشيخ محمد فاضل بن مامين رضي الله عنه وأرضاه آمين، هكذا فوالله أنه كان لا يدعو إلا إلى الله وتوحيده بالتوحيد الذاتي، وكان الأنبياء قبله عليه السلام يدعون إلى المبدأ والمعاد وإلى الذات الواحدية الموصوفة ببعض الصفات الإلهية إلا إبراهيم عليه السلام، فإنه قطب التوحيد ولذا أمر الله نبينا عليه السلام باتباعه بقوله: «ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً»[1] فهو من أتباع إبراهيم باعتبار الجمع دون التفصيل إذ لا متمم لتفاضل الصفات الإلهية إلا هو، ولذا لم يكن غيره خاتماً وسبحان الله أنزهه عن إشراك الغير، بل هو الداعي إلى ذاته وما أنا من المشركين، أي المثبتين للغير في مقام التوحيد، قال بعضهم: الداعي إلى الله يدعو الخلق به والداعي إلى سبيله يدعوهم بنفسه، ولذلك كثرت الإجابة إلى الثاني لمشاركته الطبع، ثم الاتباع شامل للاتباع على الظاهر كما هو حال العامة، وللاتباع على الحقيقة كما هو حال الخاصة، ولا سبيل إلى الدعوة على بصيرة إلا بعد الاتباع قولاً وفعلاً وحالاً، وهو النتيجة من الاتباع على الظاهر.

(وحكى) أن ابن الرشيد اختار البقاء على الفناء فعيره أبوه يوماً، وقال لحقني العار منك بين الملوك فدعا طيراً فأجابه، ثم قال لأبيه: ادع فدعاه فلم يجب فقال: لحقني العار بين أولياء الله منك لأنك كنت أسير الدنيا، والبصيرة قوة للقلب المنور بنور القدس يرى بها حقائق الأشياء وبواطنها بمثابة البصر للنفس يرى بها صور الأشياء وظواهرها، وهي التي يسميها الحكماء العاقلة النظرية، والقوة القدسية وجميع قلوب بني آدم في الأصل مائلة البصيرة بحسب الفطرة، لكنها لاشتغالها باللذات والشهوات والاعراض عن الطاعات، والعبادات أظلمت وبنور البصيرة والتوفيق آمنت بلقيس وسحرة فرعون ونحوهم.

(واعلم) أن اتباع الرسول ﷺ باب النجاة، وطريق السعادة العظمى قال سهل محب الله على الحقيقة يكون اقتداؤه في أحواله وأقواله وأفعاله عند الرجال.

أما الدعوة بالقول فمنها ما ثبت عنه عليه السلام أنه كان يعرض نفسه على الناس وينذرهم، ويقول: «أيها الناس إني رسول الله إليكم يدعوهم بها إلى الإسلام»، وفي الخبر عنه أيضاً أنه كان يقول لمن يلقى من أصحابه في الطرقات هات أبايعك يا فلان، وفي حديث الحديبية عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: كان الناس يبايعون رسول الله ﷺ تحت

(١) أخرجه أبو داود (أضاحي، ٤)، والدارمي (استئذان، ٥٤)، وأحمد بن حنبل (٣، ٤٠٦، ٤٠٧، ٥، ١٢٣).

الشجرة فبايعت معهم، فلما خف الناس التفت إلى رسول الله ﷺ، وقال لها: «يا سلمة ألا تبايعني» فقلت له قد بايعتك يا رسول الله قال: «بايعني أيضاً»، قال: فبايعته الثانية، فهذه الدعوة وأمثالها إنما هي لمقام أعلى من مقام الإسلام، ومقام تكملته إذ الإسلام حاصل بكماله لكل الصحابة بدليل إجماع أكثر الأمة على تعديلهم، بل إنما المراد بها ليرتقي أحدهم في اعتقاده، وليجدد عهده مع الله وإيمانه به ففي الخبر عنه عليه السلام: «جددوا إيمانكم فإن الإيمان يخلق في قلب الرجل كما يخلق الثوب»[1]، قالوا: بم نجدده يا رسول الله، قال: «بالإكثار من قول لا إله إلا الله»، وفي رواية بتجديد بيعتكم.

وأما الدعوة بالفعل ففي الخبر عنه عليه السلام أنه كانت تشتري له الحلة عند قدوم الوفود بالعدد الكثير من الإبل، قيل: إنه يوم قدوم وفد نجران اشتريت له حلة بثلاثين بدنة، وقيل: بعشرين، وقيل: بأربعين، وذلك منه عليه السلام دعوة إلى الله بالفعل، فإن زينة الظاهر تجلب أهل الظاهر، يروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أتى الشام، فوجد معاوية متخذاً ملابس ما كان يعهدها من ملابس الصحابة، وكان تفرض له كل يوم شاة واتخذ في المنبر ثلاث درج، ويجلس على أعلاهن، فقال له عمر في ذلك، فقال: يا أمير المؤمنين، نحن في بلدة لا بد لنا من هذا، فقال له عمر: أنت وذاك والله لا آمرك ولا أنهاك، وفي هذا المعنى حكموا أنه يجب على المشايخ استعمال زي المشيخة كالملابس الفاخرة، والمراكب العلية والأبنية الرفيعة ولى العمائم ونحو ذلك مما يرغب الناس فيهم، ويحث العامة على اتباعهم فإن زينة الظاهر تجلب أهل الظاهر، يروى أن سليمان عليه السلام زوجه الله تعالى عشرة نسوة كلهن ابنة ملكين، فسخر له بذلك عشرين إقليماً أعني أقاليم أولئك الملوك بلا إراقة دم، وهذا كله من الدعوة إلى الله تعالى، ولما تزوج عليه السلام بلقيس سخر الله له أهل سبأ، قيل: كان سبب إسلامها أنها لما قدمت عليه سر عليها أنها إن أسلمت تزوجها، فكان ذلك دعوة إلى الله تعالى بالفعل، ويروى أن أبا النجيب السهروردي رضي الله عنه حج من عراق العجم إلى مكة شرفها الله، وهو راكب في محمل ومحمله تحمله الرجال على أعناقها، وما ذلك منه إلا دعوة إلى الله، لأنه أعظم له موقعاً في نفوس الناس، وفي الذهب الابريز فوائد، الأولى لما كان الرياء هو العمل لقصد الناس كان التجمل باللباس غير رياء، بل يستحب التجمل به لطلب العلم وللقدوم على الغير ولقبول قوله عند الناس ولإظهار نعمة الله تعالى.

(كما حكي) عن عز الدين بن عبد السلام أنه أنكر على قوم منكراً، فلم يقبلوا فرجع ولبس ثياب الفقهاء، وأنكر عليهم فقبلوا فلبسها لمثل هذا أجر، لأنه سبب لامتثال أمر الله

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل (٢، ٣٥٩).

تعالى، والانتهاء عما نهى عنه، وقال الجزائري ينبغي لمن وسع عليه في دنياه أن يظهر نعمته عليه باستعمالها على وجه يباح لا يخل بحق، ولا حقيقة، فيلبس أحسن لباس جنسه أو وسطه، وقال العلفعي: ويستحب ثياب تليق بحال الغني ليعرفه الفقير وذو الحاجة، ونيته في ذلك إظهار نعمة الله تعالى عليه ليعرفه المحتاج، ومن هنا كان للعلماء أن يلبسوا من الثياب ما يليق بهم من غير إسراف ليعرفهم المستغني، وطالب العلم، ومن ملك نفسه لم يضره شيء فإن الله تعالى جميل يحب الجمال اهـ ولقد أحسن القائل:

حسن ثيابك ما استطعت فإنها ... زين الرجال بها تعز وتكرم
ودع التواضع في اللباس تحرجاً ... فاللّه يعلم ما تجن وتكتم
فبذاذ ثوبك لا يزيدك رفعة ... عند الإله وأنت عبد مجرم
وبهاء ثوبك لا يضرك بعد أن ... تخشى الإله وتتقي ما يحرم

وكان الإمام مالك رضي الله عنه يلبس الثياب المدنية الجياد والخراسانية والمصرية والمترفعة البيض، والقمصان الرفيعة، وكان يحب أن يطيب بطيب جيد، ويقول: ما أحب لأحد أنعم الله عليه أن لا يرى أثر نعمته عليه، وكان له طيلسان والله تعالى أعلم، ومن الدعوة إلى الله تعالى بالحال ما روي أن النبي ﷺ كان له أسارى، فأرسل إليهم علي بن أبي طالب ليقتل بعضهم، ويفك أسر بعضهم، وكان علي معتماً بعامته التي ألبسه رسول الله ﷺ، فلما دخل عليهم سقطت العمامة عن جبينه، فلما شاهدوه أسلموا كلهم وتشهدوا من حينهم، وبالجملة، فالدعوة إلى الله تعالى تختلف باختلاف أحوال الأزمنة وأهلها، كما في الخبر عن عمر ومعاوية رضي الله عنهما، ولذلك كان بعض الصالحين يقف على فارقة الطريق على زي الصالحين ليمر به من يلتمس منه بركة، ويروى أن بعض الصالحين بشر بأنه لا يقبل يده أحد إلا غفرت ذنوبه فجعل يطوف في الأرض، ويدع الناس إلى تقبيل يده ويرى أنه إن ترك ذلك كان مقصراً في الدعوة إلى الله تعالى، والله تعالى أعلم، وحدثني من اثق به من تلاميذ شيخنا رضي الله عنه وأرضاه أنه بشر بأنه لا يتلمذ عليه شقي، ولو تحرم بكل حرام، وأنه لا يتزوج بشقية، ولو عملت ما عملت، وقال له: إن هذا هو الذي حمله على كثرة التزويج فجزاه الله عن الأمة أحسن جزائه آمين.

(فائدة): قال سيد الطائفة الجنيد قدس سره: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر رسول الله ﷺ، واتبع سنته ولزم طريقته، لأن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه وعلى المقتفين أثره والمتابعين سنته، قال الشيخ العارف الواصل الوارث الكامل محيي الدين بن العربي قدس سره، في بيان السنة والسني الإنسان لا يحلو أن يكون واحداً من ثلاثة بالنظر الشرعي، وهو إما أن يكون باطنياً محضاً، وهو القائل بتجريد التوحيد عندنا حالاً وفعلاً، وهذا يؤدي إلى تعطيل أحكام الشرائع وقلب أعيانها، وكل ما يؤدي إلى هدم قاعدة

من قواعد الدين أو سنة من سننه، ولو في العادات كالأكل والشرب والوقاع، فهو مذموم بالإطلاق عصمنا الله وإياكم من ذلك.

وأما أن يكون ظاهرياً محضاً متقلقلاً بحيث أن يؤديه ذلك إلى التجسيم والتشبيه نعوذ بالله منهما في باب الاعتقادات، أو يكون متعمداً على مذهب فقيه من الفقهاء أصحاب علوم الأحكام المحجوبة قلوبهم بحب الدنيا عن معاينة الملكوت، فتراه خائفاً من الخروج عن مذهبه فإذا سمع سنة من سنن النبي عليه السلام يحيلها على مذهب فقيه آخر، فيترك العمل بها ولو أوردت ألف حديث مأثور في فضائلها، فيتصامم عن سماعها، بل يسيء الظن برواية المتقدمين من التابعين والسلف بناء على عدم إيراد ذلك الفقيه إياها في كتابه، فمثل ذلك أيضاً ملحوق بالذم شرعاً، وإلى الله نفزع ونلتجيء من أن يجعلنا وإياكم منهم.

وأما أن يكون جارياً مع الشريعة على فهم اللسان حيثما مشى، وحيثما وقف وقف قدم بقدم حتى في أقل شيء من الفضائل في العبادات، والعادات صارفاً جل عنايته، وباذلاً كل مجهوده في أن لا يفوته شيء من الأفعال المحمدية في عباداته، وعاداته على حسب ما سنح له في أثناء مطالعته من كتب الأحاديث المعول عليها أو ألقي في أذنه من أستاذه وشيخه المعتمد عليه، إن لم يكن من أهل المطالعة، فهذا هو الوسط وهو السنة والآخذ به هو السني، وبهذ يصح محبة الله له.

(وحكي) أن الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر قال: راعيت جميع ما صدر عن النبي عليه السلام سوى واحد، وهو أنه عليه السلام زوج بنته علياً رضي الله عنه، وكان يبيت في بيتها بلا تكلف، ولم يكن لي بنت حتى أفعل كذلك، وحكى عن سلطان العارفين أبي يزيد البسطامي قدس سره، أنه قال ذات يوم لأصحابه: قوموا بنا حتى ننظر إلى ذلك الذي قد شهر نفسه بالولاية، قال: فمضينا فإذا برجل قد قصد المجلس فرمى بزاقه نحو القبلة فانصرف أبو يزيد، ولم يسلم عليه، وقال: هذا ليس بمأمون على أدب من آداب رسول الله ﷺ، فكيف يكون مأموناً على ما يدعيه من مقامات الأولياء والصديقين، وحكى عن أحمد بن حنبل رحمه الله، قال: كنت يوماً مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء فعملت بالحديث، وهو من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر، ولم أتجرد فرأيت تلك الليلة قائلاً يقول لي: يا أحمد أبشر فإن الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك إماماً يقتدى بك، فقلت: من أنت؟ قال: جبريل عليه السلام وعن عابس بن ربيعة، قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقبل الحجر الأسود، ويقول: إني لأعلم إنك حجر لا تنفع ولا تضر، ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك، فكل هذا وأمثاله دعاء منهم رضي الله عنهم بالقال والفعل والحال لاتباع النبي ﷺ، واتفق المشايخ على أن من ألقى زمامه في يد كلب مثلاً حتى لا يكون تردده بحكم طبعه، فنفسه أفول لقبول الرياضة ممن جعل زمامه في حكم نفسه يسترسل بها حيث شاء كالبهائم، فالواجب عليك أن تكون تابعاً لا مسترسلاً، فإذا اتبعت فاتبع سيد المرسلين محمداً ﷺ الذي آدم ومن دونه من الأنبياء والأولياء تحت لوائه، فإذا اتبعت واحداً من أمته فلا تتبعه لمجرد كونه رجلاً مشهوراً بين الناس مقبولاً عند الأمراء والسلاطين، وبل كان الواجب عليك أن تعرف أولاً الحق، ثم تزن

الرجال به، وفيه قال باب العلم الرباني علي رضي الله عنه: من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال، بل أعرف الحق تعرف أهله وبقدر متابعتك للنبي ﷺ تستحكم مناسبتك به، وتتأكد علاقة المحبة بينك وبينه وبكل ما يتعلق بالرسول ﷺ من الصلاة أو زيارة قبره، أو جواب المؤذن والدعاء له عقبه كنت مستحقاً لشفاعته، قالوا: لو وضع شعر رسول الله ﷺ، أو عصاه، أو سوطه على قبر عاص، لنجا ذلك العاصي ببركات تلك الذخيرة من العذاب، وإن كانت في دار إنسان أو بلدة لا يصيب سكانها بلاء ببركانها، وإن لم يشعروا بها، ومن هذا القبيل ماء زمزم، والكفن المبلول به وبطانة أستار الكعبة والتكفن بها قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: وإذا أردت مثالاً من خارج، فاعلم أن كل من أطاع سلطاناً وعظمه فإذا دخل بلدته، ورأى فيها سهماً من جعبته أو سوطاً له فإن يعظم تلك البلدة وأهلها، فالملائكة يعظمون النبي ﷺ، فإذا رأوا ذخائره في دار أو بلدة أو قبر عظموا صاحبه وخففوا عنه العذاب، ولذلك السبب ينفع الموتى أن توضع المصاحف على قبورهم ويتلى عليهم القرآن في الأسرار المحمدية، قاله روح البيان عند قوله: واتبعوه لعلكم تهتدون، واعلم أن الدعاء إلى الاتباع إن كان على الحق لا يضر، بل هو المطلوب والمأمور به، والمرغوب وكيف لا، وفي الرسول ﷺ إسوة أي قدوة حسنة، وهو ﷺ، قال له تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ [الأعراف: ١٥٨] قال في روح البيان: الخطاب عام وكان رسول الله ﷺ مبعوثاً إلى الكافة من الثقلين إلى من وجد في عصره، وإلى من سيوجد بعده إلى يوم القيامة بخلاف سائر الرسل، فإنهم بعثوا إلى أقوامهم أهل عصرهم، ولم تستمر شرائعهم إلى يوم القيامة، وإليكم متعلق بقوله رسول الله وجميعاً حال من ضمير إليكم قال الحدادي: إني رسول الله إليكم كافة أدعوكم إلى طاعة الله وتوحيده واتباعه فيما أؤديه إليكم، وفي آكام المرجان لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في أن الله تعالى أرسل محمداً ﷺ إلى الجن، والإنس، والعرب، والعجم، فإن قلت في بعثه سليمان عليه السلام مشاركة له، لأنه أيضاً كان مبعوثاً إلى الإنس والجن وحاكما عليهما، بل على جميع الحيوانات، قلت: إن سليمان لم يبعث إلى الجن بالرسالة، بل بالملك والضبط والسياسة والسلطنة، لأنه عليه السلام استخدمهم وقضى بينهم بالحق، وما دعاهم إلى دينه، لأن الشياطين والعفاريت كانوا يقومون في خدمته وينقادون له مع أنهم على كفرهم وطغيانهم، كذا حققه وألهى الأسكوبي قال: ابن عقيل الجن داخلون في مسمى الناس لغة، وهو من ناس ينوس إذا تحرك قال الجوهري وصاحب القاموس: الناس يكون من الإنس، ومن الجن جمع أنس أصله أناس جمع عزيز أدخل عليه أل.

(ومن آداب الشيخ مع تلامذته) أن يعفو عن زلاتهم، ويتجاوز عن خطيئاتهم، ويصفح عن عثراتهم، ولو اطلع عليهم في أقبح فعلاتهم إلا ما لا بد منه من أمر بمعروف أو نهي عن منكر، بعد أن يشاهد ذلك ظاهراً في عالم الشهادة لا باطناً في عالم الغيب، أو يقول له: من يعلم أنه صادق، لأنه إن لم يفعل ذلك ضاع وأضاع وحاد عن الطاعة، وما أطاع قال تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين﴾ [المائدة: ١٣] قال الفخر: وفي الخائنة وجهان، الأول أن الخائنة

بمعنى المصدر، ونظيره كثير كالكافية والعاقبة، وقال تعالى: ﴿فأُهلكوا بالطاغية﴾ [الحاقة: ٥] أي بالطغيان، وقال: ﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾ [الواقعة: ٢] أي كذب، وقال: ﴿لا تسمع فيها لاغية﴾ [الغاشية: ١١] أي لغو، وتقول العرب: سمعت راغية الإبل، وثاغية الشاء، يعنون رغاءها وثغاءها، وقال الزجاج، ويقال: عافاه الله عافية، الثاني الخائنة صفة والمعنى تطلع على فرقة خائنة أو نفس خائنة أو عن فعلة ذات خيانة، وقيل: أراد الخائن والهاء للمبالغة كعلامة ونسابة، قال صاحب الكشاف: وقرىء على خيانة منهم، وقوله إلا قليلاً منهم، أي لم يخونوا هو استثناء من الضمير المجرور في منهم، وقوله: فاعف عنهم واصفح أي أعرض عنهم، ولا تتعرض لهم بالمعاقبة والمؤاخذة أي اعف عن مذنبهم، ولا تؤاخذهم بما سبق منهم، وقوله: إن الله يحب المحسنين، قال: أين عباس إذا عفوت، فأنت محسن، وإذا كنت محسناً قد أحبك الله، فهو تعليل للأمر بالصفح وحث على الامتثال، وتنبيه على أن العفو عن الكافر الخائن إحسن فضلاً عن العفو عن غيره، فعلى الشيخ أن يظهر محاسن المواريد ويستر مساويهم، لأن ذلك هو الكرم الذي به وصف سبحانه ملائكته الكاتبين، قال تعالى: ﴿وإن عليكم لحافظين كراماً﴾ [الانفطار: ١١] وذلك أنهم يسرعون إلى كتب الحسنات، ويتوقفون في كتب السيئات رجاء أن يستغفر، ويتوب فيكتبون الذنب، والتوبة معاً، وفي زهرة الرياض سماهم كراماً، لأنهم إذا كتبوا حسنة يصعدون إلى السماء ويعرضونها على الله ويشهدون، ويقولون: إن عبدك فلاناً عمل حسنة.

وأما في السيئة فيسكتون، ويقولون: إلهي أنت ستار العيوب، وهم يقرؤون كل يوم كتابك ويمدحوننا فأنا لا نهتك أستارهم، ومع ذلك بين تعالى ما يفعلون بقوله: ﴿كاتبين يعلمون ما تفعلون﴾ [الانفطار: ١١]، كاتبين أي للأعمال يعملون لأجل حضورهم، وعدم افتراقهم عنكم ما تفعلون من الأفعال قليلاً وكثيراً، ويضبطون نقيراً وقطميراً، وفي الحديث أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى الحالتين الجنابة والغائط، قال في عين المعاني قوله: يعلمون يدل على أن السهو والخطأ وما لا تبعة فيه لا يكتب، وكذا ما استغفر منه حيث لم يقل: يكتبون اهـ وقوله: ما تفعلون، وإن كان عاماً لأفعال القلوب والجوارح، لكنه عام مخصوص بأفعال الجوارح لأن ما كان من المغيبات لا يعلمه إلا الله تعالى، وفي كشف الأسرار علمهم على وجهين فما كان من ظاهر قول أو حركة جوارح علموه بظاهره وكتبوه على جهته، وما كان من باطن ضمير، يقال: إنهم يجدون لصالحه رائحة طيبة، ولصالحه رائحة خبيثة فيكتبونه مجملاً عملاً صالحاً، وآخر سيئاً، وقد مر بيان شيء من هذا في الباب الذي قبل هذا الباب فراجعه إن شئت، وخص الفعل بالذكر لأنه أكثر من القول، ولأن القول قد يراد به الفعل فاندرج فيه، واعلم أنه تقدم أن من علامات المرشد أن يكون ستاراً لما أظهر عليه من عيوب المريدين وغيرهم، وما ذلك إلا لاتباعه سيد المرسلين قال في كشف الغمة فصل فيما جاء في ستر عورات المسلمين، وذم من تتبع عوراتهم كان رسول الله ﷺ يقول: «من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون

العبد ما كان العبد في عون أخيه المسلم»[1]، وكان ﷺ يقول: «لا يرى مؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه إلا أدخله الله بها الجنة»[2]، وجاء رجل مرة إلى عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه فقال: إن لنا جيراناً يشربون الخمر، وأنا داع الشرطة ليأخذوهم فقال عقبة: لا تفعل وعظهم وهددهم، قال: إني نهيتهم، فلم ينتهوا وأنا ادع للشرطة ليأخذوهم، فقال عقبة: ويحك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ستر عورة فكأنما استحيا موءدة في قبرها»[3] وقال إنه تقدم في كتابه أن ما عزا لما أقر بالزنى وأمر رسول الله ﷺ برجمه قال لهزال زوج المرأة: «لو سترته بثوبك لكان خيراً لك»[4] وكان ﷺ يقول: «البلاء موكل بالمنطق فلو أن رجلاً عير رجلاً برضاع كلبة يرضعها لرضعها»، وكان ﷺ يقول: «من كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته»[5]، وكان ﷺ يقول: «لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ولا تعيروهم فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله»[6]، وكان ﷺ يقول: «إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم أو كاد يفسدهم والله أعلم وعلى المرء أن يجتهد في حالة يستر بها نفسه ولا يفضحه»[7]، ولذلك كان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: أحب للرجل إذا وقع في حد أن يستر نفسه ويستغفر الله تعالى، ولا يأتي إلى الحاكم يطلب التطهير، فإن الله تعالى يقبل التوبة عن عباده، قال تعالى: ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ [الشورى: ٢٥]، بالتجاوز عما تابوا عنه، لأنه إن لم يقبل كان إغراء بالمعاصي وعدى القبول بعن لتضمنه معنى التجاوز، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي عامة للمؤمن والكافر والولي والعدو، ومن تاب منهم قبل الله توبته، والتوبة هي الرجوع عن المعاصي بالندم عليها والعزم أن لا يعاودها أبداً، وقال السري البوشنجي: هو أن لا تجد حلاوة الذنب في القلب عند ذكره، وروى جابر رضي الله عنه أن أعرابياً دخل مسجد رسول الله ﷺ، وقال: اللهم إني أستغفر، وأتوب إليك وكبر، فلما فرغ من صلاته قال له علي رضي الله عنه: يا هذا إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين، وتوبتك هذه تحتاج إلى التوبة فقال يا أمير المؤمنين، وما التوبة، قال: التوبة اسم يقع على ستة معان: على الماضي من الذنوب بالندامة، وتضييع الفرائض بالإعادة، أي القضاء صلاة أو صوماً أو زكاة أو نحوها، ورد المظالم، وإذابة النفس في

---

(١) أخرجه البخاري (مظالم، ٣)، ومسلم (بر، ٥٩)، (ذكر، ٣٨)، وأبو داود (أدب ٣٨، ٦٠)، والترمذي (حدود، ٣)، (بر، ١٩)، (قرآن، ١٠)، وابن ماجه (مقدمة، ١٧)، وأحمد بن حنبل (٢، ٩١، ٢٥٢، ٢٩٦، ٥٠٠، ٥١٤).

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل (٤، ١٤٧، ١٥٨).

(٣) أخرجه البخاري (مناقب الأنصار، ٢٤)، وأبو داود (أدب، ٣٨)، وأحمد بن حنبل (٤، ١٤٧، ١٥٣، ١٥٨).

(٤) أخرجه أبو داود (حدود، ٧)، والموطأ (حدود، ٣)، وأحمد بن حنبل (٥، ٢١٧).

(٥) أخرجه ابن ماجه (حدود ٥).

(٦) أخرجه أحمد بن حنبل (٤، ٤٢١، ٤٢٤).

(٧) أخرجه أبو داود (أدب، ٣٧)، وأحمد بن حنبل (٦، ٤).

الطاعة كما ربيتها في المعصية، وإذاقتها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية، والبكاء بدل كل ضحكة ضحكتها، وفي الأثر الله تعالى أفرح بتوبة العبد من الفعل الواجد، ومن العقيم الوالد، ومن الظمآن الوارد، فمن تاب إلى الله توبة نصوحاً أنسى الله حافظيه، وبقاع الأرض خطاياه روى عبد العزيز بن إسماعيل قال: يقول الله تعالى: ويح ابن آدم بذنب الذنب ثم يستغفر فأغفر له لا هو يترك ذنوبه ولا هو ييأس من رحمتي أشهدكم أني قد غفرت له. قال تعالى: ﴿ويعفو عن السيئآت صغيرها وكبيرها﴾ غير الشرك لمن يشاء بمحض رحمته وشافعة شافع، وإن لم يتوبوا وهو مذهب أهل السنة، وفي التأويلات النجمية، ويعفو عن كثير الذنوب التي لا يطلع العبد عليها ليتوب عنها، وأيضاً ويعفو عن كثير من كثير من التوبة قبل التوبة ليصير العبد قابلاً للتوبة، وإلا لما تاب والتوبة أبلغ وجوه الاعتذار بأن يقول: فعلت وأسأت، وقد أقلعت، وفي الشرع ترك الذنب لقبحه والندم على ما فرط منه، وللعزيمة على ترك المعاودة وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة فمتى اجتمعت هذه الأربعة، فقد كملت شرائط التوبة والمذهب السني أنه يكفي في تحقق التوبة الندم، والعزم على أن لا يعود بخلاف أهل الاعتزال حيث يلزم في تحققها عندهم رد المظالم، وهو عندنا غير واجب في التوبة، قاله روح البيان، وفي الحديث المؤمن أواه واقع فطوبى لمن مات على رقعه ومعناه أن يخرق دينه، ثم يرفعه بالتوبة ونحوه استقيموا، ولن تحصوا أي لن تستطيعوا أن تستقيموا في كل شيء حتى لا تميلوا، ومنه يا حنظلة ساعة فساعة، وكان ﷺ كثيراً ما يقول: من أصاب من هذه القاذورات شيئاً فلسيتتر بستر الله تعالى، فإنه من يبدلنا صفحته نقم عليه كتاب الله، ثم يقرأ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر الآية فقرن الله الزنى مع الشرك، وسيأتي إن شاء الله قريباً بعض كلام على هذه الآية، وما يتعلق بها. قال أنس رضي الله عنه: كنت عند النبي ﷺ مرة فجاءه رجل، فقال: يا رسول الله ﷺ إني أصبت حداً فاقمه علي، ولم يسأله رسول الله ﷺ عنه، قال: وحضرت الصلاة فصلى مع النبي عليه السلام، فلما قضى النبي عليه السلام الصلاة قام إليه الرجل، فقال: يا رسول الله، إني أصبت حداً فأقم علي كتاب الله، قال: (ليس قد صليت معنا)، قال: نعم، قال: «فإن الله عز وجل قد غفر لك ذنبك»، أو قال: حدك قوله تعالى: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله﴾ [الفرقان: ٦٨]، أي حرم قتلها إلا بالحق أي المبيح كالردة، وقتل النفس والزنى بعد الإحصان إلى أن قال: إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات، أي بأن يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة، ويثبت مكانها لواحق طاعتهم أو يبدل ملكة أي طبيعة المعصية في النفس بملكة الطاعة، وقيل: بأن يوفقه لاضداد ما سلف منه أو ثبت له بدل كل عقاب ثواباً، وكان الله غفوراً رحيماً، ولذلك يعفو السيئات، ويثبت على الحسنات وروى أبو هريرة عن النبي عليه السلام أنه قال: «ليتمنين أقوام أنهم أكثروا من السيئات قيل: من هم يا رسول الله، قال: الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات»[1]، ولهذا قال قوم إن الله يمحو السيئة عن العبد، ويثبت له بدلها الحسنة، وعن أبي ذر رضي الله

(١) أخرجه أحمد بن حنبل (٣،١٤٢).

عنه قال: قال عليه السلام: «يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه ويخبأ عنه كبارها، فيقال: عملت يوم كذا كذا وهو مقر لا ينكر، وهو مشفق من الكبائر فيقال: أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة، فيقول: إن لي ذنوباً ما أراها ههنا»[1]. قال: فقد رأيت رسول الله ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه، ثم تلا فأولئك يبدل الله الخ والنواجذ أقصى الأضراس، وهي أربعة أو هي الأنياب أو التي تلي الأنياب أو هي الأضراس كلها، وقال وائل بن حجراتي: النبي ﷺ برجل قد غصب امرأة فزنى بها، فقال: استغفر الله وأتوب إليه، فخلى النبي ﷺ سبيله، وقال: قد تاب توبة لو تاب منها أهل المدينة لقبل منهم، وكان وائل رضي الله عنه كثيراً ما يقول: التوبة تسقط كل حد لله تعالى، ثم يتلو آية المحاربة إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم، قال العارف بالله: في اليواقيت واعلم أن حقيقة التوبة هي الشهود أن الله هو المقدر على العبد ذلك الذنب قبل أن يخلق قال: ومعنى حديث إذا أذنب العبد فعلم أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ به يقول الله عز وجل: في الثانية والثالثة افعل ما شئت فقد غفرت لك، أي افعل ما شئت من المعاصي واندم واستغفرني أغفر لك، ولا يكفيه أن يعلم أن له رباً يغفر الذنب من غير ندم فافهم، واعلم يا أخي أن التوبة من أعظم ما من الله به على عباده فإذا وفق العبد لها، فليعلم أن ذلك دلالة على حب مولاه له كما قال تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وفي الحديث عنه عليه السلام: «إن الله يفرح بتوبة عبده كفرح أحدكم إذا ضاع فلوه فتعب في تحصيله فوجده على رأسه»[2]، قال العارف في اليواقيت: فإن لم يقع لنا توبة فالواجب علينا التوبة من ترك التوبة، فإن لم يصح لنا التوبة من ترك التوبة وجب علينا التوبة من الإصرار على ترك التوبة، وهكذا ما عشنا أبداً وما تم لنا داء بلا دواء أبداً، فإن لم يصح لنا شيء من ذلك كله فلله رحمة خاصة يمن بها على من مات مصراً من أهل الإسلام، وقال المحقق ابن السبكي: إذا أحسن الإنسان من نفسه عدم الصدق في الاستغفار أتى به، وإن احتاج إلى استغفار آخر لأن اللسان إذا ألف ذكر أوشك أن يألفه القلب فيوافقه فيه قال: ولذلك قال العارف السهروردي: اعمل ولو خفت العجب مستغفراً، وعلى العاقل أن لا يغفل عن الكلمات التي تلقى آدم من ربه فتاب عليه قال البيضاوي: وهي قوله تعالى: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ [الأعراف: ٢٣]، ومعنى ظلمنا أنفسنا أي اضررناها بالمعصية، وعرضناها للإخراج من الجنة ومعنى وإن لم تغفر لنا أي تستر علينا ذنوبنا ومعنى وترحمنا أي بقبول توبتنا، ومعنى لنكونن من الخاسرين أي الهالكين الذين باعوا حظهم في الآخرة بشهوة ساعة، وقيل: أن الكلمات سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك، ولا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وعن النبي ﷺ: «إن آدم قال: بحق محمد أن تغفر لي، قال: وكيف

---

(١) أخرجه الدارمي (فضائل القرآن، ١٩).

(٢) أخرجه البخاري (دعوات، ٣)، ومسلم (توبة، ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨)، والترمذي (قيامة، ٤٩)، (دعوات، ٩٨)، وابن ماجه (زهد، ٣٠)، والدارمي (رقاق، ١٩)، وأحمد بن حنبل (١، ٣٨٣، ٢، ٣١٦، ٥٠٠، ٥٢٤، ٥٣٤، ٣، ٨٣، ٢١٣، ٤، ٢٧٥، ٢٨٣).

عرفت محمداً، قال: لما خلقتني، ونفخت في الروح فتحت عيني فرأيت على ساق العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنه أكرم الخلق عليك، حيث قرنت اسمه باسمك، فقال: نعم، وغفر له بشفاعته». قال العارف بن عطاء الله: ربما قضى عليك بالذنب، فكان سبباً للوصول، وهذا مأخوذ من قوله ﷺ: «أنين المذنبين عند الله أعظم من زجل المسبحين»، وفي وصية الإمام النووي: لا تستحقر أحداً أبداً من إخوانك، فإن العاقبة منطوية، والعبد لا يدري بم يختم له فإذا رأيت عاصياً فلا تزك نفسك عليه، فربما كان في علم الله أعظم منك مقاماً، ويصير يشفع فيك يوم القيامة وإذا رأيت صغيراً، فاحكم بأنه خير منك باعتبار أنه أحقر منك ذنوباً، وإذا رأيت من هو أكبر منك سناً فاحكم بأنه خير منك باعتبار أنه أقدم منك في الإسلام، وإذا رأيت كافراً فلا تقطع له النار لاحتمال أنه يسلم، ويموت مسلماً، (ومن حق الموارد) على الشيخ أن يتلقاهم بالترحيب وطلاقة الوجه كما كان ﷺ يفعل بأصحابه، وفي البدر المنير عنه عليه السلام أن للقادم دهشة فتلقوه بالترحيب، وقال: «إذا ناديت أخاك فعظمه بما يثبت المودة»، ويناديهم بالكنية واللقب وبلفظ السيادة إن كانت في اسم أحدهم غيبة وحضوراً وينبغي أن يذكرهم بمحاسنهم في غيبتهم وحضورهم فإن ذلك مما يزيد في صفاء المودة، لأن المريد كلما ازداد صفاء مودته للشيخ ازداد انتفاعه منه، وعلى الشيخ أن يفعل لهم ما ينفعهم منه أحبوه أم كرهوه، والحق إن كان موافقاً للهوى فهو الشهد بالزبد، وإذا كان حاضراً أثنى عليه بما من الله عليه به في وجهه حيث علم أنه لا يضره المدح، ولذلك قال السيد الكامل: إذا مدح المؤمن في وجهه ربا الإيمان في قلبه، قال: لأن المؤمن الكامل إذا مدح شكر الله على ستر نقائصه وإظهار محاسنه فيزيد إيمانه بذلك بخلاف ما إذا خاف عليه أن يعجب بذلك، ويتكبر فالأسلم في حقه الإمساك، وهذا محمل قوله ﷺ: «من مدح في وجهه ذبح بغير سكين»[1]، وذلك لما يرى من محاسن نفسه ويغفل عن نقائصه فيرى نفسه أعظم من غيره، قلت: وهذا حكم مدح الناس مطلقاً فيما يظهر لي والله تعالى أعلم، ومن حق المريد على الشيخ أن يصافحه كلما لقيه بنيه التبرك وامتثال الأمر، لما روى الطبراني إذا تصافح المسلمان لم تفترق أكفهما حتى يغفر لهما، وروى أبو الشيخ: إذا التقى المسلمان، وسلم أحدهما على صاحبه كان أحبهما إلى الله أحسنهما بشراً لصاحبه، فإذا تصافحا أنزل الله عليهما مائة رحمة، قال العارف، وينبغي لهما يصليا ويسلما على نبيهما ﷺ، قال: وقد روى أبو يعلى ما من عبدين متحابين يستقبل أحدهما صاحبه، ويتصافحان ويصليان على النبي ﷺ إلا لم يفترقا حتى يغفر لهما ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر، وإذا رأى الشيخ من أحد الموارد ما لا ينبغي له فعله شرعاً فلا يبغض ذاته، وإنما ينكر على أفعاله، وهكذا ينبغي لكل أخ في الله مع أخيه المؤمن، ومن كلام سيدي على الخواص عداوتنا لأفعال من أمرنا الحق بعداوته عداوة شرعية، قال العارف والغالب في الناس بغضهم لذات من سمعوا عنه أنه وقع في محرم، بل يكرهون أولاده فضلاً عن ذاته، ويحقرونه، وربما يزعم بعضهم أنه مصيب في احتقاره له، وغاب عنه أن من

---

(١) أخرجه الترمذي (أحكام، ١)، وأبو داود (أقضية،١)، وابن ماجه (أحكام، ١)، وأحمد بن حنبل (٢، ٢٣٠، ٣٦٥).

الجهل المحض احتقار عبد اعتنى الحق بإخراجه من العدم إلى الوجود، قال: فاحذر يا أخي من ذلك، فإن الحق تعالى ما أمرك أن تحتقر أحداً من خلقه، وإنما أمرك أن تنكر على أفعاله المخالفة للشرع لا غير فتأمر العاصي وتنهاه أنت غير محتقر له، وتأمل قوله ﷺ في شجرة الثوم: «إنها شجرة أكره ريحها» فما كره ذاتها وإنما كره ريحها الذي هو بعض صفاتها، (ومن آدابه) معهم أن يقبل معذرة من اعتذر منهم إليه في أمر محقاً كان أو مبطلاً، روى ابن ماجة عنه عليه الصلاة والسلام: «من اعتذر إليه أخوه بمعذرة فلم يقبلها كان عليه من الخطيئة مثل صاحب مكس»[1]. وروى الترمذي وغيره من أتاه أخوه متنصلاً من ذنب، فليقبل اعتذاره محقاً كان أو مبطلاً، فإن لم يفعل لم يرد على الحوض وفي ذلك أنشدوا:

أقبل معاذير من آتاك معتذراً ... إن بر عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره ... وقد أجلك من يعصيك مستتراً

(وعن بعض العارفين):

إذا اعتذر الصديق إليك يوماً ... تجاوز عن مساويه الكثيرة
فإن الشافعي روى حديثاً ... بإسناد يصح عن المغيرة
عن المختار أن اللَّه يمحو ... بعذر واحد ألفي كبيرة

(ولبعض العارفين أيضاً):

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه ... ولو أنت من تلك العيوب صحيح
صديق بلا عيب قليل وجوده ... وبث عيوب الأصدقاء قبيح

(وقيل أيضاً):

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه ... وإن كنت مظلوماً فقل أنا ظالم
إذا لم تكن تعفو عن الذنب يا فتى ... يفارقك من تهوى وأنفك راغم

وغيره:

ومن لم يسامح عن ذنوب كثيرة ... يموت ولا يبقى من الدهر صاحباً

(ومن آدابه) معهم عدم منعه إياهم من زيارتهم له إما بإتيانه إياهم في المسجد ونحوه، وإما بإتيانهم إياه في موضع لائق به، وبهم لما في ذلك من الدلالة على المحبة والألفة، وإتباع النبي عليه السلام، قال حسن العدوي في النفحات النبوية: اعلم أن زيارة الإخوان والصالحين والأولياء والعارفين أحياء وأمواتاً، والحب في الله من أكبر نعم الله على عبيده، وفي الحديث عنه عليه السلام: كما في البدر المنير: امش ميلاً عد مريضاً امش ميلين اصلح بين اثنين امش ثلاثة أميال زر أخاً في الله، وفيه أياضً عنه عليه الصلاة والسلام: «استكثر من الناس دعاء الخير لك فإن العبد لا يدري على لسان من يستجاب له أو يرحم»، وفي الأوار القدسية روى عنه عليه الصلاة والسلام: «قال الله تعالى: ﴿وجبت محبتي للمتحابين فيّ

(١) أخرجه ابن ماجه (أدب، ٢٣).

والمتجالسين فيّ والمتباذلين في والمتزاورين في﴾»[1]. قال: وورد أيضاً المتحابون في الله في ظل الله، يوم لا ظل إلا ظله على منابر من نور يفزع الناس، ولا يفزعون قال: وروى أن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها أعدها الله للمتحابين فيه، والمتزاورين فيه، والمتباذلين فيه قال وروي أيضاً ليبعثن الله أقواماً يوم القيامة في وجوههم النور على منابر من اللؤلؤ يغبطهم الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «المتحابون في الله من قبائل شتى وبلاد شتى يجتمعون على ذكر الله يذكرونه»، قلت: ولعمر لهذه صفة التلاميذ ولله الحمد، قال: وروي أيضاً: «إن لله عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء على منازلهم وقربهم من الله»[2] قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «ناس من بلدان شتى لم تصل بينهم أرحام تحابوا في الله وتصافحوا يضع الله لهم يوم القيامة منابر عن نور قدام الرحمن فيجلسهم»[3] قال: وروي بسند صحيح أن المتحابين في الله لترى غرفهم في الجنة كالكوكب الطالع الشرقي أو الغربي فيقال: من هؤلاء فيقال: هؤلاء المتحابون في الله، وفي مسلم عنه ﷺ: «والذي نفسي بيده لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»[4]، وفي الصحيحين البخاري ومسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله أمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه، وافترقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل وتصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، وللعارف، المتحابون في الله على كراسي من ياقوتة حول العرش، وقال سيدي علي الخواص من أراد أن يكمل إيمانه، وأن يحسن ظنه فعليه بصحبة الأخيار، قال العارف الشعراني: وحكى اليافعي عن بعض الأولياء، أنه قال: رأيت القطب على عجلة من ذهب والملائكة يجرونها بسلاسل من ذهب، فقلت: إلى أني تمضي، قال: إلى أخ من إخواني اشتقت إليه، فقلت: لو سألت الله أن يسوقه إليك، فقال: وأين ثواب الزيارة يا أخي، ومن كلام سيدي إبراهيم المتبولي إسع إلى إخوانك، وإياك أن تنقطع عنهم بحيف يستوحشون فيأتون إلى زيارتك، فإن جميع ما مع الفقير من المدد في هذا الزمان لا يجيء حق طريق واحد يمشي إليه، قال العارف: وقد كان الإمام الشافعي يزور تلميذه الإمام أحمد كثيراً، ويزوره الآخر كذلك فقيل للشافعي في ذلك فأنشد يقول:

قالوا يزورك أحمد وتزوره ... قلت الفضائل لا تفارق منزله
إن زارني فبفضله أو زرته ... فلفضله فالفضل في الحالين له

فأجاب الإمام أحمد رضي الله عنه

---

(1) أخرجه الموطأ (شعر، ١٦)، وأحمد بن حنبل (٥، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٣٩، ٣٢٨).
(2) أخرجه الترمذي (زهد، ٥٣)، وأحمد بن حنبل (٥، ٢٢٩، ٢٣٩، ٣٢٨، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣).
(3) أخرجه أحمد بن حنبل (٥، ٣٤٣).
(4) أخرجه مسلم (إيمان، ٩٣)، وأبو داود (أدب، ١٣١)، والترمذي (استئذان، ١)، وابن ماجه (مقدمة، ٦)، (أدب، ١١)، وأحمد بن حنبل (١، ١٦٥، ٢، ٣٩١، ٤٤٢، ٤٧٧، ٤٩٥، ٥١٢).

إن زرتنـــا فبفضـــل منــك تمنحنـــا | أو نحـن زرنـا فللفضـل الـذي فيكـا
فـلا عـدمـت كـلا الحـاليـن منك ولا | نـال الـذي يتمنـى فيـك شـانيكـا

قال العارف: وفي كلام سيدي على الخواص زيارة الاخوان تزيد في الدين، وتركها ينقصه، لأنها كتلقيح النخل قال العارف، ولا ينبغي أن تكسل عن الزيارة لإخوانك الصالحين لما تقدم من أنه لا يدري على يد من يستجاب له أو يرحم، ولا تقول: ذهب الأكابر والصالحون فإنهم ما ذهبوا حقيقة، وإنما هم ككنز صاحب الجدار، وقد يعطي الله من جاء في آخر الزمان ما حجبه عن أهل العصر الأول، فإن الله تعالى قد أعطى نبينا ﷺ ما لم يعطه الأنبياء قبله، وقدمه عليهم في المدح، قال العارف: ومن كلام صاحب الحكم بدل ما تقول: أين الأولياء أين الصالحون، قل: أين البصيرة هل يصلح للملطخ بالعذرة أن يرى بنت السلطان.

وفي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام: «أن الله أخفى الصالحين في عباده كما أخفى ليلة القدر في ليالي السنة»، وفي كتاب الفضل والمنة للعارف البيومي عنه عليه الصلاة والسلام: «ما اجتمعت أمة من أمة رسول الله ﷺ إلا وفيهم ولي لله لا هو يعرف نفسه ولا القوم يعرفونه». وذكر بعض العارفين أن أقل الأمة أربعون، وله أيضاً في شرحه على حكم ابن عطاء الله عن النبي ﷺ أن الله لينظر إلى قوم كفاحاً، وينظر إلى قوم من قلوب آخرين، أي فبعض العباد إمداداتهم ربانية من غير واسطة، وبعضهم تصل إليه امداداته بوسائط قوم آخرين، واعلم أنه ينبغي لك أن تتخلق بآداب الزيارة قبل التوجه، ليعود إليك آلمدد ممن زرته، وتنتفع بتلك الزيارة، قال العارف في الأنوار وهي الشوق إلى المزور والجزم بفضله وطهارته من المعاصي المعنوية والحسية، والتماس بركة دعائه وتحرير النية بأن يكون الباعث على الزيارة امتثال أمر الشارع، وحفظ اللسان من الوقوع في أعراض الناس، فإن خلت الزيارة عن هذه الآداب فلا نفع فيها ولا ثواب، بل هي تكلف ونفاق يعني وإذا زرته بحسن هذا القصد، وبحسن الأدب والتوسل به إلى ربك أن كان من الموتى فإنه لا بد لك من المدد الأوفر، فإن الله تعالى قد وكل بقبور الأكابر ملائكة يقضون حوائج الزائرين لاسيما وأهل الله محل الكرم والسخاء أحياء وأمواتاً، ومن دخل بيت كريم لا يرجع من غير مدد، وفي شرح القسطلاني على متن الإمام البخاري، وفي الحديث القدسي إن بيوتي في أرضي المساجد، وأن زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر من بيته، ثم زارني في بيتي وحق على المزور أن يكرم زائره، قلت: ولا يمنعهم في الزيارة من تقبيل يده، وكذلك هم لا يمنعونه من تقبيله لهم لما في ذلك من السنة كما في العقد الفريد عن عبد الله بن عمر قال: كنا نقبل يد النبي ﷺ، وعن سفيان قال: قبل أبو عبيدة يد عمر بن الخطاب، ومن حديث الشعبي عن النبي ﷺ: «لما قدم جعفر بن أبي طالب فالتزمه وقبل بين عينيه» وقال إياس بن دغفل: رأيت أبا نضرة يقبل خد الحسن، وعن مصعب قال: رأيت رجلاً دخل على علي بن الحسين رضي الله عنهما في المسجد فقبل يده ووضعها على عينيه ولم ينهه.

(حكاية مضحكة): حكى الأصمعي، قال: دخل أبو بكر الهجري على المنصور، فقال يا أمير المؤمنين يفض فمي، وأنتم أهل بركة، فلو أذنت فقبلت رأسك لعل الله كان

يمسك على ما بقي من أسناني، قال: اختر بينها وبين الجائزة، فقال يا أمير المؤمنين: إن أهون من ذهاب درهم من الجائزة أن لا يبقى في فمي حاكة فضحك المنصور، وأمر له بجائزة، وقالوا: قبلة الإمام في اليد، وقبلة الأب في الرأس، وقبلة الأخ في الخد، وقبلة الأخت في الصدر، وقبلة الزوجة في الفم، (قلت): وهذا كله حيث لم تكن لذة حرام، ولا ما يجر للمتكبر، وإلا فالتحريم قولاً واحداً، ثم لتعلم أن تقبيل المواريد لأيادي أشياخهم ونحوها، إنما هو للتبرك مع السنة.

وأما تقبيل الأشياخ لرؤوس المواريد ونحوها، إنما هو مع السنة لادخال السرور على المؤمن، وفي الحديث عنه ﷺ: «أن من موجبات المغفرة إدخالك السرور على أخيك المسلم» حتى أنهم يقولون: أن الصدقة لا يبطل ثوابها الرياء والسمعة لما فيها من إدخال السرور على المتصدق عليه، وكذلك الصلاة على النبي ﷺ، ونظم ذلك بعضهم بقوله كما في النفحات النبوية:

إن الثـــواب لســـرور الصـــدقـــة ليـــس الـــريـــا يبطـــل فحققـــه
كـــذا صـــلاتنـــا علـــى النبـــي تكـــرمـــة للمصطفـــى المـــرضـــي

(ومن آدابه) معهم التحبب لهم بما يؤكد محبته في قلوبهم لما في ذلك لهم من الانتفاع، لأنهم يقولون: إن المريد بقدر محبته لشيخه يضع الله له الحب في قلوب مخلوقاته، وبقدر تعظيمه له يضع الله له التعظيم في قلوب مخلوقاته، وفي الحديث المرفوع أحب الناس إلى الله أكثرهم تحبباً إلى الناس، وفيه أيضاً إذا أحب الله عبداً حببه إلى الناس ولصاحب العقد الفريد، وهو الإمام شهاب الدين أحمد المعروف بابن عبد ربه الأندلسي المالكي تغمده الله برحمته في هذا المعنى قوله:

وجـــه عليـــه مـــن الحيـــاء سكينـــة ومحبـــة تجـــري مـــع الأنفـــاس
وإذا أحـــب الله يـــومـــاً عبـــده ألقـــى عليـــه محبـــة للنـــاس

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص، إن الله إذا أحب عبداً حببه إلى خلقه فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس، واعلم أن مالك عند الله مثل ما للناس عندك، وقال أبو دهمان لسعيد بن مسلم: ووقف إلى بابه فحجبه حيناً، ثم أذن له فمثل بين يديه، وقال: إن هذا الأمر الذي صار إليك، وفي يدك قد كان في يدي غيرك فأمسى والله حديثاً إن خيراً فخير، وإن شراً فشر فتحبب إلى عباد الله بحسن البشر وتسهيل الحجاب، وأين الجانب فإن حب عباد الله موصول بحب الله، وبغضهم موصول ببغض الله، لأنهم شهداء لله على خلقه ورقباؤه على من اعوج عن سبيله وقال الدريدي:

وإنمـــا المـــرء حـــديـــث بعـــده فكـــن حـــديثاً حسنـــاً لمـــن وعـــى

وقال الجارود: سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل، وقيل لمعاوية: من أحب الناس إليك؟ قال من كانت له عندي يد صالحة، قيل له: ثم من؟ قال: من كانت لي عنده يد صالحة، وقال محمد بن يزيد النحوي: أتيت الخليل فوجدته جالساً على طنفسة صغيرة فوسع لي، وكرهت أن أضيق عليه فانقبضت فأخذ بعضي وقربني إلى نفسه، وقال:

إنه لا يضيق سم الخياط بمحابين، ولا تسع الدنيا متباغضين، ومن قول صاحب العقد الفريد في هذا المعنى:

صل من هويت وإن أبدى معاتبة ... فأطيب العيش وصل بين الفين
واقطع حبائل خدن لا تلائمه ... فربما ضاقت الدنيا باثنين

ولغيره:

رحب الفضاء مع الأعداء ضيقة ... سم الخياط مع الأحباب ميدان

وللحب علامات قال أبو بكر الوراق: سأل المأمون عبد الله بن طاهر ذا الرياستين عن الحب ما هو، فقال: يا أمير المؤمنين إذا تفادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة انبعثت منهما لمحة نور تستضيء بها بواطن الأعضاء، فتحرك لأشراقها طبائع الحياة، فيصير من ذلك خلق حاصر للنفس متصل بجواهر ما يسمى الحب، وسئل حماد الراوية عن الحب ما هو قال: الحب شجرة أصلها الفكر، وعروقها الذكر، وأغصانها السهر، وأوراقها الاسقام، وثمرتها المنية. وقال معاذ بن سهل: الحب أصعب ما ركب وأسكر ما شرب، وأفظع ما لقي وأحلى ما اشتهى، وأوجع ما بطن واشتهى ما علن وهو كما قال الشاعر:

وللحب آفات إذا هي صرحت ... تبدت علامات لها غرر صفر
فباطنه سقم وظاهره جوى ... وأوله ذكر وآخره فكر

وقالوا: لا يكن حبك كلفاً، ولا بغضك سرفاً وقال بشار العقيلي:

هل تعلمين وراء الحب منزلة ... تدني إليك فإن الحب أقصاني

(وقال غيره):

أحبك حباً لو تحبين مثله ... أصابك من وجد على جنون
لطيفاً مع الأحشاء أما نهاره ... فدفع وأما ليله فانين

واعلم أن التحبب إلى الناس اليوم من السنة التي أماتها أكثر الناس، وفي الحديث من أحيا سنتي فقد أحياني، ومن أحياني فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة، وفي الحديث من حفظ سنتي أكرمه الله بأربع خصال: المحبة في قلوب البررة، والهيبة في قلوب الفجرة، والسعة في الرزق، والثقة بالدين، ومن آدابه معهم وحقهم عليه حسن القبول لظاهر طاعتهم، واضرابه صفحاً عن مكاشفتهم، (ومن آدابه معهم): الحلم والتحلم عنهم ودفع السيئة منهم بالحسنة منه. قال الله تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ [فصلت: ٣٥]، وكان عليه السلام يقول: «صل من قطعك واعف عمن ظلمك وأحسن إلى من أساء إليك»[1]، وقيل لقيس بن عاصم: ما الحلم؟ قال: أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وقالوا: ما قرن شيء إلى شيء أزين من

(١) أخرجه أحمد بن حنبل (٤، ١٤٨، ١٥٨).

حلم إلى علم، ومن عفو إلى قدرة، وقال لقمان الحكيم: ثلاثة لا نعرفهم إلا في ثلاثة: لا يعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا تعرف أخاك إلا إذا احتجت إليه. وقال الشاعر:

ليست الأحلام في حين الرضى   إنما الأحلام في حين الغضب

وقال رجل لعمرو بن العاص: والله لأتفرغن لك، قال: هناك وقعت في الشغل، قال: كأنك تهددني، والله لئن قلت لي كلمة، لأقولن لك عشراً، قال: وأنت والله لئن قلت لي عشراً لم أقل لك واحدة، وقال رجل لأبي بكر رضي الله عنه: والله لأسبنك سباً يدخل القبر معك، قال معك لا معي، وقيل لعمر بن عبيد: لقد وقع فيك اليوم أبو أيوب السجستاني حتى رحمناك، قال: إياه فارحموا وشتم رجل الشعبي، فقال له: إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك، وشتم رجل أبا ذكر، فقال: يا هذا لا تغرق في شتمنا، ودع للصلح موضعاً فأنا لا نكافيء من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه، ومر عيسى بن مريم عليه السلام بقوم من اليهود فقالوا له شراً، فقال: خيراً، فقيل له: إنهم يقولون: شراً وتقول لهم خيراً، فقال: كل واحد ينفق مما عنده، وكتب رجل إلى صديق بلغه أنه وقع فيه:

لئن ساءني أن نلتني بمساءة   لقد سرني أني خطرت ببالك

وأنشد طاهر بن عبد العزيز:

إذا ما خليلي أساءه   وقد كان من قبل ذا مجملا
تحملت ما كان من ذنبه   ولم يفسد الآخر الأولا

وقال رجل للأحنف بن قيس: علمني الحلم، قال: هو الذل يا ابن أخي أفتصبر عليه، وقال الأحنف: لست حليماً، ولكني أتحالم، وقيل له: من أحلم أنت أم معاوية؟ قال: تالله ما رأيت أجهل منكم إن معاوية يقدر فيحلم، وأنا أحلم ولا أقدر، فكيف أقاس عليه أو أدانيه، وقال هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان: بم بلغ فيكم الأحنف ما بلغ، قال: إن شئت أخبرتك بخلة، وإن شئت بخلتين، وإن شئت بثلاث، قال: فما الخلة، قال: كان أقوى الناس على نفسه، قال: فما الخلتان، قال: كان موقى الشر ملقي الخير، قال: فما الثلاث؟ قال: كان لا يجهل ولا يبغي، ولا يبخل، وفي الحديث أقرب ما يكون المرء من غضب الله إذا غضب، وقال الحسن: المؤمن حليم لا يجهل، وإن جهل عليه، وتلا قوله تعالى: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ [الفرقان: ٦٣]، وقال معاوية: إني لأستحي من ربي أن يكون ذنب أعظم من عفوي، أو أجهل أكبر من حلمي، أو عورة لا أواريها بستري، وقال مورق العجلي: ما تكلمت في الغضب بكلمة ندمت عليها في الرضى، وقال يزيد بن أبي حبيب: إنما غضبي في نعلي فإذا سمعت ما أكره أخذتهما ومضيت، وقالوا: إذا غضب الرجل فليستلق على قفاه، وإذا عيي فليرفع رجليه، وقيل للأحنف: ما الحلم؟ فقال: قول إن لم يكن فعل، وصمت إن ضر قول، وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: من لانت كلمته وجبت محبته، وقال: حلمك على السفيه يكثر أنصارك عليه، وقال الأحنف:

من لم يصبر على كلمة سمع كلمات، قلت: وقد حدثني بعض أهل العلم من لم يصبر على كلمة صبر على كلمات، ومن لم يصبر على كلمات صبر على ضربة، ومن لم يصبر على ضربة صبر على ضربات، ومن لم يصبر على ضربات صبر على قتيل، ومن لم يصبر على قتيل صبر على قتلى، والأمر كذلك، وقال احنف: رب غيظ تجرعته مخافة ما هو أشد منه وأنشدوا:

رضيت ببعض الذل خوف جميعه ... كذلك بعض الشر أهون من بعض

واسمع رجل عمر بن عبد العزيز بعض ما يكره، فقال: لا عليك إنما أردت أن يستفزني الشيطان بعزة السلطان، فأنال منك اليوم ما تناله مني غداً انصرف إذا شئت، وقال الشاعر في هذا المعنى:

لن يدرك المجد أقوام وإن كرموا ... حتى يذلوا وإن عزوا لأقوام
ويشتموا فترى الألوان كاسفة ... لا ذل عجز ولكن ذل أحلام

ولآخر:

إذ أقبلت العوراء أغضى كأنه ... ذليل بلا ذل ولو شاء لانتصر

ومن أحسن بيت في الحلم قول كعب بن زهير:

إذ أنت لم تعرض عن الجهل والخنى ... أصبت حليماً أو أصابك جاهل

وقال الأحنف: آفة الحلم الذل، وقال: لا حلم لمن لا سفيه له، وقال: ما قل سفهاء قوم إلا ذلوا وأنشدوا:

لا بد للسودد من رماح ... ومن رجال مصلتي السلاح
يدافعون دونه بالراح ... ومن سفيه دائم القباح

وقال النابغة الجعدي:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له ... بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

ولما أنشد هذا البيت للنبي ﷺ، قال: لا يفضض الله فاك فعاش مائة وثلاثين سنة لم تنقض له ثنية، ويروى أنه أنشد معه:

ولا خير في جهل إذا لم يكن معه ... حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

وقالوا: لا يظهر الحلم إلا مع الانتصار، كما لا يظهر العفو إلا مع الاقتدار، وقال الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول: كان سنان بن أبي حارثة أحلم من فرخ الطائر، قلت: وما حلم فرخ الطائر؟ قال: إنه يخرج من بيضه في رأس نبق، ولا يتحول حتى يتوفر ريشه ويقوى على الطيران.

(حكاية): قيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم المنقري، رأيته قاعداً بفناء داره محتبياً بحمائل سيفه يحدث قومه حتى أتى برجل مكتوف، ورجل مقتول، فقيل له: هذا ابن أخيك، قلت ابنك فوالله ما حل حبوته، ولا قطع كلامه،

ثم التفت إلى ابن أخيه، فقال له: يا ابن أخي أثمت بربك، ورميت بسهمك، وقتلت ابن عمك، ثم قال لابن له آخر: قم يا بني فوار أخاك وحل كتاف ابن عمك وسق إلى أمه مائة ناقة دية ابنها فإنها غريبة، ثم أنشأ يقول:

إنــي امــرؤ لا يطبــي حسبــي ... دنـــس بهجتـــه ولا أبـــن
مــن منقــر فــي بيــت مكــرمــة ... والغصــن ينبــت حــولــه الغصــن
خطبــاء حيــن يقــول قــائلهــم ... بيــض الــوجــوه أعفــة لســن
لا يفطنــون لعيــب جــارهــم ... وهــم لحفــظ جــواره فطــن

هكذا في العقد الفريد، وفي المستطرف أن القاتل أخوه أي أخو عاصم فجاؤوا به مكتوفاً، فقال: ذعرتم أخي أطلقوه واحملوا إلى أم ولد ديته فإنها ليست من قومنا، ثم أنشأ يقول:

أقــول للنفــس تصبيــراً وتعــزيــة ... إحدى يدي أصابتني ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه ... هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

ولعمري إن هذا لفي الدرجة العليا من الحلم، وقيل: من عادة الكريم إذا قدر غفر، وإذا رأى زلة ستر، وقال علي كرم الله وجهه: أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وقال إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه، وقال علي كرم الله وجهه: أقيلوا ذوي المرؤات عثراتهم فما يعثر منهم عاثر إلا ويده بيد الله يرفعه، وقال: إن أول ما عوض الحليم عن حلمه أن الناس أنصار له على الجاهل، قلت: وقد تقدم كثير مما يتعلق بهذا المعنى في باب الآداب مع الإخوان فليراجعه من شاء، ومن أحسن ما قيل في الصفح قول محمود الوراق:

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب ... وإن عظمــت منــه علــى الجــرائــم
فمــا النــاس إلــى واحــد مــن ثــلاثــة ... شــريــف ومشــروف ومثــل مقــاوم
فــأمــا الــذي فــوقــي فــاعــرف قــدره ... واتبــع فيـــه الحــق والحــق لازم
وأما الذي دوني فإن قال صنت عن ... إجــابتــه نفســـي وإن لام لائــم
وأمــا الــذي مثلــي فــإن زل أو هفــا ... تفضلت إن الحر بالفضل حاكم

(ومن آدابه) معهم أن لا يكثر عليهم العتاب، ولا يخلوهم منه لا سيما أن صدق حبهم، كما قالوا: العتاب حدائق المتحابين ودليل على بقاء المودة، وقد قيل: العتاب خير من الحقد وذمه بعضهم، قال إياس بن معاوية: خرجت في سفر ومعي رجل من الأعراب، فلما كان في بعض المناهل لقيه ابن عم له فتعانقا وتعاتبا، وإلى جانبهما شيخ من الحي، فقال لهما: أنعما عيشاً إن المعاتبة تبعث التجني، والتجني يبعث المخاصمة، والمخاصمة تبعث العداوة، ولا خير في شيء ثمرته العداوة قال الشاعر:

فــدع ذكــر العتــاب فــرب شــر ... طــويــل هــاج أولــه العتــاب

وقيل: العتاب حركات الشوق، وإنما يكون هذا بين المتحابين قال الشاعر:

علامة ما بين المحبين في الهوى عتابهم في كل حق وباطل

قلت: كل هذا في أحوال أهل الدنيا.

وأما الأشياخ فكل عتابهم لا يصلح للمريد إلا تلقيه بالقبول، وعلمه بأنه أصلح له في كل فعل وقول حتى أنهم يقولون: إن المريد إذا علم أن شيخه علم به أنه زل، ولم يعاتبه على زلله، فليحذر من ذلك وليعلم أنه ليس إلا لأحد أمرين، أحدهما: أنه علم أنه لا يجيء منه شيء ولا يفيد فيه العتاب، والثاني: أنه سكت عنه، لكونه عالماً أنه لا بد له من وقوع أمر مكروه أشد عليه من عتابه، ولأجل ذلك يقوى فرحهم على المريد إذا رأوا الشيخ لا يسامحه في زلة، ولا يتركه في علة ويعاتبه أقصى العتاب على أقل هفوة وذهاب ليرده بذلك لأعلى الصواب.

(ومن آدابه) معهم أن لا يكثر عليهم الأوراد لا سيما في أول أمرهم، ولكن ليأمرهم بالذكر تدريجاً وشيئاً فشيئاً حتى يوالفوا الأذكار، وتنتشر في قلوبهم الأنوار فهنالك يكون هم المشددين على أنفسهم، والطالبين للانقطاع عن جنسهم، فينبغي له حينئذ أن يبشرهم، وييسر عليهم كما أن ذلك هو السنة أولاً وآخراً، وهو الذي به النفع باطناً وظاهراً، كان رسول الله ﷺ، بحث على الاقتصاد في الأمور كلها، ويقول: «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا»[1]، وكان ﷺ يقول: «سددوا وقاربوا وبشروا فإن أحدكم لن ينجيه عمله»[2]، قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال: «ولا أنا إلا أن يغمدني الله برحمته»[3]، وكان ﷺ يقول: «الدين يسر ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه»[4] قاله في كشف الغمة، وسيأتي مزيد على هذا النوع في الباب الآتي إن شاء الله.

(ومن آدابه معهم) أن لا يمزح معهم المزح المؤدي للاستخفاف، ولا ينقبض عنهم الانقباض المؤدي للانكفاف، وذلك لأن المزاح منه المذموم، ومنه الذي لا بأس به، قال رسول الله ﷺ: «المزاح استدراج من الشيطان واختلاع من الهوى»، وعن علي: ما مزح أحد مزحة إلا مج الله من عقله مجة، وعنه إياك أن تذكر من الكلام ما يكون مضحكاً، وإن حكيت ذلك عن غيرك، وكتب عمر رضي الله عنه إلى عماله امنعوا الناس من المزاح، فإنه يذهب بالمروءة ويوغر الصدور، وقال بعض الحكماء: تجنب سوء المزح، ونكد الهزل فإنهما بابان إذا فتحا لم يغلقا إلا بعد غم، وقال آخر: لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح، وعن محمد بن المنكدر قال: قالت لي أمي: لا تمازح الصبيان تهن عندهم قال الشاعر:

---

(١) أخرجه البخاري (مغازي، ٦٠)، (أحكام، ٢٢)، والدارمي (مقدمة، ٢٤).

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل (٦، ١٢٥).

(٣) أخرجه البخاري (رقاق، ١٨)، (مرضى، ١٩)، ومسلم (منافقين، ٧١ ـ ٧٣، ٧٥، ٧٦، ٧٨)، وابن ماجه (زهد، ٢٠)، والدارمي (رقاق، ٢٤)، وأحمد بن حنبل (٢،٢٣٥، ٢٥٦، ٢٦٤، ٣١٩، ٣٢٦، ٣٤٤، ٣٨٦، ٣٩٠، ٤٥٢، ٦٦، ٤٦٩، ٤٧٣، ٤٨٢، ٤٨٨، ٤٩٥، ٥٠٣، ٥٠٩، ٥١٤، ٥١٩، ٥٢٤، ٥٣٧، ٣، ٥٢، ٣٢٧، ٣٦٢، ٦، ١٢٥).

(٤) أخرجه البخاري (إيمان، ٢٩)، والنسائي (إيمان، ٢٨)، وأحمد بن حنبل (٥، ٦٩).

فـإيـاك إيـاك المـزاح فـإنـه ... يجري عليك الطفل والرجل النذلا
ويـذهـب مـاء الـوجـه بعـد بهـائـه ... ويـورث بعـد العـز صـاحبـه ذلا

وقال آخر:

عـرضنـا أنفسنـا عـزت علينـا ... عليكـم فـاستحـق بهـا الهـوان
ولـو أنـا رفعنـاهـا لعـزت ... ولكـن كـل معـروض مهـان

ومما يروى عن الصحابة رضوان الله عليهم، أنهم كانوا يتحادثون، وينتشدون الأشعار، فإذا جاء ذكر الله انفلت حماليقهم كأنهم لم يعرفوا أحداً، ولا بأس بالمزاح ما لم يكن سفهاً، والله تعالى وعد في اللمم بالتجاوز والعفو فقال: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم﴾ [النجم: ٣٢]، وهو ما قل وصغر، وقيل: هي النظر بلا تعمد فإن أعان النظر، فليس بلمم، وقيل: هي الخطرة من الذنب أي ما خطر من الذنب على القلب بلا عزم، وقيل: كل ذنب لم يذكر الله عليه حداً، ولا عذاباً، وقال بعضهم اللمم والإلمام ما يعمله الإنسان الحين بعد الحين، ولا يكون له عادة ولا قامة عليه، وقال محمد بن أحنفية: كل ما هممت به من خير وشر، فهو لمم دليله قوله عليه السلام: «إن للشيطان والمملك لمة فلمة الشيطان الوسوسة ولمة الملك الإلهام»[1]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: معناه إلا أن يلم بالفاحشة مرة، ثم يتوب ولم يثبت عليها، فإن الله يقبل توبته ويؤيده قوله عليه السلام: «إن تغفر اللهم فاغفر جماً»[2]، وأي عبد لك ما ألماً فالاستثناء على هذا متصل، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما نقله أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله عليه السلام: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا فزني العينين النظر، وزني اللسان النطق، وزنى الشفتين القبلة، وزنى اليدين البطش، وزنى الرجلين المشي، والنفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه، فإن تقدم فرجه كان زانياً، وإلا فهو اللمم»[3]، وفي الأسئلة المفحمة الذنوب كلها كبائر على الحقيقة، لأن الكل تتضمن مخالفة أمر الله تعالى، لكن بعضها أكبر من بعض عند الإضافة، ولا كبيرة أعظم من الشرك.

وأما اللمم فهو من جملة الكبائر والفواحش، أيضاً إلا أن الله تعالى أراد باللمم الفاحشة التي يتوب عنها مرتكبها ومجترحها، وهو قول مجاهد والحسن، وجماعة من الصحابة منهم أبو هريرة رضي الله عنه قاله روح البيان، وقيل: أن يحيى بن زكريا لقي عيسى عليه السلام فقال له: ما لي أراك لاهياً كأنك آمن فقال له عيسى: ما لي أراك عابساً كأنك آيس، فقال: لا تبرح حتى ينزل علينا الوحي فأوحى الله إليهما أن احكما إلى أحسنكما ظناً بي، ويروى أن أحكما إلى الطلق البسام، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجارية خلقني خالق الخير، وخلقك خالق الشر، فبكت الجارية، فقال عمر رضي الله عنه: لا بأس

---

(١) أخرجه الترمذي (تفسير سورة، ٢، ٣٥).
(٢) أخرجه الترمذي (تفسير سورة، ٥٣، ٩).
(٣) أخرجه البخاري (استئذان، ١٢)، (قدر، ٩)، ومسلم (قدر، ٢٠)، وأبو داود (نكاح، ٤٣)، وأحمد بن حنبل (٢، ٢٧٢، ٣٤٣، ٣٧٩، ٤٣١، ٥٣٦).

عليك، فإن الله تعالى خالق الخير وخالق الشر، قال الشاعر:

إن الصديق يريد بسطك مارحا ... فإذا رأى منك الملامة يقصر
وترى العدو إذا تيقن أنه ... يؤذيك بالمزح العنيف يكثر

وكان رسول الله ﷺ يمزح، ولا يقول إلا حقاً، فمن مزحه ﷺ أنه جاءه رجل، فقال: يا رسول الله احملني على جمل، فقال عليه السلام: «لا أحملك إلا على ولد الناقة»[1]، فقال: يا رسول الله إنه لا يطيقني، فقال له الناس: ويحك وهل الجمل إلا ولد الناقة، وقال ﷺ لامرأة من الأنصار: «الحقي زوجك ففي عينيه بياض»، فسعت إلى زوجها مرعوبة، فقال لها: ما دهاك، قالت: إن النبي ﷺ قال لي: «إن في عينيك بياضاً»، فقال: نعم، والله وسواداً، وأتته أيضاً عجوز أنصارية، فقالت: يا رسول الله ادع لله أن يدخلني الجنة، فقال لها: «يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز»، فولت المرأة تبكي، فتبسم ﷺ وقال لها: «أما قرأت قوله تعالى: ﴿إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً عرباً أترابا﴾». وقالت عائشة رضي الله عنها: سابقت رسول الله ﷺ فسبقته، فلما كثر لحمي سابقته فسبقني فضرب بكتفي، وقال: «هذه بتلك» وعنها أيضاً، قالت: كان رسول الله ﷺ يدخل، وأنا ألعب مع صويحباتي، ولا يعيب عليّ، وسئل النخعي هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون، قال: نعم، والإيمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي، قاله المستطرف، فبان من هذا أن المزاح ليس بمذموم على الإطلاق، ولا بممدوح كذلك فيأخذ الشيخ مع تلامذته ما يصلحهم من أخذه وتركه، وبالجملة، فالشيخ للمواريد كالأب الشفيق يأخذ لأولاده بكل ما يرى أنه يصلحهم فعلاً وتركاً، حتى يرى على الواحد مخايل قيامه بنفسه بكونه لا تضره مخالطة الدنيا، ولا لأبناء جنسه، ويكون كلما خالط أحداً، إما أن ينتفع منه أو لا يضره، فهنالك لا بأس عليه أن يأذن له في انتقاله لأهله، ويدعو الله له بإظهار فضله، وإن بدا له غير ذلك فليفعله به، لكونه أدرى به من بعده وقربه، ولكل حال مقال، ولكل مقال رجال، وقد كان عليه الصلاة والسلام يسلك بأصحابه سبيلاً، فإذا رأى منها مللاً سلك بهم مسلكاً آخر تنشيطاً لهم واذهاباً للكسل.

---

(١) أخرجه أبو داود (أدب، ٨٤)، وأحمد بن حنبل (٣،٢٦٧).

الباب الثالث
في آدابه مع غيرهم من الخلق أجمعه

اعلموا إخواني وفقني الله وإياكم لرضاه، وحفظني وإياكم من شر قضاه، أن هذا الباب متنزل من الباب قبله منزلة عطف العام على الخاص نحو قوله تعالى: ﴿رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات﴾ [نوح: ٢٨]، لأنه كان يتكلم على آداب الشيخ مع تلامذته في الباب الماضي، وأراد الآن أن يتكلم على آدابه مع غيرهم، وفي الحقيقة هم داخلون في هذه الآداب كما أن غيرهم داخل في الآداب معهم، وليكن في كريم علمكم أنه تقدم أن الشيخ في قومه كالنبي في أمته، ولذلك ما كان الشيخ مخاطباً به من التخلق مع الخلق لم يكن مخاطباً به سواه، وذلك لأنه المرجو له من الإرث المحمدي ما لم يكن مرجواً لغيره، بل لو كان يمكن أن يجتمع الإرث المحمدي لأحد من الخلق لرجى أن يجتمع في كل الأشياخ إلا أن النبي ﷺ ما اجتمع فيه لم يجتمع لأحد من الرسل قبله وأحرى الأولياء بعده، وليس هو إلا كما قال البوصيري رحمه الله:

فاق النبيين في خَلق وفي خُلق ... ولم يدانوه في علم ولا كرم
وكلهم من رسول اللّه ملتمس ... غرفا من البحر أو رشفاً من الديم

فالخلق بفتح الخاء وسكون اللام الخلقة صورة وشكلاً، ولوناً، وغير ذلك، والخلق بضم الخاء واللام السجية، وهي ما طبع عليه من المصالح الحميدة، والرشف الأخذ بأطراف الشفتين، وقيل: المص والديم جمع ديمة، وهي المطر الذي ليس فيه رعد، ولا برق ولما كان الأنبياء معه كذلك، فكيف بغيرهم وكيف لا، وقد قال علي كرم الله وجهه سألت النبي ﷺ عن سنته فقال: «المعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مركبي، والذكر أنيسي، والثقة كنزي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر ردائي، والرضى غنيمتي، والفقر فخري، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حسبي، والجهاد خلقي، وقرة عيني في الصلاة، وثمرة فؤادي في ذكر ربي، وغمي لأجل أمتي وشوقي إلى ربي، فانظر يا أخي إلى هذه الصفات هل تجتمع في غيره من أحد،

وأيضاً لتعلم أنه عليه السلام اجتمع فيه شكر نوح، وخلة إبراهيم، وإخلاص موسى، وصدق وعد إسمعيل، وصبر يعقوب وأيوب، واعتذار داود، وتواضع سليمان وعيسى وغيرها من أخلاق سائر الأنبياء عليهما السلام»، كما قال تعالى: ﴿فبهداهم اقتده﴾ [الأنعام: ٩٠]، إذ ليس هذا الهدى معرفة الله تعالى لأن ذلك تقليد، وهو غير لائق بالرسول عليه السلام، ولا الشرائع لأن شريعته ناسخة لشرائعهم، ومخالفة لها في الفروع والمراد منه الاقتداء بكل منهم فيما اختص به من الخلق الكريم، ولو كان كل منهم مختصاً بخلق حسن غالب على سائر أخلاقه، فلما أمر بذلك فكأنه أمر بجمع جميع ما كان متفرقاً فيهم، فهذه درجة عالية لم تتيسر لأحد من الأنبياء عليهم السلام، فلا جرم أن وصفه الله بكونه على خلق عظيم، قال بعض العارفين:

لكـل نبـي فـي الأنـام فضيلـة   وجملتهـا مجمـوعـة لمحمـد

ولذلك قال تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم لا يدرك شأوه أحد من الخلق﴾ [القلم: ٤]، ولذلك تحتمل من جهتهم ما لا يكاد يحتمله البشر، قال بعضهم: لكونك متخلقاً بأخلاق الله وأخلاق كلامه القديم ومتأيداً بالتأييد القدسي فلا تتأثر بافترائهم، ولا تتأذى بأذاهم إذ بالله تصبر لا بنفسك كما قال تعالى: ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ [النحل: ١٢٧]، وهكذا كل أخلاقه، ويجمع هذا كله قول عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن خلقه عليه السلام فقالت: كان خلقه القرآن أرادت به أنه كان متحلياً بما في القرآن من مكارم الأخلاق، ومحاسن الأوصاف، ومتخلياً عما يزجر عنه من السيئات وسفساف الخصال، كقوله تعالى: ﴿خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين﴾ [الأعراف: ١٩٩] وقوله: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ [النحل: ٩٠] الآية، وقوله: ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ [النحل: ١٢٧]، وقوله: ﴿واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ [لقمان: ١٧]، وقوله: ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك من عزم الأمور﴾ [الشورى: ٤٣]، وقوله: ﴿فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين﴾ [المائدة: ١٣]، وقوله: ﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ [النور: ٢٢]، وقوله: ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ [المؤمنون: ٩٦]، الآية، وقوله: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقوله: ﴿اجتنبوا كثيراً من الظن﴾ [الحجرات: ١٢] الآية وغير ذلك من التأديبات التي لا تنحصر، قال العارف السهروردي: وفي قول عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن رمز غامض، وإيماء خفي إلى الأخلاق الربانية، فاحتشمت الحضرة الآلهية أن تقول: كان متخلقاً بأخلاق الله فعبرت عن هذا بأن خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال، وستراً للحال بلطيف القال لوفور عقلها، وكمال أدبها، وقد تقرر عند العارفين أن أسماء الله تعالى كلها صالحة للتخلق إلا اسم الجلالة، فإن للتعلق لا للتخلق قاله

في جمع الوسائل، وفيه إيماء إلى أن أوصاف خلقه العظيم لا تتناهى كما أن معاني القرآن كذلك، وهذه اية في الاتساع ونهاية في الابتداع، ومن ثم وسعت أخلاقه أخلاق أفراد أصناف بني آدم، بل أنواع أجناس مخلوقات العالم، ولذا أرسله الله إلى العرب والعجم والإنس والجن وسائر الأمم، بل وإلى الملائكة والنباتات والجمادات، وهذا يدل عليه قوله عليه السلام في صحيح مسلم: «بعثت إلى الخلق كافة فكل من كان الله ربه فمحمد ﷺ رسوله»، وكما أن الربوبية تعم جميع العالمين، فالخلق المحمدي يشمل جميع العالمين، قلت: ولتعلم أنه عليه السلام من شرفه وكرمه عند ربه أن جمع له شرف التابعية، والمتبوعية قال تعالى له: ﴿فبهداهم اقتده﴾ [الأنعام: ٩٠]، وقال تعالى لنا: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه﴾ [الحشر: ٧] و﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ [الأحزاب: ٢١] فاقتداؤه بهم، وإكماله لما فيهم وزيادته عليهم ثابت كتاباً وسنة وإجماعاً كما تقدم، ونحن كل من كان منا أكثر في اتباعه كان أكثر في ارتفاعه.

وأما اكماله فممتنع كما تقدم، بل من تخلق منا ببعض أخلاقه قال جزيل الرحمة من خلاقه لتخلقه هو بالأخلاق الربانية الفاصحة عنها بالأخلاق القرآنية، قال ﷺ: «إن لله ثلاثمائة وستين خلقاً من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة»، قال أبو بكر رضي الله عنه: هل فيّ منها شيء واحد يا رسول الله؟ قال: كلها فيك يا أبا بكر وأحبها إلى الله السخاء، ولذلك كان أحسن أخلاق المرء في معاملته مع الحق التسليم والرضى، وأحسن أخلاقه في معاملته مع الخلق العفو والسخاء، وإنما قال: مع التوحيد، لأنه قد توجد مكارم الأخلاق، ولا إيمان كما أنه قد يوجد الإيمان ولا أخلاق إذ لو كان الإيمان يعطي بذاته مكارم الأخلاق لم يقل للمؤمن: افعل كذا واترك كذا، وللمكارم آثار ترجع على صاحبها في أي دار كان وللطبائع علامات تظهر على أهلها في كل وقت ومكان، وللكل سجايا يسرحون بها البرايا كما يسرح سائر الحيوان، ولذلك كان عى كمل الأولياء النظر في طبائع الإنسان، ومقابلة كل أحد بما يلائم طبيعته في كل البلدان، لأن ذلك هو الدلالة على كمال وراثة أفضل الأكوان ﷺ، وعلى آله وأصحابه في كل أوان، قال في العقد الفريد، وقد تكلم الناس في النعمة والسرور على تباين أحوالهم واختلاف هممهم، وتفاوت عقولهم، وما يجانس كل رجل منهم في طبعه ويؤالفه في نفسه ويميل إليه في وهمه، وإنما اختلف الناس في هذا المذهب لاختلاف أنفسهم، فمنهم من نفسه عصبية، فإنما همه منافسة الأكفاء، ومغالبة الأقران، ومكابرة العشيرة، ومنهم من نفسه ملكية فإنما همه اليقين في العلوم وادراك الحقائق، والنظر في العواقب، ومنهم من نفسه بهيمية فإنما همه طلب الراحة واهتبال النفس على الشهوة من الطعام والشراب والنكاح، وعلى هذه الطبيعة البهيمية قسمت الفرس دهرها كله، فقالوا: يوم المطر للشرب، ويوم الريح للنوم، ويوم الدجن للصيد، ويوم الصحو

للجلوس، وهي أغلب الطبائع على الإنسان لأخذها بمجامع هواه، وإيثار الراحة، وقلة العمل فمنه قولهم الرأي نائم والهوى يقظان، وقولهم: الهوى إله معبود، وقولهم: ربيع القلب ما اشتهى، وقولهم: لا عيش كطيب النفس، فمن علامات النفس الملكية ما روى أنه قيل لضرار بن عمرو: ما السرور؟ قال: إقامة الحجة وادحاض الشبهة، وقيل لآخر: ماالسرور، قال: إحياء السنة وإماتة البدعة، وقيل لآخر: ما السرور؟ قال: ادراك الحقيقة واستنباط الدقيقة، وقال الحجاج بن يوسف لجزيم الناعم: ما النعمة؟ قال: الأمن فإني رأيت الخائف لا ينتفع بعيش، قال له: زدني، قال: فالصحة فإني رأيت المريض لا ينتفع بعيش، قال له: زدني، قال له: الغنى فإني رأيت الفقير لا ينتفع بعيش، قال له: زدني قال: ما أجد مزيداً، قلت: وقد ذكرتني هذه القضية قضية سمعتها من شيخنا رضي الله عنه وأرضاه: وهي أن حكيماً نصرانياً اشتهر بالعقل، وكلام الحكمة في دهره فكان من قدر الله أن أظفر الله به المسلمين، فقالوا له: ما ألذ الأشياء؟ قال: العافية، قالوا له: ما يتلوها، قال: الشباب، قالوا ما يتلوه، قال الغنى عن الناس، قالوا له: ما يتلوه، قال: الفراغ، قالوا: ما يتلوه، قال لهم: لا لذة في غير هذه الأربعة، فقال له بعض المسلمين: ليتك قلت معهن الإيمان، قال له: إنه لا يعرف ذلك، فكان من قدر الله أن المسلمين أمسكوه حتى أسلم.

فلما أسلم، قال لهم: عدوا لذة الإيمان أولهن، وقيل لأعرابي: ما السرور؟ قال: الأمن والعافية، ومن علامات النفس العصبية ما روى أنه قيل لحصين بن المنذر: ما السرور؟ قال لواء منشور والجلوس على السرير والسلام عليك أيها الأمير، قيل للحسن بن سهل: ما السرور؟ قال: توقيع جائز وأمر نافذ، وقيل لعبد الله بن الأهتم: ما السرور؟ قال: رفع الأولياء، ووضع الأعداء، وطول البقاء مع الصحة والنماء، وقيل لزياد: ما السرور؟ قال: من طال عمره ورأى في عدوه ما يسره، وقيل لأبي مسلم صاحب الدعوة: ما السرور؟ قال: ركوب الهمالجة، وقتل الجبابرة، وقيل له: ما اللذة؟ قال: إقبال الزمان، وعز السلطان، ومن علامات النفس البهيمية ما روى أنه قيل لامرىء القيس: ما السرور؟ قال: بيضاء رعبوبة بالطيب مشوبة باللحم مكبوبة، وكان مفتوناً بالنساء، وقيل لأعشى بكر: ما السرور؟ قال: صهباء صافية تمزجها ساقية من صوب غادية، وكان مغرماً بالشراب، وقيل لطرفة: ما السرور؟ فقال: مطعم هنيء ومشرب رويء، وملبس دفيء، ومركب وطيء، وكان يؤثر الخفض والدعة، وقيل ليزيد بن مزيد: ما السرور؟ قال: قبلة على غفلة، وكان صاحب وصائف، وقيل لحرقة بنت النعمان ما كانت لذة أبيك؟ قالت: شرب الجريال أي الخمر، ومحادثة الرجال؛ وقيل لحصين بن المنذر: ما السرور؟ قال: دار قوراء، وجارية حوراء، وفرس مرتبط في الفناء، وقيل للحسن بن هانيء: ما السرور؟ قال: مجالسة الفتيان

في بيوت القيان، ومنادمة الإخوان على قضب الريحان وأنشأ يقول:

قلت بالعين لموسى وندامای نيام يا رضيعي ثدي أم ليس لي عنه فطام
إنما العيش سماع ومدام وندام فإذا فاتك هذا فعلى الدنيا السلام

وقال معاوية لعبد الله بن جعفر: ما أطيب العيش؟ قال: ليس هذه من مسائلك يا أمير المؤمنين، قال: عزمت عليك لتقولن قال: هتك الحياء واتباع الهوى، وقال معاوية لعمرو بن العاص: ما العيش؟ قال: ليخرج من ههنا من الأحداث فخرجوا، فقال: العيش كله في إسقاط المروءة، وقال هشام بن عبد الملك: ألذ الأشياء كلها جليس مساعد يسقط عني مؤنة التحفظ، وقيل لأعرابي: ما السرور؟ قال: ليس البالي في الصيف، والجديد في الشتاء، وقيل لآخر: ما النعيم؟ قال: الماء الحار في الشتاء، والبارد في الصيف، قلت: فإذا تمهد لديك هذا وعلمت أن طبائع الإنسان مشتتة أي تشتيت، ولا يمكن أن يرى لها في الأمكنة، والأزمنة تثبيت علمت أنه لا يليق بها إلا خلق عظيم تأدب صاحبه بآداب نبينا عليه أفضل الصلاة، والتسليم فيتأدب مع كل أحد بآداب تليق به في سكناه وانتقاله وبعده وقربه، فآكد من يتأدب معه من الخلق النبي ﷺ، والأدب معه ﷺ اليوم ليس إلا في اتباعه، وتعظيم أقواله وأفعاله بتقديمهما على أقوال غيره، وأفعاله وهو أمر متأكد في كل زمن لا سيما في زمننا هذا اليوم، فإن كثيراً من أهل التقليد في هذا الزمن لا يقبل العمل بحيث إلا إذا وجده موافقاً لقول من قلد من العلماء، وهذا لعمري عكس القضية، بل الأولى والواجب أن لا يلتفت إلى قول مقلد، إلا إذا وافق قولاً وفعلاً للنبي ﷺ أو أحد من أصحابه رضي الله عنهم لقوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه﴾ [الحشر: ٧] وقوله ﷺ: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»، وفي الحديث القرآن صعب عسر على من كرهه، ميسر على من تبعه، وحديثي صعب مستصعب، وهو الحكمة فمن استمسك بحديثي وحفظه كان مع القرآن، ومن تهاون بحديثي خسر الدنيا والآخرة، وأمرتم أن تأخذوا بقولي، وتتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن، ومن استهزأ بقولي فقد استهزأ بالقرآن قال تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٧]، وسئل سهل رحمه الله عن شرائع الإسلام، فقال: ما آتاكم الرسول من خير الغيب ومكاشفة الرب، فخذوه باليقين، وما نهاكم عنه من النظر إلى غير الله فانتهوا عنه، قلت: ولا مفهوم فكذلك ما آتاكم الرسول من خبر الشهادة ومعاملة العباد، فعلينا الأخذ به باليقين، وما نهانا عنه من كل منهي فعلينا أن ننتهي عنه، فعلى الناس كلهم، ولا سيما الأشياخ والعلماء أن يتأدبوا مع النبي عليه السلام باقتفاء أثره، وتقديمه على غيره، ويحثوا على ذلك أتباعهم لينالوا بذلك المحبة التي لا تنال إلا به قال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾ [آل

عمران: ٣٢]، واعلم أن المحبة ميل النفس إلى الشيء، لكمال أدركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها إليه، والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله، وأن كل ما يراه كمالاً من نفسه أو غيره فهو من الله وبالله، وإلى الله لم يكن حبه إلا الله، وذلك يقتضي إرادة طاعته، والرغبة فيما يقربه إليك، فلذلك فسرت المحبة بإرادة الطاعة، وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول ﷺ في طاعته، والحرص على مطاوعته، ودلت الآية على شرف النبي عليه السلام، فإنه جعل متابعته متابعة حبيبه، وقارن طاعته بطاعته، فمن ادعى محبة الله، وخالف سنة نبيه، فهو كذاب بنص كتاب الله كما قيل:

تعصى الإله وأنت تظهر حبه ... هذا محال في الفعال شنيع

لو كان حبك صادقاً لاطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

وإنما كان من ادعى محبة الله، وخالف سنة رسوله كاذباً في دعواه، لأن من أحب آخر يحب خواصه والمتصلين به من عبيده وغلمانه، وبيته وبنيانه، ومحله ومكانه، وجداره وكلبه وحماره وغير ذلك، فهذا هو قانون العشق، وقاعدة المحبة وإلى هذا المعنى أشار المجنون العامري حيث قال:

أمر على الديار ديار ليلى ... أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبي ... ولكن حب من سكن الديارا

قال الإمام القشيري رحمه الله: قطع الله أطماع الكل أن يسلم لأحدهم نفسه، إلا ومقتدارهم سيد الأولين والآخرين، وقال القلشاني: محبة النبي عليه السلام، إنما تكون بمتابعته، وسلوك سبيله قولاً وعملاً وخلقاً وحالاً وسيرة وعقيدة، ولا تتمشى دعوى المحبة إلا بهذا، فإنه قطب المحبة ومظهرها، وطريقته ﷺ المحبة، فمن لم يكن له من طريقته نصيب لم يكن له من المحبة نصيب، وإذا تابعه حق المتابعة ناسب باطنه وسره، وقلبه ونفسه باطن النبي ﷺ وسره وقلبه ونفسه، وهو مظهر المحبة فلزم بهذه المناسبة أن يكون لهذا التابع قسط من محبة الله بقدر نصيبه من المتابعة، فيلقى الله محبته عليه، ويسري من روح النبي نور تلك المحبة أيضاً إلى قلبه أسرع ما يكون إذ لولا محبة الله لم يكن محباً له، ثم نزل عن هذا المقام لأنه أعز من الكبريت الأحمر، ودعاهم إلى ما هو أعم من مقام المحبة، وهو مقام الإرادة فقال: قل أطيعوا الله والرسول أي إن لم تكونوا محبين، ولم تستطيعوا متابعة حبيبي، فلا أقل من أن تكونوا مريدين مطيعين لما أمرتم به، فإن المريد يلزمه طاعة المراد وامتثال أمره، فإن تولوا أي أعرضوا عن ذلك أيضاً فهم كفار محجوبون اهـ، وروى البخاري عن عبد الله بن هشام أنه كان مع النبي ﷺ، وهو آخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال عمر: يا رسول الله أنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي، فقال عليه السلام:

«والذي نفس محمد بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه منن نفسه»[1]، فقال عمر: فإنه الآن، والله أنت أحب إليَّ من نفسي، فقال عليه السلام: «الآن يا عمر صار إيمانك كاملاً»، وقال عليه السلام: «كل أمتي يدخلون الجنة لا من أبى، قالوا: ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»[2]، وعن جابر بن عبد الله أنه قال: جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم مذ مثلاً فاضربوا له مثلاً، فقالوا: مثله كمثل رجل بنى داراً، وجعل فيها مأدبة، وبعث داعياً فمن أجاب الداعي دخل الدار، أو أكل من المأدبة، من لم يحب الداعي لم يدخل الدار، ولم يأكل من المأدبة، فقال: أولو هاله يفقهها، فقالوا: الدار الجنة، والداعي محمد.

فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس فبمتابعة النبي ﷺ تحصل الجنة والقربة والوصلة، روى أن محمود الغازي دخل على الشيخ الرباني أبي الحسن الخرقاني قدس سره لزيارته، وجلس ساعة، ثم قال: يا شيخ ما تقول في حق أبي يزيد البسطامي قدس سره، فقال الشيخ: هو رجل من اتبعه اهتدى، واتصل بسعادة لا تخفى، فقال محمود: وكيف ذلك وأبو جهل رأى رسول الله عليه السلام، ولم يخلص من الشقاوة؟ فقال الشيخ في جوابه: إن أبا جهل ما رأى رسول الله، وإنما رأى محمد بن عبيد الله، حتى لو كان رأى رسول الله عليه السلام لخرج من الشقاوة، ودخل في السعادة، ثم قال: ومصداق ذلك في قول الله: ﴿وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾، فالنظر بعين الرأس لا يوجب هذه السعادة، بل النظر بعين السر والقلب، والمتابعة التامة تورث ذلك، وأمته ﷺ من اتبعه، ولا يتبعه إلا من أعرض عن الدنيا، فإنه عليه السلام ما دعا إلا إلى الله واليوم الآخر، وما صرف إلا عن الدنيا، والحظوظ العاجلة فبقدر ما أعرضت عنها وأقبلت على الله، وصرفت الأوقات لأعمال الآخرة، فقد سلكت سبيله الذي يسلكه، ويقدر ما اتبعته صرت من أمته، وبقدر ما أقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله، وأعرضت عن متابعته، ولحقت بالذين قال الله تعالى فيهم: ﴿فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى﴾ [النازعات: ٣٩]، ولو خرجت من مكمن الغرور، وأنصفت من نفسك يا رجل، وكلنا ذلك الرجل لعلمت أنك من حين تمسي إلى حين تصبح لا تسعى إلا في الحظوظ العاجلة، ولا تتحرك إلا برجل الدنيا الفانية، ثم تطمع في أن تكون غداً من أمته وأتباعه، ويحك ما أبعد ظننا، وما أفحش طمعنا، قال الله تعالى: ﴿أفنجعل المسلمين

---

(١) أخرجه البخاري (إيمان، ٨)، (أيمان، ٣)، ومسلم (إيمان، ٦٩، ٧٠)، والنسائي (إيمان، ١٩)، وابن ماجه (مقدمة، ٩)، وأحمد بن حنبل (١٧٧،٣، ٢٠٧، ٢٧٥، ٢٧٨، ٤، ٣٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (اعتصام، ٢٠)، وأحمد بن حنبل (٣٦١،٢، ٣٦٢).

كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون﴾ [القلم: ٣٥]، قاله روح البيان ثم يلي الأدب مع النبي ﷺ الأدب مع العلماء بتبجيلهم وتوقيرهم، وعدم تعنيفهم، لكونهم ورثة الأنبياء، والعلماء المقصودون لذلك، هم العلماء العارفون بالله الداعون إلى طريقته باطناً وظاهراً، لأنهم الوارثون للأنبياء. ذكر الشعبي قال: ركب زيد بن ثابت فأخذ عبد الله بن عباس بركابه، فقال: لا تفعل يا ابن عم رسول الله ﷺ، فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا، فقال زيد: أرني يدك فلما أخرج يده قبلها، وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بابن عم رسول الله ﷺ، وقالوا: خدمة العلم عبادة، وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه: من حق العالم عليك إذا أتيته أن تسلم عليه خاصة، وعلى القوم عامة، وجلس قدامه، ولا تشر بيدك، ولا تغمز بعينك، ولا تمثل قال فلان خلاف قولك، ولا تأخذ بثوبه، ولا تلح عليه في السؤال قائماً هو بمنزلة النخلة المرطبة التي لا يزال يسقط عليك منها شيء، وقالوا: إذا جلست إلى العالم فاسأل تفقهاً، ولا تسأل تعنتاً فإنه في العقد الفريد، وينبغي له أن يتأدب أيضاً مع السلطان، لكونه ظل الله، والأدب معه يورث الأمان واتباع النبي عليه السلام، والقرآن قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾ [النساء: ٥٩]، قال روح البيان: وهم أمراء الحق وولاة العدل كالخلفاء الراشدين، ومن يقتدي بهم من المهتدين.

وأما أمراء الجور، فبمعزل من استحقاق العطف على الله والرسول في وجوب الطاعة، فإنهم اللصوص المتغلبة لأخذهم أموال الناس بالقهر والغلبة، وإنما أفرد بالذكر طاعة الله، ثم جمع طاعة الرسول مع طاعة أولى الأمر حيث قال الله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾ [النساء: ٥٩]، ولم يقل: وأطيعوا أولى الأمر منكم، تعليماً للأدب، وهو أن لا يجمعوا في الذكر بين اسمه سبحانه وبين اسم غيره.

وأما إذا آل الأمر إلى المخلوقين، فيجوز، وقال عليه السلام: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصا الله، ومن يطع الأمير العادل، فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني واعلم أن الولاة إنما يكونون على حسب أعمال الرعايا وأحوالهم صلاحاً وفساداً»[1]. روى أنه قيل للحجاج بن يوسف: لم لا تعدل مثل عمر، وأنت قد أدركت خلافته، أفلم تر عدله وصلاحه، فقال: في جوابهم تباذرا أي كونوا كأبي ذر في الزهد والتقوى أتعمر لكم أي أعاملكم معاملة عمر في العدل والإنصاف، وفي الحديث كما تكونون يولي عليكم أحدكم يعني إن تكونوا صالحين، فيجعل وليكم رجلاً صالحاً، وإن تكونوا طالحين فيجعل وليكم رجلاً طالحاً، روى أن موسى عليه السلام ناجى ربه، فقال: يا

(١) أخرجه البخاري (جهاد، ١٠٩)، (اعتصام، ٢)، (أحكام، ١)، ومسلم (إمارة، ٣٢، ٣٣)، والنسائي (بيعة، ٢٧)، وابن ماجه (مقدمة ١)، (جهاد، ٣٩)، وأحمد بن حنبل (٢، ٩٣، ٢٤٤، ٢٥٢، ٢٧٠، ٣١٣، ٣٤٢، ٣٨٢، ٤١٦، ٤٦٧، ٤٧١، ٥١١).

رب ما علامة رضاك من سخطك، فأوحى الله إليه إذا استعملت على الناس خيارهم، فهو علامة رضائي، وإذا استعملت شرارهم فهو علامة سخطي، ثم اعلم أن المراد بأولى الأمر في الحقيقة المشايخ الواصلون، ومن بيده أمر التربية، فإن أورد أمر المريد شيخه في التربية، فينبغي للمريد في كل وارد حق يدق باب قلبه، أو إشارة أو إلهام أو واقعة تنبىء عن أعمال، أو أحوال في حقه أن يضرب على محك نظر شيخه، فما يرى فيه الشيخ من الصالح، ويشير إليه أو يحكم عليه يكون منقاداً لأوامره ونواهيه، لأنه أمره.

وأما الشيخ فأولو أمره الكتاب والسنة، فينبغي له أن ما سنح له من الغيب بوارد الحق من الكشوف، والشواهد، والأسرار والحقائق يضرب على محك الكتاب والسنة فما صدقاه، وحكما عليه فيقبله، وإلا فلا لأن الطريقة مقيدة بالكتاب والسنة كذا ذكره الشيخ الكامل نجم الدين البكري في تأويلاته، قلت: وكذلك أمور السلطان إن لم تكن معروضة على الكتاب والسنة موافقة لهما، فإنها لا فائدة فيها، وإذا كانت متابعة للكتاب والسنة كانت في أقصا المراد.

(ومما يتأكد الأدب معه الوالدان) لما في الأدب معهما من رضى الرحمن، قال تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا﴾ [النساء: ٣٦]، وينبغي الأدب أيضاً مع بقية الآتي في الآية بتأدية حقوقهم الآتية، ولا علينا أن نأتي ببعض تلك الحقوق من كلام روح البيان على الآية قوله: ﴿واعبدوا الله﴾ العبادة عبارة عن كل فعل وترك يؤتى به بمجرد أمر الله تعالى بذلك، وهذا يدخل فيه جميع أعمال القلوب، وجميع أعمال الجوارح، ﴿ولا تشركوا به شيئاً﴾ من الأشياء صنماً أو غيره أو شيئاً من الاشتراك جلياً، وهو الكفر أو خفياً، وهو الرياء ﴿وبالوالدين إحسانا﴾ أي وأحسنوا إليهما إحساناً فالباء بمعنى إلى كما في قوله: وقد أحسن بي وبدأ بهما لأن حقهما أعظم حقوق البشر، والإحسان إليهما بأن يقوم بخدمتهما، ولا يرفع صوته عليهما، ولا يخشن في الكلام معهما ويسعى في تحصيل مطالبهما والاتفاق عليهما بقدر القدرة، ﴿وبذي القربى﴾ وبصاحب القرابة من أخ أو عم أو خال أو نحو ذلك بصلة الرحم والمرحمة أن استغنوا، والوصية وحسر الأنفاق أن افتقروا، ﴿واليتامى﴾ بانفاق ما هو أصلح لهم أو بالقيام على أموالهم إن كان وصياً، ﴿والمساكين﴾ بالمبار والصدقات وإطعام الطعام أو بالرد الجميل، ﴿والجار ذي القربى﴾ أي الذي قرب جواره أو الذي له مع الجوار اتصال بنسب أو دين، قال عليه السلام: «والذي نفسي بيده لا يؤدي حق الجار إلا من رحم الله، وقيل ما هم أتدرون ما حق الجار إن افتقر أغنيته، وإن استقرض أقرضته، وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابه شر عزيته، وإن مرض عدته، وإن مات شيعت جنازته»، ﴿والجار الجنب﴾ أي البعيد أو الذي لا قرابة له وعنه عليه السلام: «الجيران ثلاثة، فجار له ثلاثة حقوق، حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام، وجار له

حقان، حق الجوار، وحق الإسلام، وجار له حق واحد، وهو حق الجوار، وهو الجار من أهل الكتاب»، ﴿والصاحب بالجنب﴾ أي الرفيق في أمر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر، فإنه صحبك وحصل بجانبك، ومنهم من قعد بجنبك في مسجد أو مجلس أو غيره، ذلك من أدنى صحبة التأمت بينك وبينه فعليك أن ترعى ذلك الحق، ولا تنساه وتجعله ذريعة إلى الإحسان، ﴿وابن السبيل﴾ هو المسافر الذي سافر عن بلده وماله والإحسان بأن تؤويه وتزوده، أو هو الضيف الذي ينزل عليك، وحقه ثلاثة أيام، وما زاد على ذلك فهو صدقة، ولا يحل له أن يقيم حتى يحرجه، ﴿وما ملكت أيمانكم﴾ من العبد والإماء والإحسان إليهم بأن يؤدبهم، ولا يكلفهم ما لا طاقة لهم به، ولا يكثر العمل لهم طول النهار، ولا يؤذيهم بالكلام الخشن، بل يعاشرهم معاشرة حسنة ويعطيهم من الطعام والكسوة ما يحتاجون إليه قال بعضهم: كل حيوان فهو مملوك والإحسان إليه بما يليق به طاعة عظيمة ﴿إن الله لا يحب من كان مختالاً﴾ أي متكبراً يأنف من أقاربه وجيرانه وأصحابه، ولا يلتفت إليهم، ﴿فخوراً﴾ بما لا يليق يتفاخر عليهم بالحقوق، ويقال: فخوراً في نعم الله لا يشكر، قال الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿يا موسى إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وحدي لا شريك لي فمن لم يرض بقضائي ولم يشكر على نعمائي ولم يصبر على بلائي ولم يقنع بعطائي فليعبد رباً سوائي يا موسى لولا من يسجد لي ما أنزلت من السماء قطرة ولا أنبت في الأرض شجرة ولولا من يعبدني مخلصاً لما أمهلت من يجحدني طرفة عين ولولا من يشكر نعمتي لحبست القطر في الجو يا موسى لولا التائبون ولخسفت بالمذنبين ولولا الصالحون لأملكت الطالحين﴾ واعلم أن العبادة أن تعبد الله وحده بطريق أوامره ونواهيه، ولا تعبد معه شيئاً من الدنيا والعقبى، فإنك لو عبدت الله خوفاً من شيء أو طمعاً في شيء فقد عبدت ذلك الشيء، والعبودية طلب المولى بالمولى بترك الدنيا، والعقبى والتسليم عند جريان القضاء شاكراً صابراً في النعم والبلوى فلا بد من التوحيد الصرف، وترك الشرك حتى يوصله الله إلى مبتغاه فإذا حصل المقصود، ووصل العابد إلى المعبود، فحينئذ يصح منه وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين الآية، لأن الإحسان من صفات الله تعالى لقوله تعالى: ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾ [السجدة: ٧] والإساءة من صفات الإنسان، لقوله: ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾ [يوسف: ٥٣] فالعبد لا يصدر منه الإحسان إلا أن يكون متخلقاً بأخلاق الله كما قال تعالى: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ [النساء: ٧٩] وفيه إشارة أخرى، وهي أن شرط العبودية الاقبال على الله بالكلية، والاعراض عما سواه، ولا يصدر منه الإحسان إلا إذا اتصف بأخلاق الله حتى يخرج من عهده العبودية بالوصول إلى حضرة الربوبية، فتفنى عنك به وتبقى به للوالدين وغيرهما محسناً لإحسانه بلا شرك، ولا رياء فإن الشرك والرياء من بقايا النفس، ولهذا قال عقيب

الآية: إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً، لأن الاختيال والفخر من أوصاف النفس، والله تعالى لا يحب النفس ولا أوصافها، لأن النفس لا تحب الله ولا المحبة من أوصافها فإنها تحب الدنيا، وزخارفها، وما يوافق مقتضاها، قال ﷺ: «الشرك خفي في ابن آدم من دبيب النملة على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ومن خدم مخلوقاً خوفاً من مضرته أو طمعاً في منفعته فقد أشرك عملاً»[1]، قال تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً﴾ [الفرقان: ٢٣] يعني الأعمال التي عملوها لغير وجه الله أبطلنا ثوابها، وجعلناها كالهباء المنثور، وهو الغبار الذي يرى في شعاع الشمس، وجاء رجل إلى النبي عليه السلام، فقال: يا رسول الله إني أتصدق بالصدقة فالتمس بها وجه الله تعالى، وأحب أن يقال لي فيه خير فنزل قوله تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ [الكهف: ١١٠] يعني من خاف المقام بين يدي الله تعالى: ﴿ويريد ثوابه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ [الكهف: ١١٠]، رزقنا الله وإياكم الإخلاص، اعلم أنه تقدم لنا أن هذا الباب في آداب المربي مع غير مواريده من الخلق أجمعه، وذلك لا يصح إلا لمن تأدب بآدابه ﷺ، وتخلق بأخلاقه الزكية، ولذلك أريد أن أسرد للناظر منها هنا جملة صالحة تكفي من أخذ بها أني بها حسن العدوى في كتابه النفحات الشاذلية في شرح البردة البوصيرية، وسبقه بها قطب الواصلين، وإمام العارفين، سيدي عبد الوهاب الشعراني في الباب الأول من كتاب الأخلاق المتبولية، قالا رحمهما الله ورضي عنا وعنهما كان رسول الله ﷺ، أورع الناس، وأزهد الناس، وأعف الناس واعلم الناس، وأكرم الناس، وأحلم الناس، وأعبد الناس، وأبعدهم عن مواطن الريب لم تمس يده يد امرأة أجنبية قط تشريعاً لأمته، واحتياطاً لهم، وكان ﷺ إذا وعظ الناس يرسل الكلام في حق كل الناس، ولم يكن ينص في وعظه على أحد معين خوفاً أن يخجله بين الناس، فيقول: «ما بال أقوام يفعلون كذا» وكان ﷺ أقنع الناس باليسير من الدنيا، وأيسرهم بلغة كان يكفيه اللعقة من الطعام والكف من الحشف، وكان يستحي من الله إذا أراد دخول الخلاء حتى كان يتقنع بردائه من شدة حيائه ﷺ، وكان ﷺ أشفق الناس على أمته.

وكان يقول: «اللهم لا ترني في أمتي سوءاً» وقد تقبل الحق تعالى منه ذلك، فلم يره في أمته سوءاً حتى توفاه الله عز وجل، وكان ﷺ مغمضاً عينيه عن رؤية زينة الدنيا، فلم يمد عينيه إلى زينتها قط، وكان معصوماً من خائنة الأعين، وكان ﷺ يستتر في غسله من الجنابة وغيره، ولم يغتسل عرياناً قط حياء من الله عز وجل، وكان إذا طلب البراز يبعد عن الناس، ويتوارى بجدار ونحوه، حتى لا يرى شخصه ﷺ، وكان ﷺ يلبس ما وجد فمرة شمله،

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل (٤، ٤٠٣).

ومرة برد حبرة يمانياً، ومرة جبة صوف ما وجد من الملابس، وكان إذا كساه أحد لا يغيره عن هيئته من سعة أو ضيق، ولبس مرة جبة ضيقة الكمين لا يستطيع أن يخرج يده من كمها إلا بعسر، فكان إذا توضأ منها أخرج يديه من ذيلها ليغسلهما، وكان ﷺ يردف خلفه عبده وصاحبه، وتارة يردف خلفه وأمامه وهو في الوسط، لكن في الأطفال كالحسن والحسين وأولاد جعفر رضي الله عنهم، ومن هنا تعلم أن محل جواز الإرداف، ما إذا احتمله ذلك المركوب، وكان ﷺ يركب ما وجد مرة فرساً، ومرة بعيراً، ومرة حماراً ومرة بغلة، ومرة يمشي حافياً راجلاً بلا رداء، ولا قلنسوة ليعود المرضى في أقصى المدينة، وكان ﷺ يحب الطيب، ويكره الرائحة الرديئة، وكان ﷺ يأكل مع الفقراء والمساكين والخدم، وكان يفلي للمساكين ثيابهم ولحاهم ورؤوسهم، وكان ﷺ يكرم أهل الفضل على اختلاف طبقاتهم، ويتألف أهل الشرف بالإحسان إليهم.

وكان يكرم ذوي رحمة من غير أن يؤثرهم على من هم أفضل منهم، وكان ﷺ لا يقطع على أحد حديثه ولا يجفو على أحد بكلام ولا غيره ولو فعل معه ما يوجب الجفاء وكان ﷺ يقبل عذر المعتذر، وإن كان مبطلاً، ويقول: «من أتاه أخوه متنصلاً من ذنب، فليقبل ذلك محقاً كان أو مبطلاً فإن لم يفعل لم يرد على الحوض»، وكان ﷺ يمزح مع النساء والصبيان، ولا يقول إلا حقاً كقوله للعجوز وهو متبسم: «لا يدخل الجنة عجوز» أي أن أهل الجنة أبكار عرب، وكان ضحكه ﷺ التبسم فقط، من غير رفع صوت، وكان ﷺ يرى اللعب المباح فلا ينكر، وكان الأعراب يرفعون عليه الأصوات بالكلام الجافي فيتحمله، وكان ﷺ لا يجزيء بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولم يكن له إناء يختص به عن خدمه وإمائه، بل كان يأكل معهم في إناء واحد تواضعاً معهم وتشريعاً للمتكبرين من أمته، وكان يجيب إلى الوليمة كل من دعاه، ويشهد جنائز المسلمين من عرفه، ومن لم يعرفه، وكان منديله ﷺ باطن قدميه إذا أكل، وكان له ﷺ إماء وخدم، وكان لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس ولا مجلس، وكان ﷺ مقبلاً على عبادة ربه ليلاً ونهاراً إلا يمضي له وقت إلا في عمل طاعة الله عز وجل أو فيما لا بد منه مما يعود نفعه عليه، وعلى المسلمين ويحتطب، ثم يحمل ﷺ الحطب إلى بيته تواضعاً منه ﷺ.

وكان ﷺ لا يحقر مسكيناً لفقره، ولا يهاب ملكاً لملكه يدعو هذا، وهذا إلى الله عز وجل دعاء واحداً، وكان ﷺ أرحم خلق الله على الإطلاق، وأشفقهم على دين أمته، وكان ﷺ إذا سبق لسانه إلى شتمة لأحد قال: «اللهم اجعلها عليه طهوراً وكفارة، ورحمة» ولم يلعن ﷺ قط امرأة معينة، ولا خادماً ولا بعيراً، وكان إذا سئل أن يدعو على أحد عدل عن الدعاء عليه ودعا له، وما ضرب ﷺ قط امرأة ولا خادماً ولا غيرهما، إلا أن يكون في الجهاد أو في حد من حدود الله فيأمر الجلاد بذلك تطهيراً للمجلود، ودعا مرة خادماً له فلم

يجبه، فقال: «والله لولا خشية القصاص يوم القيامة لأوجعتك بهذا السواك».

وكان ﷺ لا يأتيه أحد من حر ولا عبد ولا أمة ولا مسكين يسأله في حاجته إلا قام معه، وقضى حاجته، ولو في أقصى المدينة، أو في القرى التي خارجها جبراً لخاطره، وكان ﷺ لا يعيب قط مضجعاً، وكانوا إن فرشوا له شيئاً جلس عليه واضطجع، وإن لم يفرشوا له شيئاً جلس على الأرض واضطجع عليها، وكان ﷺ هيناً ليناً مع جميع أصحابه ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق أي صياح فيها.

وكان ﷺ يبدأ كل من لقيه بالسلام من المسلمين، وكان إذا أخذ بيده ﷺ أحد سايره حتى يكون ذلك الشخص هو الذي ينصرف، وكان ﷺ إذا لقي أحداً من أصحابه صافحه، ثم شابكه وشد قبضته على يده على عادة العرب، وكان ﷺ لا يقوم عن مجلس ولا يجلس إلا على ذكر الله عز وجل.

وكان ﷺ إذا جاءه أحد، وهو يصلي خفف ﷺ صلاته، ثم سلم منها، وقال له: ألك حاجة؟ فإن قال لا عاد إلى صلاته، وإن كان له حاجة قضاها له بنفسه أو بوكيله، وكان أكثر جلوسه ﷺ إنه ينصب ساقيه جميعاً ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة، وكان ﷺ يجلس حيث انتهى به المجلس، حتى إنه لم يكن يعرف من بين أصحابه، قال أنس رضي الله عنه: وما رأى قط ﷺ ماداً رجليه يضيق بهما على أحد، ولم يكن يمدهما إلا إن كان المكان واسعاً، ولما يسأل عنه، فتكلم الصحابة في عمل شيء يميزه ﷺ حتى يصير الأعرابي يأتي إليه، ويسأله ولا يحتاج إلى من يعرفه به، فانفق رأيهم على أن يبنوا له دكاناً من طين، ثم فرشوا له عليه حصيراً من خوص النخل، فكان ﷺ يجلس عليه حتى مات.

وكان ﷺ أكثر جلوسه إلى القبلة، ويقول: هو سيد المجالس وكانوا يجلسون بين يديه متحلقين، وكان ﷺ يكرم كل داخل إليه، ويؤثره بالوسادة التي تكون تحته فإن أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يقبلها، وربما بسط ﷺ ثوبه أو رداءه لمن لم يكن بينه وبينه معرفة ولا قرابة يجلسه عليه تألفاً لقلبه، وكان ﷺ لا يؤخر عن الضيف شيئاً بل يخرج إليه كل ما وجد، وكان ربما لم يجد له ما يكرمه به فيصير يعتزر إليه تطييباً لخاطره، وكان كثيراً ما يخرج إلى بيوت أصحابه من غير دعوة ويتفقدهم إذا انقطعوا عن مجلسه، وإذا رأى عند أحد منهم جفاء أرسل إليه بهدية، وكان ﷺ يداعب الحسن والحسين وربما أركبهما على ظهره، وصار يمشي على يديه ورجليه، ويقول: «نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما»، وأخذ ﷺ مرة بيد الحسن بن علي ووضع رجليه على ركبتيه، وهو يقول: «حزقة حزقة ترق عين بقة» هكذا كان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: وكان ﷺ يعطي كل من جلس إليه حظه من البشاشة حتى يظن ذلك الجالس أنه أكرم عليه من جميع أصحابه، وكان ﷺ يكني أصحابه ويبتدئهم

بالكنى، ويدعوهم بها إكراماً لهم واستمالة لقلوبهم، وكان يكني النساء التي يلدن، والتي لم يلدن ويكني الصبيان يستلين بذلك قلوبهم، وكان ﷺ أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضى، وكان أرق أي أرأف الناس بالناس، وخير الناس للناس، وكان إذا قام من مجلسه يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك»[1] ثم يقول: «علمنيهن جبريل عليه السلام»، وقال: «هن كفارة لما وقع في ذلك المجلس»[2]، وكان ﷺ قليل الكلام، سمح المقالة قعيد الكلام مرتين وأكثر ليفهمهم، وكان كلامه كخرزات النظم، وكان يكنى عن الأمور المستقبحة في العرف إذا اضطره الكلام إلى ذكرها، ويعرض عن كل كلام قبيح، وكان ﷺ إذا سلم سلم ثلاث مرات، وكان كثير البكاء، ولم تزل عيناه تهملان من الدموع كأنه حديث عهد بمصيبة، قال أنس رضي الله عنه وكسفت الشمس مرة، فجعل ﷺ يبكي في الصلاة، وينفخ، ويقول: «يا رب ألم تعدني أن لا تعذبهم وأنا فيهم وأن لا تعذبهم وهم يستغفرون ونحن نستغفرك يا رب»[3]، وكان ضحك أصحابه عنده التبسم من غير صوت اقتداء به ﷺ، وتوقيراً له، وكانوا إذا جلسوا بين يديه كأنما على رؤوسهم الطير من الهيبة والوقار، وكان ﷺ أكثر الناس تبسيماً ما لم ينزل عليه القرآن أو يذكر يوم القيامة أو يخطب بخطبة موعظة، وكان ﷺ إذا نزل به أمر فوض أمره فيه إلى الله عز وجل، وسأله الهدى واتباعه، والبعد من الضلال، واجتنابه ويتبرأ من حوله ومن قوته، وكان أحب الطعام إليه ما كثرت عليه الأيدي، وكان ﷺ يجلس للأكل كالعبد فيجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يجلس المصلي إلا أن الركبة تكون فوق الركبة، والقدم فوق القدم، وكان كثيراً ما يقول: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد»، وكان ﷺ لا يأكل الطعام الحار، ويقول: «إنه غير ذي بكرة ما بردوه وإن الله لا يطعمنا ناراً»، وكان ﷺ يأكل مما يليه، ويأكل بأصابعه الثلاث، وربما استعان بالرابع، وكان لايأكل قط بإصبعين، ويقول: «إنه فعل الشيطان» وكان ﷺ يأكل القثاء بالرطب وبالملح، وكان أحب الفواكه إليه الرطب والعنب، وكان ﷺ أكل البطيخ بالخبز وبالسكر، وربما أكله بالرطب، ويستعير باليدين جميعاً، وكان أكثر طعامه ﷺ التمر والماء، وكان جمع بين التمر واللبن ويسميهما الأطيبين، وكان أحب الطعام إليه ﷺ اللحم، ويقول: «إنه يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة»، وكان يكره إدمان أكل اللحم، ويقول إنه «يقسي القلب»، وكان ﷺ يأكل الثريد باللحم، والقرع ويحب القرع، ويقول: «إنها شجرة أخي يونس» وكثيراً ما يقول لعائشة إذا

---

(١) أخرجه مسلم (صلاة، ٢١٨، ٢٢٠)، (مسافرين، ٢٠١)، وأبو داود (صلاة، ١١٩)، (أدب، ٢٧)، والترمذي (دعوات، ٣٢)، والنسائي (افتتاح، ١٧)، (سهو، ٨٧)، والدارمي (صلاة، ٣٣)، (استئذان، ٢٩)، وأحمد بن حنبل (١، ٩٥، ١٠٢، ٣، ٤٥٠، ٤، ٤٢٠، ٤٢٥).

(٢) أخرجه الدارمي (استئذان، ٢٩)، وأحمد بن حنبل (٤، ٤٢٠، ٤٢٥).

(٣) أخرجه أبو داود (استسقاء، ٩).

طبخت دباء: فأكثري من مرقها فإنه يشد القلب الحزين، وكان ﷺ لا يستكبر عن إجابة الأمة، والمسكين، يقول: لبيك ولا يغضب لنفسه، وإنما يعصب إذا انتهكت حرمات الله تعالى، وكان ﷺ ينفذ الحق حيث كان، وإن عاد ذلك عليه بالضرر أو على أصحابه، وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع، ويكتم ذلك عن أصحابه، وأهل بيته تحملاً للمشقة عنهم إذا علموا بجوعه ﷺ، وكان ﷺ يأكل ما وجد، ولا يرد ما قدم إليه من الحلال، وكان لا يتورع قط من مطعم حلال، بل يأكل منه وسعة على أمته، وكان ﷺ إذا وجد تمراً دون خبز، أو لحماً مشوياً أكل أو خبز بر أكل أو خبز شعير أكل أو جلواء أو عسلاً أكل أو لباً دون خبز أكل واكتفى به، ويقول: «ليس شيء يجزي عن الطعام والشراب غير اللبن»[1]، وكان ﷺ يأكل البطيخ والرطب ولحم الدجاج والطير الذي يصطاد، وكان لا يشتري الصيد ولا يصيده، ويحب أن يصطاد فيؤتي به فيأكله، وكان ﷺ إذا أكل اللحم لم يطأطيء رأسه، بل يرفعه إلى فيه، ثم يأكله، وكان ﷺ يأكل الخبز والسمن، وكان يحب من الشاة الذراع والكتف، وكانت عائشة تقول: لم يكن الذراع أحب إلى رسول الله ﷺ وإنما ذلك، لكونه أعجل الأشياء نضجاً، فكان يعجل به إليه، لكونه لا يجد اللحم إلا غباً، وكان ﷺ يعجبه طعام الدباغ، ويحب من التمر العجوة ودعا في العجوة بالبركة، وقال: «إنها من الجنة وشفاء من السم والسحر»، وكان ﷺ يحب من البقول الهندباء والشمار والرجلة، وكان يكره أكل الكليتين لمكانهما من البول، وكان لا يأكل من الشاة سبعاً: الذكر، والانثيين، والفرج، والدم، والمثانة، والمرارة، والغدد، ويكره لغيره أكل هذه المذكورات من غير أن يحرمها، وكان يقول: «أطيب اللحم لحم الظهر» وكان ﷺ لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث وقال لعلي: «يا علي كل الثوم نياً فإنه شفاء من سبعين داء ولولا الملك يأتيني لأكلته»، وما ذم ﷺ قط طعاماً، بل إن اشتهاه أكله، وإلا تركه، وكان له ﷺ قصعة يقال لها الغراء لها أربع حلق يحملها أربع رجال بينهم، وكان له صاع ومد وسرير قوائمه من ساج، وكان له ﷺ ربعة يجعل فيها المرآة والمشط والسواك والمقراضين، وهما المقص والملقاط، وكان له ﷺ سبع أعنز منائح ترعاهن له أم أيمن حاضنته ﷺ، وكان ﷺ يعاف الضب والطحال، ولا يحرمهما ويقول: «إن الضب لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه وأما الطحال فإنما كرهه» ﷺ لأنه مجمع أوساخ البدن، وكان يلعق الصفحة بأصابعه، ويقول آخر الطعام أكثر بركة، وكان يلعق أصابعه حتى تحمر، وكان لا يمسح أصابعه بالمنديل حتى يلعقها واحدة واحدة، وكان يقول: «إنه لا يدري في أي الأصابع البركة»[2] وكان ﷺ إذا أكل اللحم والخبز خاصة غسل يديه بالماء غسلاً جيداً، ثم يمسح بفضل الماء على وجهه، وكان ﷺ إذا شرب لا يتنفس في

---

(١) أخرجه الترمذي (دعوات، ٥٤)، وأحمد بن حنبل (١، ٢٢٥).

(٢) أخرجه الترمذي (أطعمة، ١٠)، وأحمد بن حنبل (٢، ٣٤١، ٤١٥).

الإناء، وإنما ينحرف عنه، وأتوه مرة بإناء فيه لبن وعسل، فأبى أن يأكله، وقال: «شربتان في شربة وإدامان في إناء واحد لا حاجة لي بهما أما إني لا أحرم ذلك ولكني أكره الفخر بفضول الدنيا والحساب على ذلك وأحب التواضع لربي عز وجل في جميع أحوالي فإن من تواضع لله رفعه الله»[1]، وكان ﷺ في بيته أكثر حياء من العاتق في خدرها كان لا يسألهم طعاماً ولا يتشهاه عليهم إن أطعموه أكل وأطعم غيره، وما أعطوه قبل ولو كان قليلاً: وكثيراً ما كان ﷺ يقوم فيأخذ ما يأكل ويشرب بنفسه، وكان ﷺ إذا اعتم أرخى عمامته على كتفيه، وفي أوقات كان لا يرخيها حملة، هكذا قال بعضهم والجمهور على أنه ﷺ لم يترك العذبة حتى مات وكان كمه ﷺ إلى الرسخ، وهو المفصل بين الكف والساعد، ولبس ﷺ القباء والفرجية، والجبة الضيقة الكمين في سفره، وكان ﷺ إذا أهدى له ثوب يخالف هيئة ثيابه لايغيره عن هيئته، بل يلبسه على هيئته توسعة على أمته ﷺ، كما مر في الجبة الضيقة الكمين، وكان له رداء طوله ستة أذرع في عرض ثلاثة أذرع وشبر.

وكان إزاره ﷺ أربع أذرع وشبراً في عرض ذراعين وشبراً، وكان ﷺ يلبس الإبراد التي فيها الخطوط الحمر أو الخضر، وكان ينهي عن لبس الأحمر الخالص، وكان له ﷺ سراويل، ولبس النعل التي يسميها الناس التاسومة، وكان له ﷺ بردان أخضران يصّلي فيهما الجمعة والعيدين، قال بعض العلماء: ولم يلبس ﷺ البرد الأخضر الخالص الخضرة أبداً، قالوا: وكان أكثر لباسه ﷺ في الجمعة البياض، وقوله: أخضران أي فيهما خطوط، وكان ﷺ يلبس الخاتم، ويجعل فصه مما يلي كفه، وكان ﷺ يتقنع بردائه تارة، ويتركه أخرى، وهو الذي تسميه الناس الآن الطيلسان، وكان أكثر لباسه ﷺ ولباس أصحابه ثياب القطن، وكان له ﷺ عمامة نظرية، وهي الغليظة من القطن.

وكان ﷺ يلتحي كثيراً من تحت الحنك على طريق المغاربة الآن في بلاد مصر، ولبس ﷺ مرة بردة من الصوف فودج لها رائحة الضأن فتركها، قال أنس: وتوفي رسول الله ﷺ وله بردة تنسج عند النساج، وكان ﷺ يأكل من الكبد إذا شويت، وكان مع أهل بيته في الخدمة كأنه واحد منهم من حسن خلقه، وحسن معاشرته، وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: لم يكن أحد أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ، كنت إذا هويت شيئاً تابعني عليه قالت: وكنت إذا شربت من السقاء يأخذه فيضع فمه على موضع فمي ويشرب، وربما كنت حائضاً، وكان ينهش فضلتي من اللحم الذي على العظم، قالت: وكان رسول الله ﷺ يتكىء في حجري، ويقرأ القرآن، قالت: وربما أكون حائضاً، وكان ﷺ له غنم، وكان لا يحب أن تزيد الغنم على مائة فإن زادت ذبح الزائد.

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل (٣،٧٦).

وكان ﷺ يبيع ويشتري، ولكن شراءه أكثر من بيعه، وآجر ﷺ نفسه قبل النبوة في رعاية الغنم، وكذلك آجر نفسه لخديجة رضي الله عنها في سفره لتجارتها، واستدان ﷺ برهن، وبغير رهن واستعار وضمن، ووقف أرضاً له، وحلف ﷺ بالله تعالى في أكثر من ثمانين موضعاً توسعة بذلك على أمته مع أنه كان أكثر الخلق تعظيماً لربه عز وجل، ولولا توسعته ﷺ على أمته ما حلف بالله ﷺ قط تعظيماً له.

وكان ﷺ يستثني في يمينه تارة ويكفرها أخرى، ويمضي فيها أخرى، وكان ﷺ يثيب الشاعر على شعره إذا مدحه، ومنع الثواب في حق غيره لئلا يتجرأ الشعراء على المدح، ويبالغوا فيه فيؤدي إلى الكذب بغير حق، وأمر أن يحثي في وجوه المادحين التراب، وصورة ذلك أن الممدوح يأخذ تراباً بأصابعه من الأرض، ثم يذوبه بين يدي المادح على الأرض، ويقول له: ماذا تمدح فيمن خلق من هذه لا أنه يرمي التراب في وجه الشاعر فيؤذيه كما فهمه بعضهم، وكان ﷺ يصارع لأجل معرفة مكان حرب العدو، وصارع ركانة كما قال بعضهم: وكان ﷺ يفلي ثوبه من القمل الذي يصعد على ثيابه من مواضع الفقراء، ولم يكن ثوبه ﷺ يقمل، وكان ﷺ أحسن الناس مشياً، وأسرعهم فيه إذا مضى للصلاة حتى كأنه ينحط من صبب من غير اكتراث، ولا تعب منه ﷺ، وكان أصحابه يمشون بين يديه، وهو خلفهم ويقول: دعوا ظهري للملائكة.

وكان إذا سافر يكون ساقة أصحابه لأجل المنقطعين، وأردافهم والنظر في حالهم، وكانت ثيابه ﷺ كلها مشمرة فوق الكعبين، ويشد وسطه إذا كانت طويلة، وأكثر أحواله أنه كان يفضلها قصيرة فلا يحتاج إلى تشمير، وكان إزاره فوق ذلك إلى نصف الساق، وكان قميصه ﷺ مشدود الأزرار، وتارة كان يتزرر بالأزرار المعهودة بشوكة أو إبرة، وربما أحدث التزرر في الصلاة، وكان له ﷺ ملحفة مصبوغة بالزعفران، وربما صلى بالناس فيها وحدها، وربما لبس الكساء الأسود والمخطط وما عليه غيره.

وكان يلبس الكساء المرقع، ويقول: إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد، وكان له ثوبان للجمعة خاصة كما مر سوى ثيابه في غير الجمعة، وربما لبس إزاراً واحداً ليس عليه غيره يعقد طرفيه بين كتفيه، وربما أم به الناس على الجنائز، وربما صلى به في بيته ويلحق به إذا كان واسعاً، وربما كان ذلك الإزار هو الذي جامع فيه يومئذ، وربما صلى في الليل في وسطه إزار يرتدي بطرفه مما يلي هدبه، ويلقي البقية على بعض نسائه لطوله، ويصلي فيه، وكان لا يتحرك بحركة ركوعه ولا سجوده، وكان كساء أسود ليس عنده غيره فاستكساه شخص فكساه له، وكان له ﷺ ملاءة مصبوغة بالزعفران كما مر، وكانت تنقل معه إلى بيوت زوجاته، فترسل المرأة التي كان نائماً عندها لصاحبة التوبة فترشها بالماء، فتطهر

رائحة الزعفران فينام معها فيها ﷺ، وكان ﷺ كثيراً ما يخرج، وفي أصبعه الخيط المربوط في خاتمه، فيتذكر به الشيء، وكان يختم بخاتمه على الكتب، ويقول: «الخاتم على الكتاب خير من البهمة» وكان ﷺ يلبس القلانس تحت العمائم، وتارة يلبسها من غير عمامة، وربما نزع قلنسوته من رأسه، فجعلها سترة بين يديه وصلى إليها، وكانت صوفاً، وتارة كان يجعلها قطناً محشوة مضربة، قال العلماء: وهذا يؤذن بأن طولها كان ثلثي ذراع حتى يصبح كونها سترة للمصلي، وكان له ﷺ عمامة تسمى السحاب فوهبها لعلي رضي الله عنه، فربما طلع علي رضي الله عنه، وهي على رأسه، فيقول ﷺ: «أتاكم علي في السحاب»، وكان له ﷺ فراش من أدم حشوه ليف طوله ذراعان ونحوهما، وعرضه ذراع وشبر ونحوه، وكان له عباءة تفرش له حيثما تنقل تثنى له طاقتين فيجلس عليها وفرشتها له عائشة مرة بعد أن ثنتها أربع طاقات فنام ﷺ تلك الليلة عن الوقت الأول من ورده فقال أعيديها طاقتين فإن لينها أو وطأتها كادان يمنعني قيام ليلتي، وكثيراً ما كان ﷺ ينام على الحصير وحده، وليس فوقه شيء.

وكان له ﷺ مطهرة من فخار يتوضأ منها، ويشرب فكان الناس يرسلون أولادهم الذين لم يبلغوا الحلم، فيدخلون عليه ﷺ فلا يمنعون فإذا وجدوا في المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا منه على وجوههم، وأجسامهم يبتغون بذلك البركة، وكان ﷺ إذا صلى الغداة جلس في مجلسه، فيجيء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء يسئلونه ﷺ، أن يضع يده في أوانيهم فيفعل، وربما جاؤوه في الغداة الباردة، فيغمس يده في أوانيهم لأجل خاطرهم، وكان ﷺ إذا بصق يتسارع الناس إلى تلقي بصاقه ونخامته بأكفهم فلا يقع له ﷺ نخامة على الأرض، فكانوا يدلكون بتلك النخامة وجوههم وجلودهم طلباً أن لا تمسهم النار يوم القيامة، وكانوا يقتتلون على غسالة ماء وضوئه، وكان أصحابه يتكلمون عنده بخفض صوت مع الهيمة والأطراق، وكانوا لا يحدقون النظر إليه ﷺ، ولا يحدون بصرهم إليه تعظيماً له وتوقيراً، وكان ﷺ لا يؤذي من يؤذيه، ولا يتكلم فيما لا يعنيه، ولا يذكر أحداً بغيبة، ولا يشمت بمصيبة، وكان إذا بالغ أحد في إذائه صبر واحتمل، ولم يقابله بنظيره، وربما قال: «وحق الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر»[1]، وكان ﷺ يكره من يبلغه السوء عن أصحابه ويقول: «لا تبلغوني عن أصحابي لا خيراً فإني بشر أغضب كما يغضب البشر وإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»[2]، وقسم مرة قسماً بين أصحابه، فلما انصرف، قال شخص من القوم: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى: فلما رجع ﷺ أخبره شخص

(١) أخرجه البخاري (خمس، ١٩)، (أنبياء، ٢٧)، (مغازي، ٥٦)، (أدب، ٥٣، ٧١)، (استئذان، ٤٧)، ومسلم (زكاة، ١٤٠، ١٤١)، والترمذي (مناقب، ٦٣)، وأحمد بن حنبل (١، ٣٨٠، ٣٩٦، ٤١١، ٤٣٦، ٤٤١، ٤٥٣).

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل (٢،٤٩٣).

بما قيل في حقه، فقال ﷺ: «لا تبلغوني عن أصحابي إلا خيراً»، وكان ﷺ إذا رأى أحداً يفعل ما لا يليق لا يبادر إلى الانكار عليه، ولكن يثبت، وينظر فإن رآه جاهلاً، علمه برفق ورحمة كما في قصة الأعرابي الذي دخل، فبال في المسجد فإنه نهى أصحابه أن يزعجوه من بوله، وقال: «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»[1]، فلما فرغ الأعرابي من بوله كلمه بخفض صوت، وقال: «إنما جعلت المساجد للصلاة، ولم تجعل للبول» وكان ﷺ يركب الحمار ما كوفا وعليه قطيعة، وإذا مر على الصبيان سلم عليهم وياسطهم، وأتوه مرة برجل فارعد من هيبته ﷺ فقال: «هون عليك يا أخي فلست بملك ولا جبار إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد»[2] وكان من تواضعه ﷺ أنه لا يدعوه أحد من أصحابه إلا قال له: لبيك وكان ﷺ مع أصحابه على ما يريدون ويحبون، فإن تكلموا في أمر الآخرة تكلم معهم، أو في أمر الدنيا تكلم معهم، أو في طعام أو شراب تكلم معهم رفقاً بهم، واستمالة لخواطرهم، فكان هيناً ليناً ﷺ، وكان لا يزجر أصحابه إلا عن حرام أو مكروه، وكان ﷺ يسابق عائشة بالعدو والهرولة، فيسبقها فإذا رآها غضبت تثاقل لها حتى تسبقه، قالت عائشة رضي الله عنهما: وما مات ﷺ حتى كان أكثر صلاته النفل في الليل جالساً، وكان إذا تعب من القيام يجلس، فيقرأ وهو جالس فإذا قارب الركوع قام فقرأ ما كتب له ثم ركع، وكان كثيراً ما يفتتح قيام الليل بركعتين خفيفتين، ثم يطيل بعدهما ما شاء، ويجعلهما كالنافلة التي قبل الفريضة ويكثر فيهما من الاستغفار أدباً مع ربه، وتشريعاً لأمته ﷺ انتهى ما ذكرنا من أخلاقه ﷺ مع أصحابه، وكان من أخلاقه ﷺ تسمية دوابه، وسلاحه، ومتاعه، فكان اسم رايته ﷺ العقاب، وكانت سوداء، وكان له راية أخرى صفراء، وأخرى بيضاء فيها خطوط سود، وكان اسم جعبته ﷺ الكافور، واسم خيمته الكن، واسم قضيبه الممشوق، واسم قدحه الريان، واسم ركوته الصادر، واسم سرجه الراح، واسم مقراضه الجامع، واسم سيفه الذي يحضر به الحروب ذو الفقار، وكان له أسياف أخر، وكان له ﷺ منطقة من أدم فيها ثلاث حلق من فضة، واسم ناقته القصواء، وهي التي يقال لها: العضباء، وكان اسم بغلته ﷺ دلدل، واسم حماره يعفور، واسم شاته التي كان يشرب لبنها غيثة، انتهى ما ذكره القطب الشعراني، والأخلاق المتبولية، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وسلم تسليماً، وأهل بيته كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، وهكذا نقلها بعده حسن العدوي في كتابه النفحات الشاذلية، وبتمام هذا الكلام أتممت هذا الباب بعون الملك الوهاب ويتلوه هذا الباب وهو:

---

(١) أخرجه البخاري (وضوء، ٥٨)، (أدب، ٨٠)، وأبو داود (طهارة، ١٣٦)، والترمذي (طهارة، ١١٢)، والنسائي (طهارة، ٤٤)، (مياه، ٢)، وأحمد بن حنبل (٢، ٢٣٩، ٢٨٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه (أطعمة، ٣٠).

الباب الرابع
فيما من الأقوال والأفعال ينتفع به

(اعلموا) إخواني وفقني الله وإياكم لمرضاته وأعانني وإياكم على سبب جناته، أن الذي ينفع المربي وغيره من الأقوال والأفعال ينقسم إلى قسمين، **(الأول)**: ما يتحلى به المرء في نفسه من الأقوال السنية، والأفعال الزكية المكتسب بالأداب العلية التي منها ما تقدم من أخلاقه ﷺ ونحو ذلك، مما يفعل مع الإخوان مما تقدم أيضاً، **(والثاني)**: ما كان منها من نحو الإسرار، والحكم الجالبة للخير، والدافعة للضمير المروية عن العلماء، وأفضل الأمم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم.

أما ما كان من الأول فأول ما ينظر المرء فيه منه أدب الله تعالى لنبيه ﷺ، ثم أدبه ﷺ لأمته، ثم الحكماء والعلماء، ويتأدب به من ذلك ما أمكنه، وقد أدب الله نبيه بأحسن الآداب كلها كما قال: «أدبني ربي فأحسن تأديبي» فمن أدبه له قوله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسورا﴾ [الفرقان: ٦٧]، فنهاه عن التقتير كما نهاه عن التبذير، وأمره بتوسط الحالتين كما قال عز وجل: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكانوا بين ذلك قواما﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقد جمع الله تعالى لنبيه ﷺ جوامع الكلم في كتابه المحكم، ونظم له مكارم الأخلاق كلها في ثلاث كلمات، فقال: ﴿خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ففي أخذه العفو صلة من قطعه، والصفح عمن ظلمه، وفي الأمر بالمعروف تقوى الله وغض الطرف عن المحارم وصون اللسان عن الكذب، وفي الإعراض عن الجاهلين تنزيه النفس عن ممارات السفيه، ومنازعة اللجوج أي كثير الخصومة، ثم أمر تبارك وتعالى فيما أدبه باللين في عريكته أي نفسه، والرفق بأمته، فقال: ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ [الشعراء: ٢١٥]، وقال: ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال تبارك وتعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ

عظيم﴾ [فصلت: ٣٥]، فلما وعى عن الله عز وجل، وكملت فيه هذه الآداب قال تبارك وتعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾ [التوبة: ١٢٨].

(ومن آداب) النبي ﷺ لأمته فيما أدبها به، وحضها عليه من مكارم الأخلاق، وجميل المعاشرة، وإصلاح ذات البين وصلة الأرحام فقال: «أوصاني ربي بتسع أوصيكم بها، أوصاني بالإخلاص في السر والعلانية، والعدل في الرضى، والغضب والقصد في الغنى، والفقر، وأن أعفو عمن ظلمني، وأعطي من حرمني، وأصل من قطعني، وأن يكون صمتي فكراً، ونطقي ذكراً، ونظري عبراً»، وقد قال ﷺ: «نهيتكم عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال»[١]، وقد قال ﷺ: «لا تقعدوا على ظهور الطرق فإن أبيتم، فغضوا الأبصار، وافشوا السلام واهدوا الضلال، وأعينوا الضعيف»، وقال ﷺ: «أوكؤا السقاء، وأكفؤا الإناء، وأغلقوا الأبواب، واطفئوا المصباح فإن الشيطان لا يفتح غلقاً، ولا يحل وكيئاً، ولا يكشف الإناء»[٢]، وقال ﷺ: «ألا أنبئكم بشر الناس؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من أكل وحده، ومنع رفده، وجلد عبده، ثم قال: ألا أنبئكم بشر من ذلك، قالوا بلى: يا رسول الله قال: من يبغض الناس ويبغضونه، وقال: حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، واستقبلوا البلاء بالدعاء»، وقال: «ما قل وكفى خير مما كثر وألهى»[٣]، وقال: «المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على سواهم»[٤]، وقال: «اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول»[٥]، وقال: «لا تجني يمينك على شمالك، ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»[٦]، وقال: «المرء كثير بأخيه»، وقال: «افصلوا بين حديثكم بالاستغفار واستعينوا على حوائجكم بالكتمان»، وقال: «أفضل الأصحاب من إذا

---

(١) أخرجه البخاري (زكاة، ١٨)، (خصومات، ٣)، (استقراض، ١٩)، [في الترجمة] (رقاق، ٢٢)، (اعتصام، ٣)، ومسلم (أقضية، ١٤)، والدارمي (رقاق، ٣٨)، وأحمد بن حنبل (٤، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (بدء الخلق، ١٦)، (أشربة، ٢٢)، ومسلم (أشربة، ٩٦، ٩٧، ٩٩)، والترمذي (أطعمة، ١٥)، وابن ماجه (أشربة، ١٦)، والموطأ (صفة النبي، ٢١)، وأحمد بن حنبل (٣، ٣٠١، ٣٠٦، ٣٥٥، ٣٧٤، ٣٨٦، ٣٨٨، ٣٩٥، ٥، ٨٢، ٢٦٢).

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل (٥، ١٩٧).

(٤) أخرجه أبو داود (جهاد، ١٤٧)، (ديات، ١١)، والنسائي (قيامة، ١٠، ١٣) وابن ماجه (ديات، ٣١)، وأحمد بن حنبل (١، ١١٩، ١٢٢، ٢، ١٨٠، ١٩٢، ٢١١، ٢١٥).

(٥) أخرجه مسلم (زكاة، ٩٥، ٩٧، ١٠٦)، وأبو داود (زكاة، ٣٩، ٤٠)، وأحمد بن حنبل (٢، ٩٤).

(٦) أخرجه البخاري (أدب، ٨٣)، ومسلم (زهد، ٦٣)، وأبو داود (أدب، ٢٩)، وابن ماجه (فتن، ١٣)، والدارمي (رقاق، ٦٥)، وأحمد بن حنبل (٢، ١١٥، ٣٧٩).

ذكرت أعانك وإذا نسيت ذكرك»[1]، وقال: «لا يؤمن ذو سلطان في سلطانه، ولا يجلس على تكرمته إلا بإذنه»[2]، وقال ﷺ: «يقول ابن آدم مالي مالي، وإنما له من ماله ما أكل فأفنى، ولبس فأبلى، أو وهب فقال امضى، وقال: ستحرصون على الأمارة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة»[3]، وقال: «لا يحكم الحاكم بين اثنين وهو غضبان»[4]، وقال: «لو تكاشفتم ما تراقيتم وما هلك امرؤ عرف قدره»، وقال: «الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة والناس كلهم سواء كأسنان المشط»[5]، وقال: «حم الله عبداً قال خيراً فغنم أو سكت فسلم»، وقال: «خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة، وخير المال عين ساهرة لعين نائمة»[6]، وقال معاذ، في الخيل: بطونها كنز وظهورها حرز، وقال ما أملق تاجر صدوق، وما أملق بيت فيه خل، وقال: قيدوا العلم بالكتابة، وقال: زر غباً تزدد حباً، وقال: علق سوطك حيث يراه أهلك، ومن آداب الحكماء والعلماء ما قيل: في فضيلة الأدب أوصى بعض الحكماء بنيه فقال: الأدب أكرم الجواهر طبيعة، وأنفسها قيمة يرفع الأحساب الوضيعة، ويفيد الرغائب الجليلة، ويعز بلا عشيرة، ويكثر الأنصار لغير رزية فالبسوه حلة وتزينوه خلة يؤنسكم في الوحشة، ويجمع لكم القلوب المختلفة، ومن كلام علي كرم الله وجهه فيما يروى عنه أنه قال: من حلم ساد ومن ساد استقاد، ومن استحيا حرم، ومن هاب خاب، ومن طلب الرياسة صبر على السياسة، ومن أبصر عيب نفسه عمي عن عيب غيره، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن احتقر لأخيه بئراً وقع فيها، ومن نسى زلته استعظم زلة غيره، ومن هتك حجاب غيره انهتكت عورات بيته، ومن كابر في الأمور عطب، ومن اقتحم اللجج غرق، ومن أعجب برأيه ضل، ومن استغنى بعقله زل، ومن تجبر على الناس ذل، ومن تعمق في العمل مل، ومن صاحب الانذال حقر، ومن جالس العلماء وقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم، ومن حسن خلقه سهلت له طرقه، ومن حسن كلامه كانت الهيبة أمامه، ومن خشي الله فاز، ومن استفاد الجهل ترك طريق العدل، ومن عرف أجله قصر أمله، ثم

---

(١) أخرجه أبو داود (إمارة، ٤)، والنسائي (بيعة، ٣٣)، وأحمد بن حنبل (٦، ٧٠).

(٢) أخرجه مسلم (مساجد، ٢٩٠، ٢٩١)، وأبو داود (صلاة، ٦٠)، والترمذي (مواقيت ٦٠)، (أدب، ٢٤)، والنسائي (إمامة، ٦٣)، وابن ماجه (إقامة، ٤٦)، وأحمد بن حنبل (٤، ١١٨، ١٢١، ٥، ٢٧٢).

(٣) أخرجه البخاري (أحكام، ٧)، والنسائي (بيعة، ٣٩)، (قضاة، ٥)، وأحمد بن حنبل (٢، ٤٤٨، ٤٧٦).

(٤) أخرجه مسلم (أقضية، ١٦)، والترمذي (أحكام، ٧)، والنسائي (قضاة، ١٨) وابن ماجة (أحكام، ٤)، وأحمد بن حنبل (٥، ٣٦، ٣٨، ٤٦).

(٥) أخرجه أحمد بن حنبل (٢، ٧، ٤٤، ٧٠، ٨٨، ١٠٩، ١٢١ ـ ١٢٣، ١٣٩)، والبخاري (رقاق، ٣٥)، ومسلم (فضائل الصحابة، ٢٣٢)، والترمذي (أدب، ٨٢)، وابن ماجه (فتن، ١٦).

(٦) أخرجه أحمد بن حنبل (٣، ٤٦٨).

أنشأ يقول:

البس أخاك على عيوبه ... واستر وعظ على ذنوبه
واصبر على بهت السفيه ... وللزمان على خطوبه
ودع الجوابَ تفاضلاً ... وكل الظلوم إلى حسيبه

وقال شبيب بن شبة: اطلبوا الأدب فإنه مادة العقل، ودليل على المروءة، وصاحب في الغربة، ومؤنس في الوحشة وصلة في المجلس، وقال عبد الملك بن مروان لبنيه عليكم بطلب الأدب فإنكم إن احتجتم إليه كان لكم مالاً وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالاً، وقال بعض الحكماء: اعلم أن جاهاً بالمال إنما يصحبك ما صحبك المال وجاهاً بالأدب غير زائل عنك. وقال ابن المقفع إذا أكرمك الناس لمال أو لسلطان، فلا يعجبك ذلك فإن الكرامة تزول بزوالهما ليعجبك إذا أكرموك لدين أو أدب، وقال الأحنف بن قيس رأس الأدب المنطق، ولا خير في قول إلا بفعل، ولا في مال إلا بجود، ولا في صديق إلا بوفاة، ولا في فقه إلا بورع، ولا في صدق إلا بنية، وقال مطلقة الزبيدي: لا يستغني الأديب عن ثلاث واثنتين.

فأما الثلاثة فالبلاغة، والفصاحة، وحسن العبادة.

وأما الاثنان فالعلم بالأثر والحفظ للخبر، وقالوا: الحسب محتاج إلى الأدب والمعرفة محتاجة إلى التجربة، وقال برزجمهر: ما ورث الآباء الأبناء شيئاً خيراً من الأدب، لأن بالأدب يكسبون المال، وبالجهل يتلقونه، وقال الفضيل بن عياض: رأس الأدب معرفة الرجل قدره، وقالوا: حسن الخلق خير قرين، والأدب خير ميراث والتوفيق خير قائد، وقال سفيان الثوري: من عرف نفسه لم يضره ما قال الناس فيه، وقال أنوشروان للميد وهو العالم بالفارسية: ما كان أفضل الأشياء، قال: الطبيعة النقية تكتفي من الأدب بالرائحة، ومن العلم بالإشارة، وكما يموت البذر في السباخ كذلك تموت الحكمة بموت الطبيعة، قال له: صدقت، ونحن لهذا قلدناك ما قلدناك، وقيل لازدشير: الأدب أغلب أم الطبيعة، فقال: الأدب زيادة في العقل، ومنبه الرأي، ومكسبه للصواب، والطبيعة أملك، لأنها بها الاعتقاد، وبها الفراسة وتمام الغذاء، وقال بعض الحكماء: أي شيء أعون للعقل بعد الطبيعة المولدة قال: أدب مكتسب، وقالوا: الأدب أدبان: أدب الغريزة، وهو الأصل، وأدب الرواية، وهو الفرع، ولا يتفرع شيء إلا عن أصله، ولا ينظر إلا لأصل المادة وقال الشاعر:

وما السيف إلا زهرة لو تركته ... على الخلقة لأولى لما كان يقطع

(وقال آخر):

ما وهب الله لامرئ هبة أفضل من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتى فإن فقدا فإن فقد الحياة أحسن به

وقال ابن عباس: كفاك من علم الدين أن تعرف ما لا يسعك جهله، وكفاك من علم الأدب أن تروى الشاهد والمثال، وقال ابن قتيبة: إذا أردت أن تكون أديباً فتفنن في العلوم، وقالت الحكماء: إذا كان الرجل طاهر الأثواب، كثير الآداب، حسن المذهب، تأدب بأدبه، وصلح لصلاحه جميع أهله وولده قال الشاعر:

رأيت صلاح المرء يصلح أهله ويفسدهم رب الفساد إذا فسد
يعظم في الدنيا لفضل صلاحه ويحفظ بعد الموت في الأهل والولد

وسئل ديحاس أي الخصال أحمد عاقبة؟ فإن الإيمان بالله عز وجل، وبر الوالدين، ومحبة العلماء، وقبول الأدب. روى عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «من لا أدب له لا عقل له»، وقالوا: الأدب يزيد العاقل فضلاً ونباهة، ويفيده رقة وظرفاً، ومنها ما قيل في رقة الأدب قال أبو بكر بن أبي شيبة: قيل للعباس بن عبد المطلب: أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ قال: هو أكبر وأنا أسن منه، وقيل لأبي وائل: أيكما أكبر أنت أم الربيع بن خيثم؟ قال: أنا أكبر منه سناً، وهو أكبر مني عقلاً، وقال أبان ابن عثمان لطويس المغني: أنا أكبر أم أنت؟ قال: جعلت فداك لقد شهدت زفاف أمك المباركة، وقيل لعمر بن ذر: كيف بر ابنك بك؟ قال: ما مشيت نهاراً قط إلا مشى خلفي، ولا ليلاً إلا مشى أمامي، ولا رقى عليه، وأنا تحته، ومن حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ يبجل أحداً بتجبيله لعمه العباس، وكان عمر وعثمان إذا لقيا العباس نزلا إعظاماً له، إذا كانا راكبين، ومن قول صاحب العقد الفريد في رقة الأدب:

أدب كمثل الماء لو أفرغته يوماً لسال كما يسيل الماء

قال أحمد بن أبي طاهر: قلت لعلي بن يحيى ما رأيت أكمل أدباً منك، قال: كيف لو رأيت إسحاق بن إبراهيم، فقلت ذلك لاسحاق بن إبراهيم؟ قال: كيف لو رأيت إبراهيم بن المهدي، فقلت ذلك لابراهيم، فقال: كيف لو رأيت جعفر بن يحيى، وقال عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، قال لي رجاء بن حياة ما رأيت أكرم أدباً، ولا أكرم عشيرة من أبيك سمرت عنده ليلة فبينا نحن كذلك إذ غشى المصباح، ونام الغلام، فقلت يا أمير المؤمنين: قد غشي المصباح ونام الغلام فلو أذنت لي أصلحته، فقال: إنه ليس من مروءة الرجل أن يستخدم ضيفه، ثم حط رداءه عن منكبيه وقام إلى الدبة فصب من الزيت في المصباح، وأشخص الفتيلة، ثم رجع فلم يقم أحد، فقال: قمت واسمي عمر ورجعت، واسمي عمر كما تقدم، قال ابن عمر رضي الله عنهما: وكنا إذا شممنا رائحة حدث، ونحن جماعة نتوضأ

كلنا ستراً لمن أحدث، ودخل عمر رضي الله عنه بيتاً فيه جماعة، منهم جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، فوجد عمر ريحاً، فقال: عزمت على صاحب هذا الريح إلا قام فتوضأ، فقال جرير بن عبد الله يا أمير المؤمنين أعزم علينا كلنا أن نقوم فنتوضأ، قال: صدقت، ولا علمتك إلا سيداً في الجاهلية فقيهاً في الإسلام، قوموا فتوضؤوا، وروى الرياشي عن الأصمعي قال: حدثني عثمان الشحام، قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد، قال: لبيك، قلت: أتقول لي لبيك، قال: أني أقولها لخادمي: وقال الشاعر:

يا حبذا حين تمسي الريح باردة وادى أشي وفتيال به هضم
مخدمون كرام في مجالسهم وفي الرحال إذا رافقتهم خدم
وما أصاحب من قوم فاذكرهم ألا يزيدهم حباً إلى هم

ومنها ما قيل في الحديث، والاستماع، وقالت الحكماء: رأس الأدب كله حسن الفهم والتفهم، والاصغاء للمتكلم، وذكر الشعبي قوماً، فقال: ما رأيت مثلهم أشد تناوباً في مجلس، ولا أحسن فهماً من محدث، وقال الشعبي: فيما يصف به عبد الملك بن مروان والله ما علمته، إلا آخذاً بثلاث، تاركاً لثلاث، آخذاً بحسن الحديث إذا حدث، وبحسن الاستماع إذا حدث، وبأيسر المؤنة إذا خولف تاركاً لمجاوبة اللئيم، ومماراة السفيه، ومنازعة اللجوج، وقال بعض الحكماء لابنه: يا بني تعلم حسن الاستماع، كما تتعلم حسن الحديث، وليعلم الناس أنك أحرص على أن تسمع منك على أن تقول: فاحذر أن تسرع في القول فيما يجب عنه الرجوع بالفعل، حتى يعلم الناس أنك على فعل ما لم تقل: أقرب إلى قول ما لم تفعل، قالوا: من حسن الأدب أن لا تغالب أحداً على كلامه، وإذا سئل غيرك فلا تجب عنه، وإذا حدث بحديث فلا تنازعه إياه، ولا تقتحم عليه فيه، ولا تراه إنك تعلمه، وإذا كلمت صاحبك فأخذته حجتك فحسن مخرج ذلك عليه، ولا تظهر الظفر به، وتعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن الكلام، وقال الحسن البصري: حدثوا الناس ما أقبلوا عليكم بوجوههم، وقال أبو عباد: إذا أنكر المتكلم مخير السامع فليسأله عن مقاطع حديثه، والسبب الذي أجرى ذلك له فإن وجده يقف على الحق أتم له الحديث، وإلا قطعه عنه، وحرمه مؤانسته، وعرفه ما في سوء الاستماع من الفشولة والحرمان للفائدة، ومنها ما قيل في الأدب في المجالسة، قال المهلب بن أبي صفرة: العيش كله في الجليس الممتع، ومن حديث أبي بكر بن أبي شيبة أن النبي ﷺ قال: «لا يقم الرجل عن مجلسه، ولكن ليوسع له»، وكان عبد الله بن عمر إذا قام له الرجل من مجلسه لم يجلس فيه، وقال: «لا يقم أحد لأحد عن مجلسه، ولكن افسحوا يفسح الله لكم» وروى أبو أمامة قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ فقمنا إليه، فقال: «لا تقوموا كما يقوم العجم لعظمائها»، فما قام إليه أحد منا بعد ذلك، وحديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «إن خرجت عليكم وأنتم جلوس فلا يقومن أحد

منكم في وجهي، وإن قمت فكما أنتم، وإن جلست فكما أنتم، فإن ذلك خلق من أخلاق المشركين»، وقال ﷺ: «الرجل أحق بصدر دابته، وصدر مجلسه وصدر فراشه، ومن قام عن مجلسه، ورجع إليه فهو أحق به»[1]، وقال ﷺ: «إذا جلس إليك أحد فلا تقيم حتى تستأذنه»، وجلس رجل إلى الحسن بن علي عليهما الرضوان، فقال له: إنك جلست إلينا، ونحن نريد القيام أفتأذن، وقال سعيد ابن العاصي: ما مددت رجلي قط بين يدي جليس، ولا قمت حتى يقوم، وقال إبراهيم النخعي: إذا دخل أحدكم بيتاً فيجلس حيث أجلسه أهله، وطرح أبو قلابة لرجل جلس إليه وسادة فردها، فقال: أما سمعت الحديث: لا ترد على أخيك كرامته، وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه: لا يأبى الكرامة إلا حمار، وقال سعيد بن العاصي: لجليسي عليَّ ثلاث، إذا دنا رحبت به، وإذا جلس وسعت له، وإذا حدث أقبلت عليه، وقال: إني لأخاف أن يمر الذباب بجليس مخافة أن يؤذيه، وقال الهيثم ابن عدي: دخل الأحنف بن قيس على معاوية، فأشار إليه إلى وسادة فلم يجلس عليها، فقال: ما منعك يا أحنف أن تجلس على الوسادة، فقال: يا أمير المؤمنين أن فيما أوصى به قيس بن عاصم ولده أن قال لا تسع للسلطان حتى يملك، ولا تقطعه حتى ينساك، ولا تجلس له على فراش، ولا وسادة واجعل بينك وبينه مجلس رجل أو رجلين.

وقال الحسن: مجالسة الرجل من غير أن يسأل عن اسمه واسم أبيه مجالسة التوكي، ولذلك قال شبيب ابن شبة لأبي جعفر، ولقيه في الطواف، وهو لا يعرفه فأعجبه حسن هيئته وسمته أصلحك الله أني أحب المعرفة، وأجلك عن المسألة، فقال: أنا فلان بن فلان، قال: زياد ما أتيت مجلساً قط إلا تركت منه ما لو جلست فيه لكان لي، وترك مالي أحب إلي من أخذ ما ليس لي، وقال إياك وصدور المجالس، وإن صدرك صاحبها فإنها مجالس قلعة، وقال: لأن ادعى من بعد إلى قرب أحب إلي من أن أقصى من قرب إلى بعد، ذكروا أنه كان يوماً أبو السمراء عند عبد الله بن طاهر، وعنده إسحاق بن إبراهيم فاستدنى عبد الله إسحق فما جاء شيء، وطالت النجوى بينهما، قال: فاعترتني حيرة فيما بين القعود على ما هما عليه، والقيام حتى انقطع ما بينهما وتنحى إن حلق إلى موقفه، ونظر عبد الله إلي فقال:

إذا النجيان سراً عنك أمرهما	فابرح بسمعك يجهل ما يقولان
ولا تحملهما ثقلاً لخوفهما	على تناجيهما بالمجلس الداني

فما رأيت أكرم منه، ولا أرفق أدباً ترك مطالبتي في هفوتي بحق الأمراء، وأدبني أدب

---

(١) أخرجه مسلم (سلام، ٣١)، وأبو داود (أدب، ٣٨، ١٣٩)، والترمذي (أدب ١٠)، وابن ماجه (أدب، ٢٢)، وأحمد بن حنبل (٢، ٢٦٣، ٢٨٣، ٣٤٢، ٣٨٩، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٨٢، ٥٢٧، ٥٣٧، ٣، ٣٢، ٤٢٢).

النظراء، وقال النبي ﷺ: «إنما أحدكم مرآة أخيه فإذا رأى عليه أذى فليمطء عنه، وإذا أخذ أحدكم عن أخيه شيئاً فليقل: لا بك السوء، وصرف الله عنك السوء»[1]، وقالوا: إذا اجتمعت حرمتان أسقطت الصغرى الكبرى، وقال المهلب بن أبي صفرة: العيش كله في الجليس الممتع أي الجيد الظريف، ومنها ما قيل في الأدب في المماشات، وجه هشام بن عبد الملك ابنه على الصائفة، ووجه معه ابن أخيه، وأوصى كل واحد منهما بصاحبه.

فلما قدم عليه، قال لابن أخيه: كيف رأيت ابن عمك؟ فقال: إن شئت أجملت، وإن شئت فسرت، قال: بل أجمل، قال عرضت بيننا جادة فتركها كل واحد منا لصاحبه، فما ركبناها حتى رجعنا إليك، وقال يحيى بن أكثم: ماشيت المأمون يوماً من الأيام في بستان مؤنسة بنت المهدي، فكنت من الجانب الذي يستره من الشمس، فلما انتهى إلى آخره، وأراد الرجوع أردت أن أدور إلى الجانب الذي يستره من الشمس، فقال: لا تفعل، ولكن كن بحالك أسترك كما سترتني، فقلت: يا أمير المؤمنين لو قدرت أن أقيك حر الناس لفعلت، فكيف الشمس، فقال: ليس هذا من كرم الصحبة، ومشى ساتراً لي من الشمس كما سترته، وقيل لعمر بن ذر كيف بر ابنك؟ قال: ما مشيت نهاراً قط إلا مشى خلفي، ولا ليلاً إلا مشى أمامي ولا رقى سطحاً أنا تحته، وقيل لزياد: إنك تستخلص حارثة بن زيد، وهو يواقع الشراب، فقال: وكيف لا أستخلصه، وما سألته عن شيء قط إلا وجدت عنده منه علماً، ولا استودعته سراً قط فضيعه، ولا راكبني قط فمست ركبتي ركبته، وقال محمد بن زيد بن عمر بن عبد العزيز: خرجت مع موسى الهادي أمير المؤمنين من جرجان، فقال لي: إما أن تحملني، وإما أن أحملك فعلمت ما أراد فأنشدته أبيات ابن صرمة:

أوصيكم بالله أول وهلة	وأحسابكم والبر بالله أول
وإن قومكم سادوا فلا تحسدوهم	وإن كنتم أهل السيادة فاعدلوا
وإن أنتم أعوزتم فتعففوا	وإن كان فضل المال فيكم فافضلوا
وإن نزلت إحدى الدواهي بقومكم	فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا
وإن طلبوا عرفاً فلا تحرموهم	وما حملوكم في الملمات فاحملوا

قال: فأمر لي بعشرين ألف درهم، وقيل: إن سعيد بن سالم راكب موسى الهادي، والحربة بين عبد الله بن مالك، وكانت الريح تسفي التراب، وعبد الله يلحظ موضع مسير موسى، فيتكلف أن يسير على محاذاته، وإذا حازاه ناله ذلك التراب فلما طال ذلك أقبل على سعيد بن سالم، فقال: أما ترى ما تلفي من هذا الخائن، فقال: والله يا أمير المؤمنين ما قصر في الاجتهاد، ولكن حرم التوفيق، ومما يراعي فيه الأدب السلام والاستئذان، قال

(١) أخرجه الترمذي (بر، ١٨).

النبي ﷺ: «أطيبو الكلام وأفشوا السلام، وأطعموا الايتام، وصلوا بالليل والناس نيام»[1].

وقال ﷺ: «إن أبخل الناس الذي يبخل بالسلام»[2]، وأتى رجل النبي ﷺ، فقال: عليك السلام يا رسول الله، فقال: «لا تقل: عليك السلام، فإنها تحية الموتى، وقل: السلام عليك»[3]، وقال صاحب حرس عمر بن عبد العزيز: خرج عمر في يوم عيد، وعليه قميص كتان وعمامة على قلنسوة لاطئة، فقمت إليه وسلمت عليه، فقال: مه أنا واحد وأنتم جماعة السلام علي والرد عليكم، ثم سلم ورددنا عليه ومشى، فمشينا معه إلى المسجد، وقال النبي ﷺ: «الماشي على القاعد، والراكب على الراجل والكبير على الصغير»[4]، ودخل رجل على النبي ﷺ فقال له: أبي يقرئك السلام، فقال: «عليك وعلى أبيك السلام» قال إبراهيم بن الأسود: قال عبد الله بن مسعود: إذا لقيت عمر فاقرأ عليه السلام، قال: فلقيته فقرأته السلام، فقال: وعليك وعليه السلام، ودخل ميمون بن مهران على سليمان بن هشام، وهو والي الجزيرة، فقال: السلام عليكم، فقال له سليمان: ما منعك أن تسلم بالإمارة، فقال: إنما يسلم على الولي بالأمرة إذا كان عنده الناس، قلت: يفهم من هذا أن الرؤساء ينبغي أن يفعل لهم من التبجيل أمام الناس ما لم يفعل معهم في الوحدة، ولو كان الأدب فعله في الحالين، وقال أبو بكر بن أبي شيبة: كان الحسن وإبراهيم وميمون بن مهران يكرهون أن يقول الرجل: حياك الله حتى يقول: السلام، وسئل عبد الله بن عمر عن الرجل يدخل المسجد، أو البيت ليس فيه أحد قال: يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، ومر رجل بالنبي ﷺ، وهو يبول فسلم عليه فلم يرد عليه السلام، وقال رجل لعائشة: كيف أصبحت؟ قالت: بنعمة من الله، وقال رجل لشريح: كيف أصبحت، قال: أصبحت طويلاً أملي قصيراً أجلي سيئاً عملي، وقيل لسفيان الثوري: كيف أصبحت، قال: أصبحت في دار حارت فيها الأدلاء، واستأذن رجل من بني عامر على النبي ﷺ، وهو في بيت، فقال: آلج فقال النبي ﷺ لخادمه: «اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان، وقل له: يقول: السلام عليكم»، ادخل، قال جابر بن عبد الله: استأذنت على النبي ﷺ فقال: من أنت، فقلت: أنا أنا، وقال النبي ﷺ: «الاستئذان ثلاثة، فإن أذن لك وإلا فارجع».

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الأولى إذن، والثانية مؤامرة، والثالثة عزيمة

---

(١) أخرجه الترمذي (قيامة، ٤٢)، وابن ماجة (إقامة، ١٧٤)، والدارمي (صلاة، ١٥٦)، (استئذان، ٤)، وأحمد بن حنبل (٥، ٤٥١).

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل (٣،٣٢٨).

(٣) أخرجه أبو داود (لباس، ٢٤)، (أدب، ١٤٠)، والترمذي (استئذان ٢٨)، وأحمد بن حنبل (٣، ٤٨٢).

(٤) أخرجه أبو داود (أدب، ١٣٤)، والترمذي (استئذان، ١٤)، والدارمي (استئذان، ٦)، والموطأ (سلام، ١)، وأحمد بن حنبل (٢، ٣٢٥، ٥١٠، ٦، ١٩، ٢٠).

إما أن يأذنوا، وإما أن يردوا، ومما يلحق بهذا المعنى تأديب المرء لبنيه لاسيما الصغير، قالت الحكماء: من أدب ولده صغيراً سر به كبيراً، وقالوا: أطبع الطين ما كان رطباً، وأعمر العود ما كان لدناً، وقالوا: من أدب ولده غم حاسده، وقال ابن عباس: من لم يجلس في الصغر حيث يكره لم يجلس في الكبر حيث يحب، قال الشاعر:

إذا المرء أعيته المروءة ناشئاً ... فمطلبها كهلاً عليه شديد

وقالوا: ما أشد فطام الكبير وأعسر رياضة الهرم قال الشاعر:

تروض غرسك بعد ما هرمت ... ومن العناء رياضة الهرم

كتب شريح إلى معلم ولده:

ترك الصلاة لأكلب يسعى بها ... يبغي الهراش مع الغواة الرجس
فإذا أتاك فعظه بملامة ... وعظته موعظة الأديب الكيس
فإذا هممت بضربه فبدره ... وإذا بلغت ثلاثة لك فاحبس
واعلم بأنك ما أتيت فنفسه ... مع ما يجرعني أعز الأنفس

وقال صالح بن عبد القدوس:

وإن من أدبته في الصبا ... كالعود يسقي الماء في غرسه
حتى تراه مورقاً ناضراً ... بعد الذي أبصرت من يبسه
والشيخ لا يترك أخلاقه ... حتى يوارى في ثرى رمسه
إذا ارعوى عاد له جهله ... كذي الصبا عاد إلى بلسه
ما تبلغ الأعداء من جاهل ... ما يبلغ الجاهل من نفسه

وقال عمرو بن عتبة لمعلم ولده: ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت علمهم كتاب الله، ولا تملهم فيه فيتركوه، ولا تتركهم منه، فيهجروه روهم من الحديث أشرفه، ومن الشعر أعفه، ولا تنقلهم من علم إلى علم حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في القلب مشغلة للفهم، وعلمهم سنن الحكماء، وجنبهم محادثة النساء، ولا تتكل على عذر مني لك، فقد اتكلت على كفاية منك، ومما يروى في حب الولد أرسل معاوية إلى الأحنف بن قيس، فقال: يا أبا بحر ما تقول: في الولد؟ قال: ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن له أرض في ليله، وسماء ظليلة فإن صلبوا فاعطهم، وإن غضبوا فأرضهم يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقيلاً، فيملوا حياتك ويحبوا وفاتك، فقال: لله أنت يا أحنف، لقد دخلت علي، وإني لمملوء غضباً على يزيد، فسللته من قلبي.

فلما خرج الأحنف من عنده بعث معاوية إلى يزيد بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب، فبعث يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب شاطره البعثة.

وكان عبد الله بن عمر يذهب بولده سالم كل مذهب حتى لامه الناس فيه فقال:

يلومونني في سالم وألومهم وجلدي بين العين والأنف سالم

وقال: إن ابني سالماً ليحب الله حباً لو لم يخفه ما عصاه، وقال زيد بن علي لابنه: يا بني إن الله لم يرضك لي فأوصاك بي ورضيني لك فحذرنيك، وفي الحديث المرفوع ريح الولد من ريح الجنة، وفيه أيضاً الأولاد من ريحان الله، وقال النبي ﷺ: «لما بشر بفاطمة ريحانة أشمها ورزقها على الله».

ودخل عمرو بن العاص على معاوية، وبين يديه بنته عائشة، فقال: من هذه، فقال: هذه تفاحة القلب، فقال له: انبذها عنك فوالله إنهن ليلدن الأعداء، ويقربن البعداء، ويورثن الضغائن، قال: لا تقل ذاك يا عمر وفوالله ما مرض المرضى، ولا ندب الموتى، ولا أعان على الأحزان مثلهن، ورب ابن أخت قد نفع خاله، وقال المعلى الطائي:

لولا بنيات كزغب القطا خططن من بعض إلى بعض
لكان لي مضطرب واسع في الأرض ذات الطول والعرض
وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض

وقال عبد الله بن أبي بكرة: موت الولد صدع في الكبد لا ينجبر آخر الأبد، ونظر عمر بن الخطاب إلى رجل يحمل طفلاً على عنقه، فقال: ما هذا منك، قال: ابني يا أمير المؤمنين، قال: أما إن عاش فتنك، وإن مات حزنك، وكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ترقص الحسين بن علي رضي الله عنهما، وتقول:

إن بني شبه النبي ليس شبيهاً بعلي

وكان الزبير يرقص عروة ويقول:

أبيض من آل أبي عتيق مبارك من ولد الصديق
ألذه كما ألذ ريقي

وقال آخر وهو يرقص ولده:

أحبه حب الشحيح ماله قد كان ذاق الفقر ثم ناله
إذا يريد بذله بدا له

وقال آخر وهو يرقص ولده:

اعـــرف منـــه قلـــة النعـــاس   وخفـــة مـــن رأســـه فـــي راس

وكان رجل من طيء يقطع الطريق فمات، وترك بنياً رضيعاً فجعلت أمه ترقصه وتقول:

يـــا ليتـــه قـــد قطـــع الطـــريقـــا   ولـــم يـــرد فـــي أمـــره رفيقـــاً
وقـــد أخـــاف الفـــج والمضيقـــا   فقـــل إن كـــان بـــه شفيقـــاً

قلت: فسبحان من زين لكل أمة عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية، يا حداث ما يمكنهم منه، ويحملهم عليه توفيقاً وتخذيلاً، اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه منا، وقال هارون الرشيد لابنه المعتصم: ما فعل وصيفك؟ قال: مات فاستراح من الكتاب، قال: وبلغ منك الكتاب هذا المبلغ، والله لا حضرته أبداً، ووجهه إلى البادية فتعلم الفصاحة، وكان أمياً وهو المعروف بابن ماردة.

وفي بعض الحديث أن إبراهيم خليل الرحمن كان من أغير الناس، فلما حضرته الوفاة دخل عليه ملك الموت في صورة رجل أنكره، فقال له: من أدخلك داري، قال: الذي أسكنك فيها منذ كذا وكذا سنة قال، ومن أنت؟ قال: أنا ملك الموت جئت لقبض روحك، قال: أتاركي أنت حتى أودع ابني إسحاق، قال: نعم، فأرسل إلى إسحاق، فلما أتاه أخبره، فتعلق إسحاق بأبيه إبراهيم، وجعل يتقطع عليه بكاء، فخرج عنهما ملك الموت، وقال: يا رب ذبيحك إسحاق متعلق بخليلك، فقال له الله: قل له إني قد أمهلتك ففعل، وانحل إسحاق عن أبيه، ودخل إبراهيم بيتاً ينام فيه، فقبض ملك الموت روحه وهو نائم اهـ. من العقد الفريد، ومن الآداب التي ينبغي للمربي وغيره التحفظ عليها ما قيل في السودد، لأن المربي هو الذي له السيادة العظمى، وهو الذي يقتدي به للزلفى، والنعمى. قال في العقد الفريد: قيل لعدي بن حاتم: ما السؤدد، قال: السد الأحمق في ماله الذليل في عرضه المطرح لحقده، وقيل لقيس بن عاصم: بم سودك قومك؟ قال: بكف الأذى، وبذل الندى ونصر المولى.

وقال رجل للأحنف: بم سودك قومك، وما أنت بأشرفهم بيتاً، ولا أصبحهم وجهاً، ولا أحسنهم خلقاً؟ قال: بخلاف ما فيك يا ابن أخي، قال: وما ذاك؟ قال: بتركي من أمرك ما لا يعنيني كما عندك من أمري ما لا يعنيك، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل من سيد قومك، قال: أنا قال: كذبت لو كنت كذلك لم تقله، وقال ابن الكلبي: قدم أوس بن حارثة بن لام الطائي وحاتم بن عبد الله الطائي على النعمان بن المنذر، فقال لإياس بن قبيصة الطائي: أيهما أفضل؟ قال: أبيت اللعن أيها الملك إني من أحدهما، ولكن سلهما عن أنفسهما، فإنهما يخبرانك فدخل عليه أوس فقال: أنت أفضل أم حاتم، فقال: أبيت

اللعن أن أدنى ولد حاتم أفضل مني، ولو كنت أنا وولدي ومالي لحاتم لا يهبنا في غداة واحدة، ثم دخل عليه حاتم، فقال له: أنت أفضل أم أوس، فقال: أبيت اللعن أن أدنى ولد لأوس أفضل مني، فقال النعمان: هذا والله السودد، وأمر لكل واحد منهما بمائة من الإبل، قلت: هذه السيادة عند أهل الدنيا.

وأما أهل الله لا تخطر السيادة لأنفسهم على قلوبهم بل لو سمع أحدهم قائلاً يقول: من أحسن أهل الدنيا أو الخلق كله على الإطلاق لقال: أنا وسأل عبد الملك بن مروان روح ابن زنباع عن مالك بن مسمع، فقال: لو غضب مالك لغضب معه ألف سيف لا يسأله واحد منهم لم غضبت، فقال عبد الملك: هذا والله السؤدد، وقال أبو حاتم: عن القتبي أهدى ملك اليمن سبع جزائر إلى مكة، وأوصى أن ينحرها أعز قريش بها، فأتت وأبو سفيان عروس بهند، فقالت له هند: يا هذا لا تشغلك النساء عن هذه الأكرومة التي لعلك أن تسبق إليها بعد السابع، فنحرها ونظر رجل إلى معاوية وهو غلام صغير، فقال: إني أظن أن هذا الغلام سيسود قومه فسمعته أمه هند فقالت: ثكلته إذا لم يسد غير قومه، وقال الهيثم بن عدي: كانوا يقولون: إذا كان الصبي سائل الغرة طويل الغرلة ملتاث الازرة، فذلك الذي لا يشك في سؤدده، ودخل ضمرة بن أبي ضمرة على النعمان بن المنذر، وكانت به ذمامة شديدة فالتفت النعمان إلى أصحابه، وقال: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه، فقال: أيها الملك إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإن قال: قال ببيان، وإن قاتل قاتل بجنان، قال: صدقت وبحق سودك قومك، وقيل لعرابة الأوسي: بم سودك قوكم؟ قال: بأربع خلال انخدع لهم في مالي، وأذل لهم في عرضي ولا أحقر صغيرهم، ولا أحسد كبيرهم، وفي عرابة الأوسي، يقول الشماخ وهو ضرار:

رأيت عرابة الأوسي يسمو إلى الخيرات منقطع القرين
إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

وقالوا: يسود الرجل بأربعة أشياء، بالعقل والأدب والعلم والمال، وكان سلم بن نوفل سيد بني كنانة، فوثب رجل على ابنه وابن أخيه، فجرحهما فأتى به، فقال: ما أمكنك من انتقامي، قال: فلم سودناك إلا أن تكظم الغيظ، وتحلم عن الجاهل، وتحمل المكروه فخلى سبيله فقال فيه الشاعر:

يسود أقوام وليسوا بسادة بل السيد الصنديد سلم بن نوفل

وقال ابن الكلبي قال لي خالد القسري: ما تعدون السؤدد، قلت: أما في الجاهلية فالرياسة.

وأما في الإسلام فالولاية وخير من ذا وذلك التقوى، قال: صدقت، كان أبي يقول:

لم يدرك الأول الشرف إلا بالعقل، ولم يدرك الآخر إلا بما أدرك به الأول، قلت له: صدق أبوك إنما ساد الأحنف بن قيس بحلمه ومالك بن مسمع بحب العشيرة له وقتيبة بن مسلم بدهائه، وساد المهلب بهذه الخلال كلها، قال الأصمعي: قيل لأعرابي: يقال له منتجع بن نبهان ما السميذع، قال: السيد الموطأ الأكناف، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه له فراش في بيته في وقت خلافته، فلا يجلس عليه أحد إلا العباس بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن حرب.

وقال النبي ﷺ لأبي سفيان: «كل الصيد في جوف الفرا» والفرا الحمار الوحشي، وهو مهموز وجمعه فراء، ومعناه أنه في الناس مثل الحمار الوحشي في الوحش، ودخل عمرو بن العاص مكة فرأى قوماً من قريش قد تحلقوا حلقة، فلما رأوه رموا بأبصارهم إليه فعدل إليهم، فقال: أحسبكم كنتم في شيء من ذكري، قالوا: أجل كنا نمثل بينك وبين أخيك هشام أيكما أفضل، فقال عمرو: أن لهشام علي أربعة: أمه ابنة هشام بن المغيرة، وأمي من قد عرفتم، وكان أحب الناس إلى أبيه مني، وقد عرفتم معرفة الوالد بالولد، وأسلم قبلي واستشهد، وبقيت، قال قيس بن عاصم لبنيه، لما حضرته الوفاة: احفظوا عني فلا أحد أنصح لكم مني.

أما إذا أنامت فسودوا كباركم، ولا تسودوا صغاركم، فيحقر الناس كباركم، وقال الأحنف بن قيس: السودد مع السواد، وهذا المعنى يحتمل وجهين من التفسير، أحدهما أن يكون أراد بالسواد سواد الناس، ودهماءهم يقول: من لم يطر له اسم على السنة العامة بالسودد لم ينفعه ما طار له في الخاصة وقال أبان بن سلمة:

ولسنا كقوم محدثين سيادة … يرى مالها إذ لا يحسن فعالها
مساعيهم مقصورة في بيوتهم … ومسعاتنا ذبيان طراً عيالها

قال الهيثم بن عدي لما انفرد سفيان بن عيينة ومات نظراؤه من العلماء تكاثر الناس عليه فانشأ يقول:

خلت الديار فسدت غير مسود … ومن الشقاء تفردي بالسودد

ومن أفضل السيادة سيادة الرجل بنفسه، بل لا ينفع الرجل سيادة أبيه ما لم يكن سودده بنفسه، قال النبي ﷺ: «من أسرع به عمله لم يبطيء به حسبه، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه»[1]. وقال قيس بن ساعدة: من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب أبيه، وقالوا: إنما الناس بأبدانهم قال الحريري:

---

(١) أخرجه أبو داود (علم، ١)، والترمذي (قرآن، ١٠)، وابن ماجه (مقدمة، ١٧)، والدارمي (مقدمة، ٣٢)، وأحمد بن حنبل (٢، ٢٥٢، ٤٠٧).

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه ... على ما تجلى يومه لا ابن أمسه
وما الفخر بالعظم الرميم وإنما ... فخار الذي يبغي الفسخار بنفسه

وقال الشاعر:

نفس عصام سودت عصام ... وعلمته الكر والافداما

وقال عبد الله بن معاوية:

لسنا وإن كرمت أوائلنا ... يوماً على الأحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا ... تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وقال قس بن ساعدة: لاقضين بين العرب بقضية لم يقض بها أحد قبلي، ولا يردها أحد بعدي أيما رجل رمى رجلاً علامة دونها كرم فلا لوم عليه، وأيما رجل ادعى كرماً دونه لؤم، فلا كرم له، وقالت عائشة رضي الله عنها: كل كرم دونه لؤم فاللؤم أولى به، وكل لؤم دونه كرم، فالكرم أولى به تريد أن أولى الأمور بالإنسان خصال نفسه، فإن كان كريماً وآباؤه لئام لم يضره ذلك، وإن كان لئيماً وآباؤه كرام لم ينفعه ذلك، وقال عامر بن الطفيل العامري:

وإني وإن كنت ابن سيد عامر ... وفارسها المشهور في كل موكب
فما سودتني عامر عن وراثة ... أبى اللّه أن أسمو بأم ولا أب
ولكنني أحمي حماها وأتقي ... أذاعاً وأرمي من رماها بمنكبي

وتكلم رجل عند عبد الملك بن مروان بكلام ذهب فيه كل مذهب، فأعجب عبد الملك ما سمع من كلامه، فقال له: ابن من أنت، قال: أنا ابن نفسي يا أمير المؤمنين التي بها توصلت إليك، قال: صدقت فأخذ الشاعر هذا المعنى فقال:

مالي عقلي وهمتي حسبي ... ما أنا مولى ولا أنا عربي
إذا انتمى منتم إلى أحد ... فإنني منتم إلى أدبي

وقال بعض المحدثين:

رأيت رجال بني دالق ... ملوكاً بفضل تجارتهم
وبربرنا عند حيطانهم ... يخوضون في ذكر أمواتهم
وما الناس إلا بأبدانهم ... وأحسابهم في حرماتهم

ومما ينال به السؤدد ظاهراً، وباطناً دينياً ودنيوياً المروءة، وقال النبي ﷺ: «لا دين إلا بمروءة» وقال ربيعة الراوي: المروءة ست خصال ثلاثة في الحضر، وثلاثة في السفر، فأما التي في السفر فبذل الزاد، وحسن الخلق ومداعبة الرفيق، وأما التي في الحضر فتلاوة

القرآن، ولزوم المساجد، وعفاف الفرج، وتقدم مثل هذا الكلام وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: المروءة مروءتان مروءة ظاهرة ومروءة باطنة، فالمروءة الظاهرة الرياش والمروءة الباطنة العفاف، وقد مر وفد على معاوية، فقال لهم: ما تعدون المروءة، قالوا: العفاف وإصلاح المعيشة، قال: اسمع يا يزيد وقيل: لأبي هريرة ما المروءة؟ قال: تقوى الله، وتفقد الضيعة، وقيل للأحنف: ما المروءة؟ قال: العفة والحرمة، وقال عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما: إنا معشر قريش لا نعد الحلم والجود سؤدداً، ونعد العفاف، وإصلاح المال مروءة، قال الأحنف: لا مروءة لكذوب، ولا سؤدد لبخيل، ولا ورع لسيىء الخلق.

وقال النبي ﷺ: «تجاوزوا لذوي المروءات عن عثراتهم، فوالذي نفسي بيده إن أحدهم ليعثر، وإن يده لبيد الله»، وقال العتبي عن أبيه: لا تتم مروءة الرجل إلا بخمس أن يكون عالماً صادقاً عاقلاً ذا بيان مستغنياً عن الناس، وقال الشاعر:

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ... ففي صالح الأخلاق نفسك فاجعل

وقيل لعبد الملك بن مروان: أكان مصعب بن الزبير يشرب الطلاء، فقال: لو علم مصعب أن الماء يفسد مروءته ما شربه، وقالوا: من أخذ من الديك ثلاثة أشياء، ومن الغراب ثلاثة أشياء تم بها أدبه ومروءته. من أخذ من الديك سخاءه وشجاعته، ومن الغراب بكوره لطلب الرزق وشدة حذره وستر سفاده، واعلم أن الرجال طبقات، وعلى العاقل أن يعرف طبقات الرجال، قال خالد بن صفوان: الناس ثلاث طبقات: طبقة علماء وطبقة خطباء وطبقة أدباء، ورجرجة بين ذلك يغلون الأسعار، ويضيقون الأسواق، ويكدرون المياه، وقال الحسن: الرجال ثلاثة، فرجل كالغذاء لا يستغني عنه، ورجل كالدواء لا يحتاج إليه إلا حيناً بعد حين، ورجل كالداء لا يحتاج إليه أبداً، وتقدم مثل هذا، وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير: الناس ثلاثة، ناس ونسناس، وناس غمسوا في ماء الناس، وقال الخليل بن أحمد: الرجال أربعة، فرجل يدري، ويدري أنه يدري فذلك عالم فاسألوه، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك الناسي فذكروه، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك الجاهل فعلموه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك الأحمق فارفضوه وقال الشاعر:

أليس من البلوى بأنك جاهل ... وأنك لا تدري بأنك لا تدري
إذا كنت لا تدري ولست كمن درى ... فكيف إذا تدري بأنك لا تدري

ولآخر:

وما الداء إلا أن تعلم جاهلاً ... ويزعم جهلاً أنه منك أعلم

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الناس ثلاثة، عالم رباني، ومتعلم على سبيل

نجاة، ورعاع همج يميلون مع كل ريح، وقالت الحكماء الإخوان ثلاثة، فأخ يخلص لك وده، ويبذل لك رفده، ويستفرغ في فهمك جهده، وأخ ذونية يقتصر بك على حسن نيته دون رفده ومعونته، وأخ يتعلق لك بلسانه، ويتشاغل عنك بشأنه، ويوسعك من كذبه، وأيمانه وقال الشعبي: مر رجل بعبد الله بن مسعود، فقال لأصحابه: هذا لا يعلم، ولا يعلم أنه لا يعلم، ولا يتعلم ممن يعلم، وقال ﷺ: «كن عالماً أو متعلماً ولا تكن الثالث فتهلك»، وفي المستطرف، قال الحكماء: إذا أراد الله بعبد خيراً ألهمه الطاعة، وألزمه القناعة، وفقهه في الدين، وعضده باليقين فاكتفى بالكفاف، واكتسى بالعفاف، وإذا أراد به شراً حبب إليه المال، وبسط منه الآمال، وشغله بدنياه، ووكله إلى هواه، فركب الفساد، وظلم العباد الثقة بالله أزكى أمل، والتوكل عليه أوفى عمل من لم يكن له من دينه، واعظ لم تنفعه المواعظ من سره الفساد ساءه المعاد كل يحصد ما زرع، ويجزي بما صنع لا يغرنك صحة نفسك، وسلامة أمسك فمدة العمر قليلة، وصحة النفس مستحيلة، من أطاع هواه باع دينه بدنياه، ثمرة العلوم العمل بالمعلوم من رضي بقضاء الله لم يسخطه أحد، ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد، أفضل الناس من لم تفسد الشهوات دينه خير الناس من أخرج الحرص من قلبه، وعصى هواه في طاعة ربه نصرة الحق شرف، ونصرة الباطل سرف البخيل حارس نعمته، وخازن لورثته من لزم الطمع عدم الورع إذا ذهب الحياء، حل البلاء علم لا ينفع كدواء لا ينجع من جهل المرء أن يعصي ربه في طاعة هواه، ويهين نفسه في إكرام دنياه، أيام الدهر ثلاثة، يوم مضى لا يعود إليك، ويوم أنت فيه لا يدوم عليك، ويوم مستقبل لا تدري ما حاله، ولا تعرف من أهله، من كثر ابتهاجه بالمواهب اشتد انزعاجه للمصائب، لا تبت على غير وصية وإن كنت من جسمك في صحة، ومن عمرك في فسحة عظ المسيء بحسن أفعالك، ودل على الجميل خلالك إياك وفضول الكلام، فإنه يظهر من عيوبك ما بطن، ويحرك من عدوك ما سكن لا يجد العجول فرحاً ولا الغضوب سروراً، ولا الملوك صديقاً حسن النية من العباد حسن الجلوس من السياسة، من زاد في خلقه نقص في حظه، من ائتمن الزمان خانه أظهر الناس محبة أحسنهم لقاء، لا يكمل للإنسان دينه حتى يكون فيه أربع خصال، يقطع رجاءه مما في أيدى الناس ويسمع شتم نفسه ويصبر، ويحب للناس ما يحب لنفسه، ويثق بمواعيد الله إياك، والحسد فإنه يفسد الدين ويضعف اليقين ويذهب المروءة، قيل لأفلاطون: ما الشيء الذي لا يحسن أن يقال: وإن كان حقاً، قال: مدح الإنسان نفسه أربعة تؤدي إلى أربعة، الصمت إلى السلامة، والبر إلى الكرامة، والجود إلى السيادة، والشكر إلى الزيادة، من ساء تدبيره أهلكه جده العزيزة، ثمرة الجهل آفة القوة، استضعاف الخصم آفة النعم، قبح المن آفة الذنب، حسن الظن الحزم أشد الآراء، والغفلة أضر الأعداء من قعد عن حيلته أقامته الشدائد، ومن نام عن عدوه أيقظته المكائد من قرب

السفلة، واطرح ذوي الأحساب والمروءات استحق الخذلان من غفا تفضل من كظم غيظه، فقد حلم من حلم فقد صبر من صبر، فقد ظفر من ملك نفسه عند أربعة، حرمه الله على النار حين يغضب، وحين يرغب، وحين يرهب، وحين يشتهي من طلب الدنيا بعمل الآخرة، فقد خسرهما، ومن طلب الآخرة بعمل الدنيا، فقد ربحهما كلام المرء بيان فضله وترجمان عقله فاقصره على الجميل، واقتصر منه على القليل كل امرىء يعرف بقوله، ويوصف بفعله فقل: سديداً وافعل حميداً من عرف سديه وحفظ لسانه، وأعرض عن من أكثر مقاله سئم، ومن أكثر سؤاله حرم، ومن استخف بإخوانه خذل، ومن اجترأ على سلطانه قتل ما عز من أذل جيرانه، ولا سعد من حرم إخوانه خير النوال ما وصل قبل السؤال أولى الناس بالنوال أزهدهم في السؤال من حسن صفاؤه وجب اصطفاؤه، من غاظك بقبيح الشتم منه فعظه بحسن الحلم عنه، من يبخل بماله على نفسه جادبه على زوج عرسه، إذا اصطنعت المعروف فاستره، وإذا اصطنع إليك فانشره، من جاور الكرام أمن من الإعدام، من طاب أصله زكا فرعه، من أنكر الصنيعة استوجب القطيعة، من من بمعروفه شكره، ومن أعجب بعمله حبط أجره، من رضى من نفسه بالإساءة شهد على واصله بالرضاءة، من رجع في هبته بالغ في خسته، من رقى في درجات الهمم عظم في عيون الأمم، من كبرت همته قيمته كثرت، من ساء خلقه ضاق رزقه، من صدق في مقاله زاد في جماله، من هان عليه المال توجهت إليه الآمال، من جاد بماله جل، ومن جاد بعرضه ذل خير المال ما أخذ من الحلال وصرف في النوال، وشر المال ما أخذ من الحرام، وصرف في الأنام، أفضل المعروف إغاثة الملهوف من تمام المروءة أن تنسى الحق لك، وتذكر الحق عليك، وتستكبر الإساءة منك، وتستصغرها من غيرك، من أحسن المكارم عفوا المقتدر جود الرجل يحببه إلى أصدقائه وبخله يبغضه إلى أودائه، لا تسيء إلى من أحسن إليك، ولا تعن عن من أنعم عليك، من كثر ظلمه واعتداؤه قرب هلاكه وفناؤه، من طال تعديه كثرت أعاديه، شر الناس من ينصر الظلوم ويخذل المظلوم، من حفر حفيراً لأخيه كان حتفه فيه، من سل سيف العدوان أغمد في رأسه، من لم يرحم العبرة سلب النعمة، من لم يقل العثرة سلب القدرة، لا تحاج من يذهلك خوفه، ويملكك سيفه، اصمت تسلم به خير من نطق تندم عليه، من قال: ما لا ينبغي سمع ما لا يشتهي، جرح الكلام أصعب من جرح الحسام، من سكت عن جاهل فقد أوسعه جواباً، أو أوجعه عتاباً، من أمات شهواته أحيا مروءته، من كثرت عوارفه كثرت معارفه، من لم تقبل توبته عظمت خطيئته، إياك والبغي فإنه يصرع الرجال ويقطع الآجال، الناس في الخير أربعة أقسام، منهم من يفعله ابتداء، ومنهم من يفعله اقتداء، ومنهم من يتركه حرماناً، ومنهم من يتركه استحساناً، فمن فعله ابتداء، فهو كريم، ومن فعله اقتداء فهو حكيم، ومن تركه حرماناً فهو شقي، ومن تركه استحساناً فهو دنيء، من سالم

سلم، ومن قدم الخير غنم، من لزم الرقاد عدم المراد، ومن دام كسله خاب أمله العجول مخطيء وإن ملك، والمتأني مصيب وإن هلك. من أمارات الخذلان، معادات الإخوان، استفساد الصديق من عدم التوفيق، الرفق مفتاح الرزق، من نظر في العواقب سلم من النوائب، ومن أسرع في الجواب أخطأ في الصواب، من ركب العجل أدركه الزلل، من ضعفت آراؤه قويت أعداؤه، من قلت فضائله ضعفت وسائله، من فعل ما شاء لقي ما ساء، من كثر اعتباره قل عثاره، من ركب جده غلب ضده، القليل مع التدبير أبقى من الكثير مع التبذير، ظن العاقل أصح من يقين الجاهل، قليل تحمد آخرته خير من كثير تذم عاقبته، من خاف سطوتك تمنى موتتك، إذا استشرت الجاهل اختار لك الباطل، من أعجبته آراؤه غلبته أعداؤه، من قصر عن السياسة صغر عن الرياسة، لا تشتك ضعفك إلى عدوك، فإنك تشتمه بك وتطمعه فيك، من لم يعمل لنفسه عمل للناس، ومن لم يصبر على كده صبر على الإفلاس، من أفشى سره أفسد أمره، الحازم من حفظ ما في يده، ولم يؤخر شغل يومه لغده، من طلب ما لا يكون طال تعبه، لا تفتح باباً يعييك سده، ولا ترم سهماً يعجزك رده، سوء التدبير سبب التدمير، اغمد سيفك ما ناب عنك لسانك، ليس العجب من جاهل يصحب جاهلاً.

ولكن العجب من عاقل يصحبه لأن كل شيء يفر من ضده ويميل إلى جنسه، إذا نزل القدر بطل الحذر، رب عطب تحت طلب ومنية تحت أمنية، لا يخلو المرء من ودود يمدح، وعدو يقدح، الجوع خير من الخضوع، الكذوب منهم وإن صدقت لهجته ووضحت حجته، من طاوعه طرفه اشتد حتفه، من لم تسر حياته لم تغم وفاته، من أعظم الذنوب تحسين العيوب، الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية، إذا ملك الاراذل هلك الأفاضل، من ساءت أخلاقه طاب فراقه، من حسنت خصاله طاب وصاله، بعد يورث الصفا خير من قرب يوجب الجفا، اللسان سيف قاطع لا يؤمن حده، والكلام معهم نافذ لا يمكن رده، من اطلع على جاره انتهكت حجب أستاره، أجهل الناس من قل صوابه وكثر إعجابه، أظهر الناس نفاقاً من أمر بالطاعة ولم يأتمر بها، ونهى عن المعصية ولم ينته عنها، من سلا عن المسلوب كمن لم يسلب، ومن صبر على النكبة كمن لا ينكب، الفضيلة بكثرة الآداب لا بفراهة الدواب، من زادت شهوته نقصت مروءته، من عرف بشيء نسب إليه، ومن اعتاد شيئاً حرص عليه، عند الجدال يظهر فضل الرجال، من أنعر الأكل لذ طعامه، ومن أخر النوم طاب منامه، موت في دولة وعز خير من حياة في ذل، وعجز مقاساة الفقر هي الموت الأحمر، ومسألة الناي هي العار الأكبر، حق يضر خير من باطل يسر، كم من مرغوب يسوء فيه ولا يسر ومرهوب منه ينفع ولا يضر، عثرة الرجل تزيل القدم، وعثرة اللسان تزيل النعم، المزاح يورث الضغائن من حلم ساد، ومن تفهم ازداد معاشرة ذوي الألباب عمارة

القلوب، شر ما صحب المرء الحسد، ربما أصاب الأعمى رشده واخطأ البصير قصده، اليأس خير من التضرع إلى الناس، لا تكن ضاحكاً في غير عجب، ولا ماشياً في غير أرب، من سعى بالنميمة حذره القريب ومقته الغريب، الاستشارة عين الهداية، وقد خاطر من استبد برأيه، أشرف الغنى ترك المنى، من ضاق خلقه مله أهله، الحسد للصديق من سقم المودة، كل الناس راضٍ عن عقله دنياك كلها وقتك الذي أنت فيه أستر سوأة أخيك لما يعلم فيك، خمول الذكر أسنى من الذكر الذميم، العجلة أخت الندامة، من كرم أصله لان قلبه، ومن قل لبه زاد عجبه، ربما أدرك بالظن الصواب، ليس لمعجب رأي ولا لمتكبر صديق، سل عن الرفيق قبل الطريق، وعن الجار قبل الدار، لا تعادين أحداً فإنك لا تخلو من عداوة جاهل أو عاقل، فالحذر من حكمة العاقل وجهل الجاهل، ضاحك معترف بذنبه خير من باكٍ مدل على ربه، من قل سروره كان الموت راحته، لا تردن على ذي خطأ خطأه فيستفيد منك علماً ويتخذك عدواً، استحيي من ذم من لو كان حاضراً لبالغت في مدحه، ومدح من لو كان غائباً لسارعت إلى ذمه، وقيل: المنفعة توجب المحبة والمضرة توجب البغضة، والمخالفة توجب العداوة، والمتابعة توجب الألفة، والعدل يوجب اجتماع القلوب، والجور يوجب الفرقة، وحسن الخلق يوجب المودة، وسوء الخلق يوجب المباعدة، والانبساط يوجب المؤانسة، والانقباض يوجب الوحشة، والكبر يوجب المقت، والتواضع يوجب الرفعة، والجود يوجب المدح، والبخل يوجب الذم، والتواني يوجب التضييع، والحزم يوجب السرور، والحذر يوجب السلامة، وإصابة التدبير توجب بقاء النعمة، وبالتأني تسهل المطالب، وبحسن المعاشرة تدوم المحبة، وبخفض الجانب تأنس النفوس، وبسعة خلق المرء يطيب عيشه، والاستهانة توجب التباعد، وبكثرة الصمت تكون الهيبة، وبعدل المنطق تجلب الجلالة، وبالصفة تكثر المواصلة، وبالإفضال يعظم القدر، وبصالح الأخلاق تزكوا الأعمال، وباحتمال المؤن يجب السؤدد، وبالحلم على السفيه تكثر أنصارك عليه، وبالرفق والتودد تستحق اسم الكرامة، وبترك ما لا يعنيك يتم لك الفضل، واعلم أن السياسة تكسوا أهلها المحبة، ومن صغر الهمة الحسد الصديق على النعمة والنظر في العواقب نجاة، ومن من لم يحلم ندم، ومن صبر غنم، ومن سكت سلم، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم، ومن أطاع هواه أضل، ومع العجلة الندامة، ومع التأني السلامة، وزارع البر يحصد السرور، وصاحب العقل مغبوط، وصداقة الجاهل تعب إذا جهلت فاسئل، وإذا ذللت فارجع، وإذا أسأت فاندم، وإذا ندمت فابلغ، المروءة كلها تبع للعقل، والرأي تبع للتجربة، والعقل أصله التثبت، وثمرته السلامة، والأعمال كلها تتبع القدر، واختار العلماء أربع كلمات من أربع كتب، فمن التوراة: من قنع شبع، ومن الإنجيل: من اعتزل نجا، ومن الزبور: من سكت سلم، ومن القرآن العظيم: ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط

مستقيم، واجتمعت حكماء العرب والعجم على أربع كلمات، لا تحمل بطنك ما لا يليق، ولا تعمل عملاً لا ينفعك، ولا تغتر بامرأة، ولا تثق بمال ولو كثر، والله تعالى أعلم.

ولنختم هذا النسق بالذي من الأمثال من الحديث النبوي أخرجه المستطرف وغيره تبركاً به، ورجاء أن يأتيني خبره، «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى: نية المؤمن خير من عمله، آفة العلم النسيان، من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعينه، إذا أتاكم كريم قوة فاكرموه، أنزلوا الناس منازلهم، اليد العليا خير من اليد السفلى، من مات غريباً مات شهيداً، مطل الغنى ظلم، يد الله مع الجماعة، الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق، من غشنا فليس منا، سيد القوم خادمهم، الحياء شعبة من الإيمان، تخيروا لنطفكم، ابدأ بنفسك ثم بمن تعول، حدث البحر ولا حرج، المجالس بالأمانات، كل ميسر لما خلق له، اطلبوا الخير من حسان الوجوه، إياك وما يعتذر منه، الوحدة خير من الجليس السوء، استعينوا على الحوائج بالكتمان، الندم نوبة. لا يكون المؤمن طعاناً ولا لعاناً، دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، من كثر سواد قوم فهو منهم، انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، انتظار الفرج عبادة، كاد الفقر أن يكون كفراً، نعم صومعة الرجل بيته، الأعمال بخواتمها، وليكن هذا آخر الكلام على هذا القسم الأول، ولنشرع الآن إن شاء الله في الكلام على القسم الثاني، فأقول إن أفضل الأقوال والأفعال التي تنفع المرء القرآن والحديث، ثم المجرب عند الأولياء.

وها أنا نجول الله لسرد لك هنا ما ينتفع به المربي وغيره، وليكن في كريم علمك أن كل ذكر ينفع المبتدي ينفع المنتهي من غير عكس، واعلم أيضاً أنه ما تقدم أن المراد من الأقوال النافعة هي أقوال الطاعة، وأفعالها في الباب الرابع من الكتاب الأول، وقد تقدم هنالك من فضل الذكر، وكثير غيره ما ينكفي، ويشفي فليراجع من شاء لموافقته للمبتدي، وكذلك أكثر ما يأتي هنا أيضاً، لأن الاذكار للقلوب كالماء للأجسام، قال تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ [الأنبياء: ٣٠]، والأذكار منها ما هو مطلق، ومنها ما هو مقيد، ومن أفضل ما يستعمل من الأذكار ما به نحو الأوزار، ثم ما يحفظ من طوارق الليل والنهار، ثم ما به طلوع الدرجات بالأنوار، وأفضل من ذلك كله ما به الفناء في شهود الله عن الأغيار، ولما كان الكمل من الأولياء لا يوصفون بالكمال إلا بعد هذا الشهود كان المراد هنا من الأذكار ما فيه جوامع الكلم، بكثرة الأجر، لتكون الكلمة الواحدة تعدل كذا وكذا، لأن الكمل مستغرقون في الشهود أناء الليل وأطراف النهار، ومع ذلك مخاطبون بما يكون به صلاح الظاهر والباطن ولا أصلح لهما من القرآن العظيم، وما روي عن نبينا عليه أفضل الصلاة والتسليم.

أما القرآن فلا ينبغي للكامل أن يعبر عنه ساعة حتى يكون خلقه، كما كان النبي ﷺ

بحسب ما يكون من الأدب، وسيأتي بعض خواصه إن شاء الله تعالى، وأما الحديث ففي راموز الحديث أنه ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك ولم يأت أحد بأفضل ما جاء به إلا أحد عمل عملاً أكثر من ذلك»[١]، وقال ﷺ: «من قال بعد صلاة الجمعة وهو قاعد قبل أن يقوم من مجلسه: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده أستغفر الله مائة مرة غفر الله له مائة ألف ذنب ولوالديه أربعة وعشرين ألف ذنب.

وقال ﷺ: «من قال: إذا أصبح سبحان الله وبحمده ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله»، وقال ﷺ: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخير، وهو على كل شيء قدير كان له كعدل عشر رقاب»[٢]، وقال ﷺ: «من قال: رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وفي لفظ رسولاً وجبت له الجنة»[٣]، وقال ﷺ: «من قال حين يمسي: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات لم يصبه فجأة بلاء حتى يصبح، ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات لم يصبه فجأة بلاء حتى يمسي»[٤]، وقال ﷺ: «من قال إذا خرج من بيته: بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله يقال له: كفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان»[٥]، وقال ﷺ: «من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً واحداً أحداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولم يكن له كفؤاً أحد عشر مرات كتب الله له أربعين ألف ألف حسنة»[٦]، وقال ﷺ: «من قال في كل يوم مائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين كان له أماناً من الفقر، وانساً من وحشة القبر واستجلب بها الغنى واستقرع بها باب الجنة»، وقال ﷺ: «من قال حين يصبح أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم أجير من الشيطان حتى

(١) أخرجه البخاري (بدء الخلق، ١١)، ومسلم (بر، ٤١)، والترمذي (ثواب القرآن ١١)، (دعاء، ٥٩، ٦٢)، والنسائي (إيمان، ١٠)، وابن ماجه (مناسك، ٣٢)، والموطأ (قرآن، ٢٠)، وأحمد بن حنبل (١، ١٧٤، ٢، ٢٠٧، ٢٨٣، ٣٠٢، ٣٦٠، ٣٧٥، ٤، ١٨٥، ٢٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (بدء الخلق، ١١)، (دعوات، ٥٩، ٦٥)، والترمذي (دعوات ٥٩، ١٠٣)، وابن ماجه (أدب، ٥٤)، والموطأ (مس القرآن، ٢٠)، وأحمد بن حنبل (٢،٣٠٢، ٥، ٤١٥، ٤١٨، ٤٢٠، ٤٢٢).

(٣) أخرجه مسلم (صلاة، ١٣)، وأبو داود (صلاة، ٣٦)، (وتر، ٢٦)، والترمذي (٤٢)، والنسائي (أذان، ٣٨)، وابن ماجه (أذان، ٤)، والدارمي (وصايا، ٤)، وأحمد بن حنبل (٤، ٣٣٧، ٥، ٢٩٧، ٣٠٣، ٣٦٧).

(٤) أخرجه أبو داود (أدب، ١٠١)، وابن ماجه (دعاء، ١٤)، وأحمد بن حنبل (١،٦٢، ٦٦، ٧٢).

(٥) أخرجه ابن ماجه (دعاء، ١٨).

(٦) أخرجه أحمد بن حنبل (٤، ١٠٣).

يمسي»[1]، وقال ﷺ: «من قال كل يوم حين يصبح وحين يمسي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة صادقاً بها أو كاذباً»[2]، وقال ﷺ: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لم يسبقها عمل ولم تبق معها سيئة»، أخرجه الطبراني عن أبي أمامة، وقال ﷺ: «من قال حين يأوي إلى فراشه أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه كلها، وإن كانت مثل زبد البحر، وإن كانت عدد ورق الشجر، وإن كانت عدد رمل عالج، وإن كانت عدد أيام الدنيا»[3]، أخرجه الترمذي عن أبي سعيد، وقال ﷺ: «من قال حين يأوي إلى فراشه، وهو طاهر الحمد لله الذي علا فقهر والحمد لله الذي بطن فخبر، والحمد لله الذي ملك فقدر، والحمد لله الذي يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[4]. أخرجه البيهقي عن أبي أمامة، وقال ﷺ: «من قال: جزى الله محمداً عنا ما هو أهله أتعب سبعين كاتباً ألف صباح»، أخرجه الطبراني عن عائشة، وقال ﷺ: «من قال: اللهم أعني على أداء شكرك، وذكرك، وحسن عبادتك فقد اجتهد في الدعاء»، أخرجه الخطيب عن أبي سعيد، وقال ﷺ: «من قال لا إله إلا أنت سبحانك عملت سوء، وظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم غفرت ذنوبه ولو كان فاراً من الزحف»[5]، أخرجه ابن النجار عن ابن عباس، وقال ﷺ: «من قال لا إله إلا الله ومدها هدمت له أربعة آلاف ذنب من الكبائر»، أخرجه ابن النجار عن نعيم عن أنس، وقال ﷺ: «من قال لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب

---

(١) أخرجه البخاري (بدء الخلق، ١١، ١٥)، (تعبير، ١٠)، (أدب، ٤٤، ٧٦)، ومسلم (بر، ١٠٩، ١١٠)، وأبو داود (صلاة، ١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢٢)، (سنة، ١٨)، (أدب ٣، ١٠٦)، والترمذي (مواقيت، ٦٥)، (دعوات، ٥١، ٥٦)، (ثواب القرآن، ٢٢)، والنسائي (أيمان، ١٢)، وابن ماجه (إقامة، ٢)، (طهارة، ٩)، (رؤيا، ٤)، والدارمي (صلاة، ٣٣)، (فضائل القرآن، ٢٢)، (رؤيا، ٥)، والموطأ (نكاح، ٥٢)، وأحمد بن حنبل (١، ١٨٧، ٤٠٣، ٤٠٤، ٢، ٣٠٧، ٣٢١، ٣٦٤، ٣، ٥٠، ٣٥٠، ٣٥٥، ٣٨٣، ٤، ٨٠، ٨١، ٨٣، ٨٥، ٥، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٥٣، ٣٠٣، ٦، ١٥٦).

(٢) أخرجه البخاري (توحيد، ٢٢، ٢٣)، (دعوات، ٢٧)، ومسلم (ذكر، ٦٠)، والترمذي (دعوات، ٣٩، ٦٧، ٨٠)، (وتر، ١٧)، (طب، ٣٢)، وابن ماجه (جنائز، ٣)، (إقامة، ١٨٩)، وأحمد بن حنبل (١، ٩٢، ٩٤، ١٥٨، ٢٠٦، ٢٢٨، ٤٠٤، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٥٤، ٢٥٩، ٢٦٨، ٢٨٠، ٢٨٤، ٣٣٩، ٣٥٢، ٣٥٦، ٢).

(٣) أخرجه البخاري (دعوات، ٦٥)، ومسلم (ذكر، ٢٨)، (مساجد، ١٤٦)، وأبو داود (تسبيح، ٢٤)، (تطوع، ١٢)، (وتر، ٢٤)، والترمذي (وتر، ١٥)، (دعوات، ١٧، ٥٧، ٥٩)، والنسائي (سهو، ٩٦)، وابن ماجه (أدب، ٥٦)، (إقامة، ١٨٧)، وأحمد بن حنبل (٢، ١٥٨، ٢١٠، ٢١١، ٣٠٢، ٣٧١، ٣٧٥، ٤٤٣، ٤٨٣، ٤٩٧، ٤٩٩، ٣، ١٠، ٤٣٩، ٥، ١٧٣).

(٤) أخرجه الترمذي (دعوات، ١٧)، وأحمد بن حنبل (٣، ١٠، ٤، ١٢٥).

(٥) أخرجه أبو داود (وتر، ٢٦)، والترمذي (دعوات، ١١٧).

السموات السبع ورب العرش العظيم ثلاث مرات كان مثل من أدرك ليلة القدر»[1]، أخرجه ابن عساكر عن الزهري مرسلاً وقال ﷺ: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة، قيل أفلا أبشر الناس قال: إني أخاف أن يتكلوا»[2]، أخرجه ابن النجار عن أنس، وقال ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله كتب له بها عند الله عهد، ومن قال سبحان الله وبحمده كتبت له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة»[3]، أخرجه الطبراني عن ابن عمر، وقال ﷺ: «من قال في كل يوم ثلاث مرات صلوات الله على آدم غفر الله له الذنوب، وإن كانت أكثر من زبد البحر وكان في الجنة رفيق آدم»[4]، أخرجه الديلمي عن علي، وقال ﷺ: «من قال حين يصبح أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وبرأ وذرأ عصم من شر الثقلين الجن والإنس، وإن لدغ لم يضره شيء حتى يمسي، وإن قال حين يمسي كان ذلك حتى يصبح»[5]، أخرجه أبو الشيخ عن عبد الرحمن، وقال ﷺ: «من قال عند مجمع اليهود والنصارى والمجوس والصابئين أشهد أن لا إله إلا الله، وأن ما دون الله مربوب مقهور أعطاه الله مثل عددهم»، أخرجه ابن شاهين عن ابن عباس، وقال ﷺ: «من قال: سبحان الله وبحمده مائة مرة قبل طلوع الشمس ومائة قبل غروبها كان أفضل من مائة بدنة»[6]، أخرجه الديلمي عن ابن عمر، وقال ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً واحداً صمداً لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد إحدى عشرة مرة كتب الله له ألفي ألف حسنة ومن زاد زاده الله»، أخرجه الطبراني عن أبي أوفى، وقال ﷺ: «من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاث آيات من آخر

---

(١) أخرجه البخاري (توحيد، ٢٢، ٢٣)، (دعوات، ٢٧)، ومسلم (ذكر، ٦٠)، والترمذي (دعوات ٣٩، ٦٧، ٨٠)، (وتر، ١٧)، (طب، ٣٢)، وابن ماجه (جنائز، ٣)، (إقامة، ١٨٩)، وأحمد بن حنبل (١، ٩٢، ٩٤، ١٥٨، ٢٠٦، ٢٢٨، ٤٠٤، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٥٤، ٢٥٩، ٢٦٨، ٢٨٠، ٢٨٤، ٣٣٩، ٣٥٢، ٣٥٦، ٢).

(٢) أخرجه مسلم (إيمان، ٥٢)، وأحمد بن حنبل (٥، ٣٦٢).

(٣) أخرجه أبو داود (وتر، ٢)، (صلاة، ٩)، والنسائي (صلاة، ٦)، والموطأ (صلاة الليل، ١٤)، والدارمي (صلاة، ٢٠٨)، وأحمد بن حنبل (٥، ٣١٥، ٣١٧).

(٤) أخرجه البخاري (دعوات، ٦٥)، ومسلم (ذكر، ٢٨)، (مساجد، ١٤٦)، وأبو داود (تسبيح، ٢٤)، (تطوع، ١٢)، (وتر، ٢٤)، والترمذي (وتر، ١٥)، (دعوات ١٧، ٥٧، ٥٩)، والنسائي (سهو، ٩٦)، وابن ماجه (أدب، ٥٦)، (إقامة، ١٨٧)، وأحمد بن حنبل (٢، ١٥٨، ٢١٠، ٣٠٢، ٢١١، ٣٧١، ٣٧٥، ٤٤٣، ٤٨٣، ٤٩٧، ٤٩٩، ٣، ١٠، ٤٣٩، ٥، ١٧٣).

(٥) أخرجه البخاري (أنبياء، ١٠)، ومسلم (دعوات، ٥٤، ٥٥)، وأبو داود (طب ١٩)، (سنة، ٢٠)، والترمذي (طب، ١٨)، (دعوات، ٤٠، ٩٠، ١١٢)، وابن ماجه (طب، ٣٥، ٣٦، ٤٦)، والدارمي (استئذان، ٤٨)، والموطأ (شعر، ٩ ـ ١٢)، (استئذان، ٣٤)، وأحمد بن حنبل (٢، ١٨١، ٢٩٠، ٣٧٥، ٥، ٤٣٠، ٦، ٦).

(٦) أخرجه ابن ماجه (أدب، ٥٦)، وأحمد بن حنبل (٣، ٣٠٠، ٣٤٤، ٤٢٥).

سورة الحشر، وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حين يمسي، وإن مات ذلك اليوم مات شهيداً، ومن قاله حين يمسي كان بتلك المنزلة»[(١)]، أخرجه الطبراني والترمذي عن معقل بن يسار، وقال ﷺ: «من قال حين يصبح أو حين يمسي اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني، وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فمات من يومه أو من ليلته دخل الجنة»[(٢)]، أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه، قلت: وهذا هو سيد الاستغفار، ومن فوائده أنه إذا كتب ومحى وسقى منه المحتضر، ولو جرعة واحدة سهل الله عليه الموت، وإن سقى به من عقد لسانه عن الكلام سهله الله عليه، وقال ﷺ: «من قال حين يمسي صلى الله على نوح وعلى نوح السلام لم تلدغه عقرب تلك الليلة»، وقال ﷺ: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة، قالوا يا رسول الله فما إخلاصها، قال: إن تحجزكم عن كل ما حرم الله عليكم»[(٣)]، أخرجه الخطيب عن أنس، وقال ﷺ: «من قال حين يسمع المؤذن مرحباً بالقائلين عدلاً مرحباً بالصلاة، وأهلاً كتب الله له ألفي ألف حسنة، ومحا عنه ألفي ألف سيئة، ورفع له ألفي ألف درجة»[(٤)]، أخرجه الخطيب عن موسى بن جعفر عن أبيه عن جده، وقال ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله قبل كل شيء، ولا إله إلا الله بعد كل شيء، ولا إله إلا الله يبقى ربنا ويفنى كل شيء عوفي من الهم والحزن»، أخرجه الخطيب عن ابن عباس وقال ﷺ: «من قال كل يوم اللهم اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات ألحق به من كل مؤمن حسنة»، أخرجه الطبراني عن أم سلمة وقال ﷺ: «من قال حين يمسي رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً فقد أصاب حقيقة الإيمان»[(٥)]، أخرجه ابن أبي شيبة عن عطاء بن يسار مرسلاً، وقال ﷺ: «من قال سبحان الله وبمحمده وأستغفر الله وأتوب إليه كتبت كما قالها، ثم علقت بالعرش لا يمحوها ذنب عمله صاحبها حتى يلقى الله، وهي مختومة»[(٦)] كما قالها أخرجه الطبراني عن ابن عباس، وقال

---

(١) أخرجه الترمذي (ثواب القرآن، ٢٢)، والدارمي (فضائل القرآن، ٢٢)، وأحمد بن حنبل (٣، ٢١).

(٢) أخرجه ابن ماجه (دعاء، ١٤)، والبخاري (دعوات، ١٥)، وأبو داود (آداب ١٠١)، وأحمد بن حنبل (٤، ١٢٢، ١٢٥، ٥، ٣٥٦).

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل (٢، ٣٠٧، ٣٧٣، ٥١٨، ٣، ١٢، ١٧٨، ٤، ٤٤، ٥، ٢٣٦)، والترمذي (دعوات، ١٢٦).

(٤) أخرجه الترمذي (دعوات، ٣٥)، والدارمي (استئذان، ٥٧).

(٥) أخرجه مسلم (صلاة، ١٣)، وأبو داود (صلاة، ٣٦)، (وتر، ٢٦)، والترمذي (صلاة، ٤٢)، والنسائي (أذان، ٣٨)، وابن ماجه (أذان، ٤)، والدارمي (وصايا، ٤)، وأحمد بن حنبل (٤، ٣٣٧، ٥، ٢٩٧، ٣٠٣، ٣٦٧).

(٦) أخرجه مسلم (صلاة، ٢١٨، ٢٢٠)، (مسافرين، ٢٠١)، وأبو داود (صلاة ١١٩)، (أدب، ٢٧)، والترمذي (دعوات، ٣٢)، والنسائي (افتتاح، ١٧)، (سهو، ٨٧)، والدارمي (صلاة، ٣٣)، =

ﷺ: «من قال الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته والحمد لله الذي ذل كل شيء لعزته والحمد لله الذي خضع كل شيء لملكه، والحمد لله الذي استسلم كل شيء لقدرته، فقالها يطلب بها ما عنده كتب الله له بها ألف ألف حسنة ورفع له ألف درجة ووكل به سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة»[1]، أخرجه الطبراني عن ابن عمر، وقال ﷺ: «من قال لا إله إلا الله صعدت فلا يردها حجاب حتى تصل إلى الله، فإذا وصلت إلى الله نظر إلى صاحبها وحق على الله أن لا ينظر إلى موحد إلا رحمة»، أخرجه ابن صصري في أماليه عن سعيد بن زيد، وقال ﷺ: «من قال سبحان الله وبحمده غرس الله بها ألف شجرة في الجنة أصلها من ذهب وفروعها در، وطلعها كندي الأبكار ألين من الزبد، وأحلى من الشهد، كلما أخذ منه شيء عاد كما كان»، أخرجه الحاكم والديلمي عن أنس، وقال ﷺ: «من قال حين يصبح ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله أشهد أن الله على كل شيء قدير رزق خير ذلك اليوم، وصرف عنه شره، ومن قالها من الليل رزق خير تلك الليلة، وصرف عنه شرها»، أخرجه ابن السني عن أبي هريرة، وقال ﷺ: «من قال وهو ساجد ثلاث مرات رب اغفر لي رب اغفر لي لم يرفع حتى يغفر له»[2]، أخرجه الديلمي عن أبي سعيد، وقال ﷺ: «من قال كل يوم مرة سبحان الله القائم الدائم سبحان الحي القيوم سبحان الحي الذي لا يموت سبحان الله العظيم وبحمده سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبحان العلي الأعلى سبحانه وتعالى لم يمت حتى يرى مكانه من الجنة أو يرى له»[3]، أخرجه ابن شاهين وابن عساكر في تاريخه عن أنس رضي الله عنه، وقال ﷺ: «من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحط عنه عشر خطيئات، ورفع له عشر درجات»[4] أخرجه النسائي والبخاري في الأدب عن أنس، وقال ﷺ: «من صلى علي في يوم مائة مرة قضى الله له مائة حاجة سبعين منها لآخرته، وثلاثين منها لدنياه»، أخرجه ابن النجار عن جابر، ومما لا ينبغي للمربي أن يغفل عنه لنفسه وأتباعه هذه الأنماط من أسماء الله التي أتى بها البوني رحمه الله في كتابه شمس المعارف الكبرى، وأتى بها غيره لإصلاح الدنيا والأخرى.

= (استئذان، ٢٩)، وأحمد بن حنبل (١، ٩٥، ١٠٢، ٣، ٤٥٠، ٤، ٤٢٠، ٤٢٥).

(١) أخرجه أبو داود (جنائز، ٣)، وأحمد بن حنبل (١، ١٣٨، ٣، ٢١).

(٢) أخرجه مسلم (مساجد، ٣٩)، وأبو داود (صلاة، ١٤٧)، (وتر، ٢٦)، (أدب ٩٩)، والترمذي (دعوات، ٢٦)، والنسائي (تطبيق، ٢٥، ٨٦)، (قيام الليل، ٢٥)، وابن ماجه (إقامة، ٢٣)، (أدب، ٥٧)، (دعاء، ١٦)، والدارمي (صلاة، ٧٦)، (استئذان، ٥٣)، وأحمد بن حنبل (١، ٩٧، ٣١٥، ٣٧١، ٢، ٢١، ٥، ٣١٣، ٣٧١، ٣٩٨، ٦، ٤٥، ٤٩، ١٢٦، ٢٣١، ٣٠٣، ٣١٦).

(٣) أخرجه أبو داود (صلاة، ١٤٧)، والنسائي (تطبيق، ١١، ٧٥)، وأحمد بن حنبل (٦، ٣٥، ٩٤، ١١٥، ١٤٨، ١٤٩، ١٧٦، ١٩٣، ٢٠٠، ٢٤٤، ٢٦٦).

(٤) أخرجه أحمد بن حنبل (٥، ٤٢٠، ٢، ٣، ٣، ٣٥، ٣٧، ١٠٢، ٢٦١، ٤، ٦٠، ٦، ٢٩٨)، وأبو داود (أدب، ١٠١)، والنسائي (سهو، ٥٥)، والدارمي (فضائل القرآن، ١٩).

(النمط الأول): من أسماء الله الحسنى الله الإله الرب الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور الحكيم، هذا النمط فيه أسرار التوحيد، والاخلاص، وزيادة الإيمان واسطاع نور اليقين، والانتقال في المقامات وإحياء القلوب والنهضة إلى التطوعات، وأسرار الأرواح، والانتعاش، واتحاد الذاكر بالمواهب الرحمانية، وكثرة الرجاء.

(النمط الثاني): من أسماء الله الحسنى الغفار الغفور الشكور الغافر التواب الحميد السميع البصير الودود الشاكر، هذا النمط فيه سر الصفح، التجاوز وسر التسبيح وإظهار الجميل، وإصلاح الأمور الفاسدة، وتغطية كل عيب وتيسير كل عسير، وتوفيق القلوب، وتوفيق العقول، ويصلح لمن التبك أي اختلط في الشهوات، وتمادى في المخالفات والغفلات ويبدل الله سيئاته حسنات، ويصفح برحمته عما وقع منه من الزلات، ويغفر بكرمه ما اجترحه من المحرمات، ولا يسمع موعظة إلا قرعت أذن قلبه، ولا ينظر في عبرة إلا وانطبعت في مرآة فهمه فهو مقام الأبدال.

(النمط الثالث): من أسماء الله الحسنى العليم الحكيم الباسط العلام الكريم الوهاب التواب البصير البديع علام الغيوب هذه الأسماء العشرة مختلفة الخواص والأسرار، والذاكر لهذا النمط الجليل يعطيه الله علماً لدنيا، وأسراراً ربانية لا يطلع عليها أحد غيره في زمانه ويسير رزقه ويحسن خلقه، ويتولى أمره، وينصره الله نصراً عزيزاً، ويعطي البراعة في منطقه وفي رأيه.

(النمط الرابع): من أسماء الله الحسنى الدائم القديم الأزلي الأحد الواحد الصمد الفرد المجيد المعيد هذه الأسماء العشرة خواصها منطوية في سر التوحيد الخاص، ودوام الحالات المرضية للحق سبحانه وتعالى الخاص به، وتنزيه الحق جل وعلا عن كل عيب تقولته الكافرون وتعمدته الجاحدون، وذاكر هذا النمط لجليل لا يزال محفوظاً معصوماً من الشرك الخفي، والجلي عالماً بأسرار التوحيد، كثير الاخلاص في الأعمال الفعلية والقولية، ويديم الله تعالى عليه كل حالة حسنة، ويتبع عليه رزقه وقلبه بنور التوحيد، فلا يرى غير مولاه تعالى.

(النمط الخامس): من أسماء الله الحسنى العلي العظيم، الجميل منظومة في سلك واحد، واختلاف خواصها كثيرة، وذاكر هذا النمط لا يكون في زمانه أرفع منه قدراً عند الملوك والسلاطين، والأكابر من الناس، ويعظم في أعينهم بهيج الظاهر، ويبادر إلى قضاء حوائجه، وكل من رآه هابه وأكرمه، ولا يذل أبداً بقدرة الله.

(النمط السادس): من أسماء الله الحسنى الغني الشكور المغني الرازق الفتاح الكافي

الحسيب الوكيل المعطي المقيت المغيث هذه الأسماء العشرة من مدد سرها البركة الخارقة للعادات، وتيسير الأرزاق، والكفاية من كل شيء وفتق رتق الفهم، ولزوم توفير العقل، والغنى بالله عن كل شيء، والوصول إلى مقام التوكيل الذي هو أرفع المقامات وأجلها، وهذا النمط الجليل له تأثير عظيم في اذهاب الفقر، وقضاء الدين وتيسير الأرزاق، ونمو المال، وتكثير الطعام والشراب، وانزال البركة، وفي الجملة كفاية ولذكر الله أكبر.

(**النمط السابع**): من أسماء الله الحسنى الحليم الرؤوف الودود الغفور الحنان اللطيف الحفيظ الرقيب البر الشافي هذه الأسماء العشرة من مدد سرها ائتلاف القلوب النافرة، وانعطاف الأرواح، وسر التودد والقاء الرحمة والرأفة في قلب الذاكر، ومن يراه وتفريج الكرب، واضمحلال الشدائد والعصمة من الجن والإنس، وملازمة الحياء ودوام الصحة في الدين والبدن، وتواصل امداد الخير والفضل.

(**النمط الثامن**): من أسماء الله الحسنى القهار الشديد المذل المنتقم المميت القائم القوي القادر ذو البطش الشديد المقتدر هذه الأسماء العشرة من أذكار عزرائيل عليه السلام، ومن مدد سرها قهر الخصوم والغلبة عليهم، ونصرة الذاكر، وظفره بأعدائه وخراب ديار الظالمين، وتبديد شملهم وتفريق كلمتهم، ودمار الظالمين وهلاك المفسدين، والاستيلاء على الباغين، وذاكر هذا النمط الجليل يكسوه الله تعالى الهيبة العظيمة، والقوة الشديدة.

(**النمط التاسع**): : من أسماء الله الحسنى المنعم المتفضل المحسن الجواد الرافع الباسط الشاكر الغافر، المجيب السميع هذه الأسماء العشرة جليلة المقدار عظيمة الأسرار، ومن مدد سرها انغاس الذاكر في نعم الله تعالى، واغتباطه بجزيل النعم وجزيل فضله، ودوام الإحسان في الدنيا والآخرة، وسماحة نفس الذاكر، وتحسين خلقه ورفع همته وبسط رزقه وعلمه، وستر عيوبه، وإجابة دعائه وإسراع قضاء حاجته، وزيادة عقله وقوة إيمانه، وجودة فهمه وحفظ النعم تقييدها ورد الشارد منها، والهام الشكر عليها.

(**النمط العاشر**): من أسماء الله الحسنى الحق المبين الخبير الهادي الحي القيوم الأول الآخر الظاهر الباطن هذه الأسماء العشرة من مددها تلطف الأخلاق، وتودد القلوب، وترفع الهمم، وتزكية النفوس، وإحياء القلوب، وإلهام العلوم، والحكم والاطلاع على المغيبات، ومشاهدة الملكوت الأعلى، والتوفيق إلى الطاعات والنطق بالصواب، والقيام بحق الربوبية، وطهارة الظاهرة والسر الباطن، والكشف الواضح ونمو الأرزاق، وتنزيل البركات، وقهر الخصوم وكبت الأعداء، ودمار الفاسقين، وفي هذا النمط الجليل الاسم المشار إليه ذاكره يشار إليه في زمانه من أنوار السر التي ترى عليه، ولا يسأل عن شيء إلا ألهمه الله الجواب بالحق ويتسع عليه الرزق، وتنبع الحكمة من عين قلبه، ويرى المغيبات مشاهدة عيان،

ويستر الله تعالى خطاياه عن الكرام الكاتبين، ويمتلىء قلبه نوراً سرياً يرى به ملكوت السموات وعجائب المخلوقات في البر والبحر بإذن الله تعالى، وهذا آخر الأنماط المشار إليها، وليعتمد المربي في نفسه واتباعه عليها لما من الخير الظاهر والباطن للمبتدي والمنتهي لديها، واعلم أني لو تتبعت خواص كل اسم منها لاحتجت إلى مجلدات، لكن فيما أتيت به أحسن كفايات، وقد نظمت هذه الأنماط فيما مضى نظماً مفيداً ميسراً لحفظها، مجرباً لقضاء الحوائج كلها، وقد عن لي أن أثبته هنا لعل الله ينفع به من يحفظه قد اعتنى وهو هذا:

يا ربنا بهذه الأنماط ... وسرها البديع بارتباط
وسر ما أودعته النبيا ... صلى عليه بكرة وعشيا
واقض حوائجي كلا يا مجيب ... ودمرن كل عدانا عن قريب
باللّه والإله والرب اقضيا ... حوائجي ولي دهوري فارضيا
وباسمك الرحمن الرحيم ... بك ارحمني رحمة النعيم
والملك القدوس فارفع قدري ... وباطني من دنس فطهري
وبالسلام المؤمن الرعب اذهبا ... وبالمهيمن فيسر صعبا
وبالعزيز عزني وذل من ... أضرنا بما ظهر وما كمن
وذل بالجبار كل جبار ... والمتكبر لنا بلا انكسار
بالخالق البارىء والمصور ... وبالحكيم اشف لنا ونوري
واغفر أيا غفار يا عفور ... ذنبي يا غافر يا شكور
واطلب التواب والحميدا ... تيسير أمري وأرى سعيداً
وبالسميع والبصير سمعي ... وبصرى قو وكثر نفعي
وبالودود طالب والشاكر ... ودي يرى في الخلق أسرى سائر
وبالعليم والحكيم والبديع ... علم لنا الحكمة والعلم الرفيع
بالباسط العلام وسع علمي ... والرزق لي وقوين فهمي
وبالكريم رب والوهاب ... أنم الذي عندي بلا ذهاب
وباسم علام الغيوب والنصير ... علم لنا وانصر لنا النصر الشهير
وتب علينا باسمك التواب ... واغفر ذنوبنا بلا عتاب
وباسمك الدائم والقديم ... والازلي كن لي بالتعظيم
ورضني مع القناعة بما ... أعطيتني ونعمتي أدما
ونجني بالواحد الأحد من ... ضيق وظلمة وكن لي مؤتمن
ونجنا من جوع دنيا أخرى ... بالصمد الذي عن الطعم عرى

وارفع لقدري وانشرن ذكري ... بالفرد المجيد كل الدهر
ورد لي ما ضل بالمبدي المعيد ... وماله نسيت من علم سديد
وبالعلي والعظيم عظما ... قدري موفراً لدي من علما
وبالجميل أحسنن خلقي ... وخلقي عند جميع الخلق
وبالكبير المتعالي نفسي ... تزكو في الخلق ترى كالشمس
وبالجليل لخلق كله يخاف ... مني باجلالك لي ولا أخاف
وابسط لنور النور والبهي ... بظاهري وباطني الخفي
وبالمعز عز في الأنام ... لي وذي الجلال والاكرام
وبالغنى والشكور أغننا ... والحمد والشكر ألهمن ولنا
وأبدل الشح بجود السخا ... والعسر والشدة أبدل بالرخا
بالمغني والرزاق والفتاح ... والكافي يسر لي بالنجاح
وبالحسيب والوكيل فاكفني ... شر الأنام والذي أهمني
وفي الطعام والشراب أظهرا ... بركة زيادة لا تنكرا
وفجرن بالمعطي والمقيت ... أنهار رزقي بلا تمقيت
وأحيني بذا سعيداً مسرور ... ومد عمري وأموت مستور
وأقض ديوني ربي لا تتعب ... وكثرن أموالي لا تنضب
وبالحليم والرؤوف فاحلما ... عني وأرف بي واستر وارحما
وبالودود والغفور ودى ... وألف عليه الخلق طول المدى
واغفر ذنوبي بكرة عشيا ... وصد عني العدا جليا
والق بالجنان لي رحمة ... بكل قلب وأدم لي نعمه
واشف جميع مرض الصفراء ... والدم والبلغم والسوداء
وباللطيف فرج الكروب عن ... جميعنا بسرعة إذا لم تعن
وبالحفيظ فاكلأنا الدهرا ... كلاءة عنا ترد الضرا
وبالرقيب الزمن الأدبا ... معك ومنك فارزقن الطلبا
ونزلنا بالبر كل البركات ... علي والإحسان معه الخيرات
واشف لنا بالشافي من كل بلا ... وسقم وزولن العللا
ربي وبالقهار والشديد ... أكون غالباً بلا ترديد
وعظمن مروءتي وبأس ... شدد على الأعادي كل نفس
وبالمذل ربي والمنتقم ... أخرب دياراً للعدا الظوالم
وسلطن عليهم النكالا ... بسرعة وسلط الوبالا

وبـالمميـت امتـن عنـا العـدا   مـوتـاً يكـون لـي نصـراً سـرمـداً
بـالقـائـم القـوى ثـم القـادر   قـو لبـاطنـي وقـو ظـاهـري
وباسم ذي البطش الشديد المقتـ   ـدر دمـر عـداي وذا ضـر دمـر
بـالمتفضـل فـواصـل نعمتـك   علـي والمنعـم واردد نقمـك
وبـاسمـك المحسـن والجـواد   قـابـل بـإحسـان وخيـر بـاد
بالرافع الباسط فابسط مالي   علمي وجسمي قدري ذكر مالي
بالشاكر الغافر فاشكر سعيي   واغفـر ذنـوبـي وارعيـن رعيـي
وبالمجيب والسميع فاستجب   دعـاءنـا كلحـظ عيـن يـرتقـب
بـالحـق والمبيـن ظهـر حقـي   وبيـن الحـق لنـا بـالـحق
وبـالخبيـر واسمـك الهـادي بمـا   يكون خبرني ولي الرشد الهما
بـالحـي والقيـوم أحيـي قلبـي   ونعـش روحـي وفـرج كـربـي
بـالأول الآخـر واسـم الظـاهـر   الباطن احفظ باطني وظاهري
وجـر مـن الـريـاء والنفـاق   والكبـر والعجـب ومـن شقـاق
واجعل عواقب أموري محمده   وكثـرن عـددي ومـدده
وقـدمـن رتبتـي وأخـرا   ذكـري بعـد كـل مـن تـأخـرا
وظهـرن مقـامـي فـوق الأوليـا   واجلـب بـواطنهـم إليـا
واجلـب بـواطـن العبـاد ظـاهـراً   إلـى جـذبـا يجـذب الظـواهـر
حتـى أرى مجمـع كـل نعمـة   بظـاهـر وبـاطـن متممـه
وأعـط مـا أحبنـي مـن العبـاد   جميـع مـا أردتـه ومـا أراد
ووالنـا بثمـرة الإفـادة   وأعطنـا الحسنـى مـع الـزيـادة
سميتهـا قصيـدة الأنمـاط   مصلحـة الأحـوال بـاحتيـاط
وصـل مـع سـلام منـك لا يـرد   قـائلـه علـى محمـد أبـد

واعلم أيها الناظر أن هذه الأنماط التي أتيتك بها منثورة ومنظومة، فيها من الخواص النافعة للدين والدنيا ما لا يوصف، وأنت إن استدمتها على أي الوجهين نلتها كلها، وسأشير لك على بعض تلك الخواص لترغب النفس في ذلك، وتعمل حتى تنال ما هنالك.

أما اسمه تعالى الله، والإله والرب فذكر جليل، وهو ذكر الأكابر من المولهين يصلح للمرتاضين في الخلوات يستأنسون به في خلواتهم، ويمدهم الله تعالى بالأنوار اللاهوتية، وعظمة الربوبية فيورثهم ذلك ذلاً، وانكساراً، وافتقاراً، واضطراراً إلى مولاهم عز وجل هذا لأهل السلوك، وأما أهل العامة فلا يستديم أحدهم على هذا الذكر إلا نزلت عليه البركة والرحمة، وأخذ الله تعالى بناصيته إلى كل خير وحجبه عن كل سوء، فلا يذكره من عظم

جسده وكسل عن الحركات إلا لطف جسده وروحه، ووجد خفة، ومن ناجى ربه في الليل بعد صلاة ركعتين ويقول: يا الله يا رب ساعة زمانية ظهر له نور عظيم، وكشف الله عن بصيرة قلبه واستجيب دعاؤه من أمر الدنيا، والآخرة، ومن كتب الأسماء الثلاثة في مربع عشرة في عشرة عند حلول الشمس في برج الحمل، وحمله أعطاه الله قوة يقينية، وزيادة في إيمانه وإخلاصاً في أعماله لا يعلق على مصاب إلا احترق عارضه في الوقت، ولا على صاحب حمى إلا بريء، ومن داوم على اسمه الله بعد جوع، وسهر أطلعه الله على مكنون الغيب، وجعله من المقربين.

وأما الرحمن الرحيم فأسمان جليلان ينزل من مدهدما سر الرحمة والخشوع، والتضرع يصلحان لمن غلبت عليه القسوة والجسارة، وعدم الرأفة، ويبذل الله تعالى هذه الخصال بضدها، وتنطاع له سائر العوالم، وتنقاد نفسه إلى الطاعات، ومن ذكرهما، وهو داخل على جبار جائر ألقى الله في قلبه الرأفة والرحمة للذاكر، والإحسان إليه، وكفاه الله عز وجل شره، ومنحه خيره، ومن وفق حروفهما مكسرة في مربع ثمانية في ثمانية في يوم الجمعة ساعة الزهرة، وحمله معه لا يراه أحد إلا أحبه وأطاعه.

وأما الملك القدوس فاسمان جليلان عظيمان يصلحان لمن كان خامل الذكر وضيع القدر فينشر ذكره، ويرفع قدره ويطهر باطنه من الأدناس، ومن دوام ذكر اسمه تعالى القدوس أذهب الله تعالى عنه وسواس الصدر، وطهر ظاهره وباطنه، وانقذه من كل ورطة وعصمه بفضله، وأما السلام المؤمن فاسمان جليلان يصلحان لمن غلب على قلبه الرعب، والخوف خصوصاً المسافرون في القفار المخوفة فذاكرهما يوقيه الله تعالى من جميع الخوف ويسلمه في سفره وحضره من جميع الآفات الظاهرة، والباطنة، ومن وضع حروفهما في مربع ثمانية في ثمانية وحمله معه أو وضعه في مال التجارة أمن اللصوص، والخوف من الطريق والغرق والحرق، وإذا وضع هذا الوفق في خزائن الحبوب المقتات منها بارك الله فيها وحفظت من التلف، وأما المهيمن فلتليين الصعب ولقضاء الحاجات ذاكره ييسر الله له كلما يقصد من المقاصد فافهم، ومن نزل اعداده أربعة في أربعة في مربع وحمله معه لا يراه أحد إلا أحبه، وأظهر له البشر والبشاشة، ولا يصعب عليه أمر أبداً، وأما العزيز فاسم جليل يصلح أن يكون ذكراً لمن أذلته أعداؤه، وكان من أشرف الناس ونزلت عنه تلك النعمة ينصره الله تعالى ومن الله عليه بما زال، ولا يصل إليه أحد بمكروه أبداً، ومن استدام على ذكره شرفت نفسه وعلا قدره، ومنعت الأعداء من الوصول إليه، واعلم رحمك الله أن الأعداء حسية ومعنوية، فالحسية منها ما يدرك بالعداوة طبعاً كالسبع الضاري والهوام، ومنها ما أظهر لك ما يدل على عداوته، وهم أبناء جنسك ممن يحسدك وغيرهم، والمعنوية نفسك وجندها فإذا لازم العبد هذا الذكر الشريف كفاه الله شر هذه الأعداء كلها، ومن وضع أعداده

وحروفه في مربع أربعة في أربعة على لوح من بلور، وحمله إنسان أو حيوان أطال الله عمره، وبارك فيه قلت: قوله من بلور قد وجدت في بعض كتب الأسرار أن من لم يجد ذلك يجعله فيما تيسر له، ولو ورقة، وأما الجبار المتكبر فاسمان جليلان لا يذكرهما أحد إلا أذل الله له كل جبار وخفض له جناح المتكبرين، ومن وفق أعدادهما في لوح من حديد والمريخ سالماً من النحوس متصلاً بالقمر اتصال مودة وحمله لا يراه أحد أو جبار إلا ذل، ولا متكبر إلا خضع بإذن الله قلت قوله في لوح من حديد إلى آخر الشروط قد وجدت في بعض كتب الأسرار أن تلك الشروط ليست إلا لضعفاء اليقين، ومن تيسرت له، وأما أهل الله ذوو اليقين الراسخ العالمون أنها أسماء الله لا يحتاجون إلى معين، ومن لم تتيسر له الشروط، فإنهم ليسوا مخاطبين بتلك الشروط، والأمر كذلك ولله الحمد، ومن ذكرهما في جوف الليل بعد صلاة ركعتين، أو أكثر إلى أن يغلب عليه حال، ودعا على ظالم أخذ لوقته بشرط أن يكون ظالمه، ومن عفا وأصلح فأجره على الله، وأما الخالق البارىء المصور، فإذا أضفت اسمه تعالى القدوس إلى اسمه تعالى الخالق حصل منهما تأثر عظيم في دفع الوسواس، وقس على هذا النمط ما يناسبه من الخواص، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وأما الغفار الغفور الشكور الغافر فذكر جليل يصلح لمن هو في المعاصي، والأفعال القبيحة فمن داوم على هذه الأسماء نقله الله منها إلى حالة حسنة جسيمة كريمة، وأما التواب الحميد فهما متقاربان من النسق الأول، فمن لازم على ذكرهما جعل الله تعالى أمره يسيراً، وقبل توبته، وأما السميع البصير فذكر جليل من لازم ذكرهما وسع الله تعالى فهمه، ووفر عقله وأورثه الحشمة وأسمعه لطيف السر، وأراه حقائق الأشياء كلها جليها وخفيها، ومن كان به ضعف في بصره أو سمعه، وأكثر من ذكرهما قوى سمعه وبصره.

وأما الودود الشاكر فاسمان جليلان ذاكرهما يلقى الله محبته في قلوب الخلق، ولا يراه أحد إلا أحد، ولا يقدم على أمر من الأمور إلا نجح فيه، وقس عليه ما يناسبه من الأمور كلها، وأما العليم الحكيم فاسمان جليلان لمن أراد الوصول إلى الحكمة، وعلوم الأسرار فيلازم ذكرهما في خلوة حاسر الرأس قاعداً على الأرض من غير حائل بينه وبينها مستقبل القبلة، فإن الله تعالى يلهمه الحكمة، ويوصله إلى ما يريد ويقيض له حكيماً يرشده إلى ما يريده أو ملكاً على قدر همته، ومن نزل أعدادهما في مربع أربعة في أربعة وحمله على رأسه أنطقه الله تعالى بالحكمة، ولا يمر نظره على شيء إلا فهمه معناه وحفظه، وأما الباسط العلام فاسمان ذاكرهما يذهب الله تعالى عنه النسيان، ويوسع علمه ورزقه، ومن وفق اسمه الباسط بسر التداخل في مربع على خاتم من فضة مموه بالذهب في يوم الأربعاء رابع عشر أي شهر كان، وتختم به ألقى الله على قلبه السرور الدائم الذي لا يشوبه هم، ولا حزن، ويبسط عليه الرزق، وفيه من الأسرار والعجائب ما لا يمكن شرحه، والذاكر يعاين

ذلك بالمشاهدة وأما الكريم الوهاب فذاكرهما يوسع الله تعالى عليه الرزق، وينمو ما بيده من تجارة ومتاع ودراهم ومواشي وغير ذلك، ولا يفتقر أبداً ما دام على ذكرهما، ومن نقشهما على خاتم من عقيق، وتختم به في يده اليسرى، يسر الله عليه الأرزاق وعطف عليه القلوب، وخوله في سوابغ نعمه، ومن كتب حروفهما مكسرة بذهب أو فضة أو زعفران في شرف الشمس، ووضعه في كيس الدراهم التي ينفق منها فإنها لا تنفد أبداً، ولو عمر ألف سنة، وهوينفق منها بشرط أنه كلما أخذ شيئاً ذكرهما بعدده، وأما التواب النصير فلهما سر عظيم، وذاكرهما يتولاه الله تعالى بعين عنايته وينصره على أعدائه خصوصاً من ذكرهما في المخاوف وبين صفي القتال يأمن من كل مكروه، ولا يرى ضرراً أبداً، ومن وفق أعدادهما في حريرة بيضاء وخرزهما في لواء الجيش، فإن فرقتهم هم الغالبون، ويناسب هذا الوفق من آي القرآن العظيم قوله تعالى: ﴿فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾ [القصص: ٣٥]، وأما البديع علام الغيوب، فأسمان جليلان يصلحان ذكراً لمن أراد تأليف العلوم، وجمع الحكم وذاكرهما ييسر الله تعالى له جميع التأليفات خصوصاً هذا الفن، وما أشبهه، ومن أكثر من ذكر اسمه تعال البديع أعطى البلاغة في اللفظ، والصواب في الجواب، ولا يصلح ذكراً إلا لأهل التكلم خاصة، ومن أضاف اسمه تعالى العلام علام الغيوب إلى الاسمين المتقدمين، وهما اسمه تعالى العليم الحكيم، واتخذ ذلك ذكراً في خلوته تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه حتى يصير ينطق بها من غير كلفة ولا عسر، ومن وفق أعدادهما في مسدس في يوم الجمعة أول جمعة في الشهر في رق ظبي ونجمه سبع ليال، وحمله معه فتق الله فهمه، وأحاط بكل العلوم من غير تعب، ومن واظب على ذكر اسمه تعالى علام الغيوب أربعين يوماً لا يأكل فيها روحاً، ولا يقرب النساء، فإنه يطلع على أحوال الناس، ويرى ما هو غائب عن حس غيره، ومن داوم عليه شاهد عجائب الكونين، وغرائب الملكوتين، ولم يبق في عصره مثله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وأما الدائم القديم الأزلي فذاكرهما يرضيه الله بما هو فيه من عسراً ويسر، ويعطيه حظاً عظيماً من القناعة، وينال مرتبة الزهد، ومن كان ولي أمر وداوم على اسمه الدائم دام عليه ملكه، ولم يعصه أحد من جنوده، وكذلك إن وفقه عددياً أو حرفياً في مربعين أحدهما خلف الآخر على فص خاتم فضة وحمله، فإنه يعطي هذا السر العظيم، ومن ذكر هذه الأسماء العظيمة دبر الصلوات الخمس وداوم عليها آمنه الله تعالى في ذريته إلى يوم القيامة، وهذا سر متحد إلى ما لا نهاية له.

وأما الواحد الأحد فتوحيد عظيم وذاكرهما يحبب الله تعالى إليه الإيمان، ويبغضه في المعاصي والفسوق والعصيان ويؤيده بروح منه، وإن كان في ضيق من ظالم أو سجن أو غير

ذلك، ولازم ذكرهما نجاه الله تعالى منه، وأما الصمد فتنزيه جليل للمرناضين إذا داوموا عليه أغناهم الله تعالى عن الأكل والشراب، فإن ذاكره لا يحس بألم الجوع البتة ما لم يدخل عليه غيره من الأسماء، وإن ذكرته امرأة لم تحمل أبداً ما دامت على ذكره قلت، وقد قال لي شيخنا رضي الله عنه وأرضاه أنه كان في بداءة أمره ربما لازمه، وكان يلبث عن الطعام والشراب إحدى وعشرين ليلة بأيامها، ولم تضعف له قوة حتى عن النساء، وربما تكون عنده أربع حرائر، وعدد من الإماء وقائم بحق الجميع قلت: وهذه خاصية لا علم لي بأحد من الأولياء أكرم بها غيره رضي الله عنه وأرضاه، وجعل في أعلى الفردوس متقلبه ومثواه.

وأما الفرد المجيد فأسمان جليلان ذاكرهما يرفع قدره وينشر ذكره وعلمه إن كان من ذوي العلوم، وأما المبديء المعيد فمن ذكرهما عند سفره قبل خروجه إلى السفر من منزله رده الله تعالى إلى ذلك المكان سالماً بإذن الله، ومن سرق له مال أو ضاع له شيء أو ضلت له ضالة، ولازم ذكرهما رد الله ما ضاع له، ومن وفق أعدادهما على كاغد نقي، ووضعه في داره أو حاصله، وسافر لم يصب ذلك المكان سوء ولا مكروه أبداً، وإذا رجع وجده سالماً كما خلقه، وأسرار هذه الأسماء لا يحيط بها أحد، وأما العلي العظيم فأسمان جليلان ذاكرهما لا يزال معظماً موقراً عالي القدر مرفوع الهمة مسموع الكلمة يحبه كل الناس، ويتسع رزقه وينال مقاصده، ومن وفقهما أعداداً وحروفاً في حريرة بيضاء، والقمر في شرفه وحمله معه رأى من لطف الله، وتعظيم الناس له ما لم يعهده، ولا يسئل من أحد حاجة إلا ويقضيها له.

وأما الجميل فهو اسم عظيم يصلح أن يوفق وتحمله العروس، فإنه لا يرى أبهج منها، ولا أحسن، ومن اتخذه ذكراً جمله الله تعالى بين خلقه، فيكون حسن الخلق، والخلق جميل الصفات، وأما الكبير المتعال، فأسمان عظيمان ذاكرهما يكسوه الله تعالى البهاء والوقار، وتعلو همته وروحه، وتزكو نفسه، ومن وفقهما في مربع على خاتم في شرف الشمس، وتختم به لا ينظر إليه أحد إلا أحبه، وإذا نظرته أعداؤه ألقى الله الرعب في قلوبهم، وأما الجليل فذاكره تهابه الجن والإنس والسباع والهوام، وأما النور البهي فما لازم أحد ذكرهما إلا انبسط نور سرهما في قلبه وظهر على ظاهره، ومن اتخذ اسمه تعالى النور ذكراً في غالب أوقاته، نور الله تعالى عليه ظاهره وباطنه ونور بصره وقلبه، ومن وفق أعداده وهي ٢٤٦ وعلقها على من به مرض عظيم أو ضعف في عينيه يبرأ بإذن الله تعالى، وتبرأ علته الباطنة والظاهرة، وأما المعز ذو الجلال والإكرام فأسمان جليلان عظيمان ذاكرهما يبسط الله تعالى همته في كل ما طلب ويلبسه الله تعالى العز والهيبة والوقار، ومن ذكرهما وهو داخل على سلطان ألقى الله تعالى هيبته في قلب ذلك السلطان أو الحاكم، ومن وفق اسمه تعالى المعز في مثلث على فص من ياقوت، وتختم به فإنه ينال عزاً ورفعه عند سائر

الخلق، وخصوصاً الأكابر ينال منهم حظاً وافراً والسلام.

وأما الغني الشكور فذاكرهما يرزقه الله تعالى غنى في نفسه، ويلهمه الحمد والشكر على السراء والضراء، ومن داوم على ذكرهما وكان في طبع نفسه شح أبدله الله تعالى بالسخاء والسماحة، ومن وفق اسمه تعالى الغنى أعداداً على صحيفة من قزدير، ثم جعلها في الماء الذي يشربه وجد في نفسه غنى ورضى لم يكن يعهده قبل ذلك، ومن وفق اسمه تعالى الشكور أظهره الله تعالى، وأظهر عليه صفة الجميل وستر منه القبيح.

وأما أسماؤه تعالى المغني الرزاق الفتاح الكافي، فذاكرهم تنزل عليه البركة ويرزقه الله من حيث لا يحتسب، وتيسر له الأرزاق من كل جانب، ولا يذكرهم أحد على طعام أو شراب إلا وظهرت فيه البركة، والزيادة التي لا يسع أحد انكارها لوضوحها، ومن اتخذهم ذكراً عقب صلواته لا يفتقر أبداً، ومن وفق أعدادهم مشتركة في مربع أربعة في أربعة على حرير أصفر، ووضعه في صندوق المال أو كيس الدراهم زكى ذلك المال ونما بإذن الله عز وجل، وأما الحسيب الوكيل فأسمان عظيمان ذاكرهما يكفيه الله تعالى شر أعدائه، وجميع ما أهمه وما لم يهمه، ومن سطا عليه حاكم وذكرهما في السحر باعدادهما، ثم يقول بعد ذلك: اللهم إني احتسبت بك، وتوكلت عليك في أمر فلان بن بن فلانة فاكفنيه بما شئت، فإنه يؤخذ لوقته، وأما المعطي المقيت، فأسمان عظيمان ذاكرهما تنبجس له العيون عن الرزق، وتنفجر له أنهار هذا العيش، فيجيء سعيداً مسروراً ويموت شهيداً مستوراً، ولا يستديم ذكرهما من عليه دين إلا وفاه الله عنه في أسرع وقت ومدة، وأما الحليم الرؤوف، فأسمان عظيمان لا يوجد أسرع من سرهما في قبول التوبة، والعفو عن الخطيئة، ولا يذكرهما من أوثقته الذنوب إلا ألهمه الله تعالى الإنابة إليه والعفو عما جناه واقترفه، ويقبل الله توبته ويعصمه فيما بقي من عمره ومن وفق اسمه تعالى العفو أعداداً في مربع وحمله معه كانت سيئاته عند الناس بمنزلة الحسنات، وأما الودود الغفور، فأسمان جليلان، وذاكرهما تتألف عليه القلوب تأليفاً عظيماً بالود والمحبة الشديدة ويؤثرونه على أنفسهم، ومن استدام على ذكرهما بكرة وعشياً لا يرى عدواً أبداً، وكل من رآه أحبه واشتد شغفه به، ومن وفقهما بطريق التكسير في رق ظبي في يوم الجمعة في زيادة القمر، وكتب حول التكسير قوله: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وذكر الاسمين الشريفين بعدهما، وحمل الرق على عضده الأيمن ألقى الله محبته في قلوب الإنس والجن، ولا يوجد أسرع من سرهما في قبول التوبة أيضاً ويقال: إن اسمه تعالى الودود هو الاسم المشار إليه كما في قصة التاجر، واللص أنه قال في دعائه يا ودود ثلاث مرات يا ذا العرش المجيد، يا فعال لما يريد فأغاثه الله بملك من الملائكة على فرس، وبيده حربة فقتل ذلك اللص، وهذه قصة مشهورة.

وأما الحَنَّان فذاكره يقذف الله تعالى محبته في قلب كل من رآه يعطف عليه القلوب القاسية، وإذا كتب مائة وأربعين مرة في إناء ظاهر، ومحي ببياض البيض، ويطلي به من وقع في النار بريء في الوقت وذكره يذهب الأمراض الحارة، وأما اللطيف فاسم جليل سريع الإجابة، والأفعال نافذ السر في تفريج الكرب ما ذكره أحد، وهو في شدة إلا شاهد اضمحلالها، ومن استدام ذكره جعل الله ما كتب عليه من الأمور الشديدة مناماً، وهذا يسمى اللطف الخفي لخفائه عن مدارك العقول، وأقل ما يكون ذكره مائة وستون مرة، ومن وفقه عدداً، وهو العدد المذكور مربع أربعة في أربعة في كاغد نقي، وحمله معه أو على خاتم من عقيق، وتختم به كان ملطوفاً به في جميع أموره الظاهرة والباطنة.

وأما الحفيظ فإنه اسم عظيم، وذاكره يحفظه الله من كل مكروه في ليله ونهاره ونومه ويقظته، وان تصور الذاكر حالة الذكر مدينة أو منزلاً أو أهلاً أو غير ذلك حفظه الله تعالى، ومن وفق أعداده وحروفه في مربع واحد على خاتم من فضة، وتختم به لم يضره شيء من الجن والإنس والهوام وغير ذلك، وأما الرقيب فسر عظيم في وجل القلوب وخضوعها ذاكره يلازمه الحياء من مولاه عز وجل، والأدب في السر والعلن والظاهر والباطن، وأما البر فسر عظيم ذاكره تنزل عليه البركات، وتتواصل عليه الخيرات، وامداد الإحسان إليه على يد خلقه من فضل الله.

وأما الشافي، فاسم عظيم سريع التأثير في ذهاب الأسقام، وزوال العلل والآلام ذاكره يشفيه الله تعالى من كل داء، ويعافيه من كل بلاء، ويبريه من كل سقم، ولا تطرق العلل جسده ما دام ذاكراً له، ومن ذكره عند مريض أربعمائة واثنين وعشرين مرة بعد قراءة الفاتحة سبع مرات، ويقول: اللهم اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك الله شفاء لا يغادر سقماً، ولا ألماً فإن ذلك المريض يشفى بإذن الله سبحانه وتعالى، وحكى البوني رحمه الله أنه أمر به شخصاً ابتلى بالجذام، فلم يلبث إلا خمسة عشر يوماً، ثم شفى كأنه نشط من عقال، ومن وفق أعداده المذكورة في مربع في إناء طاهر، ومحاه بماء زمزم أو ماء المطر، وسقى منه عليلاً ثلاثة أيام متواليات على الريق شفاه الله من سقمه، وأما القهار الشديد فذاكرهما غالب حيثما توجه شديد البأس عظيم المودة، ومن وفقهما مكسرين في مربع ثمانية في ثمانية على أديم طاهر، وشده على عضده الأيمن فلا يخاصمه أحد إلا وكان مغلوباً مقهوراً، والذاكر مؤيداً منصوراً، ومن وفق أعدادهما في مخمس وحمله على رأسه بين عينيه أو من تلقاء وجهه ألقى الله تعالى هيبته في قلوب الناظرين، وأما المذل المنتقم فأسمان عظيمان لخراب ديار الظالمين، ووقوع القتال بينهم والوبال على أعداء الله الكافرين، ومن ذكرهما بعد صلاة الشروق يوم السبت عدد الأعداد الواقعة عليهما.

ثم دعا على ظالم عقيب الذكر أخذ لوقته وكذلك أن تصوره حالة الذكر، ولم يدع الله شيئاً فإن الله تعالى ينتقم له ممن ظلمه، ومن كتب حروفهما مقطعة على باب دار حاكم جائر أو ظالم يوم السبت، ويكون القمر في المحاق فإن ذلك الظالم يعزل عن منصبه، ولا يعود إليه أبداً، وأما المميت فذاكره يمت شهواته من نفسه، وينزع عنه ثياب الكبر والعجب، ومن ذكره على واحد وعشرين وخمسمائة من نواة من التمر كل واحدة ست مرات، وصور ذلك النوى صورة شخص، ويقول: هذا فلان ويصلي على ذلك الشخص صلاة الجنازة فإن ذلك يموت عاجلاً بإذن الله تعالى، وهو من الأسرار العجيبة، ولا يكتبه أحد موفقاً مكسراً على شب أزرق وحمله صاحب الطحال إلا بريء بعد ثلاثة أيام.

وأما القائم القوي القادر فذاكرهم تقوى جوارحه الظاهرة وغوالمه الباطنة، ويعطي قوة عظيمة خصوصاً من كان يعاني الأثقال، والحرف الشديدة، ولا يرى ألم التعب، ومن وفقهم أعداداً في مربع وشده على وركه فإنه لا يعيا أبداً، ومن وفقهم أعداداً على خاتم من فضة، وتختم به أعانه الله على حمل الأثقال من غير تكلف، وأما ذو البطش الشديد المقتدر، فلا يذكرهم مظلوماً إلا أخذ الله ظالمه أخذ عزيز مقتدر، وقس على هذا النمط ما تريد، وأما المنعم المتفضل فأسمان عظيمان لا يسئل الله تعالى ذاكرهما في شيء من الأنعام، والفضل إلا أعطاه إياه، وأوصله فضله حتى يعطيه فوق ما سأل، وما يخطر بباله، والله على كل شيء قدير، وأما المحسن الجواد فذاكرهما يمده الله تعالى من جوده وإحسانه بما لا نهاية له من كثرة الخير، وتواصل الأسرار، ومن وفقهما مكسرين في كاغد نقي، وحمله معه حسنت أخلاقه ورقت طباعه وجادت نفسه، ويصلح أن يكون ذكراً لمن وجد في نفسه شحاً وبخلاً فإن نفسه تزكو ويرزق مكارم الأخلاق، وأما الرافع الباسط فأسمان عظيمان، وهما من أذكار ملائكة العرش، وذاكراهما يمده الله تعالى بمدده ويزيده في العلم والجسم، ويرفع قدره وذكره، ومن وفقهما أعداداً في مربع أربعة في أربعة على خاتم من ذهب، وتختم به لا يزال فرحاً مسروراً، ولا يرى مكروهاً ما دام معه.

وأما المجيب السميع فأسمان عظيمان ذاكرهما لا يدعو الله تعالى في شيء إلا أجابه في الوقت خصوصاً إذا سأله بهما، ومن كتب في يده اليسرى اسمه تعالى المجيب، وفي اليمنى اسمه تعالى السميع، ورفعهما إلى السماء، ودعا الله بما شاء استجيب له في الوقت، وهذا النمط سريع السرور والبركة، وفيه من الأسرار والخواص ما لا ينبغي كشفه، وأما الحق فاسم جليل ذاكره يوفقه الله إلى ما يريده، ويجعله تابعاً للحق في كل شيء، ومن وفق أعداده، وهي تسعة وثلاثون ومائة في مربع أربعة في أربعة، وحمله معه فلا يدخل حامله على حاكم إلا كان منصوراً على خصمه، وأما المبين الخبير الهادي فأسماء جليلة لا يذكرهم أحد ألف مرة عند نومه، وهو ناوي كشف شيء من الأشياء الفعلية والقولية إلا أراه الله تعالى

ذلك في منامه على يد ملك من الملائكة، ويقول عقب كل مائة: بين لي يا مبين خبرني يا خبير اهدني يا هادي، ثم يعود إلى قراءة الأسماء إلى أن يغلب عليه النوم، فإنه يرى في منامه ما يريد بإذن الله تعالى، فإن لم ير شيئاً، فليكرر العمل ثانياً، ولا يقول: فعلت، ولم يصح فإنه يأثم، ومن كتبهم في إناء طاهر، ومحاهم بغسل وماء ورد ولعق من العسل كل يوم ثلاث لعقات على الريق سبعة أيام متوالية، فإن الله يؤتيه الحكمة، ويعطيه من العلوم اللدنية ما لا يصل إليه أهل زمانه.

وأما الحي القيوم فاسمان عظيمان ذاكرهما يرى النور المتصل من أسرارهما عياناً ويحيي الله قلبه، وينعش روحه ويدنيه من حضرته، ويجيب دعاءه، ومن وفقهما أعداداً في مربعهما المعروف، وهو مربع عشرة في عشرة في التكسير وأربعة في أربعة في تنزيل الأعداد، وحمله معه أحيا الله قلبه ورزقه، وأقامه في الطاعات.

وأما الأول والآخر والظاهر والباطن، فأسماء جليلة من سر مددهم حفظ الجوارح للذاكر، والأمان من الوبال والنفاق والكبر والعجب، ومن ذكر اسمه تعالى الأول عند ابتداء عمل من الأعمال كانت عاقبته محمودة، ومن نقش الأسماء الأربعة على صحيفة من قصدير في شرف الشمس، وصور في باطنهم سمكة، وطرحها في البحر أو النهر اجتمع عليه السمك من كل جانب حتى يصير يمسك باليد، وهذا النمط الجليل من ذكره ليلاً ونهاراً مدة أربعين يوماً، دبر كل صلاة صار فرداً من الأفراد، ويقبض الله له الخضر عليه السلام يعلمه ما شاء أن يعلمه، ويصير روحانياً واصلاً إلى الحضرة القدسية شاهداً أنوار الجمال، وعجائب الملكوت الأعلى، ومقامات الملائكة فاعرف قدره وأكرم ذكره، والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق، ومن أراد استيفاء الكلام على بقية الأسماء فعليه بكتابنا إبراز اللآلي المكنونات في الأسماء الظاهرة، والمضمرات أو شرحنا لزرع المسمى بفاتق الرتق، وهذه فوائد لأهل النهايات، وتفيد أهل البدايات.

(الأولى): في أشياء تفيد في العام **(منها دعاء أول السنة)** وهو بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم اللهم أنت الأبدي القديم الأول، وعلى فضلك العظيم وكرم وجودك المعول، وهذا عام جديد قد أقبل اسألك العصمة فيه من الشيطان، وأوليائه، والعون على هذه النفس الأمارة بالسوء، والاشتغال بما يقربني إليك زلفى يا ذا الجلال والإكرام وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تقرأ ثلاثاً، فإن الشيطان يقول: استأمن على نفسه فيما بقي من عمره، ويوكل به ملكان يحرسانه من الشيطان واتباعه.

(ومنها دعاء آخر السنة) وهو: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم، اللهم ما عملت في هذه السنة مما نهيتني عنه، فلم أتب منه، ولم ترضه، ولم تنسه وحملت علي بعد قدرتك على عقوبتي ودعوتني إلى التوبة بعد جراءتي على معصيتك، فإني أستغفرك فاغفر لي، وما عملت فيها مما ترضاه، ووعدتني عليه الثواب فاسألك اللهم يا كريم يا ذا الجلال والإكرام أن تتقبله مني، ولا تقطع رجائي منك يا كريم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تقرأه أيضاً ثلاثاً، فإن الشيطان يقول: تعبنا معه طول السنة فافسد فعلنا في ساعة واحدة.

(ومنها دعاء يوم عاشوراء): يروى أن من قال في يوم عاشوراء سبعين مرة حسبي الله ونعم الوكيل نعم المولى، ونعم النصير، ودعا فيه بالدعاء الآتي سبع مرات لم يمت تلك السنة، وإن دنا أجله لم يوفق لقراءته، وهو هذا سبحان الله ملء الميزان ومنتهى العلم، ومبلغ الرضا وزنة العرش لا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه سبحان الله عدد الشفع والوتر، وعدد كلمات الله التامات كلها أسألك السلامة برحمتك يا أرحم الراحمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو حسبي ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير، وصلى الله على نبينا خير خلقه وعلى آله وأصحابه أجمعين، **(ومنها ما يفعل في أول يوم من المحرم)**: يروى أن من قرأ آية الكرسي في أول يوم من المحرم ثلاثمائة وستين مرة يبسمل في أول كل مرة، وبعد الفراغ من العدد المذكور يقول: اللهم يا محول الأحوال حول حالنا إلى أحسن الأحوال بحولك وقوتك يا عزيز يا متعال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، فإنه يكون محفوظاً ويوفي ما يكره وجربت وصحت، ويروى أيضاً أن من قرأها ليلة العشر من الشهر المذكور بعد اسباغ الوضوء وصلاة ركعتين ثلاثمائة وستين أيضاً يبسمل في أول كل مرة، وهو مستقبل للقبلة جاث على ركبتيه، ثم بعد الفراغ من العدد المذكور يقرأ أقل بفضل الله وبرحمته فبذلك، فليفرحوا هو خير مما يجمعون ثمانية وأربعين مرة، ثم يقول: اللهم إن هذه ليلة جديدة وشهر جديد وسنة جديدة، فاعطني اللهم خيرها وخير ما فيها، واصرف عني شرها، وشر ما فيها، وشر فتنتها ومحدثاتها، وشر النفس والهوى والشيطان الرجيم اثنتي عشرة مرة، ويختم بما شاء من الدعاء المقتبس من القرآن، ويدعو لجميع المسلمين والمسلمات بعد أن يصلي على النبي ﷺ، ويقتبس بالتسبيح والتهليل مراراً، فإنه يكون في عامه ذلك محفوظاً من سائر الأسواء، والله على كل شيء قدير، ومنها أن من كتب البسملة في ورقة أول يوم من المحرم مائة وثلاث عشرة مرة، وحملها لم ينله مكروه مدة عمره، ومن خواص أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً، وهم نائمون إلى قوله: الخاسرون لطرد الهوام المؤذية من المنزل إذا أردت ذلك فكتبها أول يوم من المحرم في قرطاس واغسله بالماء ورشه في زوايا البيت أو الدار، فإنك أمن من جميع ذلك بإذن الله تعالى، ومنها الأشياء التي تفعل في يوم عاشوراء، وقد عدها بعضهم اثنتي عشرة خصلة، وهي الصلاة والصوم وصلة الرحم والصدقة والاغتسال والاكتحال، وزيارة عالم عيادة مريض، ومسح رأس اليتيم والتوسعة على العيال، وتقليم الأظفار، وقراءة سورة الإخلاص ألف مرة ونظمها بعضهم فقال:

فـي يـوم عـاشـوراء عشـر تتصـل   بهـا اثنتـان ولهـا فضـل نقـل

صم صل صل زر عالماً عد واكتحل   رأس اليتيم امسح تصدق واغتسل
وسع على العيال قلم ظفراً   وسورة الإخلاص ألفاً تقرأ

وصفة الصلاة التي في يوم عاشوراء، قال الإمام الأجهوري: روى أنه عليه الصلاة والسلام قال: «من صلى فيه أربع ركعات يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وسورة الإخلاص خمس عشرة مرة أو إحدى عشرة مرة غفر الله له ذنوب خمسين عاماً ماضياً، وخمسين عاماً مقبلاً»[1]. قال: وورد أيضاً من صلى فيه ركعتين، فكأنما تقرب إلى الله تعالى بأعمال الصديقين، ونقل الاجهوري عن بعضهم أنه لم يصح غير حديث التوسعة، والصوم وغيرهما ضعيف أو منكر، ولكن لا يخفاك أن العمل بالحديث في فضائل الأعمال لا يتوقف على صحته، بل كل من بلغه عن الله من الخير شيء عن عالم ثقة أو حديث ضعيف ينبغي له أن يعمل بمقتضاه، وإحسان الإله وفضله على عبيده على حسب صدق نياتهم، كما قال السيد الكامل: نية المرء خير من عمله فيسعى معتمداً على فضل الله وإحسانه عاملاً بمقتضى ما بلغه عن ربه، والله يمن على من يشاء من عباده، وروى الحافظ ابن حجر بسنده في صوم عاشوراء عن حفصة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «من صام آخر يوم من ذي الحجة، وأول يوم من المحرم جعله الله له كفارة خمسين سنة»، قاله حسن العدوي في النفحات النبوية، ومنها ما يفعل في صفر، وذلك أنه ذكر بعض العارفين من أهل الكشف والتمكين أنه ينزل في كل سنة ثلاثمائة ألف بلية وعشرون ألفاً من البليات، وكل ذلك في يوم الأربعاء الأخير من شهر صفر، فيكون اليوم أصعب أيام السنة، فمن صلى في ذلك اليوم أربع ركعات يقرأ في كل ركعة منها بعد الفاتحة سورة إنا أعطيناك الكوثر سبع عشرة مرة، والاخلاص خمس مرات، والمعوذتين مرة، ويدعو بعد السلام بهذا الدعاء حفظه الله بكرمه من جميع البلايا التي تنزل في ذلك اليوم، ولم تحم حوله بلية من تلك البلايا إلى تمام السنة، والدعاء المعظم هو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم يا شديد القوى، ويا شديد المحال يا عزيز ذللت بعزتك جميع خلقك اكفني من جميع خلقك يا محسن يا مجمل يا متفضل يا منعم يا مكرم يا من لا إله إلا أنت برحمتك يا أرحم الراحمين، ويروى أنه يزاد بعد هذا اللهم بسر الحسن وأخيه وجده وأبيه اكفني شر هذا اليوم، وما ينزل فيه يا كافي فسيكفيكهم الله، وهو السميع العليم وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، وقيل: إن أول الدعاء اللهم إني أعوذ بك من شر هذا الشهر، ومن كل شدة وبلاء وبلية التي قدرت فيه يا دهري يا ديهور يا ديهار يا كان يا كينون يا كينان يا أبدي يا دهري يا معيد يا ذا العرش المجيد أنت تفعل ما تريد اللهم احرس نفسي وأهلي ومالي وأولادي ودنياي التي ابتليتني بصحبتها بحرمة الأبرار بحرمتك يا عزيز يا غفار يا كريم يا ستار.

ويروى أن من صلى الركعات الأربع المنقدمة، ودعا بالدعاء المتقدم أيضاً، وكتب بعد ذلك هذه الآيات، وغسلها بالماء، فمن شرب منه أمن مما ينزل من البلاء في ذلك النهار

---

(١) أخرجه الترمذي (ثواب القرآن، ١١).

إلى تمام السنة، والآيات سلام قولاً من رب رحيم، سلام على نوح في العالمين إنا كذلك نجزي المحسنين، سلام على إبراهيم، كذلك نجزي المحسنين، سلام على موسى وهارون إنا كذلك نجزي المحسنين، سلام على آل ياسين، إنا كذلك نجزي المحسنين، سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين، سلام هي حتى مطلع الفجر، (قلت) وهذه الرواية هي التي كنت أعرف شيخنا رضي الله عنه وأرضاه يفعل، وهي أحسن لعموم النفع بها للصبيان والنسوان والعبد ونحو ذلك من كل ما لا يقدر على فعل ذلك، ويروى أيضاً أن كل ما ينزل في العلم من البلاء ينزل ليلة الأربعاء الأولى من شهر مارس، وهل عند الغروب، أو عند الثلث الأخير من الليل، أو في جملتها من غير تفصيل أقوال، وحجاب ذلك البلاء المذكور أعاذنا الله منه، ومن كل مكروه أن تقرأ بعد عصر يوم الثلاثاء الأول من مارس بعد غروب الشمس، الفاتحة اثني عشر والبسملة مائة مرة، وبسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض، ولا في السماء، وهو السميع العليم مائة مرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم مائة، وإنا أنزلناه سبعاً وعشرين مرة تقول أيضاً: اللهم صل وسلم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، (قلت): وحدثني من أثق به من أهل الخير أنه حدثه من يوثق به من أهل العلم أن من استدام على مائة، من بسم الله الرحمن الرحيم ومائة من يا خالق، ومائة من سبوح قدوس، ومائة من لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم بين المغرب والعشاء في كل ليلة أربعاء حفظه الله تعالى من كل بلاء ينزل في السنة، (ومنها ما يقال عند رؤية الهلال) عن النبي ﷺ: «ما من عبد مؤمن رأى الهلال فحمد الله وأثنى عليه، ثم قرأ الفاتحة سبع مرات، إلا عافاه الله تعالى من شكاية العين ذلك الشهر».

وقال علي رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «إذا رأيت الهلال أول الشهر، فقال: الله أكبر ثلاثاً، الحمد لله الذي خلقني وخلقك وقدر لك منازل، وجعلك آية للعالمين يباهي الله بك الملائكة، ويقول: يا ملائكتي اشهدوا أني قد أعتقت هذا العبد من النار»[1]، وكان عليه السلام، إذا رأى الهلال قال: «اللهم أهلّه علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله»[2]، رواه الترمذي بزيادة، والتوفيق لما تحب وترضى.

وكان ﷺ إذا رأى الهلال، يقول: «هلال خير ورشد آمنت بالذي خلقك ثلاث مرات»[3]، وفي رواية: «هلال خير ورشد اللهم إني أسألك من خير هذا الشهر، وخير القدر وأعوذ بك من شره ثلاث مرات»، وفي كتاب الغنية للشيخ عبد القادر الجبلي بسنده إلى سلمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «وقد استهل رجب يا سلمان ما من مؤمن، ولا مؤمنة يصلي في هذا الشهر ثلاثين ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب، وقل هو الله أحد ثلاث مرات، وقل يا أيها الكافرون ثلاث مرات إلا محى الله عنه ذنوبه، وأعطى من الأجر كمن

---

(١) أخرجه النسائي (أداب القضاة، ٣٧)، (حج، ١٩٤)، ومسلم (حج، ٤٣٦)، وابن ماجه (مساجد، ١٩)، (مناسك، ٥٦)، وأحمد بن حنبل (٢، ١٨٦، ١٨٧، ٢٠٨، ٢٢٤، ٣٠٥، ٤، ٩٢).

(٢) أخرجه الترمذي (دعاء، ٥٠)، والدارمي (صوم، ٣)، وأحمد بن حنبل (١، ١٦٢).

(٣) أخرجه أبو داود (أدب، ١٠٢).

صام الشهر كله، وكان من المصلين إلى السنة المقبلة، ورفع له كل يوم عمل شهيد من شهداء بدر»[1].

وفيه عن أنس، قال رسول الله ﷺ: «رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي»، وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من صام يوم السابع والعشرين من رجب كتب له ثواب صيام ستين شهراً، وهو أول يوم نزل فيه جبريل على النبي ﷺ» وفيه عن ابن عباس يصلي أربع ركعات في هذا اليوم بين الظهر والعصر يقرأ في كل ركعة الحمد لله مرة، والمعوذتين مرة، وإنا أنزلناه في ليلة القدر ثلاثاً، وقل هو الله أحد خمسين مرة مع زيادات غير هذا، وفي هذا كفاية، وكان عليه السلام يقول: «إذا دخل رمضان اللهم سلمني لرمضان، وسلم لي رمضان، وسلمه مني واجعله متقبلاً»، وفي رواية اللهم سلمنا من رمضان وسلمه منا وعنه رمضان قلب السنة إذا سلم سلمت السنة كلها، ومن قرأ سورة الفتح أول ليلة من رمضان، حفظ في ذلك العام وكثر رزقه. وقال البوني رحمه الله تعالى: من رأى هلال رمضان فليكبر خمساً وعشرين، ويهلل خمساً وعشرين، ويسبح خمساً وعشرين، ثم يقول: الهي وإلهك الله، وربي وربك الله سبحان من أظهر فيك من محاسن أسمائه ما عمت به البركات، سبحان من شرف أوقاتك على سائر الأوقات، سبحان من فتح فيك أبواب الإجابة للدعوات، سبحان من وصفك بأتم الصفات، سبحان من سخر فيك الملائكة الحضرات القدسيات، الهي توسلت إليك باسمك الذي على أبواب ليلة القدر بالأذكار التي ألهمت بها أولئك، فشرفت به على ألف شهر، بمستقر الروح فيها، والأملاك أن تشهد لي مشاهدة هذه الليلة مطابقة بشهودك، وألهمني ذكر أسمائك التي تقدست بها ملائكة الليلة حتى يمتزج الذكران، فيعود وصفي ملكياً، ونفسي روحانياً يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت، ويروى أن من قرأ سورة تبارك ليلة هلال الشهر نال في ذلك الشهر كل خير، وكفى كل شر، وإن جعل سبابته على سرته لم يضره الطعام في ذلك الشهر، وإن قال عند رؤية الشهر: سلام على نوح في العالمين، وعلى محمد في المرسلين أعوذ بالله من حاملات السم أجمعين لم تمسه ذات سم في ذلك الشهر بالتمام.

(ومنها ما يدعى به ليلة النصف من شعبان): وهو اللهم يا ذا المن ولا يمن عليه يا ذا الجلال والإكرام، يا ذا الطول والانعام، لا إله إلا أنت ظهر اللاجين، وجار المستجيرين، وأمن الخائفين، اللهم إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقياً، أو محروماً أو مقتراً علي في الرزق، فامح اللهم من أم الكتاب شقاوتي وحرماني واقتار رزقي، واثبتني عندك في أم الكتاب سعيداً مرزوقاً موفقاً للخيرات، فإنك قلت: وقولك الحق في كتابك المنزل على لسان نبيك المرسل، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب، وهذا دعاء آخر يدعى به ليلة النصف من شعبان أيضاً: إلهي بالتجلي الأعظم في ليلة النصف من شعبان المكرم التي

---

(١) أخرجه البخاري (بدء الخلق، ١١)، ومسلم (بر، ٤١)، والترمذي (ثواب القرآن ١١)، (دعاء، ٥٩، ٦٢)، والنسائي (إيمان، ١٠)، وابن ماجه (مناسك، ٣٢)، والموطأ (قرآن، ٢٠)، وأحمد بن حنبل (١، ١٧٤، ٢، ٢٠٧، ٢٨٣، ٣٠٢، ٣٦٠، ٣٧٥، ٤، ١٨٥، ٢٢٧).

فيها يفرق كل أمر حكيم، ويبرم اكشف عني من البلاء ما لا أعلم، واغفر لي ما أنت به أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم، ومن قرأ من أول سورة الدخان إلى قوله الأولين من أول ليلة من شعبان خمس عشرة مرة، إلى ليلة الخامس عشر، ويقرأ ثلاثين مرة، ثم يذكر الله تعالى، ويصلي على النبي ﷺ، ويدعو بما أحب، فإنه يرى تعجيل الإجابة فيها إن شاء الله تعالى، ومنها كلمات يكثر منها في عشر ذي الحجة أعطانيها شيخنا رضي الله عنه وأرضاه، ووجدت في بعض الكتب أن رسول الله ﷺ كان يعلمها لخواص أصحابه، وهي حسبي الله وكفى وسمع الله لمن دعا ليس وراءه منتهى من توكل على الله كفى، ومن اعتظم بالله نجا.

(الثانية): في أوراد تقال في الأيام كل ورد له خاصية ليست لصاحبه.

(الورد الأول): من قال في يوم الأحد: دائماً يا الله سبعين مرة، فإنه ينال الاستتار عن كل أحد يكره رؤيته له، وفي يوم الاثنين يا حفيظ ثلاثمائة للاطلاع على ما في قلوب الناس، وفي يوم الثلاثاء يا جليل أربعمائة للحفظ من حرق النار، وفي يوم الأربعاء سبعمائة يا هادي لدخول الإيمان في القلب، وعدم الغرق في البحر، وفي يوم الخميس أربعمائة من يا رفيع للطيران في الهواء، وفي يوم الجمعة سبعمائة من يا خالق لقتل من ظلم، وفي يوم السبت ثلاثمائة من يا جليل لقضاء الحوائج.

(الورد الثاني): للفتوح والبركة، وهو أن تقول في يوم الجمعة يا الله ألف مرة، وفي يوم السبت لا إله إلا الله ألف مرة، وفي يوم الأحد يا حي يا قيوم ألف مرة، وفي يوم الاثنين لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ألف مرة، وفي يوم الثلاثاء تصلي على النبي ﷺ ألف مرة، وفي يوم الأربعاء استغفر الله العظيم ألف مرة، وفي يوم الخميس سبحان الله العظيم وبحمده ألف مرة، قال الإمام الغزالي: ما نلت الفتوح والبركة إلا بهذا الورد.

(الورد الثالث): يقال: إنه هو السر الذي به قامت الأيام وشهورها وسنينها ودهورها، وهو ألف من الحي القيوم في يوم الأحد لإصلاح اليوم، والغد أي الدنيا والآخرة، وألف من السريع القريب في يوم الاثنين لإحضار الخصم والتأليف من غير زوال، وفي يوم الثلاثاء القاهر العزيز ألفاً للمغالبة، وطلب النصرة، والقاء العداوة بين الأعداء، وفي يوم الأربعاء يا مقلب القلوب الفاً لقلب القلوب، ووضع المحبة فيها، وفي يوم الخميس الحكيم العليم ألفاً لتذكر المنسي من العلوم، والتودد إلى أهل الخير والصلاح، وفي يوم الجمعة العطوف الرؤوف ألفاً للعطف وقضاء الحوائج، وجلب الأفراح، وفي يوم السبت القادر المقتدر الفاً لخراب ديار الأعداء، وفساد أحوالهم، ومن لم يقدر على الألف فيما تقدم، فمائة وإلا فست وستون، وإلا فما تيسر، وقد نظمت هذه الأسماء بدعاء وهو قولي:

يا ربنا بما به الأيام	قامت وما قام به الأنام
وما به السماء فوقنا ابتني	وما به الأرض حوت فاهتنا
وما لعرشك العظيم قد حمل	وكل ذي جاه له جاه كمل
أدعوك بالحي وبالقيوم	أريد إصلاح غد واليوم

وضع لي الهيبة في القلوب — وفرجن همي مع كروب
وعني الألسن فاعقد شرها — واطلق إلي يا إلهي خيرها
وبالسريع والقريب والفي — خير لعباد لي بلا تخالف
وباسمك القاهر والعزيز لا — يغلبني في الدهر شخص مسجلا
والق بين من عداني عدا — وة بها تشمت كل العدا
ووالني نصرك في الدهور — وفضل رحمتك ذي السرور
وبمقلب القلوب قلب — قلوب خلقك لحب واجلب
وبالحكيم والعليم ذكري — قلبي منشى العلوم نوري
وبالتودد إلى أهل الصلاح — والخير ودي يكون بالنجاح
وبالرؤوف والعطوف فارأف — بي ولي العباد بالخير أعطف
واقض حوائجي براحة البدن — وجلب أفراح تزيل للحزن
وباسمك القادر والمقتدر — رائم ضري قبل ضر دمري
واخرب دياره ووالـه الفساد — في نفسه وماله بكل ناد
يا ربنا يا ربنا يا ربنا — أجب دعانا فرجن كربنا
أدم علينا نعماً أنعمت — بها علينا مثل ما علمت
وابن لنا كما بنيت للسما — وكل نعمة علينا أتمما
وصل أطيب صلاة وسلام — على الذي به شفاعة الأنام

(حكاية): لما قدمت مكة زادها الله شرفاً وجدت بها ولياً من أولياء الله مثله في تلك البلاد لا يجهل، يقال له: عبد الرحمن أفندي ومعنى أفندي الشيخ، فتلقاني رحمه الله ورضي عنه وأرضاه بشيء من الترحيب، والتبجيل لا يوصف، ولا يكيف وأعطاني من الهدايا الحسنة ما لا مثل له، ويكفي من ذلك أن منها اثني عشر قالة، أي ذراعاً من لباس الكعبة الشريفة فتعجب من ذلك غاية العجب، فلما تعجبت، قال: يا فلان لا تعجب، إنما فعلت لك هذا لأمرين، أحدهما: أن أباك الشيخ محمد فاضل بن مامين أرانيه رسول الله ﷺ منذ خمسة أعوام، وقال لي: أنه خليفته اليوم في الأرض، وإني أحج عنه، ومن ذلك العام، وأنا أحج عنه، وأدعو الله كل يوم وليلة أن يأتيني به بنفسه، أو يأتيني بأحد من ذريته، أو من تلامذته، وأعطاني أمارة شيخنا رضي الله عنه حرفاً بحرف حتى لم يدع له قامة، ولا لوناً، ولا أمارة في بدنه إلا أعطيانيها كما هي.

(الثاني): أن النبي ﷺ أخبرني أن عندك السر الذي به قامت السموات والأرضون، وقال لي: «إني أقول لك إنك تعطينيه وتعطيني سر الحاء» فحمدت الله، وفعلت ما به أمرت من نبيي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وشرف وعظم، وسر الحاء المشار إليه هو رب أحي روحي ببارقة منك تسري مني في أي صورة أردت إحياءها بك، وأشهدني بديع حكمتك في صنعتك حتى أحكم بك صنعة كل مصنوع إنك أصنع الحكماء، وأحكم الصانعين إلهي أشهدني التمكين في التكوين شهوداً يحكم في عقد التوحيد حتى يتجلى في كل ذرة من ذرات وجودي برقيقة من رقائق أمرك تعرفني مرتبة كل موجود مني، فأقابل كلاً بما يجب له

علي، وأتقاضى منه سرك المودع لي فيه، وأراني سريان أمرك في معلم كل معلوم حتى أتصرف في الكل بدقيقة من دقائق عظمتك ينفعل لي الوجود بالإذن العلي الساري في كل موجود، حتى يحيي لي كل قلب ميت، وتنقاد لي كل نفس آبية إن شأنك العدل، والإصلاح وإليك تنقاد النفوس والأرواح، وأنت على كل شيء قدير وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم لا يناجي الله أحد بهذا الذكر النوراني، والسر الرباني في الساعة الأولى من ليلة الخميس إلا رأى من لطف الله ما يعجز الأوصاف، وحامله لا يزال موصوفاً بالكمالات، وإذا كتب في جام أي قدح من زجاج أو غيره عند تعذر الزجاج، وشرب منه من به حمى حارة خف ذلك عنه أو زال بقدر الهمة من الكاتب، وكذلك من علقه عند تعذر الشرب، ومن ذكره كل يوم ١٨ مرة أي ثمانية عشر أحيا الله قلبه بروح الحكمة، ووسع رزقه، وشرح صدره، ونور سره ويناسبه من الآيات، فقلنا: اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى، ويريكم آياته لعلكم تعقلون، وما ناسب هذا المعنى مما فيه ذكر الحياة، والروح والنفخ.

ومن الأسماء التي فيها سر الحاء حليم حميد حفيظ حكيم حسيب حكم حي حق، ومن أكثر من هذه الأسماء حسن خلقه، واعتدل مزاجه، وحفظ في أهله وماله، وكان مهيب المنظر محبوباً في البشر، ومن كتب ثمان حاءات مجردة وشربها بالشهد مبتدئاً بيوم الخميس إلى سبعة أيام على الريق، أحيا الله قلبه ووقاه شر الغضب، وقساوة القلب، ويناسبه أيضاً وكيل، ومن استدامه ستاً وستين بأثر كل فريضة مدة من الشهر وقاب يا رب وكلتك على كل من ظلمني في نفسي أو عيالي أو مالي أن تنتقم لي منه، فإن من ظلمه بعد ذلك في شيء من الجميع انتقم الله منه سريعاً ومستديم ذلك العدد دواماً يحفظه الله من طوارق الليل والنهار، وشر الأخيار والفجار وتناسبه هذه الأسماء الثلاثة على حدتها، وهي: حكيم كريم رحيم، وإذا ذكرها العراف بعددها ألهمه الله دقائق العلوم، وأجرى أنهار المعاني من صدره، وسهل رزقه وأمنه من سطوات الحوادث، وفي الحاء من الأسرار كثير من غير هذا، ومن أراد الكلام على أسرار الحروف فعليه بتأليفنا المسمى بمذهب المخوف على دعوات الحروف.

(الثالثة): في الأوراد المشهورة التي تؤخذ في بلادنا المغاربة نقلتها توسعة على كل آخذ بها في أن كلاً منها فرع مما عندنا من فضل الله كما حكى أن الشيخ عبد القادر الجيلي تؤخذ من عنده أربعون طريقاً مشهورة، وغير المشهور لا يعد لكثرته، وفضل الله أكثر من ذلك، وأوسع وعطاؤه أجزل من ذلك وأنفع، فمن ذلك ورد الشاذلية والأشهر أن الشادل بالدال المهملة كما في القاموس، وهو من موجبات حسن الخاتمة، ومن لازمه كل يوم لوجه الله تعالى استقام على دين الله تعالى أحب أم كره.

ويقال: إن ملازمه يكون له حظ من العلوم اللدنية، والأغلب في أهله أنهم يتحابون وهو أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ثلاثاً، وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً، واستغفروا الله إن الله غفور رحيم لبيك مولاي وسعديك، والخير كله بيديك ها أنا عبدك الضعيف الذليل الفقير أقول بتوفيقك امتثالاً لأمرك أستغفر الله مائة، ثم تقول: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن

الرحيم ثلاثاً إلى أن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما، لبيك مولاي وسعديك والخير كله بيديك ها أنا عبدك الضعيف الذليل الفقير أقول: بتوفيقك امتثالاً لأمرك، ومحبة لنبيك اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله مائة، ثم تقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ثلاثاً فاعلم أنه لا إله إلا الله لبيك مولاي وسعديك، والخير كله بيديك ما أنا عبدك الضعيف الذليل الفقير أقول بتوفيقك امتثالاً لأمرك لا إله إلا الله ألفاً، وتزيد عند كل مائة محمد رسول الله ﷺ مرة، ثم تقول: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم خمساً، اللهم أرض عن شيخي فلان أي الذي أخذته عنه، وعن أشياخي أولهم وآخرهم، واجزهم عنا خيراً ثلاثاً، وتقول رافعاً يديك: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، وقال ابن عطاء: الله يمدح هذه الطائفة أتباع أبي الحسن الشاذلي نفعنا الله به وبهم:

تمسك بحب الشاذلية تلق ما ... تروم فحقق ذاك منهم وحصل
ولا تعدون عيناك عنهم فإنهم ... شموس هدى في أعين المتأمل

(ومن ذلك ورد الناصرية): ويقال في الصباح فقط: وله فضائل جزيلة: أعوذ بالله السميع العليم من النار، ومن الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم، فقلت: استغفروا ربكم إنه كان غفاراً مرة أستغفر الله مائة إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً مرة اللهم صل على محمد وعلى آله مائة، يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً مرة، لا إله إلا الله ألف مرة، وتقول في منتهى كل مائة: محمد رسول الله ﷺ، وتصلي بعد المغرب ركعتين في كل منهما الفاتحة مرة، وإنا أنزلناه سبعاً، والإخلاص، والمعوذتين كل واحدة مرة، وتقول في سجودهما: اللهم إني أستودعتك ديني وإيماني فاحفظهما علي في حياتي، وعند مماتي، وبعد وفاتي اهـ.

(ومن ذلك ورد السلسلة المباركة القادرية): : وهو من أجل الأوراد قدراً، وأوفرها ذخراً، وأعلاها ذكراً، وهو يغني عن جميع الأوراد، ولا يغني عنه ورد، ومن أجل فوائده أن صاحبه لا يموت إلا على حسن الخاتمة، وكفى بها مزية، وحدثني من أثق به أنه من أسباب الغنى، وهو أن تقول دبر كل صلاة مكتوبة: حسبنا الله ونعم الوكيل مائتين، أستغفر الله العظيم لا إله إلا الله الملك الحق المبين مائة، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وسلم مائة وتزيد بعد المغرب والصبح لا إله إلا نت سبحانك إني كنت من الظالمين سبعاً، اللهم يا لطيف اسألك اللطف فيما جرت به المقادير سبعاً، اللهم يا واحد يا أحد يا موجود يا جواد انفحني بنفحة خير منك تغنيني بها عمن سواك سبعاً، اللهم بارك لي في الموت، وفيما بعد الموت أربعاً وعشرين، اللهم صل على سيدنا محمد، وارض على روح غوث الثقلين سيدي عبد القادر الجيلي، وارض عن شيخي فلان أي من أخذت عنه، وعن أشياخي أولهم وآخرهم واجزهم عني خيراً ثلاثاً أو سبعاً، اللهم إني أعوذ بك من كل صاحب بر ديني، ومن كل أمل يغويني، ومن كل عمل يخزيني، ومن كل غنى يطغيني، ومن كل فقر يلهيني اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من الجبن والغل وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال، وأعوذ بك من قلب لا يخشع وعين لا تدمع ونفس

لا تقنع وعلم لا ينفع، وأعوذ بك من هؤلاء الأربع، ثم تدعو بسيف الحكماء، وهو يا الله يا رب يا رحمن يا رحيم ثلاثاً، اللهم لا تكلني إلى نفسي في حفظ ما أملكتنيه وما أنت أملكه مني، وامددني بدقائق اسمك الحفيظ الذي حفظت به جميع الموجودات، واكسني بدرع من كفالتك وكفايتك، وقلدني بسيف نصرك وحمايتك، وتوجني بتاج عزك وكرمك، واردني برداء منك، وركبني مركب النجاة في الحياة وبعد الممات بحق بجش برد جبار شكور، وامددني بدقائق اسمك القاهر ما تدفع به من أرادني بسوء من جميع المؤذيات، وتولني بولاية العز يخضع لها كل جبار عنيد وشيطان مريد يا عزيز يا جبار ثلاثاً، اللهم الق علي من زينتك، ومن محبتك، ومن نعوت ربوبيتك ما تبهر له القلوب وتذل له النفوس، وتخضع له الرقاب، اللهم سخر لي جميع خلقك كما سخرت البحر لموسى عليه السلام، ولين لي قلوبهم كما لينت الحديد لداود عليه السلام، فإنهم لا ينطقون إلا بإذنك نواصيهم في قبضتك، وقلوبهم بيدك تقلبهم حيث شئت يا مقلب القلوب ثبت قلبي على الإيمان بك يا علام الغيوب ثلاثاً، أطفأت غضب الناس بلا إله إلا الله، واستجلب مودتهم بسيدنا محمد رسول الله ﷺ.

فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشراً أن هذا إلا ملك كريم، يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى، فبرأه الله مما قالوا: وكان عند الله وجيهاً، وألقيت عليك محبة مني يحبونهم كحب الله، والذين آمنوا أشد حباً لله، والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين، أو من كان ميتاً فأحييناه، وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس، كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها، كذلك زين، قل ادعو الله أو ادعو الرحمن أياماً تدعوا فله الأسماء الحسنى، ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً، وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن ولي من الذ وكبره تكبيراً، الله أكبر مما أخاف وأحذر ثلاثاً، وتصلي بين المغرب والعشاء ست ركعات، وهي صلاة الأوابين تقرأ في كل منها الفاتحة، ومعها في الأولى إنا أعطيناك ستاً، وفي الثانية الكافرون ستاً، وتقول: في سجودهما رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهه قولي، وفي الثالثة الإخلاص ستاً، وفي الرابعة المعوذتين مرة، وتقول في سجودهما: اللهم إني استودعتك ديني وإيماني فاحفظهما علي في حياتي، وعند مماتي، وبعد وفاتي وفي الخامسة آية الكرسي مرة، وفي السادسة لو أنزلنا هذا القرآن الخ مرة، وتقول في سجودهما: ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، تنوي بالركعتين الأولتين قضاء الحوائج، وبالوسطيتين حفظ الإيمان وبالأخرتين السلامة من أهوال يوم القيامة، وتدعو بدعاء الاستخارة بعد السلام من الوسطيتين وبعده من الأخيرتين، وهو اللهم إني أستخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر، ولا أقدر وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب.

اللهم إن كنت تعلم أن جميع ما أتحرك به من هذه الساعة إلى مثلها في حقي وحقي غيري خير لي في ديني ودنياي ومعاشي ومعادي، وعاقبة أمري عاجله وآجله، فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك إلي فيه، وإن كنت تعلم أن جميع ما أتحرك به في حقي، وحق غيري

من هذه الساعة إلى مثلها شر لي في ديني ودنياي ومعاشي ومعادي وعاقبة أمري عاجله وآجله، فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم ارضني به إنك على كل شيء قدير وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، وتصلي ركعتين التهجد آخر الليل بالفاتحة فيهما، ومعهما في الأولى سورة الكهف، وفي الثانية الدخان، أو يس في الأولى والملك في الثانية، أو الكافرون في الأولى، والاخلاص في الثانية إن أردت قصرهما في سفر أو لم تحفظ غيرهما، وتقول في سجودهما: اللهم ارحم ذلي، وضراعتي إليك، وانس وحشتي بين يديك، وارحمني برحمتك يا كريم، وتقول بعد السلام منهما: اللهم إني أسألك إيماناً دائماً ويقيناً صادقاً وقلباً خاشعاً، وعملاً صالحاً متقبلاً ورزقاً حلالاً واسعاً وجوارح مطيعة بفضلك وإحسانك يا محسن يا متفضل ارحمني برحمتك إنك على كل شيء قدير، وتصلي ركعتي الضحى بسورتين بعد الفاتحة فيهما، وهما والشمس والضحى كل واحدة لركعة، وتقول في سجودهما: ما في سجود التهجد، وبعد السلام منهما: اللهم يا منور يا فتاح نور قلبي بنور معرفتك، وافتح لي أبواب حكمتك وانشر علي خزائن رحمتك وارحمني برحمتك إنك على كل شيء قدير انتهى ورد القادرية كاملاً.

(ومنها ورد التجانية): وله فضل عظيم، ومن خاصيته تيسير الحج لأهله إن قصدوه، وهو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إني نويت بتلاوة هذا الورد ورد سيدي ومولاي أحمد بن محمد التجاني تعظيماً وإجلالاً لك، وابتغاء مرضاتك، وقصداً لوجهك الكريم، ومخلصاً لك من أجلك، وأقول بامدادك وعونك وحولك وقوتك بما وهبتني من إنعامك وتوفيقك مستعيناً بك يا مثبت القلوب ثبت قلوبنا على دينك، وإيمانك وطاعتك، ودوام وردك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين، مرة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين إلى آخرها مرة، استغفر الله مائة، اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم مائة، لا إله إلا الله مائة، إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين مرة، هذا في الصباح، والمساء، وأما في المساء فقط، فيقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الخ مرة استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ثلاثين مرة، وصلاة الفاتح مائة ولا إله إلا الله مائة، وجوهرة الكمال اثنتي عشرة مرة، وهي اللهم صل وسلم على عين الرحمة الربانية والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم، والمعاني ونور الأكوان المتكونة لآدمي صاحب الحق الرباني البرق الأسطع بمزون الأرياح المالئة لكل متعرض من البحور والأواني، ونورك اللامع الذي ملأت به كونك الحائط بامكنة المكاني، اللهم صلى وسلم على عين الحق التي تتجلى منها عروس الحقائق، وعين المعارف الأقوم صراطك التام الأسقم اللهم صل وسلم على طلعة الحق بالحق الكنز الأعظم افاضتك منك إليك أحاطه النور المطلسم صلى الله عليه وسلم وعلى آله، صلاة تعرفنا بها إياه، إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما، صلى الله على سيدنا محمد وعلى

آله وصحبه وسلم تسليما، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، ويختم بهذا الدعاء جزى الله عنا نبينا محمداً ﷺ ما هو أهله اللهم اجزعنا شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا فلاناً خيراً وارض عنه رضى لا سخط بعده، اللهم اغفر لي ولوالدي ولأمتنا، ولمن سبقنا بالإيمان مغفرة عزماً اللهم إني أسألك من كل خير سألك منه محمد نبيك، وأعوذ بك من كل شر استعاذ منه محمد نبيك، اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا، وما أنت أعلم به منا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال، ومن عذاب النار، وسوء المصير والحمد لله رب العالمين.

انتهى ورد التجانية، ولكل مما تقدم أحزاب وأدعية ليست من نفس الورد أعرضنا عنها خوف الإطالة، واعلم أنه لا أنفع للمربي ولا غيره من كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه أو شيء صادر عنه في حياة المرء أو في حتفه، ثم لتعلم أن كتابنا معشر المسلمين القرآن العظيم ما من شيء يطلبه المرء لجلب نفع أو دفع ضراً، وهو فيه أحسن ما يكون، وليس فيه من حرف واحد ولا كلمة ولا آية، ولا سورة إلا ولكل من ذلك سر خاص أو أسرار تتقادح منه لعار فيه الأنوار، ومن عرف منه ذلك تلاشى عنده غيره من كل شيء، وكيف لا، وقد قال فيه تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ [الأنعام: ٣٨]، يقال: فرط في الشيء ضيعه وتركه أي ما تركنا في القرآن شيئاً من الأشياء المهمة التي بينا أنه تعالى مراع فيها لمصالح جميع مخلوقاته على ما ينبغي، بل قد بينا كل شيء، إما مفصلاً أو مجملاً إما المفصل فكقوله تعالى: ﴿إن النفس بالنفس والعين بالعين﴾ [المائدة: ٤٥]، وأما المجملة فكقوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٧]، روى أن الإمام الشافعي كان جالساً في المسجد الحرام فقال: لا تسألوني عن شيء إلا أجبتكم فيه كتاب الله تعالى، فقال رجل: ما تقول في المحرم إذا قتل الزنبور؟ فقال: لا شيء عليه، فقال أين هذا من كتاب الله؟ فقال: قال الله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٧]، ثم ذكر إسناداً إلى رسول الله ﷺ أنه قال: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، ثم ذكر اسناداً إلى عمر رضي الله عنه أنه قال له: حرم قتل الزنبور قاله في روح البيان، والزنبور بالضم ذباب لساع قاله القاموس، وفي حياة الحيوان، ربما سميت النحلة زنبوراً، وقد أجاد الشيخ ظهير الدين ابن عسكر قاضي السلامية بقوله:

في زخرف القول تزيين لماطلة ... والحق قد يعتريه سوء تغيير
تقول هذا مجاج النحل تمدحه ... وإن ذممت فقل قيء الزنابير
مدحاً وذماً وما غيرت من صفة ... سحر البيان يرى الظلماء كالنور

وقال تعالى: ﴿وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ [الإسراء: ٨٢] أي شفاء لما في الصدور من أدواء الريب، وأسقام الأوهام ورحمة للمؤمنين به فإنهم ينتفعون به، ومن بيانية قدمت على المبين اعتناء، فإن كل القرآن في تقويم دين المؤمنين واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى، ثم قال تعالى: ﴿ولا يزيد الظالمين إلا خسارا﴾

[الإسراء: ٨٢]، أي لا يزيد القرآن الكافرين المكذبين به الواضعين للأشياء في غير مواضعها مع كونه في نفسه شفاء من الأسقام إلا هلاكاً بكفرهم وتكذيبهم، وفيه إيماء إلى أن ما بالمؤمنين من الشبه، والشكوك المعترية لهم في أثناء الاهتداء والاسترشاد بمنزلة الأمراض، وما بالكفرة من الجهل والعناد بمنزلة والموت والهلاك، وفيه تعجيب من أمره حيث يكون مداراً للشفاء والهلاك كبعض المطر يكون دراً وسما باستعداد المحل، وعدم استعداده، (قلت): وقد رأيت في بعض الكتب أن المراد بذلك المطر ما يكون في شهر نيسان، وفي ذلك يقول الشاعر:

أرى الإحسان في الأحرار ديناً ... وعند النذل منقصة وذما
كما النيسان في الأصداف دراً ... وفي جوف الأفاعي صار سما

واعلم أن القرآن شفاء للمرض الجسماني أيضاً روى أنه مرض للأستاذ أبي القاسم القشيري قدس سره ولد مرض مرضاً شديداً بحيث أيس منه، فشق ذلك على الأستاذ فرأى الحق سبحانه في المنام، فشكا إليه، فقال: الحق تعالى أجمع آيات الشفاء، واقرأها عليه واكتبها في إناء واجعل فيه مشروباً واسقه إياه، ففعل ذلك فعوفي الولد، وآيات الشفاء في القرآن ست ويشف صدور قوم مؤمنين، ويذهب غيظ قلوبهم، يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدر وهدى ورحمة للمؤمنين، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس، وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين، الذي خلقني فهو يهدين، والذي هو يطعمني ويسقين، وإذا مرضت فهو يشفين، قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء، قال تاج الدين السبكي رحمه الله في طبقاته ورأيت كثيراً من المشايخ يكتبون هذه الآيات للمريض ويسقاها في الإناء طلباً للعافية.

وقوله ﷺ: «من لم يستشف بالقرآن فلا شفاء له» يشمل الاستشفاء به للمرض الجسماني، والروحاني. قال الشيخ التميمي رحمه الله في خواص القرآن إذا كتبت الفاتحة في إناء طاهر، ومحيت بماء طاهر، وغسل المريض وجهه عوفي بإذن الله، فإذا شرب من هذا الماء من يجد في قلبه تقلباً أو شكا رجيفاً أو خفقاناً يسكن بإذن الله، وزال عنه ألمه، وإذا كتبت بمسك في إناء زجاج، ومحيت بماء ورد، وشرب ذلك الماء البليد الذي لا يحفظ يشربه سبعة أيام زالت بلادته، وحفظ ما يسمع فعلى العاقل أن يتمسك بالقرآن ويداوي به مرضه، وقد ورد القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم.

أما داؤكم فذنوبكم، وأما دواؤكم فالاستغفار فلا بد من معرفة المرض، أولاً فإنه ما دام لم يعرف نوعه لا تتيسر المعالجة، وأهل القرآن العظيم هم الذين يعرفون ذلك، فالسلوك بالوسيلة أولى وها أنا بحول الله وقوته أكتب لك هنا من وسائل خير الدنيا والآخرة من حروف القرآن وآياته، وسوره ما يسر الأصدقاء، وبكيت الأعداء بعون صاحب الآلاء فأقول وبالله التوفيق وهو الهادي إلى سواء الطريق.

(**حرف الألف**): فمن كتبه ألف مرة في خرقة حرير وعلقه على صدر البليد الذي لا يعلم شيئاً فتق ذهنه وحفظ كل شيء سمعه، ومن كتب شكله على صحيفة من ذهب أو كاغد

مصبوغ بالزعفران في يوم الأحد والشمس في تاسع درجة من الحمل، وهو دهرها مع النطح والبطين وضمخه بالغالية إن أمكن، وإلا فغيرها من الطيب، وحمله معه اذهب الله عنه الحمى الحارة والباردة، وأهابه كل من رآه، وكان محفوظاً من كل مؤذ مأموناً من كل فتنة ومحبة مقاماً في الطاعة، وهذه صفة ما تكتب ١١١١ ١١١١ وإذا نظرت المرأة ساعة الطلق إلى شكل هذا الحرف سهل عليها الولادة، ومن وضع بسطه الأول مكسراً في مثلث على هذه الصورة التي أذكرها في إناء نحاس أحمر، وسقى بماء ورد لمن به روع سكن روعه بإذن الله وهذه صفته، وكذلك من كان به خفقان قلب يسقى منه سبعة أيام متوالية، فإنه يسكن خفقان القلب بإذن الله، ويصلح أن يعلق على الطفل الذي يحصل له رحيف، وهذا المثلث حجاب عظيم إلى جميع الجان، والشياطين، والسباع، والهوام حملاً على الذراع،

ف	ل	أ
ل	أ	ف
أ	ف	ل

ومن كتب بسطه الثاني ثلاث مرات بدائر الرأس الذي به صداع بلغمي، وفقه لوقته بإذن الله تعالى وبسطه الثاني هكذا ال ف ل ا م ف ا ء، ومن كتب شكل الألف المتقدم على جبين مصاب احترق عارضه.

(**حرف الباء**): إذا كتبت هذا الحرف، وكتبت معه كل اسم في أوله الباء وسقى المريض الذي مرضه من اليبوسة، فإن الله يهون عليه، ويعافيه بإذن الله تعالى، وإذا كتبت الباء على عدده الأصلي، وكتبت مع ذلك الأسماء التي أولها حرف الباء، وحملتها لمن تعسر عليه رزقه، فإن الله تعالى يعطيه ما يؤمله، ومن كتبه هذا وحمله معه أمن من الأمراض الدموية، ومن علقه على صلبه ماتت شهوته، ومن خواص حرف الباء إذا كتبت على حجر ودفن في أساس حائط، فإن المكان لا يدخله سارق أبداً، وإذا كتبت حرف الباء ست عشرة مرة على ثلاث أوراق، وغسلت وسقيت لصاحب الحمى زالت عنه بإذن الله تعالى، وإذا كتبت حرف الباء ست عشرة مرة، ومع ذلك كتبت البسملة تسع عشرة، فهو لما كتبت له، ولكل ما تريد، وتكتب معها بديع السموات والأرض إذا قضى أمراً، فإنما يقول له: كن فيكون.

بـ بـ بـ
بـ بـ بـ

(**حرف التاء**): فمن كتبه على شقاف أربع، وجعلها في أربع جهات الزرع لا يقربه سوء أبداً، ولا يلحقه جائحة ولا آفة، وكذلك إن جعلت الشقاف على الحب المقتات به، فإنه يحفظه من الآفات.

(**حرف الثاء**): إذا كتبت ثلاث مرات في جوانب آنية من فضة إن أمكن، وإلا فغيره وكتب حول كل واحد شكله الهندي هكذا ٤٠٠، ويسقى فيه المسموم أو الملسوع ماء قراحاً أي خالصاً، ويتقيأه فإنه يبرأ بإذن الله، وإذا نقش هذا الشكل على لوح من الفضة وعلق على رأس صغير لم يقربه الهوام، ولا يؤثر فيه الجدري ولا غيره، ويكون هيناً في تربيته قليل البكاء.

(**حرف الجيم**): إذا كتب ثلاث مرات مع شكله الهندي ثلاث على قطعة من خبز الشعير إن أمكن، وإلا فغيره، ثم كتب حوله قوله تعالى: ﴿وإذا قتلتم نفساً فادارأتم فيها والله

مخرج ما كنتم تكتمون وأكله المتهوم بالسرقة فإن كان بريئاً لم تضره وإن كان سارقاً لم يقدر يسيغها﴾ [البقرة: ٧٢]، يعني يأكلها وصفة شكله الهندي هكذا ٣، ومن كتب على أظفار يده اليسرى وهي السبابة والوسطى والبنصر كل ظفر حرف الجيم الهندية هكذا ٣، ودخل على متكبر أو جبار أذله الله له، وقضى حاجته، ولا يناله منه مكروه أبداً، وإن كتبت مركبه الحرفي مكسراً هكذا ج ي م، ثم تكتب قوله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا﴾ ج ي م في الآفاق ج ي م وفي أنفسهم ج ي م، وتكون الكتابة المذكورة على لوح من خشب الأثل إن أمكن، وإلا فغيره، ويعلق على الأشجار التي انقطع ثمرها، فإنها تثمر بإذن الله.

(**حرف الحاء**): وفعله عجيب في تسكين العطش واقماع الصفراء، وطمأنينة القلوب، وأعماله جيدة في المودات كلها، وتأليف القلوب وإطفاء نار الغضب المولدة من الشهوات، ومن رسمها ثمان مرات في راحته أو في إناء طاهر ومحاه بماء وشربه سكن عطشه، ومن كان به مرض حار، وفعل ذلك ثلاثة أيام متوالية شفاه الله، ومن كتب شكله المخصوص به على جلد نمر وحرقه وسحقه، واكتحل به يرى الأرواح من غير حجاب، والمراد بشكله المخصوص به هكذا.

ح	ح	ح	ح
ح	ح	ح	ح

(**حرف الخاء**): من كتبه في إناء صيني إن أمكن، وإلا فغيره ستمائة مرة ومحاه بماء البان إن أمكن أيضاً، وإلا فغيره، وشرب منه من به خفقان قلب سكن خفقان قلبه، وشفي لوقته، ومن خواص حرف الخاء أنه من وضع مربعاً، وجعل حرف الخاء كالدائرة على ذلك المربع، وترك فيه أعداد الحرف، وعلقه على عنق الجبان قوي قلبه، وصار شجاعاً لا يهاب الأبطال، وإن علق على صغير لم يفزع، ولم يبك وهو حجاب عظيم من الأنس والجن، ومن خواصه أيضاً إذا كتبته على أصابعك وتلوت الإضمار الآتي، وقلت: يا فلان خف خف وفتحت كفك، فإنه يخافك بإذن الله والإضمار تقول: أجب بحق عوطيال عيوط ٤ ال ٤ ال أ وكش خحج خحج جعج ياه نمو الوحا العجل الساعة.

(**حرف الدال**): ومن خاصيته أن من كتبه أربع مرات على ورم حار أذهبه الله عز وجل، ومن ٤، ومن خاصية حرف الدال إذا كتب مع كل اسم فيه الدال نحو دائم ودود في لوح مربع، وحمله إنسان وكل ناحية من الوفق كتب فيه أربع دالات، فإنه محبة عظيمة.

(**حرف الذال**): من كتبه سبع مرات في إناء جديد صيني إن أمكن، ومحاه بعسل وشربه صاحب البلغم يفعل ذلك سبعة أيام متوالية على الريق نفعه نفعاً عظيماً، ومن كسر بسطه الثاني، وهو هذا ذال ال ف ل ا م في متسع يوم الاثنين ساعة المريخ على لوح من حديد، وكتب على جوانبه الأربع من خارج المتسع هذه الأسماء الأربعة، وهي قادر مقتدر قوي قائم، ثم شد اللوح على عضده الأيمن أعطاه الله تعالى قوة عظيمة ظاهراً وباطناً، فيقوى القوى الباطني على مكابدة النفس والشيطان، وبالقوى الظاهر على حمل الأثقال، ومقاومة الأبطال، ومصادمة الرجال في الحرب والنزال.

(**حرف الراء**): من كتبه على لوح من القصدير في شرف المشتري على هذا الشكل

الآتي، ويكون النقش دقيقاً، واللوح لطيفاً، ويجعل تحت اللسان، ويكون في شدة الحر في السفر، فإنه يحصل له برد ينزل مع الريق فلا يجد ألم الحر، وهذه صفة الشكل، وكذلك إن جعل هذا اللوح في الماء، وشرب منه ٣ جرع على الريق، فإن العطش يزول وإذا كتبت، حرف الراء، والقمر مع النعائم، وأنت مستقبل القبلة، وأنت تتلو اسم الرحيم، وبعد ذلك تحمل ما كتبت فإن الله يرزقك من حيث لا تحتسب، وإذا كتبت في قطعة من ساق الجمل والقمر مع النعائم أيضاً، فإن حامله لا يتعب ولا يعبأ أبداً، وإن كتب في حجر، ووضعت ذلك الحجر في الماء الذي يسقي البستان، فإن ثماره تنمو وأشجاره تثمر.

ر ر ر ر
ر ر ر ر

(**حرف الزاي**): من نقش حرف الزاي في خاتم، ونقش في ذلك الخاتم اسمه تعالى العزيز يوم الخميس، والقمر مقابل للمشتري، فإن حامله ينال العزة والهيبة بين العوالم، ومن خاصية هذا الحرف إذا كتب على ساق جمل عدده، والقمر قد بات مع الزرعان، فإن حامله لا يعيا أبداً، وإذا نام في برية لا يقربه حيوان مؤذ، ومن خاصيته أنه يأتي بالبركة في جميع الأشياء خصوصاً في السمن والألبان، وذلك بأن يكتب على نحو درهم فضة إن أمكن، ويرمي في السمن أو اللبن فإن البركة تكون فيه، ومن كتب إحدى عشرة زاياً هندية على لوح من الفضة الخالصة في يوم الاثنين، والقمر متصل بالمشتري اتصال مودة، ويحمل على العضد حامله يكشف الله عنه ألسنة الخلق، وأيديهم وتنقبض عنه أفواههم فلا ترى منهم إلا خيراً بإذن الله وصفة الزاي الهندية هكذا ٧، ومن وضع الزاي الهندية تسعة وأربعين مرة في ساعة المريخ أو زحل، ودفن في حائط هدم ذلك الحائط في يومه.

(**حرف السين**): إذا كسر مركبه الحرفي في مربع أربعة في أربعة، ونظرت إليه المطلقة وضعت سريعاً، وهذه صفته كما ترى، ومن لدغته عقرب، وكتبه ثلاث مرات، وكتب أعداده في مثلث في إناء من نحاس إن أمكن، ومحى بماء عذب وبعض زيت الزيتون إن أمكن، وسقى منه الملسوع برىء لوقته، ويروى أن من كتب تسع سينات مع قوله تعالى: ﴿سلام قولا من رب رحيم﴾ [يس: ٥٨] في ورقة، وغسلها بالماء وسقاه للملدوغ، فإنه يبرأ بإذن الله تعالى، ومن وضع شكل السين على طابع من طين زرع البرأى القمح وعلقه في موضع لم يقربه ذباب، وهو من الطلسمات الغريبة، ومن كتب سيناً هندية في مرآة من داخل دائرة، ونظر فيها صاحب اللقوة بريء بإذن الله تعالى، وصورة الشكل المتقدم ذكره هكذا.

ال	سـ	يـ	ن
سـ	يـ	ن	ال
يـ	ن	ال	سـ
ن	ال	سـ	يـ

(**حرف الشين**): من كتبه ثلاث عشرة مرة على صحيفة من ذهب إن أمكن وإلا فغيره، ولو ورقة في يوم الأحد، والشمس في برج الحمل، وهو دهرها في النطح والبطين، وركب عليه طابعاً من عنبر إن أمكن، وحمله على عمامته ألبسه الله جلباباً من الهيبة وبهاء من مدد نوره، ولا يراه أحد إلا أحبه، ودخل تحت طاعته، وإذا كسر مركبه الحرفي في يوم الجمعة في السابعة منه على نحاس مموه

سـ سـ سـ سـ
سـ سـ سـ سـ
سـ سـ سـ سـ
سـ سـ سـ سـ

ش	ي	ن
ن	ش	ي
ي	ن	ش

بذهب إن أمكن، وحمله معه أحبه الجن والإنس، وإذا مزج أسماء أشخاص بهذا الحرف على صحيفة من نحاس أو رصاص وجعلها قريبة من نار أسرعت إجابة ذلك الإنسان إلى ذلك المكان، وهذا من الأسرار التي لا ينبغي التصريح بها للسفهاء لئلا يتخذونه ذريعة إلى المعصية، ومن كسر هجاءه في مثلث هكذا، على حرير أحمر وبخر بلبان ذكر إن أمكن، ثم كتب حوله قوله تعالى: ﴿الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون﴾ [النمل: ٢٥] ويعلق ذلك في عنق ديك أبيض في يوم الأحد، ويطلقه في المكان الذي فيه المال والسحر، فإنه يصيح ويبحث برجليه ومنقاره، ويصيح ثلاث صيحات، وهذا أيضاً من الأسرار الغريبة.

(**حرف الصاد**): من كتبه على رق ظبي أربع عشرة مرة يوم الجمعة بمداد، ثم حمله معه وخرج إلى الصيد تسارعت الوحوش إلى نحوه، وسهل عليه الصيد، ومن كتب ستين صاداً، وقيل: تسعين وكتب معه لو أنزلنا الخ، وعلقه على الرأس الوجيع فإن الوجع يزول بإذن الله تعالى.

(**حرف الضاد**): وإذا كتب شكله على جلد ماعز مدبوغ، وسمر في دار من تريد فإن ذلك البيت يهدم جميعه، ويتفرق أهله، وإن كان صاحبه من ذوي المناسب لم يتولها أبداً، وإذا مزج باسم من تريد هلاكه، ودفن في تنور بحيث تلحقه حرارة النار، فإنه ينزل برجله بثرات يابسة فاتق الله وإياك والتشفي، ومن كتب أعداده في مربع أربعة في الأربعة على جلد نمر، وعلقه على صغير لم يفزع، ومن كتب خمسة عشر ضاداً بداوة حمراء أو صبغ أحمر في آنية من زجاج إن أمكن، وتكون الكتابة صفة دائرة في مركزها اسم الذي أبق، وتكفي الآنية على فمها، فإن ذلك الأبق يرجع إلى ذلك المكان، ولا يمكث إلا مدة رجوعه قوله في مركزها المركز وسط الدائرة.

(**حرف الطاء**): وله أسرار عجيبة في دمار الظالمين وهلاكهم، وفي تغوير المياه، وله شكل مختص به، وله أفعال عجيبة في المضمرات وغيرها، وهذه صفته، وهو من الأسرار، وإذا كتب هذا الشكل على نحاس أحمر في يوم الثلاثاء أول ساعة منه، وفي الوجه الآخر شكل المريخ، ثم دلى في بئر ذهب ماؤه وصفة شكل المريخ هكـذا مسمـى، وإذا كتـب حـرف الطـاء وعلّـق علـى مـن يشتكـي وجـع الـرأس برأ، وإذا كتبت تسع طآت وخمس هاآت، والقمر في منزلة الطرف، وعلق على مولود فإنه ممن لا يقربه حيوان مؤذ أبدا.

(**قاعدة كلية**): اعلم أن كل عدد مفرد يتصرف في عالم القبض، وكل عدد زوج، فإنه يتصرف في عالم البسط، وهذا سر أظهره الله تعالى إلى خواص خلقه من أوليائه.

(**حرف الظاء**) من نقشه على لوح من نحاس أصفر ووضع في إناء وصب عليه ماء عذب، وشرب منه ملسوع بريء لوقته بإذن الله تعالى، وهذه صورته وإن كان إنسان جاهلاً،

ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ
ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ
ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ

وأراد إظهار علمه وذكره، فليكتب هذا الحرف على حرير أبيض في يوم الجمعة ساعة الزهرة سبع مرات واسمه تعالى ظاهراً أربع مرات، وحمله على رأسه بعد أن بخره بعود هندي، وشيء من العنبر إن أمكن، فإن الله تعالى ينشر ذكره، وعلمه ويهرع أن يسرع إليه الناس من الآفاق، ومن نزل أعداده الواقعة عليه في رق ظبي بمسك، وزعفران وماء ورد، كتب حول المربع عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة، والله قدير، والله غفور رحيم، وقوله تعالى: ﴿واذكروا نعمة الله علكيم إذا كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وحمله على عضده الأيمن ألف الله تعالى عليه قلوب أعدائه، وأبدل بغضهم محبة ورأفة، والله على كل شيء قدير.

(**حرف العين**): إذا كتب ثماني عشرة مرة بالقلم العربي في كاغد يوم الأربعاء أو ساعة منه، ويكتب حول الحرف الأسماء المشتقة منه، وهي التي أولها حرف العين، وسيأتي إن شاء الله، ونظر إليه كل يوم أربع مرات حبب الله إليه العلوم، والحكم والهمة والنطق بها، وفهمه تعالى حقائقها خصوصاً هذا الفن الشريف الذي هو أجل العلوم، والأسرار، وأفضل معارج الأذكار، ومن أكثر من ذكر الأسماء المشتقة من هذا الحرف الشريف، وهي أسماؤه تعالى، العزيز العلام العلي العظيم العفو العدل تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه، ونطق بالعجائب والغرائب من هذه العلوم والحكمة، وإذا نزلت أعداده الواقعة عليه في مربع أربعة في أربعة، وحوله سبعون عينا على حرير أبيض بمسك، وزعفران وماء ورد ويبخر بعود هندي إن أمكن الجميع، وحملته المرأة كان لها بهجة ونوراً، وكانت محبوبة عند الرجال والنساء دينة قائمة بطاعة الله، ومن خواص هذا الحرف إذا كتب على عدده الظاهر وكتب معه كل اسم أوله عين في بطاقة والقمر في الغفر، فإن حامله ينال المحبة والطاعة عند المخلوقات، وإذا حمل بليد هذه البطاقة فإن الله تعالى يعطيه الفهم.

(**حرف الغين**): وخواصه المسرة والفرح وانزال البركات ونمو الأموال والزرع والثمار والربح في المتاجر، وأحياء القلوب، فمن كتب شكله العربي على لوح من قصدير سبع عشرة مرة، وحمله إنسان رزقه الله من حيث لا يحتسب، وأنزل عليه البركة فيما يتعاطاه من المعاش الدنيوي، وسهل عليه كل صعب ولانت له قلوب الخلق أجمعين، وذكر بعض المفسرين أن من أسماء الله تعالى الغيب، واستدل عليه بقوله تعالى: ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ [البقرة: ٣]، ويؤكد هذا القول أن من أنزل أعداد الواقعة عليه في مربع عشرة في عشرة، وكتب حوله تسعة عشر عيناً عربية متساوية الأبعاد مقسومة على المربع، وفي زواياه من خارج أسماؤه تعالى عنى غافر غفار غفور في كاغد تقي بمداد، ويبخر بعود قماری إن أمكن، وحمله معه وذكر أسماءه المذكورة ألف مرة، وهو مستقبل القبلة مجموع الهمة حاضر القلب متوكل على الله عز وجل علمه الله من مكنون عليه ما لا يعلمه غيره في ذلك الزمان، وأطلعه على عجائب مخلوقاته، وأسرار اسمائه وكلماته، ومن كسر مركبه العددي هكذا غ ي ن في مثلث على خاتم من فضة يوم الاثنين، والقمر في زيادته لا في نقصانه،

وتختم به قبض الله عنه الاسنة في أعدائه أجمعين، ولا يتكلمون إلا ما يسره، ولا يتحركون إلا بما فيه نفعه، ومن خواص حرف الغين إذا كتب على عدده في بطاقة وكتب معه كل اسم أوله حرف الغين مثل غنى وحملت على الرأس، فإن حامله ينال المحبة والهيبة والقبول، ويكثر رزقه من جميع المخلوقات.

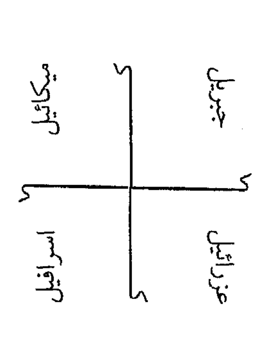
(**حرف الفاء**): لا يكتبه أحد يوم الثلاثاء على لوح من حديد، والقمر في المحاق، ودفن في مجمع الباغين إلا ألقى الله فيهم الفتنة، وربما قتل بعضهم بعضاً، وإذا دفن في بلد خليت من غير قتال، وإذا كتب هذا الحرف عشرين مرة على صحيفة من حديد في يومه وهو الثلاثاء في ساعته، وهي الثامنة منه وصور تحته صفة تنين وعقرب، ويدفن في وسط المدنية أو الدار، فإن ذلك المكان لا يقربه حية، ولا عقرب ما دام هذا الطلسم مدفوناً، ومن السر العجيب أن تطلى هذه الصحيفة أو السيف أو مهما أردت من الآلات التي تعمل من الحديد بدهن البلسان، ويدفن في الأرض، فلا يبلى أبداً إلى يوم القيامة، وبهذا طلت الحكماء الأوائل طلاسمهم المعمولة من الحديد، ومن مزج اسم من يريد بهذا الحرف الشريف تعطلت أسبابه، وسدت عليه فواتح الغيب، ومحقت البركة من عنده.

وينبغي أن لا يعمل هذا إلا للعدو الفاجر الذي يعبد غير الله تعالى، ومن كتب عشرين فاء على باب دار لم تسكن، فافهم وإذا كتب هذا الحرف في جلد يربوع، وضع في مكان فإن الحمام يأتي إليه، ومن نزل أعداده الواقعة عليه في مربع أربعة في أربعة على لوح من كتف شاة مذكاة، وكتب حوله عشرين فاء عربية واسم من يريد تعويقه عن سفر أو زواج، ويدفن في دار المطلوب، فإنه يتعوق.

(**حرف القاف**): وله خواص عجيبة في مدد القوى، ولذلك ابتدأ به اسمه تعالى قادر قوي قائم قدير، ومن كتبه إحدى وعشرين مرة على لوح من حديد وعقله على عضده، فإنه يقوى بإذن الله تعالى على ما يريد من معالجة الأثقال والحرف الثقيلة، وهذا الحرف الشديد جعله الله تعالى رأس القوى كما جعل الضاد رأس الضعف، والغين رأس الغنى، والعين رأس العلم، وقس على ذلك، ومن نزل أعدادة الواقعة عليه في مربع أربعة في أربعة يوم الأحد أول ساعة منه على جلد أسد مدبوغ وشده على عضده الأيمن، هابته وحوش البر وملوك الإنس والجن، وهو طلسم عجيب للمرتاضين بالرياضات الروحانية، وإذا كتب نصف دائرة على هذه الصورة فجلوس ويجلس المرتاض في وسطها فلا يقدر عليه أحد من الجن الطيارة والغواصة وغيرهم، ومن خواص هذا الحرف الشريف تمزيق السحاب، وذلك أن تكتبه مائة مرة على ورقة، ثم تعلق في الريح فإن الغيوم تنقطع، وإذا كتبت هذا الحرف على عدده ويسقى لمن به مرض من الرطوبة عوفي من ذلك بإذن الله، وإذا كتب في لوح من فضة، وكتب معه قل اللهم مالك الملك إلى حساب، وحمله من تعسرت عليه أقواته فإن الله ييسر عليه الرزق من حيث لا يدري، وإذا كتب هذا الحرف والقمر مع الشولة على ورق الزيتون وغلى ذلك في الزيتون، ودهن به من كان به الفالج مراراً عافاه الله، وإذا كتب عدده وعلق على من به النوازل من رأسه عوفي من ذلك.

وإذا أردت التوقيف، فقل: يا قاف وقف، ثم تتلوا الإضمار سبع مرات وأشر إلى ما تريد، فإنه يقف مكانه إلى أن يموت، والإضمار أن تقول: أجب بحق علطف علطق مهفيط علج ياه يموه قهربوه أجب وافعل كذا وكذا.

(حرف الكاف): ما كتب أربع مرات في إناء، ووضع على الطحال إلا احترق، وذهب بإذن الله تعالى، وهذه صفته، ومن كتبه اثنتي عشرة مرة من نحاس أحمر والقمر سالماً من النحوس يوم الجمعة ساعة الزهرة، والقمر متصلاً بالمشتري اتصال مودة، وحمله معه أسكن الله محبته في قلوب خلقه، وإذا علق على حانوت كثر زبونه أي خيره ورزق صاحبه من حيث لا يحتسب وأتاه الخير من كل جهة، وإذا كتب في جلد شاة عدد الحرف، وحمله من خف دماغه من الأرياح والماخوليات والسوداء أبرأه الله تعالى.



(حرف اللام): ومن سره اللطف الخفي، ولم يكن من اشتقاقه غير اسمه تعالى لطيف، وخواصه عجيبة وإذا كتب ثلاثة وعشرين مرة على صحيفة من قصدير يوم الخميس رابع عشر أي شهر كان، وإذا كان رمضان كان أجود، وحمله على رأسه كفاه الله تعالى كل مكروه، ونجاه من كل شدة وآمنه من كل خوف، ومن كتب عدده وسقاه لأصحاب العوارض والأمراض عافاهم الله تعالى.

(حرف الميم): إذا كتبت أربعين مرة، وكتب مع ذلك قوله تعالى: ﴿محمد رسول الله﴾ الآية العدد المذكور وحملها إنسان فتح الله عليه الأمور الخفية، ووفقه إلى الكشف على علوم العلويات، ومن كتب هذا الحرف ومعه كل اسم في أوله ميم، وذلك أربعون فإن الله تعالى يعطي حامل هذه الأسماء الهيبة والقبول عند أهل العالم العلوي،

م م م م م م م م
م م م م م م م م
م م م م م م م م

ومن رسم حرف الميم في حائط خلوته أو غيره، ونظر إليه كل يوم أربعين مرة، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك﴾ الآية فإن الله تعالى يعطيه نفاذ الكلمة بين العوالم، ومن أسرار هذا الحرف الشريف أنه يكتب أربعة وعشرين مرة في مربع كل سطر ثمانية أحرف هكذا ومن خواص هذا الشكل أن يكتب على لوح من خشب الاترج إن أمكن، ويعلق على بطن من به قولنج، فإنه يبرأ بإذن الله، ومن نزل أعداده الواقعة عليه في مربع أربعة في أربعة في كاغد نقي يوم الاثنين في ساعة القمر، ويكتب اسم من يريد دوام محبته، فإنه لا يطيق الصبر عنه ساعة واحدة، ويكاد أن ينفطر قلبه من شدة المحبة والمودة.

(حرف النون): إذا كتب على جبين المصاب احترق عارضه أوفر من الجثة، ولم يعد إليها أبداً، ومن كتب حرف النون وكل اسم أوله نون فإن حامله يفتح الله عليه أبواب الرزق فاعلم ذلك، وإذا كتب هذا الحرف والقمر في السماك على لوح من رصاص، وكتب مع ذلك اسم روحانية وهو صرفيائيل، وأطلقه في البحر، فإن الأسماك تأتي إليه وتجتمع

الحيتان من كل مكان، وأيضاً إلى صيد البر تأتيه الغزلان والأرانب، واعلم أن في حروف الهجاء ثلاثة من مداد اسم الله تعالى الأعظم الذي يقرأ طرداً ورداً، كقوله تعالى: ﴿وربك فكبر﴾ وقوله تعالى: ﴿كل في فلك﴾ فإذا كتب حروفاً مقطعة تقرأ طرداً ورداً، وكذلك الميم والنون والواو، فإنهم يقرؤون طرداً ورداً لكثرة أسرارهم، ويقال لهم: أقطار الحرف.

(حرف الهاء): من كتبه خمسة وعشرين، وكتب معه اسمه تعالى الحي وحمله صاحب الفهم الضعيف هون الله عليهم الفهم، وإذا كتب على خاتم من فضة أو ذهب في يوم الجمعة والقمر في منزله الهقعة، وحمله ملك معه كان مهاباً مقبولاً بين جميع المخلوقات، وفتح الله عليه الأمور الخفية، ومن خواصه أنه إذا كتب مع قوله تعالى: ﴿والله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة﴾ [الحشر: ٢٢] إلى آخر السورة وعلق على من يخاف بالليل فلا يخاف بعدها ما دام، وهذه الآية الشريفة معه، ومن سرها أن من وفقها في مربع أربعة في أربعة، وعلقها على المولود، والذي يخاف عليه من الأمراض والأعراض، فإنه لا يناله مكروه أبداً ما دام معلقاً عليه، ومن كتبه في كاغد نقي إحدى وسبعين مرة وعلقه عليه، فإن الله يهديه إلى ما يطلب من كل شيء فافهم، ولم يكن من اشتقاقه غير هو الله يا هادي، فليدع بهما.

(حرف الواو): وأعماله المخصوصة به مثل أعمال الراء، فقس على ذلك ترشد إن شاء الله، ومن خواص حرف الواو إمساك البطن، وذلك إذا كتب وشرب أو حمل، وإن جعلت الكتابة ستاً وستين كان أبلغ، وإلا فستاً تكفي مع حسن الاعتقاد، ومن خواصه الألفة والمحبة إن ربط باسم من تريد محبته مع كل اسم فيه الواو، فإنه يوقع المحبة.

(حرف اللام ألف): ومن سر هذا الحرف أنه يكتب إحدى وسبعين مرة على لوح من نحاس أو غيره، ويطلق على الدابة فإنها تأمن العين، ومن سائر الأمراض، ومن كتب اللام ألف على شيء يخاف عليه، وقال بعدها: ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم إلا حفظ ذلك الشيء.

(حرف الياء): وأعماله كأعمال التاء فقس عليه، لأنه ليس له دعاء إلا أنه حرف نداء، كما تقول في أول دعائك يا الله يا رحمن يا رحيم، وإذا كتبت عشر آيات، مع كل اسم أوله ياء، ومحاه وشربه السالك في بدايته خمدت عنه نيران الشهوات، وإذا كتب مائة مرة على رق، وكتبت الإضمار، وسقيته لمن غلبت عليه الشهوات والمعاصي، وشرب الخمر لطف الله به، وعافاه من تلك الحالة والإضمار، تقول: أجب يا مهر قيائيل بحق ياه ياه يموه يموه يه يه مقيع هلهف علهف أجب، وتوكل بكذا وكذا بارك الله فيك، وإذا كتب العدد المذكور على فاس، وحفر به بئر فإن الماء يظهر بسرعة ويبارك في ذلك الماء، ويقال: أن كل قسم لا يكون فيه حرف الياء مع الهاء يكون قسمه بطيء الإجابة، وقد تم وكمل الكلام ولله الحمد على أسرار الحروف مفردة، وقلما نجد ما جمعته لك هنا متوالياً في كتاب مع أني أعرضت عن كثير من خواصهم خشية الإطالة إلا قليلاً في كتاب فوائد المائة لا بد منه للإفادة، فمن ذلك الحروف المتواخيات، وهي ثمانية عشر حرفاً ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ، إذا كتبت هذه بالمسك الزعفران ولبن امرأة ولدت أول ولد ذكر، ثم يوضع في

العمامة أو القلنسوة كل من رآه أحبه، ومن ذلك أحد عشر حرفاً في صورة الألف، وهي ا ب ت ث ط ظ ف ك ل لا ي إذا ظهر في الجسد علة مثل الرمد في العين أو صداع في الرأس أو وجع في البطن، وما أشبه ذلك فخذ أول حرف من البدن الذي ظهرت فيه العلة، وامزجه بكل حرف منها مثال ذلك العين إذا رجعت، فأول حرف منها العين، فامزجه على هذه الصورة اع ب ع ت ع ث ع ط ع ظ ع ف ع ك ع ل ع لا ع ي ع، ثم تركب ذلك أسماء ،وعلقه على صاحب ذلك الوجع يبرأ بإذن الله تعالى، مثال تركيب الأسماء أعيع تعسع فعكع لعلا عيع.

واعمل لسائر الأعضاء على هذا القياس، ومنها أربعة عشر حرفاً أيضاً لدفع الروعة والفزع، وهي هذه د ل ذ ل ص د ض د ف ك ل م و ه، وتركب منها أسماء على هذه الصورة د ل ذ ل صد ضد فكلموه، وإذا كتبت وعلقت على من به ذلك زال بإذن الله تعالى، ومنها الحروف الصامتة، وهي أربعة عشر حرفاً ا ح د ر س ص ط ع ك ل م و ه، لا يركب منها أربعة أسماء صوامت، وهي أحد رسص طعكل موهلا إذا كتبت يوم التاسع والعشرين من الشهر أو في الكسوف، أو الخسوف على صحيفة من نحاس، أو رصاص أسود، ووضعت تحت فص خاتم يكون عقدة لكل همام، ولماز وغماز ما يقدر أحد بذكر صاحبه بسوء في حضرته وغيبته ومنها الحروف الخواتيم، وهي سبعة ا د ذ ر ز و لا إذا كتبت يوم الرابع عشر من الشهر تكون أماناً في البيت من النار والفار والسارق، وإذا نقشت في فص من الذهب والشمس في برج الأسد سالمة من النحوس، وعلق على من به شيء من الأوجاع برىء من جميع الأسقام، وصرف عنه جميع الأفات، وإذا كتبت وجعلت في صندوق أو مخزن أو قماش لم يقع فيه الدود والسوس، ويكون ما فيه سالماً، وقال بعض العلماء بعلم الحروف: جمع الله الحروف النورانية في أربعة مواضع، من أوائل أربع سور من القرآن وهي كهيعص طس ق الرحمن.

روي أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، كان يكتبها على ما يريد حفظه من الأموال والمتاع، وكان بعض العلماء إذا ركب البحر، يقول: هذا الأحرف فسئل عن ذلك، فقال: ما تليت في موضع من بر أو بحر إلا حفظ تاليها في نفسه وماله، وأمن من التلف والغرق والحرق.

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: كان بعض الصالحين إذا أراد سفراً يكتب هذه الأحرف التي في أوائل السور إذا هاج البحر يكتبها في شقفة، ويقذفها فيه فيركد، ويسكن الموج ذكر ذلك في كتاب خواص القرآن.

وقال بعضهم: إذا جمعت من الأسماء الحسنى ما كان حروفه من الأسماء النورانية، وليس فيها من الظلمانية شيء فقد نزل إليك الاسم الأعظم، فإذا تكلمت به مع الجلالة المقدسة نلت به ما تريد من جلب خير أو دفع شر، فمنها هو الله الرحمن الرحيم الملك المالك السلام العلي الحليم الكريم المحسن الحكيم المنعم المانع السميع البصير القائم القاهر المحيي المحصي المهيمن القهار انتهى ما في فوائد المائة من هذا النمط، إلا أني

حذفت أسماء مما في النسخة التي في يدي منها فيها بعض الحروف الظلمانية، لأن الشروط أن تكون الأسماء النورانية، والسر كله في الاعتقاد من المفيد، والمفاد ولما انتهى الكلام على أسرار الحروف نشرع في خواص كتاب ربنا المعروف مبتدئاً بالكلام على البسملة ببعض خواصها المفيدة، روى أنه لما نزلت البسملة الشريفة اهتزت الجبال لنزولها، وقالت الزبانية: من قرأها لم يدخل النار، وهي تسعة عشر حرفاً على عدد الملائكة الموكلين بالنار، ومن أكثر من ذكرها رزق الهيبة عند العالم العلوي والسفلي، وهي التي أقام الله بها ملك سليمان عليه السلام، فمن كتبها ستمائة مرة، وحملها معه رزق الهيبة في قلوب الخلائق، وروي عن بعض الصالحين أنه قال: من كتب البسملة ستمائة وخمسة وعشرين مرة وحملها معه كساه الله هيبة عظيمة، ولا يقدر أحد أن يناله بسوء بإذن الله تعالى، وقد جرب ذلك وصح، ومن خواصها كما قال بعضهم: إن من كتبها في ورقة أول يوم من المحرم مائة وثلاث عشرة مرة، وحملها لم ينله مكروه مدة عمره، وقد تقدمت هذه الخاصية فيما يفعل أول يوم من المحرم.

ومن خواصها ما روي عن بعض الصالحين أنه قال: من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم اثنتي عشرة ألف مرة آخر كل ألف يصلي ركعتين، ثم يصلي على النبي ﷺ، ويسأل الله حاجته، ثم يعود إلى القراءة فإذا بلغ الألف فعل مثل ذلك إلى انقضاء العدد المذكور من فعل ذلك قضيت حاجته كائنة ما كانت بإذن الله، ومن خواصها إذا تلا على الشخص عدد حروفها بالجمل الكبيرة سبعمائة وستة وثمانين مرة سبعة أيام متوالية على نيته أي أمر كان تم له ذلك الأمر، من جلب خير أو دفع شر أو ترويج بضاعة، فإنها تروج بإذن الله، ومعنى ترويج البضاعة نفاقها، وراجت الدراهم تعامل الناس بها، وراج رواجاً نفق.

ومن خواصها أن من قرأها بعدد حروفها المذكور، وصلى ست ركعات بثلاث تسليمات يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب، وألم نشرح خمسة عشر مرة ثم يقول: اللهم إني أسألك بفضل بسم الله الرحمن الرحيم، وأسألك بعظمة بسم الله الرحمن الرحيم، وأسألك بجلال وثناء بسم الله الرحمن الرحيم، وأسألك بهيبة بسم الله الرحمن الرحيم، وبحرمة بسم الله الرحمن الرحيم، وبجبروت وملكوت وكبرياء بسم الله الرحمن الرحيم، وبعزة وقوة وقدرة بسم الله الرحمن الرحيم ارفع قدري، ويسر أمري واجبر كسري واغن فقري وأطل عمري بفضلك، وكرمك، وإحسانك، يا من هو كهيعص حمعسق الم المر بسر اسم الله الأعظم الله لا إله إلا هو الحي القيوم العلي العظيم الأكرم ذو الجلال والإكرام، أسألك بجلالة الهيبة، وبعز العزة، وأسألك بكبرياء العظمة، وبجبروت القدرة أن تجعلني من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأسألك بدوام البقاء وضياء النور أن تجعلني من الصالحين، وأسألك بحسن البهاء، وبإشراق وجهك الكريم أن تدخلني برحمتك في جنات النعيم يا رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، من فعل ذلك حصل له ما طلبه بإذن الله، ورأيت في بعض الكتب أن من دعا بهذا الدعاء مائة وثمانية عشر مرة قضيت حاجته كائنة ما كانت، وهو دعاء البسملة، وهو هذا، بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إني أسألك بفضل بسم الله الرحمن الرحيم، وبحق بسم الله الرحمن الرحيم، وبهيبة

بسم الله الرحمن الرحيم، وبمنزلة بسم الله الرحمن الرحيم ارفع قدري، ويسر أمري واشرح صدري يا من هو كهيعص حمعسق المص المرحم الله لا إله إلا هو الحي القيوم بسر الهيبة والقدرة والجبروت والعظمة اجعلني من عبادك المتقين، وأهل طاعتك المحبين، وافعل كذا يا رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومما يدل على فضل البسملة، وما ذكره العلامة الخطيب في مقدمته عليها حيث قال: روي أنه أول ما نزل على آدم عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم فجعل يكثر تلاوتها فتاب الله عليه، وغفر ذنوبه، ثم رفعت بعده، ثم أنزلت على نوح عليه السلام في كفة المنجنيق، فجعل الله تعالى عليه النار برداً وسلاماً، ثم رفعت، ثم أنزلت على موسى عليه السلام فقهر فرعون، فتلاها، وهو في السفينة فاستوت على الجودي، ثم رفعت بعده، ثم أنزلت على إبراهيم عليه السلام فتلاها وهو وجنوده بها وبها فلق البحر له، ثم رفعت بعده، ثم أنزلت على سليمان عليه السلام، فأطاع الله تعالى له جميع الإنس والجن والطير بها لا يقرأها على شيء إلا إطاعة الله تعالى له في الوقت، ثم رفعت بعده، ثم أنزلت على عيسى عليه السلام فكان بها يبرىء الأكمة والأبرص، وكان بها يحيي الموتى بإذن الله، ثم رفعت بعده، ثم أنزلت على نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، فكانت له فتحاً عظيماً، وأقسم الله تعالى أن لا يسمى بها مؤمن على شيء إلا بورك له فيه ولا يقرأها أحد من أمة محمد ﷺ وهو يطلب حاجة إلا قضى الله حاجته كائنة ما كانت، ومن خواصها أن من قرأ عند النوم إحدى وعشرين مرة أمنه الله تعالى من تلك الليلة من الشيطان، ومن السرقة، ومن موت الفجأة، ويدفع عنه كل بلاء، وإذا قرئت في وجه الظالم خمسين مرة أذله الله، وما قرئت على أي وجع كان مائة مرة مدة ثلاثة أيام إلا زال ذلك بإذن الله، ومن خواصها المحبة والمودة من تلاها بعددها المتقدم سبعمائة وستة وثمانين مرة على قدح من الماء، وسقاها لمن شاء أحبه حباً شديداً، وإذا شرب بليد الفهم من ذلك الماء عند طلوع الشمس مدة سبعة أيام زالت بلادته، وحفظ كل ما سمعه بإذن الله، ومن خواصها لقضاء الحوائج، والدخول على الحكماء إذا أردت ذلك فصم يوم الخميس، وافطر على الزيت أو التمر، وصلي المغرب، واقرأها مائة واحدى وعشرين مرة، وبعد ذلك صلي العشاء، ثم نم واقرأها من غير عدد حتى يغلب عليك النوم، فإذا أصبحت يوم الجمعة، فصل الصبح واتلها العدد المذكور، واكتبها واحملها فوالله الذي لا إله إلا هو ما فعلها رجل أو امرأة إلا وصار في أعين الناس كالقمر ليلة البدر، وكان عزيزاً مهاباً وجيهاً مطاعاً، وكل من رآه أحبه، ومال إليه بطبعه وألقى الله حبه في قلوب الخلق وصفة كتابتها هكذا ب س م ا ل ل ه ا ل ر ح م ن ا ل ر ح ي م، وتكون الكتاب من غير طمس، وكتابتها متصلة.

(طريقة أخرى): وإذا كتبت إحدى وستين مرة وحملتها من لا تعيش أولادها عاشوا، وقد جرب ذلك صح، والله على كل شيء قدير، وإذا كتبت في ورقة مائة مرة وواحدة، ودفنت في الزرع خصب ذلك الزرع وحفظ من جميع الأفات، وحصلت فيه البركة، وإذا كتبت في لوح من رصاص، ووضعت في شبكة الصياد اجتمع عليه السمك من كل مكان، ومن كتب الرحمن الرحيم خمسمائة مرة في ورقة وتلا عليها البسملة مائة وخمسين مرة

وحملها، ودخل على سلطان أو جبار أمن من شره ولا يناله مكروه، ومن كتب الرحيم في ورقة مائة وتسعين مرة وحملها، ودخل بها معركة الحرب لايعمل فيه سلاح، ولا يجعل له ضرر، ومن كتبها في ورقة إحدى وعشرين مرة وعلقها على صاحب الصداع نفعه، حكى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنه قال: من كانت له حاجة إلى الله فليصم الأربعاء والخميس والجمعة، فإذا كان يوم الجمعة اغتسل، وذهب إلى الجامع، وتصدق بشيء، فإذا صلى الجمعة قال بعدها: اللهم إني أسألك باسمك الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم إلى آخر الآية الذي عنت له الوجوه، وخشعت له الأصوات، ووجلت القلوب من خشيته، أسألك أن تصلي وتسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وأن تقضي حاجتي ويسميها، وكان يقول: لا تعلموها سفهاءكم فيدعوا بعضهم على بعض فيستجاب له في الوقت، ومن أراد قمع كل جبار، فليكتب جدول البسملة في قطعة رصاص، ويضع اسم من يريد في الوفق ويبخره بالحنتيت والثوم الأحمر، ويدفنها قريباً من نار دائمة الوقود، وإياك أن تلحق النار الرصاص، فإن المعمول له يهلك وأنت المطالب به بين يدي الله وهذه صفة الوفق، وهذا الدعاء تقرأه عليه، تقول: بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إني أسألك باسمك العظيم الأعظم، وهو بسم الله الرحمن الرحيم الذي عنت له الوجوه، وخشعت له الأصوات، ووجلت من خشيته القلوب أن تصلي وتسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وأن تقضي حاجتي في فلان اللهم إن كنت تعلم أنه يرجع عما هو فيه فاهده ووفقه، وإن كنت تعلم أنه لا يرجع فانزل عليه بلاءك وسخطك وغضبك، واهلكه يا قاهر يا قهار يا قادر يا مقتدر يا الله سبع مرات، وادع بذلك سبعمائة مرة، فإن الظالم، إما أن يرجع عن ظلمه، وإما أن يهلك سريعاً فاتق الله في ذلك، ويروى أن من كتب هذا الجدول في أي ساعة من الجمعة، وقربه من النار فإن المعمول له يهلك، ولا يحتاج إلى الدعاء المتقدم.

بسم	الله	الرحمن	الرحيم	فلان
الله	الرحمن	الرحيم	فلان	بسم
الرحمن	الرحيم	فلان	بسم	الله
الرحيم	فلان	بسم	الله	الرحمن
فلان	بسم	الله	الرحمن	الرحيم

(وقال العلامة زروق) في شرح أسماء الله الحسنى، وإن أردت تدمير الظالم والفاسق، فتكتب جدول البسملة في لوح رصاص، وتضع اسم المذكور حول الخاتم وتبخره بحنتيت وزرنيخ أحمر، والخاتم حول النار، وإياك أن تلحق النار الخاتم فيهلك فتحاسب بين يدي الله، وهذا هو الدعاء: اللهم إني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم، وأسألك باسمك

بسم	الله	الرحمن	الرحيم	فلان
الرحيم	فلان	بسم	الله	الرحمن
الله	الرحمن	الرحيم	فلان	بسم
فلان	بسم	الله	الرحمن	الرحيم
الرحمن	الرحيم	فلان	بسم	الله

بسم الله الرحمن الرحيم الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم الذي ملأت عظمته السموات والأرض، وأسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي عنت له الوجوه، وخشعت له الأصوات، ووجلت منه القلوب أن تصلي وتسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، وأن تقضي حاجتي في هلاك فلان يا قاهر يا قهار يا قادر يا مقتدر يا منتقم يا الله سبع مرات تدعو به سبعمائة مرة، فإن الظالم يهلك لأنه مستجاب، وهذه صفة الخاتم المذكور: قاله الديري، ويروى أن من أراد أن ينال كل خير، ويصرف عنه كل ضير، ويستجيب الله دعاءه، ويكسوه هيبة عظيمة فليدم كل يوم على سبعة وثمانين وسبعمائة من البسملة، ويصلي بعد ذلك على النبي ﷺ اثنين وثلاثين ومائة.

ويروى أنَّ من استدام على أربع عشرة ومائة من البسملة مساء وصباحاً، وإن أتم العدد قال: اللهم إني أسألك بعدد حروف القرآن، وعدد سوره، وعدد آياته ارزقني محبتك، وخير الدنيا والآخرة أو كذا وكذا رزقه الله ما أراد، وقيد عليه النعم، وقيد عنه النقم، وهذا العدد يتلى للضالة والآبق ونحوه، ومن دام عليه قضيت حاجته دنيا وأخرى، وإذا أردت أن تفضح شخصاً بحديث أو غيره، فاقرأ البسملة اثنتي عشرة مرة وصل الثانية منها بأم القرآن مرة، واقرأ الاخلاص والمعوذتين اثنتي عشرة مرة، واقرأ البسملة مرة، واقرأ أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون، أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون، وأما الذين فسقوا فمأواهم النار وكرر مأواهم النار وانو ما أردت وقل: (يا أهيا شراهيا) سلط على فلان ابن فلان فضيحة، ومن ظلمني أو من أراد ظلمي، وقال ﷺ: «لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم». وعنه ﷺ: «من كتب بسم الله الرحمن الرحيم فجودها تعظيماً لله تعالى غفر الله له»، (وعن علي) بن أبي طالب رضي الله عنه: نظر إلى رجل يكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال: «جودها فإن رجلاً جودها فغفر له».

(وروي) أن قيصر ملك الروم كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن بي صداعاً لا يسكن، فأنفذ إلى شيئاً من الدواء، فأنفذ إليه قلنسوة، فكان إذا وضعها على رأسه أسكن ما به، وإذا رفعها عاد إليه الوجع، فتعجب من ذلك، وفتش القلنسوة، فإذا فيها مكتوب، بسم الله الرحمن الرحيم، لا سوى فقال: ما أكرم هذا الدين، وأعزه شفاني الله بآية واحدة منه فاسلم وحسن إسلامه.

(وعن خالد بن الوليد) رضي الله عنه أنه حاصر قوماً من الكفار في حصن لهم، فقالوا: إنك تزعم أن دين الإسلام حق، فأرنا آية لنسلم، فقال لهم: احملوا إلى السم القاتل، فأتوه بكأس منه فأخذه، وقال: بسم الله الرحمن الرحيم وشربه، وقام سالماً، فقالوا: هذا دين حق فأسلموا جميعاً.

(وعن بعض العلماء): أن من رفع قرطاساً من الأرض فيه اسم الله تعالى إجلالاً له أن به يداس اسمه كتب عند الله من الصديقين، وعن الشيخ بشر الحافي نفعنا الله به أنه وجد رقعة في الأرض فيها بسم الله الرحمن الرحيم، فأخذها وكان معه درهمان لا يملك غيرهما فاشترى بهما غالية وطيب بها الرقعة، فرأى في منامه الحق سبحانه وتعالى، وهو يقول: يا

بشر طيبت اسمي لأطيبن اسمك في الدنيا والآخرة، وعن منصور بن عمار رحمه الله تعالى، أنه وجد رقعة في الطريق مكتوب فيها بسم الله الرحمن الرحيم، فلم يجد لها موضعاً يجعلها فيه فابتلعها، فرأى في المنام هاتفاً يقول: قد فتح الله عليك باب الحكمة باحترامك لتلك الرقعة، وكان بعد ذلك يتكلم بالحكمة ويعظم.

(وروي) أنَّ عيسى عليه السلام، مر بقبر، فرأى الملائكة يعذبون صاحبه، فلما انصرف من حاجته رآهم ومعهم أطباق من نور، فتعجب من ذلك فأوحى الله تعالى إليه أن هذا كان عاصياً، وقد ترك ولداً صغيراً فسلمته أمه إلى المكتب، فلقنه المعلم بسم الله الرحمن الرحيم، فاستحييت أن أعذبه وولده يذكر اسمي.

(وبالجملة) ففوائد البسملة أكثر من أن تحصى أو في كتاب يستقصى، وفي هذا القدر كفاية ظاهرة لمن أراد إصلاح الدنيا والآخرة، ومن أراد أن ينال ما فيها من الخيرات فعليه بحزبنا عليها المسمى بحزب الخيرات، وأسبابها الدافع للمضمرات، وأربابها، ومن رأى أنه قرأ البسملة في نومه، فتعويله أن صاحب الرؤيا سأل الله البركة والزيادة والنجاة من الشيطان، ويتلوه إن شاء الله الكلام على الفاتحة، لكونها لكتاب الله فاتحة، ولكل نفس شارحة فأقول: وبالله الحول.

(الكلام على الفاتحة): فوائدها لا يقدر أحد يحصرها، ولا يقدر أحد ينكرها، ومن داوم على قراءتها رأى من ذلك العجب، ونال ما يرجوه من كل أرب، ويكفي من ذلك تمثيل النبي ﷺ لها مع الكتب برجل اشترى فضة، ورام السفر بها فثقل عليه حملها فباع الفضة، واشترى جوهرة، فلما أراد السفر خف عليه حملها، كذلك الله تعالى جمع الكتب المنزلة في القرآن وجمع القرآن في سورة الفاتحة فعند ذلك، قال ﷺ: «كل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج»[1]، أي غير تامة، ومن خاصيتها أنها تقرأ على من لدغته العقرب أو الحية فيبرأ من حينه، وقد وقع ذلك في صحيح البخاري، ويروى أن في سورة الحمد لله شفاء من السم، فيوجد في بعض الأخبار أن من عطس، وقال الحمد لله رب العالمين إلى آخر السورة وحرك لسانه، ومسح به أسنانه لم يصبه وجع الأسنان، وعوفي منها أمد الدهر، ومن كتبها في قطعة جلد أحمر لمن ابتلي بوجع الشقيقة وعلقها على الجمجمة التي لا وجع فيها من الرأس يبرأ بإذن الله.

(وعن رسول الله) ﷺ أنه قال: «إن العذاب لينزل فيقرأ صبي من الصبيان الحمد لله رب العالمين فيرفع عنهم أربعين سنة».

(وعن جعفر) الصادق رضي الله عنه، أنه قال: من قرأها أربعين مرة على قدح ماء، ورش به وجه المحموم ترتفع عنه الحمى بإذن الله، وذلك العدد يعين على قضاء الحاجة،

---

(١) أخرجه مسلم (صلاة، ٣٨، ٤١)، وأبو داود (صلاة، ١٣٢)، (تطوع، ١٣)، والترمذي (صلاة، ١١٦، ١٦٦)، (تفسير سورة، ١، ١)، والنسائي (افتتاح، ٢٣)، وابن ماجه (إقامة، ١١، ١٧٢)، والموطأ (نداء، ٣٩)، وأحمد بن حنبل (٢، ٢٠٤، ٢١٥، ٢٤١، ٢٥٠، ٢٨٥، ٢٩٠، ٤٥٧، ٤٦٠، ٤٧٨، ٤٨٧، ٣، ٤٣، ١٦٧، ٦، ١٤٣، ٢٧٥).

ومن استدامها احدى وأربعين سحراً فتح الله عليه في الأمور الدينية والدنيوية من غير مشقة، ويرقى بها وبسورة الإخلاص من مرض العين.

(وعن أبي الوليد) محمد بن عبد الله الفقيه القرطبي يرفعه إلى رسول الله ﷺ، من أراد أن يستشفي من ضعف بصره أو رمد أصابه فليتأمل الهلال أول ليلة، فإن أغمي عليه تأمل الليلة الثانية، والثالثة، فإن رآه مسح بيمينه على عينيه، وليقرأ أم القرآن عشر مرات يبسمل في أول السورة، ويؤمن في آخرها، ثم يقرأ: قل هو الله أحد ثلاث مرات، وليقل: شفاء منكل داء برحمتك يا أرحم الراحمين سبع مرات، وليقل: يا رب خمس مرات، فإنه يقوى بصره بإذن الله تعالى.

(وعن النبي) ﷺ أنه قال: «من أتى منزله فقرأ سورة الحمد لله، وسورة الإخلاص، نفى الله عنه الفقر، وكثر خير بيته». وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: مرض الحسن أو الحسين الشك من الراوي من حمى أو انكسار في بدنه، فاغتم رسول الله ﷺ، فنزل عليه جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد الجبار يقرئك السلام، ويقول لك: اغتممت لمرض الحسن أو الحسين، فهو يأمرك أن تطلب في القرآن سورة لا فاء فيها، فإن الفاء من الآفات، فتقرأ على أناء أربعين مرة فيغسل بذلك الماء يديه ورجليه ما ظهر وما بطن من يديه ووجهه ورأسه، فإن الله يذهبه عنه إن شاء الله، وأمر أمتك يا محمد يتداوون بهذا الدواء، فإنه أفضل الدواء، صح من اليافعي.

(وفي كتاب التميمي) أن هذه السورة المباركة أعني الفاتحة تبريء الأسقام والآلام، وتعجل بها العافية إذا قرأها المريض في حينه أو تليت عليه ومسح على جميع بدنه مرة بعد واحدة أو على الموضع الموجع ثلاث مرات، وقال: اللهم اشف، وأنت الشافي، اللهك اكف، وأنت الكافي، اللهم عاف وأنت المعافي ابريء ما بي من ضرر بإذنك، فإنه يشفي ما لم يحضر أجله، وإذا كتبت في إناء طاهر، ومحيت بماء طاهر، وغسل المريض بها وجهه عوفي بإذن الله، وإذا شرب هذا الماء من يجد في قلبه تقلباً أو شكاً أو وجعاً سكن بإذن الله، وإذا كتبت بمسك وزعفران في إناء زجاج، ثم محيت بماء ورد، ثم يشرب من ذلك الماء البليد الذي لا يحفظ سبعة أيام زالت بلادته، وحفظ ما سمع بإذن الله.

(قلت) قوله: بمسك إلى آخر الشروط، إنما هي لمن تيسرت له، وإلا فلا، بل بما تيسرت، وهكذا في كل الشروط التي تراهم يشترطونها حتى في الخلوة، (قال تعالى): ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ [البقرة: ٢٨٦] أي طاقتها، وقال: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا ما أتاها﴾ وإذا كتبت بماء في إناء طاهر، ومحي بدهن بلسان خالص إن أمكن، وقرئت على الدهن سبعين مرة، ورفع ذلك الدهن إلى وقت حاجته، فإنه يبرأ من اللقوة والفالج، وعروق النساء، ووجع الظهر، قوله: اللقوة بالقاف داء في الوجه، ربما مال منه الفم إلى جهة، والفالج استرخاء لأحد شقي البدن لانصباب خلط بلغمي تنسد منه مسالك الروح، فلج كعني فهو مفلوج، والنساء عرق من الورك إلى الكعب، ويثني نسوان ونسيان.

(وقال الزجاج): لا تقل عرق النساء لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه، لكن المشهور

اليوم عند أهل الطب تعريفه بذلك، وشهرة القول تذهب ضعفه لا سيما في مذهبين، لأن ذلك مذهب أهل اللغة، وهذا مذهب أهل الطب، ولكل قوم مصطلح، ولا مشاحة في الاصطلاح لا سيما إن كانت للتعريفات قاله مؤلف الكتاب غفر الله له بلا عتاب، ومن كتبها في رق غزال أي جلده ليلة الجمعة بعد صلاة العشاء بماء ورد وزعفران إن أمكنا مع أول ألم ذلك الكتاب، وألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم، والمص، والمر وكهيعص وطه وطس ويس وص وحم تنزيل الكتاب، وق ون، والقلم عددها أربعة عشر بالفاتحة ليلة الجمعة الرابعة عشر من الشهر في أي شهر كان، ثم يجعل في أنبوبة قصب فارسي إن أمكن، ويشمع بشمع، ويخرز عليه من علقه على ذراعه شجع قلبه، ويهابه عدوه، وكان مقبولاً عند جميع الناس، وإن كان فقيراً استغنى، وإن كان مديناً قضى الله دينه، وإن كان خائفاً أمن، وإن كان مسافراً رجع إلى أهله، وإن كان مسجوناً خلص، وإن كان مسحوراً فرج الله عنه، ولا يسأل الله حاجة إلا قضاها له.

ومن خواصها إذا كتبت حروفاً مقطعة ومحيت بماء المطر وشربه المريض بريء بإذن الله تعالى من كل وجع إن شاء الله تعالى، ومن ذلك أنها إذا قرئت على الضرس الوجيع بدأ من ساعته، وذلك أن يكتب الإنسان على لوح طاهر، بعد أن يضع عليه رملاً طاهراً، وتكون الكتابة بمسمار أو عود ويكتب (أبجد هوز حطي)، وهي حروف الوفق الثلاثي، ويشد المسمار، والعود على أول حرف، ويقرأ الفاتحة مرة، ويسأله صاحب المرض وهو واضع أصبعه على موضع الألم هل شفيت، ولا يزيل أصبعه فإن شفي، وإلا نقل المسمار إلى الحرف الثاني، وقرأ الفاتحة مرتين، وسأله فإن شفي، وإلا نقل المسمار إلى الحرف الثالث، وقرأها ثلاث مرات، ويسأل المريض ولا يزال هكذا يسأله عند كل حرف، وهو ينقل إلى ما بعده، ويزيد في كل مرة واحداً فما يبلغ آخرها إلاَّ وقد شفي إن شاء الله تعالى، وإذا لم يسكن استأنف العمل وزاد فإنه يبرىء مجرب.

(قلت): وقد جرب لغير الضرس فشفي بإذن الله، ومن خواصها أنها قرئت إحدى وأربعين مرة بين سنة الصبح، والفريضة على وجع العين بريء بإذن الله تعالى معجلاً، وذلك نافع للعين وغيرها إن شاء الله تعالى، وقد جرب ذلك مراراً وصح والحمد لله تعالى، والشأن كله في حسن الظن من الوجيع والعازم، وكذلك من قرأ هذا العدد في أثر المسافر حفظه الله تعالى، ورده سالماً، ومن قرأها مائة واحدى عشرة مرة، وهو مقيد والعياذ بالله تعالى، ويتفل على القيد بعد القراءة عشر مرات، فإن القيد ينفك بإن الله تعالى، وقد جربه من كان مقيداً وعليه ترسيم فانفك القيد، وخرج ونجا من غير تعب بلطف الله تعالى وبركة هذه السورة والحمد لله.

(واعلم) أن هذا العدد إن قرىء على أي قفل، أو قيد على أي شيء كان فتح، ومن شاء فليجرب، وتقدم قريباً أن الشأن في حسن الظن، ومن خاف من الظمأ، فقرأ الفاتحة عند أن يصبح ونقل في يديه ومسح بهما وجهه وبطنه، كفاه الله تعالى ظمأ ذلك اليوم، وقال بعض العلماء: من كتبها في إناء نظيف، ومحاها بماء، وشرب منه زال نسيانه، وقال بعض الصالحين: من وضع يده على موضع الوجع، وقرأ الفاتحة، وقال: اللهم اذهب عني سوء

ما أجد، وفحشه بدعوة نبيك المبارك الأمين المسكين عندك سبع مرات شفي، وجرب فصح، ومن خواصها المحبة، وتأليف القلوب، وذلك أن تمزج اسم المطلوب بالأحرف النارية، وهي ا هـ ط م ف ش ذ بأن تأخذ حرفاً من النارية، ثم تأخذ حرفاً من حروف اسمه بشرط أن يكون أول أخذك من النارية، ثم حرفاً من اسمه، وهكذا فلا بد أن يكون البدء بالأحرف النارية، ويكون الختم بها بأن يكون آخر الحروف منها، ويكون ذلك في إحدى وعشرين ورقة، ثم تضع في كل ورقة حصوة لبان ذكر وشيئاً من تفاح الجان إن أمكن، وتضعها على النار وتقرأ عليها الفاتحة إلى أن ينقطع الدخان، وتقول عند ذلك: توكلوا يا خدام الأحرف النارية بقضاء حاجتي من فلان، وإلقاء محبتي ومودتي أو محبة فلان في قلبه بحق ما تلوته عليكم، وقد جرب ذلك مراراً وصح، ويحسن الاعتقاد يحصل المراد، ومن خواصها أيضاً للمحبة ما روي عن بعض الصالحين، وهو الشيخ أحمد بن الرداد أنه قال: من أراد أن يصلح بين زوجين أو أخوين اتباعاً لقول النبي ﷺ: «من اصطلح بين اثنين فقد استوجب أجر شهيد»[1] فليكتب الفاتحة في قرطاس بزعفران وماء ورد وشيء من مسك، ويبخره في حال الكتابة بعود لبان، ويكون الكاتب على طهارة، وتكون الكتابة على هذا الوضع بهذا الشرط بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين يحمد فلان بن فلانة لفلان ابن فلانة أو فلانة بنت فلانة طاعة لله تعالى، ولفاتحة الكتاب الشريفة الرحمن الرحيم يرحم فلان الخ طاعة لله تعالى، ولفاتحة الكتاب الشريفة مالك يوم الدين امتلك فلان الخ طاعة لله تعالى، ولفاتحة الكتاب الشريفة وإياك نستعين استعان فلان بالله تعالى، وبفاتحة الكتاب الشريفة على فلان ابن فلان، ليكون مطاوعاً له، وتحت إرادته في الأقوال، والأفعال طاعة لله تعالى، ولفاتحة الكتاب اهدنا الصراط المستقيم اهتدى واستقام فلان ابن فلانة لفلان ابن فلانة استقامة محبة، وسماع قول طاعة لله تعالى، ولفاتحة الكتاب الشريفة صراط الذين أنعمت عليهم أنعم فلان الخ بجميع ما يطلب منه فلان، ويروم طاعة لله تعالى، ولفاتحة الكتاب الشريفة محبة وشفقة ومودة ورأفة ورحمة غير المغضوب عليهم ولا الضالين ضل فلان الخ في محبة فلان طاعة لله، ولفاتحة الكتاب الخ آمين ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم، فإذا كملت فخذ إبرة مخرومة، واغرزها في وسط الورقة المكتوبة وعلقها في مكان تهب فيه الريح من الجهة التي تلي المطلوب فيها يحصل المقصود، وقد جرب وصح، ونقل عن بعضهم أن من أراد قضاء حاجة أي حاجة كانت، وقرأ هذا الدعاء المتقدم سبع مرات بعد قراءة الفاتحة مائة مرة سهل الله قضاءها، ومن خواصها كما قال رسول الله ﷺ، أنه قال: «من قرأها عند وضع جنبه على الفراش وقرأ معها قل هو الله أحد ثلاث مرات، والمعوذتين، فقد أمن من كل شيء إلا الموت»[2]. ومن

---

(١) أخرجه النسائي (جهاد، ٢٥)، والبخاري (أنبياء، ٥٤)، (طب، ٣١)، (قدر، ١٥) وأبو داود (جهاد، ٩، ٤٠)، والترمذي (فضائل الجهاد، ١٩)، وأحمد بن حنبل (٣، ٣٥٢، ٣٦٠، ٥، ٢٣١، ٢٤٤، ٦، ٦٤، ١٥٤، ٢٥٢).

(٢) أخرجه أبو داود (أدب، ١٠١)، والنسائي (استعاذة، ١)، وابن ماجه (إقامة ١١٥).

-كتب الفاتحة في إناء من ذهب إن أمكن في الأول من يوم الجمعة بمسك وزعفران وكافور إن أمكن، ومحاها بماء ورد، ووضعه في قارورة، فإذا أراد الدخول على الحكام مسح وجهه منها، فإنه يحصل له القبول الزائد، والمحبة عند من يدخل عليه، ومن دخل على من يخاف شره، وقرأ الفاتحة فإنه يأمن من شره بإذن الله تعالى، وشكا ابن الشعبي من وجع الظهر، وقيل: الخاصرة، فقيل له عليك بأساس القرآن، وهي فاتحة الكتاب فلازمها وكتبها ومحاها وشربها فشفي.

(وقال ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما: لكل شيء أساس، وأساس القرآن الفاتحة، وأساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم، وقال العلامة ابن القيم في كتابه: كل داء له دواء، وإن أحسن المداواة الفاتحة التي وجدت لها تأثيراً عظيماً في الشفاعة، وذلك إني مكثت بمكة مدة طويلة يعتريني داء لا أجد له طبيباً، ولا دواء، فقلت في نفسي: أعالج نفسي بالفاتحة، ففعلت ذلك، فرأيت لها تأثيراً عظيماً، فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألماً شديداً، فكان كثير منهم يبرأ ببركة الفاتحة، ومن كتب الفاتحة ومحاها بماء، وخلط الماء بشيء ظهرت فيه البركة عياناً، ومن أسرارها وخواصها التي تبسط الرزق، وينال بها نجاح كل مقصد، وردها المعروف بورد السعادة، وهو الورد المكتوم الذي لا يلازمه إلا من كتب له حظ من مشاهدة القوم وصفته ثلاثون من الفاتحة بعد صلاة الصبح، وخمسة وعشرون بعد الظهر، وعشرون بعد العصر، وخمسة عشر بعد المغرب، وعشرة بعد العشاء، وقد نظم فوائد هذا الورد الغزالي بقوله:

إذا ما كنت متلمساً لرزق	ونجح القصد من عبد وحر
وتظفر بالذي تهوي سريعاً	وتأمن من مخالفة وغدر
ففاتحة الكتاب فإن فيها	لما أملت سراً أي سر
فلازم درسها في كل وقت	بصبح ثم ظهر ثم عصر
كذلك بعد مغرب كل ليل	إلى تسعين تتبعها بعشر
تنل ما شئت من عز وجاه	وعظم مهابة وعلو قدر
وستر لا تغيره الليالي	بحادثة من النقصان بحري
وتوفيق وأفراح توالي	وأمن من نكاية كل شر
ومن عسر وفقر وانقطاع	ومن بطش لذي نهي وأمر
فإنك إن فعلت أتاك آت	بما يغنيك عن زيد وعمرو

ومن رأى أنه يقرأ الفاتحة في نومه حج لقوله تعالى: ﴿وسبعة إذا رجعتم لأنها سبع آيات﴾ [البقرة: ١٩٦]، وقيل له: دعوة قد أجيبت.

الكلام على سورة البقرة: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، وأن البيت الذي تقرأ فيه البقرة لا يدخله الشيطان».

وعن الأحوص عن عبد الله، قال: إن لكل شيء سنماً، وإن سنم القرآن البقرة، وإن لكل شيء باباً، وأن باب القرآن المفصل، وما خلق الله من أرض، ولا سماء ولا سهل ولا

جبل أعظم من آية الكرسي، وأن الشيطان لا يدخل بيتاً تقرأ فيه البقرة.

وعن علي رضي الله عنه، يقول: سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: «أتاني جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد إن لكل شيء سيداً، وسيد البشر آدم، وسيد ولد آدم أنت، وسيد الروم صبيب، وسيد فارس سلمان، وسيد الحبشة بلال، وسيد الشجر السدر، وسيد الطير النسر، وسيد الشهور رمضان، وسيد الأيام يوم الجمعة، وسيد الكلام العربي، وسيد العربي القرآن، وسيد القرآن سورة البقرة»[1]. ومن خاصيتها أنها تكتب، وتمسك لرفع الأوجاع، وتعلق على الصبيان لدفع ألم الفطام، ومخافة الجان والهوام، وتكتب لتيسير عسير الرزق.

وقال ﷺ: «السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن، أي مصره الجامع فتعلموها فإن تعلمها بركة، وتركها حسرة، ولن تستطيعها البطلة، قيل: وما البطلة، قال عليه السلام: السحرة أي لا تستطيع البطلة أن تسحر قارئها، ولا تقرأ في دار فيقربها الشيطان ثلاث ليال»، وكان معاذ إذا ختم سورة البقرة، يقول: آمين، ومن قرأ آية الكرسي أول النهار حفظه الله إلى الليل، ومن قرأها أول الليل، حفظه الله إلى الصباح، وذكر بعض أهل العلم أن من عقد عن أهله يقرأ قوله تعالى: «وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى، قال: أولم تؤمن، قال بلى، ولكن ليطمئن قلبي على الماء ويرش به نفسه ويشرب منه يبرأ بإذن الله تعالى، ويكتب لعقد الآبق قوله تعالى: ﴿أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير﴾ [البقرة: ١٤٨]، وتعلق البراءة في الهواء، فيعود من حينه، وقد جرب فصح ولعقد الآبق أيضاً، والضالة والشارد ونحو ذلك هذه الآيات الأربع، وهن ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً، ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة، ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم، وقيل: اقعدوا مع القاعدين إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل، فتكن في صخرة أو في السموات، أو في الأرض يأت بها الله، هذه الآيات تتلى بنية رجوع الآبق ونحوه يأت به الله، ويقال: إن من قرأ عند رؤيته المبتلي أو البلية ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار عافاه الله منها، ومن كثر من قراءتها رزقه الله زوجة صالحة، لما قيل: إن الحسن هنا الزوجة الصالحة، والنار هنا المرأة السوء، ومن قرأ عند لقاء العدو ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين نصره الله، وهزم أعداءه، ويقرأ البسملة مع الآية، ويروى أنه يكتب للسوس في ثلاثة أشقاف فجاء في البقرة قوله تعالى: ﴿كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء مما كسبوا﴾ [البقرة: ٢٦٤] في الأولى، وفي الثانية يتجرعه، ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان، وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ، وفي الثالثة أن الدنيا أنكالاً وجحيماً وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً، ونقل بعض الفضلاء أن قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا موتوا موتوا﴾ [البقرة: ٢٤٣]، تكتب للطعام الذي يخاف عليه

---

(١) أخرجه ابن ماجه (إقامة، ٧٩).

السوس، فلا يستاس، ويذهب منه السوس إن كان قد استاس، ومن قرأ على الحزازة أول ظهورها، فأصابها إعصار فيه نار، فاحترقت تبرأ بإذن الله تعالى، وقال بعض من عنى بطريقة الخواص: إن السرقة إذا وقعت بين قوم، ولم يعلم من أخذها، فإن أسماء المتهومين تكتب في قطع من الكاغد، وتجعل كل قطعة في بندقة من شمع أو عجين مخمر، ويدفن في أناء فيه ماء، فإن بندقة الفاعل تطلع، والآية التي تكتب، وإذ قتلتم نفساً فادرأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى، قوله تعالى: ﴿ألم ذلك الكتاب إلى قوله المفلحون﴾ [البقرة: ٥]، خاصيتها أنها تزيد في الحفظ، وتقوي اليقين، ويثبت بها العلم، وتعين على الحفظ والمعرفة، فمن كتبها يوم الخميس أول النهار على شيء طاهر لم يستعمل بزعفران أو مسك ومحاه بماء بئر عذب، وشربها وأمسك عن الطعام يفعل ذلك ثلاثة أيام خميس، فإنه ينال ما ذكرته.

قلت: وهذه إحدى الآيات التي لها فائدة جليلة للخوف، والفزع من قطاع الطريق وغيرهم، قال بعض الصالحين: وهو محمد بن سيرين، كما قال بعضهم: نزلنا في بعض الأسفار بنهر تيري فأتانا قوم، فقالوا لنا: كل من نزل في هذا الموضع قتل ونهب متاعه أو سرق فرحل جميع أصحابي من الخوف، فتخلفت أنا لحديث سمعته عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، أنه قال: «من قرأ ثلاثاً وثلاثين آية من كتاب الله تعالى لم يضره في تلك الليلة سبع ضار، ولا لص عاد وعوفي في نفسه وماله وولده حتى يصبح». فلما أن أمسيت قرأتها، فلم أنم حتى رأيت جماعة قد جاءوني بسيوف يدنون مني، فلم يصلوا إلي، فلما أصبحت رحلت فجاءني منهم شيخ راكب على فرس، ومعه قوس عربية، وقال لي يا هذا إنسي أنت، أم جني؟ فقلت: بل إنسي من بني آدم، فقال: ما بالك قد أتيناك في هذه الليلة أكثر من سبعين مرة نريد نقتلك، ونأخذ متاعك فيحال بيننا وبينك بسور من حديد، فتعجبنا من ذلك، فقلت له: حدثني ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ، أنه قال: «من قرأ ثلاثاً وثلاثين آية من كتاب الله تعالى في ليلة لم يضره سبع ضار، ولا لص عاد، ويكون في أمان الله تعالى إلى الصباح»، فلما سمع ذلك مني نزل عن فرسه، وكسر قوسه، وقبل رأسي، وأعطى الله عهداً أن لا يعود أبداً إلى ما كان فيه من السرقة، وقطع الطريق، وهذه الآيات المذكورة أربع آيات من أول البقرة إلى المفلحون، وآية الكرسي، وآيتان بعدها إلى قوله خالدون، وثلاث آيات من آخر البقرة لله ما في السموات، وما في الأرض إلى آخر السورة، وثلاث من الأعراف إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض إلى قوله المحسنين، وآخر الإسراء قل ادعو الله إلى آخرها، وبسم الله الرحمن الرحيم، والصافات صفاً إلى لازب وآيتان من سورة الرحمن يا معشر الجن والإنس إلى قوله: فلا تنتصران، وأربع آيات من آخر الحشر، لو أنزلنا هذا القرآن إلى آخر السورة، ومن سورة الجن قل أوحي إليّ أنه استمع إلى قوله: شططاً هكذا أخذتهن عن أبي وشيخي الشيخ محمد فاضل بن مامين رضي الله عنه، وأرضاه آمين، وكذا في اليافعي، وفي غيره، ومن آخر الحشر هو الله الذي لا إله إلا هو إلى آخرها، ومن سورة الجن، وأنه تعالى جد ربنا إلى قوله: شططا.

واعلم أن هذه الآيات تسمى آيات الحرس والحرز، ويقال: إن فيها شفاء من مائة داء

مثل الجذام والبرص ومنافعها لا تعد ولا تحصى.

قلت: وقد قال لي شيخنا رضي الله عنه وأرضاه: إنها إن تليت على مريض لم يحضر أجله لا بد أن يشفيه الله، وإن حضر أجله لم تعد الأرض على جسده، وهذه عندي من أعلى فوائدها، وروي عن محمد بن علي رضي الله عنهما، قال: قرأتهما على شيخ قد أفلح فأذهب الله عنه ذلك ببركتها، وهي حجاب عظيم، وحرز جسيم، ومن قرأها عند جبار أمن من شره.

(قلت): ولا ينبغي لذي بدايات ولا ذي نهايات يتفضل الله عليه بها، ويتركها لما فيها من الفضل، ومن أجل ذلك إني أعطيت الإذن لمن وقف عليها في كتابي يستعملها، ولا يذماني من صالح دعائه عند قراءتها، وينوي دخولي معه في بركتها وحرزها عند تلاوتها كما أمرني شيخنا بذلك، ووجدت له بركة عظيمة.

(قال بعض العارفين): وينبغي أن يضاف إليها هذه الآيات أيضاً، وهي قوله تعالى: ﴿وإلهكم إله واحد﴾ [البقرة: ١٦٣] الآية وأول سورة الحديد إلى قوله: بذات الصدور، وآخر سورة التوبة، لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخرها، هكذا في مجربات الديربي رضي الله عنه غير ما أضفته لنفسي عن شيخي غفر الله لي في يومي وغدي وأمسي، قوله تعالى: ﴿إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون﴾ [البقرة: ٧٠]، من أراد شراء حاجة من الحوائج حيتاناً أو لباساً أو تمراً أو كل ما أراد شراءه، وأراد الخير والرخص من ذلك، فليقل: عند عزيمته على ذلك خبير يا مختار يا من الخير منه يا من الخير بيده دليل الخيرات يا هادي، ويقرأ الآية عند المباشرة، فإنه يقع له القصد، وتكون القراءة إلى حين انعقاد البيع، قوله تعالى: ﴿فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى، ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾، ومن قرأ هذه الآية على قضيب برقوق، وهو بالمغرب المشمش، وبالمشرق الإجاص بشرط أن وجد، وإلا فأي قضيب يوم الجمعة عند طلوع الشمس أربعين مرة، ثم ضرب على أي وجع كان أو ورم أو وجع سائر الحيوانات، ثم يتفل على موضع الوجع، فإن المضروب يبرأ بإذن الله تعالى، قوله تعالى: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا﴾ [البقرة: ١٠٢]، يعلمون الناس السحر، وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت، وما يعلمان من أحد حتى يقولا: إنما نحن فتنة فلا تكفر، فيتعلمون منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه، وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم، ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق، ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون من كتب هذه الآية في طست نحاس أحمر إن أمكن، وهو طاهر نظيف وبخرها بحصا لبان إن أمكن، ومحاها بماء طاهر، ورش كفافي بيته بطل عنه كل سحر، ولا يؤثر في أحد من أهله، وإن مسح بذلك الماء مجنوناً أو مسحوراً أو منظوراً بطل ما به، قوله تعالى: ﴿ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير﴾ [البقرة: ١٤٨]، هذه الآية للآبق والشارد، والمرأة الناشزة من زوجها إذا كتبت هذه الآية على قوارة حديد، وكتب في وسطها اسم السارق أو الآبق، ثم يضرب في وسط القوارة مسمار تسمره في الحائط في المكان

الذي سرق منه أو هرب منه الآبق، فإنه يرجع قريباً، وتعود السرقة قريباً.

قوله تعالى: ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون﴾ [البقرة: ١٣٨] من بلاها، وهو يتكحل حسنت عيناه في عين من يراه، (قوله تعالى): ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم، وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا﴾ [البقرة: ٢٤٣] إذا كتبت هذه الآية في طست بمداد، ثم محيت بعصارة البرقوق إن أمكن، ثم يرش به البيت أي بذلك الماء، فإنه لا تبقى حية ولا عقرب ولا برغوث إلا مات بإذن الله، وإن كتبت ليلة الخميس سحراً في أربع ورقات زيتون، ودفنت في ركن من أركان البيت الذي فيه البق فإنه يموت، (قوله تعالى): ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ [البقرة: ٢٦٤] لخراب دار العدو وفساد زرعه وبستانه إذا أردت ذلك، فاعمل شقفاً من طين يوم السبت، وخذ تراباً من مقبرة قديمة قد خربت وتراباً من دار موقوفة خراب قد مات أهلها إن أمكن، واكتب الآية على الشقفة نية لم تحرق، ثم اسحقها سحقاً ناعماً أي شديداً، واخلطه مع الترابين، ورش الجميع في الموضع الذي تريد يوم السبت في الساعة الأولى ترى عجباً قوله تعالى: ﴿وأوصى بها إبراهيم إلى قوله مسلمون﴾ تكتب للحمى ولوجع الرأس يبرأ قوله: أم كنتم شهداء إلى مسلمون إن علقت على الساق لم يعي حاملها، ومن خواص قوله تعالى: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، والله يضاعف لمن يشاء، والله واسع عليم إنها إذا كتبت في شقاف فخار، وجعلت في أركان بستان أو زرع رأى فيه صاحبه ما يتمناه من الحسن والبركة.

(فائدة): ذكر سليمان بن مقاتل رضي الله عنه أن في القرآن العظيم خمس آيات، ما قرئت في وجه عدو إلا غلب، وقهر في كل آية منها عشر قافات، وإذا كتبت وعلقت في رمح أو غيره من السلاح وجعل في مقابلة الحرب انهزم وخذل، وقد جرب ذلك وصح، وهي قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل إلى الظالمين لقد سمع الله إلى الحريق، ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم إلى فتيلاً، واتل عليهم نبأ ابني آدم إلى المتقين قل من رب السموات إلى القهار﴾ [البقرة: ٢٤٦، والنساء: ٧٧]، ومن أراد استيفاء الكلام على هذه الآية فعليه بكتابنا مذهب المخوف على دعوات الحروف عند الكلام على دعوة القاف، وهو كتاب من ظفر به، واستعمل ما فيه أغناه عن جميع كتب الأسرار، وبلغ به أعلى درجات الأخيار، واستكفى من شرور جميع الأشرار، (قوله تعالى): ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾، هذه الآية من استدام على قراءتها عند النوم نال بها كثيراً من الخير، ومنه لا يتفلت من صدره ما يحفظ من القرآن، وأكرم بها من فائدة وأعين على حفظ ما ليس عنده منه، قوله تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم إلى خالدون أو العظيم﴾ [البقرة: ٢٥٧]، من قرأ هذه كل يوم وليلة عقب كل

صلاة، أمن من وسوسة الشيطان ومن لمح الجان، وأغناه الله من الفقر، ورزق من حيث لا يحتسب، ومن أدمن على قراءتها كل صباح ومساء، وعند دخول فراشه أمن من السرقة، ومن حريق النار، وتعود الجن، ومن صحته، ومن النزوع بالليل، وأمن من الرجفة والمنام المزعج، ولم يضره في منامه شيء بإذن الله، ومن كتبها وجعلها في عتبة داره أو حانوته كثر خيره، ومن أدمن على قراءتها عقب كل صلاة مفروضة لم يمت حتى يرى مقعده في الجنة.

وقال ﷺ: «أعظم آية في القرآن آية الكرسي».

وقال: «من قرأ آية الكرسي عقب كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت»، وروي من قرأها عند النوم لم يقربه شيطان تلك الليلة.

(واعلم) أن حروف آية الكرسي مائة وسبعون حرفاً، وكلماتها خمسون كلمة، وفصولها سبعة، وقيل: سبعة عشر، فمن قرأها أول النهار كان في أمان الله من الشيطان، والسلطان، وكذا من قرأها أول الليل، ومن قرأها في جوف الليل مستقبلاً بعيداً عن الأصوات عدد حروفها، وسأل الله تعالى أي حاجة قضيت بإذن الله تعالى، ومن قرأها عدد كلماتها على شيء قليل نزلت فيه البركة، وحصلت فيه الكفاية لكثير، ومن قرأها بعدد فصولها أي سبعة عشر، وقيل: ستة عشر بعد عصر يوم الجمعة في موضع بعيد من الأصوات، وسأل الله تعالى أي حاجة قضيت، ومن قرأها عدد الرسل، وهو ثلاثمائة وثلاثة عشر، وهو عدد أهل بدر، وأصحاب طالوت، وحسابها من اسم محمد ﷺ، وتوسل به، وسأل الله حاجة من أمور الدنيا والآخرة قضيت بإذن الله تعالى، وهذا العدد أعني عدد الرسل ما استعمله قوم منها مجتمعين أو أحدهم منفرداً أهل حرب إلا نصروا ولا استعمله أحد من غيرها من الأسماء أو الآيات لحاجة من شيء مناسبها إلا قضيت، ومن خواصها للبلغم فمن أراد ذلك، فليأخذ سبع قطع من صغار الملح الأبيض، ويقرأ على كل واحدة الآية الشريفة سبعاً، ويستعمل ذلك على الريق، سبعة أيام فإن الله يذهب عنه ما يجده من البلغم.

وروي عن بعضهم أنه كان ينظر في نومه أموراً وأشياء مفزعة، فأتى إلى بعض الصالحين من المشايخ أرباب التصريف، وشكا إليه ما يجده في نومه، فقال له: إذا أتيت إلى فراشك، فتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثاً، واقرأ آية الكرسي ثلاثاً، فإذا وصلت إلى قوله تعالى: ﴿ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم﴾ فكررها ثلاثاً، ونم فإنك تأمن مما تجده، قال: ففعل الرجل، فلم يجد شيئاً بعد ذلك مما يكرهه.

ومن خواصها أنها إذا قرئت على مصروع إحدى عشرة مرة على رأسه أفاق لوقته، وإن أقام العارض في الجنة احترق، وإذا قرئت دبر كل صلاة، فإنها تمحو ما على المصلي من الذنوب والخطايا، ومن خواصها الحرق العارض فإذا أردت أن تحرق الجان عن إنسان أذن في أذنه اليمنى سبع مرات، واقرأ فيها فاتحة الكتاب، والمعوذتين، وآية الكرسي، وسورة الصافات كلها، وآخر سورة الحشر، وسورة الطارق، فإنه ينحرق كأنه في النار مجرب صحيح معمول به مراراً، والله على كل شيء شهيد، ومن خواصها للقرناء والتوابع تكتب، وتحمل تأمن من كل مكروه، وتضيف إليها آيات الحفظ التي في القرآن، وهي فالله خير

حافظاً وهو أرحم الراحمين، وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة إن ربي على كل شيء حفيظ، وكنا لهم حافظين وربك على كل شيء حفيظ، وعندنا كتاب حفيظ لكل أواب حفيظ، وإن عليكم لحافظين، وحفظا من كل شيطان مارد، وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم، وحفظناها من كل شيطان رجيم إنا نحن نزلنا الذكر، وإنا له لحافظون له معقبات من بين يديه، ومن خلفه يحفظونه من أمر الله حفيظ عليهم، وما أنت عليهم بوكيل إن كل نفس لما عليها حافظ، بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ، وتكتب مع ذلك قوله تعالى: ﴿فإن تولى فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت﴾ [التوبة: ١٢٩] إلى آخرها، والإخلاص والمعوذتين، فهذا حجاب عظيم من القرناء والتوابع وغيرهم، ومن أراد استيفاء آيات الحفظ فعليه بكتابنا مذهب المخوف فإنها فيه أحسن ما يكون، وما هنا منها يكفي ويشفي.

ومن خواصها لوجع القلب والخفقان ووجع الكبد ومغص البطن فمن أراد ذلك فليكتبها في إناء طاهر ثلاث مرات ويشربها صاحب العلة، ويقول عند شربها: نويت الشفاء من العلة الفلانية، ويذكرها فإن الله يشفيه منها ببركة هذه الآية الشريفة، وتقدم ما يفعل بها في المحرم، ومن خواصها للرمد تكتب ثلاث مرات، ويكتب معها الله نور السموات والأرض إلى عليم، ويكتب بعدها قل هو الله أحد إن في العين رمداً احمرار في بياض حسبي الله الصمد يا غياثي في الشدائد باعتزازك عن ولد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، أقسمت عليك أيها الرمد المرمود المتمسك بعروق الرأس والجلود أقسمت عليك بيوسف ابن يعقوب وقميصه المقدود، وبحق توراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود، وبحق القرآن العظيم، وبمحمد ﷺ سراج الوجود ورسول الرب المعبود اذهب أيها الرمد عن حامل كتابي هذا بحق لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، وبألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ومن خواصها أنك إذا كنت في مكان مخيف فاجلس أنت ومن معك على الأرض، وأمرهم أن يجعلوا ظهور بعضهم، ثم خط إلى بعض عليهم دائرة، وأنت تقرأ آية الكرسي سبع مرات وتقول بعدها: ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم، وحفظاً من كل شيطان مارد، وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم وحفظناها من كل شيطان رجيم، إنا نحن نزلنا الذكر، وإنا له لحافظون له معقبات من بين يديه، ومن خلفه يحفظونه من أمر الله حفيظ عليهم، وما أنت عليهم بوكيل، إن كل نفس لما عليها حافظ، بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ فإن تولوا فقل: حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم، وتقول: يا حفيظ ثلاثاً يا حافظ احفظنا، اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بكنفك الذي لا يرام يا الله ثلاثاً يا رب العالمين، ثم اسكت أنت ومن معك ولا تتكلموا، فإنه لو دخل عليك أمة الثقلين أو ربيعة ومضر، فإنهم لا يرونك، ولا يؤذونك ويخفيك الله تعالى عنهم وقد جرب ذلك مراراً عديدة والله على كل شيء قدير.

ومن خواصها أنك إذا دخلت على جبار أو حاكم جائر وقرأتها عند دخولك، وقلت بعدها: يا حي يا قيوم يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، اسألك بحق هذه الآية الكريمة وما فيها من الأسماء العظيمة، أن تلجم فاه عني وتخرس لسانه حتى لا ينطق

إلا بخير أو يصمت خيرك يا هذا بين يديك وشرك تحت قدميك، ثم تدخل عليك فإن الله تعالى يلجم فاه عنك، ولا يحصل لك منه ضرر بإذن الله تعالى، ومن خواصها أنك إذا كنت خائفاً من أحد ضرراً فصل بعد المغرب ركعتين بالفاتحة، وآية الكرسي، فإذا كان آخر سجدة تقرأ آية الكرسي، وأنت ساجد ثلاث مرات، فإذا وصلت إلى قوله: ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم تكرره ثلاث مرات، وتقول في أثناء قراءتك: اللهم حل بيني وبين فلان ابن فلانة كما حلت بين السماء والأرض، والجم فاه عني كما ألجمت السباع عن دانيال عليه السلام بحق هذه الأسماء الشريفة، فإنك تأمن شره ويلجم الله تعالى فاه عنك حتى لا يتكلم فيك إلا بخير، ولما كان الكلام على خواص آية الكرسي لا يحصى ولا به في كتاب يستقصى أردت أن أختم الكلام عليها بوفقها المثمن الذي لا قيمة له، ولا ثمن الذي وضعه الإمام البوني وهو من الأوفاق التي لا تساوم بالدوني، وكثيراً ما يطلب في الآفاق، ولا يوجد إلا في قليل من الأوفاق وهذه صفته:

الله لا إله إلا هو	الحي القيوم	لا تأخذه سنة ولا نوم	له ما في السموات	وما في الأرض	من ذا الذي يشفع عنده	إلا بإذنه	يعلم ما بين أيديهم
الحي القيوم	لا تأخذه سنة ولا نوم	له ما في السموات	وما في الأرض	من ذا الذي يشفع عنده	إلا بإذنه	يعلم ما بين أيديهم	وما خلفهم
لا تأخذه سنة ولا نوم	له ما في السموات	وما في الأرض	من ذا الذي يشفع عنده	إلا بإذنه	يعلم ما بين أيديهم	وما خلفهم	ولا يحيطون بشيء من علمه
له ما في السموات	وما في الأرض	من ذا الذي يشفع عنده	إلا بإذنه	يعلم ما بين أيديهم	وما خلفهم	ولا يحيطون بشيء من علمه	إلا بما شاء وسع كرسيه
وما في الأرض	من ذا الذي يشفع عنده	إلا بإذنه	يعلم ما بين أيديهم	وما خلفهم	ولا يحيطون بشيء من علمه	إلا بما شاء وسع كرسيه	السموات والأرض
من ذا الذي يشفع عنده	إلا بإذنه	يعلم ما بين أيديهم	وما خلفهم	ولا يحيطون بشيء من علمه	إلا بما شاء وسع كرسيه	السموات والأرض	ولا يؤده حفظهما
إلا بإذنه	يعلم ما بين أيديهم	وما خلفهم	ولا يحيطون بشيء من علمه	إلا بما شاء وسع كرسيه	السموات والأرض	ولا يؤده حفظهما	وهو العلي
يعلم ما بين أيديهم	وما خلفهم	ولا يحيطون بشيء من علمه	إلا بما شاء وسع كرسيه	السموات والأرض	ولا يؤوده حفظهما	وهو العلي	العظيم

اعلم أن هذا الشكل الشافي، والرسم الكافي يدل على الأمراء والملوك والرؤساء، ويعطي حامله ما في قوته من العزة والهيبة، والسعادة، والعلوم، والرفعة، والسيادة وبه تنزل البركات، وترفع العاهات، وتقضي الحاجات، وفيه أسرار لأهل البدايات، وأنوار لأصحاب النهايات، وهو يدل على الدين، وصدق الإنابة والتوفيق، والقوة والصيانة، والنصر والغلبة، والطاعة والعطف والمحبة، والحفظ، والكفاية، والوقاية، والأمن به، والسلامة والكلاءة، والتمليك على الأمصار والجهات، والأقطار، والملك والسلطنة والوزارة والرزق، والسعة والإمارة، والبسط والسرور، والفهم والغبطة والحبور، والزيادة في المال والجاه، والأهل والولدان والحياة الطيبة، وحسن الحال وحفظ الخدام، والأولاد من الفساد، والاطلاع على لطائف العلوم، ودقائق الفهوم، والنطق بالغرائب والحكمة والتكليم بالحقائق، والمعرفة لأن طبعه الزيادة في كل خير، ودفع الأمراض والأسقام والأوجاع، والآلام، وكل هذا لمن كتبه، ونوى به شيئاً مما ذكر سواء علق أو شرب، ويكتب للاختفاء عن أعين الناس، ومن حمله ودخل الحرب حفظ، ونصر، ومن علقه كل من نظره أحبه، ومن جعله في مكان كثرت فيه الخيرات وصرفت عنه العاهات، ومن علقه على مصروع أفاق لوقته، ومن وضعه في ماء وسقى منه مربوطاً انحل سريعاً لوقته، وإن شرب منه محموم شفي لوقته بإذن الله، وينفع لدفع اللص والسارق، والمرجف، والطارق، والحية والعقرب، والسبع وجميع الهوام، وكل ما يخرج من الأرض، وما ينزل من السماء، وهو حجاب عظيم وسر كريم، ومن عرف قدره استغنى به عن كثير من الموضوعات إلا أنه ينبغي أن لا يحمل إلا على طهارة إن أمكنت، ولو ترابية، وأما حمله على غير طهارة فإنه يخاف على حامله من مصيبة، أما في ظاهره وأما في باطنه مع أن الأعمال بالنيات، ومطلق القرآن يحمل أكثر من نحس الإنسان فعليك بشربه وتعليقه للقريب والبعيد، وأنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

(فائدة): من قرأ هذه الآيات الأربع بعد كل صلاة رزقه الله العافية، ووسع رزقه، ودخل داراً من ديار الجنة، لا يعلمها إلا الله، وهي هذه، ولله المشرق، والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم، مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم، الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم، وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم، ومن قرأ سورة البقرة إلى، وإذا سألك عبادي عني فإني قريب، وسأل الله تعالى لأي حاجة قضيت كائنة ما كانت.

وقال لي شيخنا رضي الله عنه وأرضاه: أن لفظة قريب يستجاب عندها الدعاء في ثلاثة

مواضع من القرآن، الأولى، هي التي تقدمت، والثانية في سورة هود قريب مجيب، قالوا: يا صالح، والثالثة في سورة فاطر سميع قريب ولو ترى إذ فزعوا، قوله تعالى: ﴿آمن الرسول إلى آخر السورة﴾، خاصيتها تحقيق حسن يقين النفس وبلوغ الآمال، وفي الحديث من قرأ الآيتين في آخر سورة البقرة كفتاه أي عن قيام الليل، أو عن حساب يوم القيامة، وهو حجة على من استكره أن يقول: سورة البقرة، وينبغي أن يقال: السورة التي تذكر فيها البقرة، كما قال ﷺ: «السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن»، وقد تقدم هذا الحديث.

وروي أنه لما أسرى برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها، فيقبض منها، قال: إذ يغشي السدرة ما يغشي، وقال: فراش من ذهب، قال فأعطى رسول الله ﷺ، ثلاثاً أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لا يشرك بالله شيئاً من أمته، قال ﷺ في خبر المعراج: «قربني الله وأدناني إلى سند العرش، ثم ألهمني الله أن قلت: آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله كما فرقت اليهود والنصارى قال: فما قالوا؟ قلت: قالوا: سمعنا وعصينا، والمؤمنون قالوا: سمعنا وأطعنا، فقال: صدقت فسل تعط»، فقلت: «ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أن أخطأنا، قال: قد رفعت عنك وعن أمتك الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه، فقلت: ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، قال: قد فعلت، قلت واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين، قال: قد فعلت»[1]، وعنه ﷺ: «أنزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفي عام من قرأهما بعد العشاء الأخيرة أجزأتاه عن قيام الليل»[2]، وكان بعض الصالحين يستعمل اثنتي عشرة ركعة بآخر البقرة بعد المغرب، وبعد طلوع الشمس، ويقول: إن في ذلك من الخير ما لا يوصف، وكان بعضهم يجعل ذلك الركوع ركعتين في كل ركعة ست مرات.

(تتمة) كان شيخنا رضي الله عنه وأرضاه، إذا أتى منزله بعد العشاء قرأ قل هو الله أحد ثلاثاً، وآية الكرسي مرة، وآخر البقرة من قوله: لله ما في السموات وما في الأرض ثلاثاً، وقل ادعوا الله الخ ثلاثاً، ثم يقرأ دعاء يا حافظاً لا ينسى ثلاثاً، ويقرأ دعاء حسبي الله من كل شيء ثلاثاً، ويقرأ الفاتحة مرة، وسورة القارعة مرة، ودعاء يا حافظاً لا ينسى هو قوله: يا

---

(١) أخرجه ابن ماجه (طلاق، ١٦).

(٢) أخرجه الترمذي (ثواب القرآن، ٤).

حافظاً لا ينسى ويا من ذكره لا ينسى ويا من نعمه لا تحصى ويا من بيده ملكوت الأرض والسماء يا قريب يا مجيب يا محيط يا الله يا أرحم الراحمين يا مجيب دعوة المضطرين يا كاشف السوء عن المكروبين يا رحمن الدنيا والآخرة يا رحيمهما اغفر لنا ذنوبنا، واكشف عنا همنا وغمنا، وكربنا يا أرحم الراحمين ثلاثاً، واضرب علينا سرادقات حفظك وحياطتك، واحفظنا بما حفظت به الذكر إنك قلت وقولك الحق إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون، وهذا الدعاء فيه من الفضل ما لا يحصى.

(وقد قال لي) رضي الله عنه: أنه يقرأ على كل ما يخاف عليه، ودعاء حسبي الله من كل شيء هو قوله: حسبي الله من كل شيء الله يغلب كل شيء ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم الله أعلى وأعز وأكبر مما أخاف، وأحذر يا حافظ يا سلام يا مانع يا دافع يا محيط اهـ، وهذا أيضاً له من الفضل ما لا يوصف، ولا ينبغي لمن وجد هذا من أهل النهايات والبدايات أن يتركه بالتمام، ومن رأى أنه قرأ سورة البقرة في المنام فإنه ميراث تكون معه خصومة.

(**سورة آل عمران مدنية**) خاصيتها إن كتبت بزعفران، وعلقت على امرأة تريد الحمل تحمل بإذن الله، ومن قرأ هذه الآية في أذن الدابة إذا رام رياضتها أفغير دين الله تبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه ترجعون فإن الله يهديها ويصلح حالها.

(وقال لي شيخنا) رضي الله عنه وأرضاه: أن من تلاها سبعاً بأثر الشارد سهل أخذه، ومن تلاها سبعاً في وجه من تريد تسخيره أذله الله لك، وانقاد لما تحبه منه، ومن تلاها على دابة يريدها أن تروم ولد غيرها رامته، ومن استدامها سبعاً مساءً وصباحاً بنية تسخير العالم سخره الله له، وإذا دخلت على الحاكم أو الملك الغضبان، وأنت خائف منه، تقول: أطفأت غضبك بلا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل فإنك لا ترى منه إلا خيراً، ومن خصائصها أنها تعلق على المعصر فييسر الله عليه، ومن قرأ هذه الآية عند لقاء العدو فإن الله يظفره وينصره على العدو، وهي الذين قال لهم الناس: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا، وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله، والله ذو فضل عظيم، قال: وإن كانوا عدد الرمل.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين، وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، وفاتحة سورة آل عمران، الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم» وعن أبي أظنه يرفعه، قال: «إن اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى في ثلاثة: في البقرة وآل عمران وطه».

قال الداودي: فالتمستها، فوجدتها في البقرة الله لا إله إلا هو الحي القيوم، وفي آل عمران ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم، (قوله تعالى): ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب إلى الميعاد﴾ [آل عمران: ٧]، خاصيتها لزوال البلادة، وزيادة الحفظ والفطنة، من كتبها في الساعة السادسة من يوم الجمعة بزعفران وماء ورد إن أمكن، ومحاها بماء نهر، وشربه سبع جمع متواليات وتحفظ في ذلك من أكل ما فيه دسم نال من ذلك ما يريد.

قوله تعالى: ﴿قل اللهم مالك الملك إلى بغير حساب﴾ [آل عمران: ٢٧] من دام على تلاوتها بعد الفرائض والنوافل، وعند قيامه من مضجعه نال الرزق والسعة، وأثمر ما بيده، وزال فقره، (قوله): قل إن الفضل بيد الله إلى العظيم لجلب الرزق، ولمن يريد أن يخطب امرأة يكتبها ويعلقها، ومن تلاها مائة مرة بعد صبح يوم الجمعة كثر خيره إلى الجمعة الأخرى، وصاحب الخطبة إن علقها ينصر ويجاب إلى الخطبة، (قوله تعالى): ﴿وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير إلى المحسنين﴾ [آل عمران: ١٤٦]، خاصيتها لزوال الهم والغم والحزن وسلوة لمن أضربه العشق، ويسكن بها قلب من أصيب في ماله أو ولده أو أهله تكتب قبل طلوع الشمس يوم الأحد في إناء طاهر نظيف، ويغسل بماء عذب طاهراً، ويشرب منه ثلاثة أيام متواليات يزول عنه ذلك.

(قوله تعالى): ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله إلى المؤمنين﴾ [آل عمران: ١٦٩]، خاصة هذه الآية تقوي القلب، وتفتحه لقبول العلم، وفعل الخير، من كتبها أول يوم من فصل الربيع بزعفران، ومحاها بماء طاهر من شرب من ذلك الماء أعانه الله على الخير، والإقامة إلى الصلوات في أول أوقاتها، ومن كثر من شرب محوها في غير ذلك اليوم نال ذلك.

(قوله تعالى): ﴿ولله ملك السموات والأرض والله على كل شيء قدير، إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لألي الألباب إلى الميعاد﴾ [آل عمران: ١٨٩ ـ ١٩٠]، من أدمن على قراءتها ثبت إيمانه، وطهر قلبه، وأمن من خزي الله في الدنيا والآخرة، وإذا كتبت في إناء من خشب طاهر، ومحيت بماء زمزم إن أمكن، وشربها الرجل الذي يقوم لصلاة الليل قام كل ليلة في الوقت الذي يريد من غير غلبة نوم، (قوله تعالى): ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، تمنع الآبق والمرأة الناشزة تكتب على قرصة خبز شعير يطعم لهما، فإنه يمنعهما من ذلك بإذن الله، ومن قرأها في نومه فسأل الله تعالى يرزقه ولداً صالحاً يستجاب له إن شاء الله.

(سورة النساء مدنية) خاصيتها تكتب، وتجعل في المنزل أربعين يوماً ثم تخرج إلى

خارج الدار فلا يسكنها غير أهلها، ومن خصائصها يشربها الخائف بماء المطر فيأمن بإذن الله، ومن قرأها في نومه يدل على صلاح الأحوال، وبلوغ الآمال، وربما يرث مالاً، ودعوة تستجاب له ورزقاً وبركة.

(**سورة المائدة**): منها ما نزل بالمدينة، ومنها ما نزل بمكة، خاصيتها من كتبها، وجعلها في ربعه أي داره أو صندوقه، أمن بإذن الله من السرقة، ومن خصائصها إذا شربها العطشان روي، ولا يضره عدم الماء بإذن الله، ومن قرأها في نومه فإنه يستجاب له، ويكون له بركة ورزق ينزل.

(**سورة الأنعام مكية**) إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة خاصيتها من كتبها بزعفران، وشربها ستة أيام أمن بإذن الله من الأوجاع والطحال، ومن قرأها في ركعتين من الصلاة، وسأل معافاة سوء عوفي منه بحول الله، (وعن عبد الله بن مسعود) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «من صلى الفجر مع الإمام في جماعة، وقعد في مصلاه، وقرأ ثلاث آيات من سورة الأنعام، وكل الله به سبعين ملكاً يسبحون الله ويستغفرون له إلى يوم القيامة، وبعث الله ملكاً من السماء وبيده مقمعة من حديد كلما أراد الشيطان أن يوحي إليه شيئاً من الوسوسة ضرب رأسه، وجعل بينه وبين الأسباب سبعين حجاباً، ويقول الله يوم القيامة إلى عبدي أنت عبدي وأنا ربك مش في ظلي، وكل من فاكهة جنتي واشرب من الكوثر، والرحيق والسلسبيل قد أمنت لا عذاب عليك ولا فزع»[1].

(وعن النبي) ﷺ أنه قال: «من قرأ سورة الأنعام ولم يقطعها بكلام غفر له ما أسلف من عمل لأنها نزلت جملة، ومعها موكب من الملائكة فسد ما بين الخافقين والأرض بهم ترتج»، ومن قرأ من هذه السورة الكريمة أو كتبها، وجعلها تحت عمامته قوله تعالى: ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾، كذلك زين فإنه يرزق القبول من العالم حتى لا يكاد يجتمع على بغضه شخصان، وتكتب أيضاً، وتجعل في الموضع الذي فيه الحنش فلا يخرج أصلاً، ويقرأ منها في أذن من تريد، اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو، وأعرض عن المشركين، (قوله تعالى): ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض إلى يعدلون﴾ [الأنعام: ١]، من قرأها على من يريد، ومسح بدنه سبع مرات أمن من جميع الأوجاع، (قوله تعالى) ﴿وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم﴾ [الأنعام: ١٣]، خاصيتها لتسكين الغضب والغيظ والشك، وتقرأ لجميع الأوجاع.

(قوله تعالى): ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو

---

(١) أخرجه ابن ماجه (مناسك، ٣٢).

على كل شيء قدير وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾ [الأنعام: ١٧]. خاصيتها إذا كتبت وقت السحر في قرطاس، وعلقت على من به وجع الجنب يبرأ بإذن الله، وهي أيضاً لمن كثر همه وغمه، وضاق صدره علم لذلك سبباً أو لم يعلم، فليقرأها عند مضجعه سبع مرات، وينام فإنه يستيقظ، وقد زال ذلك عنه.

(قوله تعالى): ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ [الأنعام: ٥٩]، من كتبها في خرقة كتان ووضعها تحت رأسه، وسأل الله أن يريه ما اشتبه عليه رآه، ومن كتبها وهو على طهارة، ثم علقها على عضده لم يبق أحد إلا حدثه بحديث غريب.

(قوله تعالى): ﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر إلى تشكرون﴾ [الأنعام: ٦٣]، خاصية هذه الآية إذا هاج البحر، وأنت راكب تكتبها في قرطاس، وترميه في البحر فيسكن بإذن الله.

(قوله تعالى): ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء إلى يؤمنون﴾ [الأنعام: ٩٩]، خاصيتها من كتبها في قطعة خباء نخلة يوم الجمعة في أي ساعة شاء، ثم ألقاها في بير يسقى به النخل، فإنه يبارك في ثمرها، ويزيد في طيبها، ويطرد عنه شر الإنس والجن، وجميع الآفات، وتنجب كل ثمرة شربت من هذا الماء، (قوله تعالى): ﴿وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات إلى يؤمنون﴾ [الأنعام: ١٤١]، خاصيتها لنمو الأشجار والثمار من أراد ذلك، فليكتبها في لوح من خشب الزيتون إن أمكن، وليجعلها في عتبة باب بستانه الفوقانية، ويكتب للحيوان في جلد كبش مذبوح، ويجعل في عنق الحيوان يظهر فيه النماء، ويسلم من الآفات.

(قوله تعالى): ﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم إلى العالمين﴾ [الأنعام: ١٦١]، من أكثر من ذكر هذه الآية أمن الله روعته، وهداه إلى سواء السبيل، وصرف عنه كل كيد للظالمين، ومن كتبها في قدح الأثل إن أمكن وسقى بها صاحب وجع الكبد أو الطحال، أو وجع القلب، فإنه يبرأ بإذن الله، وإذا كتبت ونقشت في لوح فضة ونقع في الماء، وغسل به صاحب الرمد وجهه زال الرمد، وبقيت منفعته أمد الدهر، ومن قرأ سورة الأنعام في نومه، فهي بركة من قبل الخيل والإبل والبقر والغنم.

(**سورة الأعراف مكية**): خاصيتها من قرأها كثر خيره وظهر بره وشاع في الناس حمده، وشكره، ومن كتبها بزعفران وعلقها عليه أمن بإذن الله من السباع، ومن كيد الشياطين، ومن العين، ومن وجع الأسنان والفؤاد، ولم يزل محروساً من لسع العقارب

والحيات، (قوله تعالى): ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ [الأعراف: ٢٠١] تكتب كل كلمة منها في قطعة من كبد شاة، وتشوي على النار، ويأكلها صاحب العشي، فإنه يزيله، وقد جرب ذلك، ومن خاف من عدو أو ظالم، وقرأ إن ربكم إلى المحسنين، فإن الله يحجبه عنه، ويدفع عنه ضره ومكره، وإذا قرأها من يعرض له الجن فلا يقدر أن يصيبه منه مكروه، وقد ورد ذلك في الحديث، ومن كتبها بزعفران وعلقها عليه أمن من السباع، ومن كيد الناس، ومن العين، ومن وجع الفؤاد، ولم يزل في حفظ الله، وأمن من لدغ الحيات.

(قوله تعالى): ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد إلى يعلمون﴾ [الأعراف: ٣١] تنفع من لدغ الهوام، والسموم القاتلة، والعين، والسحر تكتب بماء العنب والزعفران إن أمكنا، ويمحي ذلك بماء، فإن استحم بذلك الماء شخص زال عنه السحر والعين، ومن شرب منه أو جعله في طعامه أمن من كل آفة وعاهة.

(قوله تعالى): ﴿أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون إلى الخاسرون﴾ [الأعراف: ٩٧] خاصيتها لطرد الحيات والعقارب والأفاعي والحشرات من البيوت، والدواب المؤذية من المنزل، من كتب ذلك أول يوم من المحرم قبل طلوع الفجر، وغسل ذلك القرطاس بماء، ورشه في زوايا البيت هرب كل ما فيه من الحيات، ولم يبق فيه مؤذ، ومن قرأ سورة الأعراف في نومه بلغ أمله في عدوه.

(**سورة الأنفال مدنية**) خاصيتها من علقها عليه لا يقصد حاكماً إلا قضى حاجته بإذن الله، ومن قرأها في نومه، فإنه ينال مالاً من غنيمة.

(**سورة التوبة مدنية**) خاصيتها من كانت عنده أمن بإذن الله من اللصوص، ومن قرأ هذه الآية الكريمة لقد جاءكم الخ لم يخف الجن، ولم تعرض له ما دام يقرأها، وقد وقع للناس في ذلك حكايات عجيبة، وعن أبي الدرداء، قال: من قال كل يوم سبع مرات حسبي الله إلى العظيم كفاه الله ما أهمه من أمر آخرته، ودنياه صادقاً كان أو كاذباً، وفي كتاب الليث بن سعد عن أبي معشر أن رجلاً انكسرت فخذه فأتاه آت، فقال له: ضع يدك حيث تجد، واقرأ: فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت، وهو رب العرش فقرأها فصحت فخذه.

(قلت): ومما تفضل الله به عليّ من هذا المعنى أني كنت مسافراً ومعي تلميذ من أحسن التلاميذ للسفر، فكان من قدر الله أن ضربته ناقة على الفخذ، فانكسرت الفخذ كسراً شديداً، وبقي صاحبها جالساً لا قدرة له على غير ذلك فأتاني بعض التلاميذ يعدو، ويقول: يا فلان إن فلاناً انكسر بأعلى صوته، وهو كان في آخر الرفقة فرجعنا إليه، فإذا به كلا شيء،

والفخذ لا شيء فأخذتها بيدي فإذا عظامها تحت اليدين كأنها قطع متفرقة، فأمسكتها بيدي، وعزمت بقلبي أن الله يجمعها، ويجبر كسرها، وتلوت اسمه الجبار مراراً وقلت بيتاً من تأليف شيخنا النور الساطع، وهو قوله:

وكسـر يـا جبـار جبـره بلـى ومتكبـر وغـالـب علـى أمـوره

فما لبث إلا يسيراً، وإذا أنا حسست بالعظام التأمت تحت يدي، فقلت له: لا بأس عليك، ولا نسير من هذا الموضع إلا وأنت سائر على قدميك إن شاء الله، فقال لي بعض الحاضرين: يا فلان هذا لا يصح دعنا نحمل المريد على بعض الزوائل، ونسير، فقلت له: لا وكلا، ولكن الله يشفيه الآن، ويقوم الآن بحوله وقوته، وقلت له: قم قم يا فلان، فقام ولله الحمد في ذلك الوقت سائراً كأن لم يكن به ألم فللّه الحمد على ما أولانا مما لا أستحقه لذاتي، ولا لواجب صفاتي، فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم خاصيتها لعطف قلوب المعرضين على من أعرضوا عنه، وتمنع من كيد الكائدين من قرأها ليلة الجمعة نصف الليل ثلاثين مرة، وقال في كل مرة: أنت حسبي على فلان بن فلانة، فإنه يعطف عليه ويميل إليه، ومن قرأها مساء وصباحاً حفظت ماشيته من السباع، وبورك فيها وكفى ما أهمه من أمر دنياه وآخرته صادقاً كان أو كاذباً، ومن قرأ التوبة في منامه وجبت له التوبة الخالصة.

(سورة يونس مكية): خاصيتها تكتب في طست من نحاس أحمر بماء يخطف أي يؤخذ بسرعة من الراكد، ويعجن به دقيق على اسم المتهم بالسرقة، ويكسر كسراً فإن السارق لا يستطيع أكلها بإذن الله، وهو سر عجيب، وتكتب لمن سحر، قوله تعالى: ﴿وقال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين﴾ [يونس: ٨١]، فإنه يدفع عنه ذلك، ويكتب منها للوجع قل: الله أذن لكم أم على الله تفترون، ويلعقها بالعسل فيبرأ بإذن الله، وتقرأ هذه الآية أيضاً في أذن المصروع فيفيق بإذن الله، ويذهب عنه ما يجد من ألم الجن، ومن قرأها في نومه خرج من ضيق إلى سعة فار كان محبوساً أطلق بإذن الله.

(سورة هود مكية): خاصيتها من كتبها وعلقها عليه لم يتجاسر عليه أحد، ولا يكلمه أحد إلا بما يوافقه، ولو قابله الجن ما فزع منهم، ويكتب منها لمن رعب قوله تعالى: ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك﴾ [هود: ٤٤] إلى آخر الآية﴾ ومن ركب البحر، وقرأ قوله تعالى: ﴿وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها إلى رحيم﴾ [هود: ٤١] فإنه يأمن في سفره ذلك، ويسلم، ومن نقشها في لوح من خشب، ودفنه في داخل السفينة كان حرزاً لها، (قوله تعالى): ﴿إني توكلت على الله إلى حفيظ﴾ [هود ٥٦]، خاصيتها من خاف أسداً أو

إنساناً ظالماً أو سلطاناً أو شيئاً يتخوفه، فليكثر من قراءتها عند دخوله في فراشه، وعند النوم واليقظة، وعند الصباح، وبعد الصلاة، فإنه يأمن مما يخاف، ومن علقها على الصبي فإنه يأمن من الآفات، ومن قرأها في منامه فهي بشارة وصلاح في ماله ودينه.

(**سورة يوسف مكية**): خاصيتها من كتبها على عضده، وأكثر من قراءتها جعله السلطان في موضع مقرب منه، ومن كتبها وشربها سهل عليه الرزق، وكان له الحظ الأوفر من الخير، ومن أكثر من قراءة هذه الآية عند طلب الحاجة فإنها تقضى، وهي ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها، ومن قرأها في نومه فهي بشارة بخير وعز وفرح بعد ضيق بإذن الله.

(**سورة الرعد مكية**): وخاصيتها تكتب، ويرش بها الموضع الذي كثر فيه الفساد، فلا يعود إليه أهل الفساد، (قوله تعالى) ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية إلى وبئس المهاد﴾ [الرعد: ١٧] من أراد أن يتعلم الصنعة الكبرى، فليقرأ هذه الآية أربعين ليلة مائة مرة، وليقل عند نومه: يا مظهر العجائب ومعلم ومغني البائس الفقير ومذلل الجبارين بمشيئته، وهو على كل شيء قدير أطلعني على ما تنعقد عليه ضميري، فإنه يأتيه آت في نومه أو يقظته ويرشده إلى ما يريد، ومن قرأها في نومه أمن بإذن الله من كل خوف ومكروه.

(**سورة إبراهيم مكية**): وبعضها نزل بالمدينة خاصيتها من كتبها على خرقة بيضاء، وعلقها على عضد طفل ارتفع من فمه البصاق أن كثر فيه، ويرتفع عنه الفزع والعين، ويسهل فطامه بإذن الله، وإذا كتبت للمرأة المرضعة كثر لبنها، ومن قرأ من هذه السورة الكريمة: ﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ [إبراهيم: ٢٦]، على الدمل عند ظهوره فإنه لا يتم خروجه، ويبرأ بإذن الله ولعسر النفاس يتجرعه، ولا يكاد يسيغه، ويأتيه الموت من كل مكان، وما هو بميت فتلد لحينها بإذن الله.

(قوله تعالى): ﴿الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد﴾ [إبراهيم: ١] هذه الآية تعين الداعي على صلاح شأنه، والمعلم على فهم من يعلمه، وخص بها فصاحة الأطفال، فأما الذي له رعية وأراد طاعته وإرشاده فإنه يقرأ هذه الآية عند الحاجة إليها على ماء قراح أي خالص من شيء يخالطه أربعين مرة، ثم يرش في مجلسه الذي يجلس فيه، ولا يرش في الأرض منه شيئاً حتى الحيطان فإنه يرى من الطاعة العجب، ولا يفعله إلا بيده.

وأما من أراد فهم ما يعلمه يقرأ الآية على ماء قراح، ويصنع به طعاماً مرة في كل أسبوع في يوم الأربعاء، فإنه يرى من فصاحتهم عجباً ويفهمون.

وأما من يريد فصاحة الأطفال فيقرأها على ماء قراح، ويذيب به سكراً في إناء جديد

ويسقيه الأطفال الذين لم يتفصحوا سبعة أيام على الريق، وعلى أغذيتهم كذلك فإنهم يتفصحون، (قوله تعالى): ﴿الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾ [البقرة: ٢٢]، هذه الآية للسلامة في البر والبحر والمال والأهل والأولاد والزرع والدواب، وكل ما يتقلب الإنسان فيه، وللسلامة من آفات الليل والنهار، لمن داوم على قراءتها عند كل صباح ومساء وعند النوم وعند دخوله على أهله وماله، فإنه يكفي كل ما يخافه ويرى البركة والسعاة، ومن قرأها في نومه، فهو بريء من الهم تفاؤلاً باسمه.

(**سورة الحجر مكية**): خاصيتها من كتبها وسقاها امرأة كثر لبنها بإذن الله، وهو سر عجيب، ومن قرأها في نومه يرجع عن المعاصي.

(**سورة النحل مكية**): إلا ثلاث آيات منها، خاصيتها من كتبها وعلقها في بستان أو ضيعة يأمن عليها من فساد لما في السورة من الوعيد، ومن كتبها وجعلها في دار ظالم انتقم الله منه في تلك السنة، ويقرأ من يخاف العدو أو من يستهزىء به أولئك الذين طبع الله على قلوبهم إلى الغافلون، وإذا قرأت القرآن إلى نفورا، ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه إلى أبدانهن، والقرآن إلى يبصرون أفرأيت من اتخذ إلهه هواه إلى تذكرون، فإنه يكفي شر ما يخافه، ومن قرأها في نومه رزقه الله خيراً ورزقاً كثيراً إن شاء الله.

(**سورة الإسراء مكية**): خاصيتها تكتب في خرقة بيضاء، ويخاط عليها، ويحملها الرامي عليه فإنه لا يكاد يخطيء بإذن الله، ومن كتبها بزعفران وسقاها لصبي عسر عليه الكلام، فإنه ينطق بإذن الله، ومن قرأ منها عند الكرب، وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً إلى آخر السورة ذهب عنه الكرب، وقال ﷺ: «ما أكربني أمر إلا مثل لي جبريل، وقال: قل توكلت على الحي الذي لا يموت، وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً»[١] الآية، ويكتب منها للراغب أو من جرى دمه قوله تعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين إلى خسارا﴾ [الإسراء: ٨٢] ووجدت في بعض ما يوثق به من الكتب أن بعض الصالحين كان يكتب هذه الآية لكل مرض ويشفيه الله بفضله أعني وتنزل إلى المؤمنين، ومن قرأها في نومه وله ولد عاق يعود باراً ويصلح حاله بإذن الله تعالى.

(**سورة الكهف مكية**): خاصيتها ما روي عن النبي ﷺ، أنه قال: «من حفظ آية من

---

(١) أخرجه البخاري (تفسير سورة، ٤، ٨)، ومسلم (إيمان، ٣٠٢)، والترمذي (دعوات، ٦٢).

سورة الكهف عصم من فتنةالدجال»[1]، ومن كتب منها في قطعة فخار أحمر قوله تعالى: ﴿ولبثوا في كهفهم إلى تسعا وجعله الطعام﴾ [الكهف: ٢٥] فإنه لا يستأس، ويعصمه الله من الفساد، ومن كتبها، وجعلها في إناء زجاج ضيق الفم وجعله في منزله أو منزل غيره يأمن بحول الله من الفقر، ومن إذاية الناس هو وأهله، ولم يحتج لأحد أبداً، ومن كتبها وجعلها في مخزن الحبوب من القمح وغيره يأمن عليه من السوس وغيره من كل ما يؤذيه.

(وفي الحديث الصحيح) من قرأها إثر صلاة العصر من يوم الجمعة كانت له أماناً وحفظاً إلى الجمعة الأخرى، ووجدت في بعض الكتب أن من قرأها بعد صلاة الصبح يوم الجمعة لم يكتب عليه ذنب إلى الجمعة الأخرى، ويزاد بثلاثة أيام، ومن أراد القبول عند الناس فليكتب من هذه السورة الكريمة قوله تعالى: ﴿كما أنزلناه من السماء إلى الرياح﴾ [يونس: ٣٤] ومن سورة الحديد هو الأول والآخر إلى عليم، ومن سورة غافر يوم الأزفة إذ القلوب إلى يطاع، ومن سورة كورت علمت نفس ما أحضرت إلى الكنس، ومن سورة ص إلى شقاق، ويجعلها في عمامته أو تكتب، وتعلق على الصدر، فإن حاملها ينال القبول والبر والتعظيم الموصول، ويبلغ فيما يريد أقصى المأمول، ومن علقها واستقبل من شاء، وقال: كهيعص حمعسق وعنت الوجوه للحي القيوم، فإنه يلقي منه بلوغ ما يريد، وحامل هذه الآيات لم يخف من شيطان، ولا من ذي منعة من سلطان، وقد جرب ذلك فظهر منه العجب العجاب، وهذه الآيات الكرائم يقرأ من أولها كهيعص، ومن آخرها حمعسق، وهذا سر عجيب ويكتب للصبي الذي لا ينام، وتحسبهم أيقاظاً، وهم رقود، وقوله تعالى: ﴿فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا﴾ [الكهف: ١١] فإنه يجد النوم أو الراحة إثر ذلك بإذن الله، من كتب فمن كان يرجو لقاء ربه إلى آخر السورة في شقف فخار غير مطبوخ، وجعله في أصل الشجرة التي لا تحمل فإنها تحمل حملاً حسناً.

(قوله تعالى): ﴿وأما الجدار فكان لغلامين إلى صبرا﴾ [الكهف: ٨٢] هذا الآية للعثور على ما أخفاه الإنسان وخفي عليه أمره من الكنوز وغيرها، فمن أراد ذلك فليكتب الآية في قطعة ذهب قديم، ثم يقول الآية ثلاث عشرة مرة، ويجعلها تحت وسادته، وينام على جنبه الأيسر، ثم ينقلب على الأيمن، ويقول: يا مظهر العجائب يا صانع الغرائب يا دليل كل حائر ارشدني بفضلك على ما أطلبه، فإنه رآه في منامه، ومن قال: حين يدخل منزله ما شاء الله لا قوة إلا بالله يبسط الله الرزق عليه وعلى آله، (وقال لي شيخنا) رضي الله عنه وأرضاه، أن من وقف في حيوانه، وقالها خمسة وأربعين نما وكثر، ولم تضره عين

---

(١) أخرجه مسلم (مسافرين، ٢٥٧)، وأبو داود (ملاحم، ١٤)، والترمذي (ثواب القرآن ٦)، وأحمد ابن حنبل (٥، ١٣، ١٩٦، ٦، ٤٤٦، ٤٤٩).

معيان، ومن طلب حاجة عسرت عليه، ولم يصل إليها فليقل: لا قوة إلا بالله ييسرها عليه، ويقضيها له نقل ذلك ابن بشكوال في كتاب المستغيثين بالله، ومن قرأ قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس﴾ [الكهف: ١٠٧]، إلى آخر السورة، وأراد أن يستيقظ في أي وقت شاء من الليل، فإنه ينتبه فيه بإذن الله تجربة صحيحة، وإن أحب أن يقول: اللهم أيقظني في وقت كذا، وكذا فإن روحي بيدك، وأنت تتوفى الأنفس حين موتها، والتي لم تمت في منامها حتى أذكرك فتذكرني وأستغفرك فتغفر لي إنك تفعل ما تريد، وتكتبها أيضاً بإصبعك على فخذك الأيمن للاحتلام إلى حولاً حولاً حولاً، وتكتبها أيضاً في القضيب للخنزير، ونجعله في موضع أضرفيه الخنزير، فإنه يذهب بحول الله، ومن قرأها في نومه، وكان خائفاً من عدو، فإنه يأمن بإذن الله بعد ذلك.

(**سورة مريم مكية**): خاصيتها من كتبها وجعلها في إناء زجاج نظيف يكثر خير بيته، ورزقه وتمنع الحائط من الطوارق، ومن كتبها وشربها يأمن بإذن الله من كل شيء، ومن خاصيتها أن تقول: الأحرف على اصبعك الخمس، وتشير بها إلى من يريد ظلمك، والتعدي عليك، فإنه لا يقدر على ذلك وزاد بعض من يوثق به أنه يقرأ على الخمس من اليد الأخرى حمعسق، ويقول: سلام قولاً من رب رحيم، ويدخل على السلطان الغضبان أو على من يخاف ضره، ويشير بيده فإنه يكفي ذلك بإذن الله، (ويروى) أن علياً كرم الله وجهه كان إذا أصابه هم انفرد عن الناس، وأكثر في الاستغانة بهذا الاسم، يقول: كهيعص يكرر ذلك مراراً حتى ينجلي عنه الهم، ومن قرأها في نومه كذب عليه، وهو بريء من ذلك، ويخلصه الله منه، وربما يولد له.

(**سورة طه مكية**): خاصيتها من كتبها وجعلها في خرقة بيضاء، وقصد إلى قوم يريد التزويج منهم كان له ذلك إن شاء الله، وإن قصد الصلح بين قوم لم يخالفوه، وإن مشى بين عسكرين يريد الصلح بينهما، تم له ذلك، ولم يقتتلوا وإذا شربها المطلوب من السلطان أمن بإذن الله، ويكتب قوله تعالى: ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها إلى أمتا لمن رعف ينقطع عنه الدم. ويكتب قوله تعالى: ﴿يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له إلى همساً﴾ [طه: ١٠٨] البكاء لأطفال.

ومن قرأها في نومه فإنه قد غفل وسهى، ولكن يرجى له الإقلاع والانتباه.

(**سورة الأنبياء مكية**): خاصيتها تكتب في رق ظبي للخائف، والمريض، ولمن كثر سهره، فإنه ينام حتى يقلع عنه الكتاب، ومن به الهم وضيق النفس والغم والحزن، فليقرأ هذه الآية لا إله إلا أنت سبحانك أني كنت من الظالمين، فيذهب عنه ما يجد من ذلك، وينال الفرج عاجلاً إن شاء الله، (قوله تعالى): ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون﴾ [الأنبياء: ٩٦] يحمله من أراد الغزو إلى أرض العدو، فيعود غانماً بإذن الله. (وفي الحديث) أن رجلاً، قال يا رسول الله ﷺ، إذا خفت من بلاء أو فتنة ماذا أصنع،

قال عليه السلام: «عليك بدعاء ذي النون» إشارة إلى الآية الكريمة المتقدمة، أعني لا إله إلا أنت الخ (قوله تعالى): ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى إلى توعدون﴾ [الأنبياء: ١٠١] لزوال الحمى والبرد النافض، وجميع الأمراض تكتب في إناء طاهر بمداد، وتمحى بماء بئر لا تراه الشمس، ويشرب منه المريض ثلاث جرعات، ويرش بقيته على وجهه وبدنه، فإن فعل له ذلك ثلاثة أيام زال عنه ما يجد من الألم، ومن كتب ذلك في إناء طاهر ومحاه بدهن ودهن به من له وجع الظهر أو الركبتين زال عنه ذلك، ومن قرأها في نومه ترجى بأن ينصره الله على عدوه.

(**سورة الحج مكية**): إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة خاصيتها من كتبها وجعلها في مركب عدو، تأتيه الريح من كل ناحية حتى يهلك ولم يسلم، ومن قرأها في نومه حج وعاد إلى وطنه بإذن الله.

(**سورة المؤمنون مكية**): خاصيتها من كتبها بالليل في خرقة بيضاء وعلقها على من يشرب الخمر، فإنه يبغضه ما دامت عليه، ولا يشربها، ويقرأ منها على من يتخبطه الشيطان قوله تعالى: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾ [المؤمنون: ١١٥] إلى آخر السورة فإنه يجد لذلك أثراً، (وفي الحديث) ما يدل على صحة ذلك، قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال». ومن قرأها في نومه رجى له الثياب على دينه بفضل الله تعالى، وقد قيل: فوز وصلاح وإيمان صدق.

(**سورة النور مكية**): خاصيتها من كتبها، وجعلها في رداء أو فراش من يكثر احتلامه، فإنه لا يحتلم، وربما كتبها وشربها من يريد أن يقل جماعه، فإنه يكون له ذلك، وذكر بعض الفضلاء أن من ابتلى بمرض العينين، وفتح المصحف، ونظر في هذه السورة، وقرأ الله نور السموات والأرض إلى عليم مغلوق العينين، ثم فتح عينيه بيده، فإنه يبرأ بحول الله وقوته، ويروى أن صاحب الرمد إذا فتح المصحف على وجهه، وأمعن النظر فيه بريء من غير تعيين السورة، ومن كتب من هذه السورة الكريمة قوله تعالى: ﴿أو كظلمات في بحر لجي إلى قوله لم يكد يراها في كاغد أو غيره﴾ [النور: ٤٠] وجعلها في وسط فدانه أو جنانه لم يتعد على ما فيه السباع والخنازير وغيرها من جميع ما يؤذيه، ومن قرأها في نومه فهو يقين ونور في قلب صاحب للرؤيا.

(**سورة الفرقان مكية**): خاصيتها من كتبها وعلقها عليه، وتعرض لمكان فيه ثعبان أو حية أو شيء من الهواء لم يضره بإذن الله، ويروى أن من أصيب بوجع الصدغين، وأكثر من قراءة قوله تعالى: ﴿الم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعل الشمس عليه دليلاً ثم قبضناه الينا قبضاً يسيراً﴾ [الفرقان: ٤٥] الآية، فإن الوجع يذهب عنه بحول الله، وذكر بعض من يوثق به أن من كتب قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى ربك إلى يسيراً في كاغد﴾ [الفرقان: ٤٥] ثم كتب بعدها، أخرج أيها العلقة بألف ألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وعلقها علي حلق من ابتلع العلقة، فإنها تخرج من حينها بإذن الله، وجرب ذلك فصح غير ما مرة، وذكر بعض الفضلاء أن من قرأ السورة كلها على حية بعد أن تدخل

موضعها، فإنها تموت أو تغيب عن ذلك المكان الذي ظهرت فيه أبداً بإذن الله، ومن قرأها في نومه رزق الفهم في التفريق بين الحق والباطل.

(**سورة الشعراء مكية**): خاصيتها من كتبها، وعلقها على ديك أفرق، وأطلقه فإنه لايقف إلا على موضع فيه كنز أو دفينة أو سحر أو شيء مدفون، ومن قرأها في نومه تنزه عن قول القبيح، والكذب وحسنت أحواله وتكلم بالخير.

(**سورة النمل مكية**): خاصيتها من كتبها في رق غزال، وجعلها في موضع فإن المكان لا يقربه حية ولا عقرب ولا حناش، ولا شيء يؤذيه، ومن قرأ منها قوله تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم: لا تعلوا علي وائتوني مسلمين﴾ وجعلها ديدنة وشعاره بحيث لا يفتر عن قراءتها ظفر، ولم يظفر به وغلب. ولم يغلب ومن قرأها في نومه وجد قوة وفهماً، وسيكون له أمر ونهي.

(**سورة القصص مكية**): خاصيتها من كتبها، وجعلها على مملوكه رفعت عنه الزنى والخيانة، وتشرب فتنفع من وجع البطن والأورام، ومن خرج من بلد وقرأ عند خروجه منه إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد، فإنه يعود له بإذن الله، ويروى أن من خرج في سفر، وأخذ عصى لوز إن أمكن وتلا، ولما توجه تلقاء مدين إلى قوله: وكيل أمنه الله تعالى، من كل سبع ضار ولص عاد، وكل ذي سم حتى يرجع إلى أهله، وكان معه سبع وسبعون من المعقبات يستغفرون له حتى يرجع، ومن قرأها في نومه أصواب علماً وفهماً وصواباً في الناس.

(**سورة العنكبوت مكية**): خاصيتها من كتبها وسقاها لمن به حمى الربيع، وجد لها بركة عظيمة وتكثر السرور وتدفع الكسل، ومن قرأها في نومه يرجى له الستر عن أعدائه ويأمن منهم.

(**سورة الروم مكية**): خاصيتها من قرأها كان له أجر عظيم وأدرك ما ضيع في يومه، ومن كتبها وعلقها في إناء زجاج ضيق الفم في منزله كثر خير بيته، وتكتب وتغسل ويرش بها وجه العدو علله الله بعلل، ومن قرأ فسبحان الله حين تمسون إلى تخرجون ثلاث مرات، مساء غفر له وأدرك ما ضيع في يومه ذلك، ومن قرأها ثلاث مرات صباحاً كان كذلك، ومن قرأها في نومه فإن كان له حاجة وإنسان آخر يريدها يكون له الظفر دون صاحبه.

(**سورة لقمان مكية**): خاصيتها من كتبها وسقاها لمن به حمى الربع أمن بإذن الله.

(وقوله تعالى): ﴿يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل إلى خبير﴾ [لقمان: ١٦] إذا خفي عليك شيء من أمر أهلك وعيالك، وأردت أن يظهر لك فاكتب هذه الآية بعد الصلاة الفريضة، أو الناقة وضعها تحت رأسك، وقل عند وضعها سبحان من لا تخفى عليه خافية، سبحان الذي تظهر قدرته، سبحان الذي القلوب بيده، وما تجري بأمره فإنك تخبر بما خفي عليك من أمرهم، ومن قرأها في نومه يرجى له أن يكون حكيماً.

(**سورة السجدة مكية**): خاصيتها من كتبها وعلقها لمن به الحمى أو الشقيقة أو الصداع

نفعته، ومن قرأها في نومه رزقه الله القرب من رحمته.

(**سورة الأحزاب مدنية**): خاصيتها من كتبها في رق غزال وجعلها في منزله كثر الخطاب إليه، وطلب التزويج منه والقرب من أهله وإخوانه، (قوله): ﴿وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم إلى عزيز﴾ [الأحزاب: ٢٥] للعبد الآبق تكتب في كاغد ويعلقها سيده في منزله فلا يزال العبد متحيراً حتى يعود إلى سيده، (قوله): ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي إلى تسليما﴾ [الأحزاب: ٥٦] من حرم النوم وكثر قراءتها فإن الله يدفع عنه ذلك الذي يشتكيه ويعطيه النوم ببركة النبي ﷺ، وبركة هذه الآية، ومن قرأها في نومه فهو كفرعون من حيث لا يدري.

(**سورة سبأ مكية**): خاصيتها من كتبها في قرطاس، وجعلها في خرقة بيضاء، وحملها معه أمن بإذن الله من جميع الهوام، ولم تصبه آفة ما دامت عليه، ومن كتبها لمن به اليرقان وجد لها بركة، ومن قرأها في نومه فإنها نعمة زالت عنه.

(**سورة فاطر مكية**): خاصيتها من كل سارق، وطارق، ومن كتبها، وجعلها في حجر أحد يريد أن يعقده، فإنه لا يخرج من مكانه ما دامت في حجره بشرط أن لا يعلم بوضعها في حجره، ومن أكثر من قراءة ما يفتح الله للناس من رحمة إلى الحكيم وسع الله رزقه، (قوله): ﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة إلى قوله شكورا﴾ [فاطر: ٢٩] خاصيتها للنماء والبركة والنفع وربح التجارة، ومن كتبها في أربع قطع قطن جديدة، جعلها في متاعه فإنه يرى فيه الربح والبركة، ومن قرأها في نومه فهو ظفر له ونصر له على أعدائه.

(**سورة يس مكية**): وتسمى الدافعة والقاضية، لأنها تدفع ويقضي بها كل شيء، وروي أن رجلاً شكا إلى النبي ﷺ، ضرسه، فقال ﷺ: «ضع اصبعك على ضرسك، ثم قل أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة إلى رميم» ففعل فكأنما نشط من عقال، وزال عنه ما كان يجد من الوجع، وخاصيتها من كتبها بماء ورد وزعفران سبع مرات، ويشربها سبعة أيام متواليات كل يوم مرة حفظ كل ما سمع، وغلب كل من يناظره، وعظم في أعين الناس، وفيها للمرضع غذاء وشفاء، ومن كتبها وشربها أدخلت في جوفه ألف دواء وألف يقين وألف رأفة وألف رحمة، ونزع الله من قلبه كل داء وغل، ومن قرأ يس عند المساء لم يزل في فرح حتى يصبح، ومن قرأها عند الصباح لم يزل في فرح حتى يمسي، وقد جرب ذلك وصح، ومن خاف من قوم أن يمكروا به فليقرأ يس إلى قوله: فأغشيناهم فهم لا يبصرون فإنه يأمن من مكرهم.

(وقد خرج أهل السير) أن النبي ﷺ قرأ ذلك، وخرج على القوم الذين تواطئوا على قتله عليه السلام، فحجبه الله عنهم، وجعل التراب على رؤوسهم وانصرف في حفظ الله، ومن كتبها وجعلها معه أمن بإذن الله من الهوام والجن، ومن عيون السوء، ومن عسرت عليه حاجته وقرأها يسرها الله عليه، وخواصها أكثر من أن تحصى، ويكفي فيها ما ورد أنها قلب القرآن، ومن قرأها في نومه نال سروراً ونعمة وعزاً يغبطه فيه الناس.

(**سورة الصافات مكية**): خاصيتها يغتسل الولهان بمائها يسكن ذلك عنه بحول الله،

ويقرأ منها على المحموم والمجنون، (قوله تعالى): ﴿والصافات صفا إلى مارد﴾ [الصافات: ١] فيظهر عليه الخير ويزول عنه ذلك، ومن قرأ من هذه السورة الكريمة، سلام على نوح في العالمين، في موضع يخاف فيه من الحيات لم يبصر ما يؤذيه بحول الله، وروي عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ، من قرأ والصافات تباعدت عنه الشياطين وشهد له حافظاه أنه كان مؤمناً بالمرسلين، ومن قرأها في نومه فهو خير ودين وتطهير من الدنس وتخويف من الله تعالى.

(سورة ص مكية): خاصيتها من كتبها، وجعلها في موضع حاكم جائر لم يلبث ثلاثة أيام إلا وظهرت عيوبه ونقص قدره، وزال مترفهه، ولم ينفذ حكمه أعاذنا الله، ومن كتب من هذه السورة الكريمة قوله تعالى: ﴿إن هذا لرزقنا ما له من نفاذ﴾ [ص: ٥٤]، وكتب منها أيضاً هذا عطاؤنا إلى حساب، وجعل البطاقة في مخزن الطعام في صرة فإن البركة تظهر في ذلك، والنماء والزيادة والبركة التي يتعجب منها.

(قوله تعالى): ﴿ركض برجلك إلى شراب﴾ [ص: ٤٢] من أكثر من قراءة هذا لآية، وهو يحفر بئراً نفع ذلك وظهر فيه الماء، ومن قرأها في نومه إلى آخرها حلف يميناً يكون فيه صادقاً ويتوب من ذنب.

(سورة الزمر مكية): إلا ثلاث آيات، خاصيتها من كتبها وحملها عنده تكلم الناس فيه بالخير، ولم يزل الناس على شكره وبره، وقال بعض الفضلاء: من أكثر قراءة ﴿وما قدروا الله حق قدره إلى يشركون﴾، دفع الله عنه الهم، وفي كتاب لطائف القرآن قال النبي ﷺ: «أمان أمتي من الغرق إذا ركبوا في الفلك أن يقولوا: بسم الله الرحمن الرحيم، وما قدروا الله حق قدره إلى يشركون»، ﴿بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم﴾. (قوله تعالى): ﴿ونفخ في الصور إلى قوله وهم لا يظلمون﴾ [الكهف: ٩٩] هذه الآية تكتب للعدو، ورغمه وقبول لمن يقرأ في وجهه، وهو جلب عظيم للجان، ومن قرأها في نومه رزق فهماً ونظر سديداً وإصابة الرأي.

(سورة غافر مكية): خاصيتها من كتبها، وجعلها في حائط فيه البيع، والشراء بورك فيه غاية البركة، ومن عجن بمائها دقيقاً حتى يكون بمنزلة الكعك، ثم يدق ويجعل في إناء نظيف، فمن كان به وجع كبد وفؤاد وأخذ منه كان فيه شفاؤه بإذن الله تعالى. (وقد روى) علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، أنه قال: عجبت لمن يخاف المكر من الأعداء، وهو يحفظ قوله تعالى: ﴿وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد﴾ [غافر: ٤٤].

(قوله تعالى): ﴿رفيع الدرجات إلى سريع الحساب﴾ [غافر: ١٥ ـ ١٧] من كتب هذه الآية في رق غزال، ووضعت على صدر نائم أو نائمة أخبرت بما عملت في نومها ذلك والشرط الطهارة والنظافة وكتمان السر، ومن قرأ ﴿وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد﴾ عند باب ظالم نجاه الله منه، ومن قرأها في نومه يرجى له من الله العفو والغفران.

(سورة فصلت مكية): خاصيتها من كتبها بماء المطر ومحاها به وسحق به الكحل نفع من الرمد، ومن جميع علل العين، وإن تعذر الكحل غسل العين بذلك الماء، وكان أنس بن

مالك رضي الله عنه يقول: ما ضلت لاحد من ضالة فقرأ حم السجدة، ويسجد ويدعو برد ضالته إلا ردت عليه، ويروى أن الذي يصيد الطير يقرأ قوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء إلى قوله طائعين﴾ [فصلت: ١١] وإن لم يحسن القراءة تكتب، ويجعلها في جيبه، فإن الطير تأتيه ويصيد صيداً كثيراً.

(وروى) عن كثير من أهل الولاية أن من أراد أن يرى في منامه ما شاء من أمر دنياه أو آخرته فيتلو ذلك، وليقرأ من هذه السورة الكريمة قوله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق﴾ [فصلت: ٥٣] إلى آخر السورة، فإنه يرى ذلك بفضل الله، وقد جرب فصح بالتجريب، ومن قرأها في نومه عمل صالح لله تعالى في السر والعلانية.

(**سورة الشورى مكية**): خاصيتها من كتبها وعلقها يأمن بحول الله من شر الناس، ومن شرب ماءها في سفر نفعه من العطش، وإذا رش بمائها المصروح احترق شيطانه، ومن هذه السورة الكريمة قوله تعالى: ﴿الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم﴾ [الشورى: ١٥] عند لقاء من يخاف منه فإنه لا يقدر عليه، وربما حجب عن بصره، ومن خواصها أن من عجن الطين بمائها وعمل من الفخار كوزاً أو قدحاً، ثم طبخ ورفع لمن به السل وانحراق الجسم، وشرب به الدواء والماء نفعه، وهو غاية في هذا الفن، ومن قرأها في نومه خرج من مرض إلى صحة وعافية.

(**سورة الزخرف مكية**): خاصيتها من كتبها وجعلها تحت رأسه لم ير في منامه إلا ما يحب، ومن كتبها على حائط دكان ربحت تجارة صاحبه، ويكثر رزقه، ومن كتبها وسقاها لصاحب السعلة فاق منها، وذهبت عنه بفضل الله، (قوله): ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض إلى قوله لمنقلبون﴾ [الزخرف: ٩] لهداية الضال تكتب في خرقة حرير حمراء، وتعمل منها قلنسوة من لبسها يهتدي عن ضلالته بإذن الله، ومن أدام على قراءتها فإنه يكون محروساً في البر والبحر، ودوابه وعياله من الآفات، ومن أرادها لإصلاح بين الزوجين، فليكتبها في أربع ورقات، ويدفنها في أركان البيت فإنهما يصطلحان ويتفقان وتزول ما بينهما، وكذلك تفعل بها لعمارة الأجنة والكرم.

(وقال لي شيخنا) رضي الله عنه وأرضاه: إن من خاف دابته تتعب به فليقل عند ركوبه عليها سبحان الذي سخر لنا هذا، وما كنا له مقرنين ثلاثاً، فإنها لا تتعب به وجربتها فوجدتها صحيحة، ومن قرأها في نومه لم يأته من الدنيا إلا ما قدر له.

(**سورة الدخان مكية**): خاصيتها من كتبها وحملها معه يأمن بحول الله من شر كل ذي ملك، وذي سلطان، وكان مهاباً عند من يلقاه، وتقرأ إذا نزل بك ما تكره ربنا اكشف عنا العذاب أنا مؤمنون فيرفع بسرعة، وتكتب للحمى أيضاً فيبرأ صاحبها، وتفسير قراءتها من قرأها في نومه رجى له الخير الكثير والمنفعة الشاملة بفضل الله.

(**سورة الجاثية مكية**): خاصيتها من كتبها وحملها معه أمن بحول الله من شر كل نمام، ولم يغتب عند أحد، ومن علقها على صبي حين تضعه أمه كان محفوظاً من الجن، ومن كل شيء بإذن الله.

(قوله تعالى): ﴿الله الذي سخر لكم البحر إلى يتفكرون﴾ [الجاثية: ١٢]، خاصية هاتين الآيتين لصيد البر والبحر أراد أن يستجلب صيد البر والبحر، فليأخذ قطعة من رصاص من شبكة صياد، ثم يعمل منها لوحاً والقمر في منزلة الفرع المؤخر، وينقشها ويجعلها في الشبكة، ويرميه في البحر، فإنك تأخذ رزقاً كثيراً، وإن كتبت في لوح من خشب الطرفاء، وربط في حبل الحبالة فإنه يصيد صيداً كثيراً حسناً، وتجمع عليه الطير والوحوش، وهي شيء عجيب، وهي أيضاً لجلب الخير للحانوت والحمام وموضع البيع والشراء، تكتب في لوح من خشب ويسمر على الباب، وتجعل الكتابة إلى داخل، ومن قرأها في نومه كان من العاملين بكتاب الله ورجى له النجاة من الحساب.

(**سورة الأحقاف مكية**): خاصيتها من كتبها وحملها معه أمن بإذن الله من شر الجن في نومه ويقظته، ومن شر كل ما يؤذي، ومن جعلها تحت رأسه أمن بحول الله من كل طارق، ومن أكثر من قراءة قوله تعالى من هذه السور: ﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك علي إلى المسلمين﴾ [النمل: ١٩] حفظ الله عليه النعم وأراه قوة عينه في نفسه وأهله وماله وولده ونعمت الفائدة، ومن قرأها في نومه يخاف، ولكن يرجى له الخلاص بفضل الله تعالى.

(**سورة محمد ﷺ مدنية**): خاصيتها من كتبها وشربها بماء زمزم كان عند الناس محبوباً ذا كلام مسموع، ولم يسمع شيئاً إلا حفظه، (قوله تعالى): ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم﴾ [محمد: ٤٧] مع قوله تعالى: ﴿أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾ [محمد: ٢٣] مع قوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم﴾ [محمد: ٢٨]، هذه الآيات المتفرقة، إذا التحم القتال أخذت قبضة من تراب المعركة، وتقرأ عليها الآيات، وارمها في وجوه العدو فإنهم ينهزمون مخذولين، ومن قرأها في نومه رجى له أن يسود قومه ويظفر بأعدائه.

(**سورة الفتح مدنية**): خاصيتها من كتبها وحملها في وقت قتال أو خصومة أو خوف أمن بحول الله من ذلك، وفتح عليه، ومن شرب من مائها سكن الرجيف والرعب منه، وقرأتها تؤمن راكب البحر من الغرق.

(وروى) أن من قرأها أول ليلة من رمضان يحفظ تلك السنة كلها عن كل مكروه، وروى بعض الصالحين أن من قرأها ثلاث مرات أول ليلة من شهر رمضان حين يرى الهلال وسع الله رزقه ذلك العام إلى آخره، (قوله تعالى): ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً إلى حكيماً﴾ [الفتح: ١]، هذه الآية للقبول والمحبة والطاعة والجاه عند الناس والنصر على الأعداء، فمن أراد ذلك فليكتبها في رق غزال بماء ورد وزعفران، وهو طاهر يجعلها في قلنسوته ولا يلبسها إلا وهو طاهر، فمن لقيه رزق منه القبول والهيبة، (قوله تعالى): ﴿محمد رسول الله والذين معه﴾ [الفتح: ٢٩] إلى آخر السورة للغنى والبركة والقوة والشدة والخراسة، ولكل ما تريد من كتبها ليلة الأربع عشرة من رمضان في خرقة حرير أبيض، وطيبها بالمسك والكافور، وماء ورد، وحرزها في جلد غزال إن أمكن هذا من الشروط، وإلا فلا شرط إلا كتبها فيما أمكن في أي وقت، ورفعها عنده، فإذا علقها على أي وجع كان من حمى أو رمد

أو وجع قلب أو أسنان أو غير ذلك من سائر الأوجاع بريء صاحبه، وحرز للأطفال والنساء الحوامل، وينفع لمن طعن في السن، وقلت قوته، فإنها تزيل ضعف القوة، وفيها من المنافع شيء كثير، لأنها جامعة لحروف المعجم.

(وأخبرني) شيخنا رضي الله عنه وأرضاه، بأنه ما وجد لأهل الجنون حجاباً أحسن من قوله تعالى في آل عمران؛ ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم إلى الصدور﴾ [آل عمران: ١٥٤] وقوله تعالى في هذه السورة: ﴿لقد صدق الله رسوله﴾ [الفتح: ٢٧] الخ وأنهما إن تليتا بنية إمساك أفواه السباع أمسكوا، وحفظ منهم كل شيء في تلك البلدة في تلك الليلة أو في ذلك اليوم، وقد جربته أي تجربة فصح ولله الحمد، ومن قرأها في نومه وجبت له إجابة الدعوة والخروج من الضيق إلى السعة، وتكون له أعوان تنصره على ما هو عليه.

(**سورة الحجرات مكية**): خاصيتها من كتبها وعلقها على المصروع أمن بحول الله من شيطانه ما دامت عليه، وكذلك إذا كتبت على جدار البيت لم يقربه شيطان، ومن كتبها ومحاها بماء وشربته المرأة در لبنها بفضل الله وتحفظ الجنين، وتأمن في نفسها بفضل الله، ومن قرأها في نومه رجى له أن يتبع أمر الله في كل شيء، وملك سبيل الخير والطاعة.

(**سورة ق مكية**): خاصيتها من كتبها وشربها بماء المطر نفعه ذلك، ومن كتبها ومحاها بماء مطر وبل به أسنان الصبي الذي تخرج أسنانه سهل خروجها عليه، وإذا شربه المبطون زال عنه كل ما يجد.

(وروى) ميمون بن مهران وابن عباس رضي الله عنهم، أن من أكثر قراءتها خففت عليه سكرات الموت، وسهل عليه خروج روحه لتخفيف الموت، (قوله تعالى): ﴿وجاءت كل نفس معها سائق إلى حديد﴾ [ق: ٢١]، هذه الآية للرمد، ووجع العين وظلمة البصر، إذا تليت سبع مرات وسبعة أيام كل يوم على الريق على العين الموجوعة والمرمودة برئت بإذن الله، ومن قرأها في نومه فهو خير له ويمين أبر فيها.

(**سورة الذاريات مكية**): خاصيتها من قرأها عند مريض خفف الله عنه ما يجد من الألم، وإن كان الموت خفف الله عنه الموت، ومن قرأها على امرأة عسرت عليها الولادة وضعت في الحين بإذن الله، ومن قرأها في نومه، قيل: يتزوج، وقيل: ينال حظاً صالحاً وخيراً كثيراً في الدنيا، وقيل: يمين بر فيها.

(**سورة الطور مكية**): خاصيتها من دام على قراءتها، وهو معتقل وممنوع من سفر سهل الله عليه الخروج، ومن دام عليها، وهو في سفر أمن بحول الله من كل سوء، ومن رش بمائها على العقرب قتلها، ومن قرأ أول هذه السورة إلى قوله: إن عذاب ربك لواقع على حلق فيه علقة فإنها تقع بإذن الله، ومن قرأها في نومه فهي له قربة من الله بعمل.

(**سورة النجم مكية**): خاصيتها من كتبها في جلد نمر وعلقه عليه قوي بها على من يدخل عليه، ولا يخاف منه ومن خاصمه كانت له عليه القوة، ووقاه الله شر كل داء وسلطان، ويكتب منها لبكاء الأطفال قوله تعالى: ﴿أزفت الآزفة﴾ إلى آخر السورة يزل عنهم ذلك، ومن قرأها في نومه فهي قربة من الله تعالى بعمل صالح يقبله منه، وإن كان

غائباً رجع إلى أهله، ويتحرى صواب دينه، وربما صدر منه غلط في كلامه ويرجى له صلاح.

(سورة القمر مكية): خاصيتها من كتبها يوم الجمعة في وقت الخطبة، وحملها معه تحت عمامته كان عند الله وجيهاً، وسهلت عليه الأمور الصعبة، ومن قرأها عند ركوب البحر أمن الغرق، ومن قرأها في نومه رجع من الشك الذي هو فيه ورجى له الصلاح.

(سورة الرحمن مكية): خاصيتها من كتبها وشربها للطحال نفعه ذلك، ومن كتبها على جدار بيت منعت منه الهوام، ومن قرأ منها قوله تعالى: ﴿يا معشر الجن والإنس إلى قوله سلطان﴾ [الرحمن: ٣٣] لخوف الكلب أو الكلاب العادية يدفع الله عنه شرها ويقيه بأسها، ويكتب أيضاً في جبهة المجنون فيبرأ بإذن الله، ومن قرأها في نومه رزق فهماً وعلماً، وإن كان له عدو لم يستطع أن يدفع له بأساً بإذن الله.

(سورة الواقعة مكية): خاصيتها من قرأها على ميت خفف الله عنه، ومن قرأها على مريض وجد الراحة، ومن علقها على امرأة نفساء وضعت بإذن الله سريعاً، ومن داوم على قراءتها بسط الله عليه الرزق من حيث لا يدري، (ويروى) أن رجلاً سأل ابن عباس رضي الله عنهما، عن شيء يبسط الله به الرزق، ويذهب عنه به الفقر، فقال له: واظب على قراءة سورة الواقعة والمزمل والليل إذا يغشى، وألم نشرح فإن ذلك أمان من الفقر، ومن قرأها في نومه أمن بحول الله من شر يوم القيامة، ويرجى له الغنى والسعة إن شاء الله.

(سورة الحديد مدنية): خاصيتها من كتبها وحملها عند لقاء العدو لم يصبه حديد، وكان قوياً على القتال، ولم يخف من شيء يريده، ومن قرأها على موضع في الجسد فيه حديد يخرج من غير ألم بإذن الله.

(قوله تعالى): ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات إلى عزيز﴾ [الحديد: ٢٥] من قرأها في وجه قاطع الطريق أمن منه، ومن قرأها في نومه أصاب مالاً وخيراً كثيراً بإذن الله.

(سورة المجادلة مدنية): خاصيتها من قرأها على مريض نام وسكن ما به، ومن داوم على قراءتها حفظ من كل طارق، وإذا كتبت وطرحت في الماء زال عنه ما يفسده، ومن أدمن على قراءة قوله تعالى: ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز﴾ [المجادلة: ٢١]، فإنه يقوى ويغلب ولا يغلب عليه، ويظهر عليه الشرف عند الناس، ومن خاصيتها أن من قرأها كل ليلة أمن من كل سوء إلى أن يصبح، ومن قرأها في نومه فهي له نجاة ممن يطلبه ودعاه يستجاب له.

(سورة الحشر مدنية): خاصيتها من قرأها ليلة الجمعة أمن بفضل الله من كل سوء إلى أن يصبح، ومن قرأها مع أم القرآن في أربع ركعات وتوجه إلى حاجته تقضى إن شاء الله، ومن قرأ من هذه السورة الكريمة آيات من خاتمتها، وهي قوله تعالى: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل﴾ [الحشر: ٢١] إلى آخر السورة، وجعل يده على رأسه عند القراءة أمن بحول الله من وجع الرأس، وروي أن هذا مروي عن رسول الله ﷺ، ومن قرأها في نومه رجى له الصلاح والخير، وزوال الهم إن كان به.

(سورة الممتحنة مدنية): خاصيتها من بلي بالطحال وعسر عليه برؤه، فليكتب هذه السورة، ويشربها ثلاثة أيام متواليات، يبرأ بإذن الله، ومن قرأها في نومه تاب وخلص عمله لله تعالى.

(سورة الصف مدنية): وقيل: مكية، خاصيتها من دام على قراءتها في سفره حفظته حتى يرجع، ومن قرأها في نومه رجى له الثبات والمراقبة والوفاء بالعهود والنذور.

(سورة الجمعة مدنية): خاصيتها من قرأها في الصباح والمساء والليل والنهار أمن من وسوسة الشيطان، ومن قرأها في نومه فهي صلاح وطيب معيشة.

(سورة المنافقين مدنية): خاصيتها تقرأ على الرمد والأوجاع الباطنة فإنها تذهب، ومن قرأها في نومه، وكان له عدو يريد خديعته فليحذو منه ويرجى أن يعادله.

(سورة التغابن مدنية): وقيل مكية، خاصيتها من كتبها ورش بها موضعه كفى جميع الطوارق والحدثات، ومن خاف سلطاناً أو حاكماً فليقرأ هذه السورة إذا دخل عليه، فإن الله يكفيه شره بفضله، ومن قرأها في نومه فليحذر ترك الفريضة.

(سورة الطلاق مدنية): خاصيتها من كتبها ورش بها موضعاً افترق أهله، (قوله تعالى): ﴿ومن قدر عليه رزقه إلى يسراً من ضاق عليه رزقه وتعذر فليتب إلى الله مما جناه ويضمر خيراً﴾ ثم يقوم ليلة الجمعة ويستغفر الله مائة مرة، ثم يقرأ الآية مائة مرة، فإنه يخرج من ضيقه وتفتح له أبواب الرزق بإذن الله، ومن قرأها في نومه يخاف أن يقع بينه وبين زوجته السم، فليحذر ذلك.

(سورة التحريم مدنية): خاصيتها تنفع السهر، ومن دام على قراءتها أدى الله عنه الدين وزال عنه الهم، ومن قرأها في نومه تنزه عن شيء وهو حلال له.

(سورة الملك مكية): خاصيتها تخفيف سلق الموت، وإذا قرئت وأهديت للموتى أسرعت إليهم كالبرق الخاطف، ومن خاف من عين المعيان فليقرأ منها قوله تعالى: ﴿ثم ارجع البصر كرتين إلى حسير﴾ [الملك: ٤]، فتندفع إذايته، (وروى) أنه ﷺ قال: «من وضع أصبعه على ضرسه الموجوع، وقرأ هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون فإنه يبرأ من وجع الأسنان، ومن قرأ من أول سورة الملك إلى قوله: حسير هذه الآية المباركة إذا تليت على العين ثلاثة أيام في كل يوم ثلاث مرات بريء صاحبها بإذن الله، ومن قرأها في نومه فليستبشر بخير وبركة عاجلة ونجاة من عذاب الله عند قبض روحه».

(سورة ن والقلم مكية): خاصيتها من كتبها وجعلها على رأسه زال عنه صدع الرأس، وإذا كتبها وجعلها على الضرس الموجوع أبرأته بإذن الله، ومن قرأها على الأوجاع الدائمة بريء صاحبها بإذن الله، وسكن مثل الصداع والضرس ووجع العين، ومن قرأها في نومه فهو صلاح له في دينه ودنياه، ومن رام به عمل المكروه لم يستطع.

(سورة الحاقة مكية): خاصيتها من كتبها وعلقها على الحامل حفظ الجنين من كل

آفة، ومن كتبها وسقى منها المولود عند ولادته كان ذكي العقل سالماً من الآفات، ونشأ أحسن نشأة، وكان محفوظاً من جميع الهوام والشياطين، ومن قرأها في نومه رجى له أن ينال خيراً إلى أربعين يوماً.

(**سورة المعارج مكية**): خاصيتها من قرأها عند نومه أمن بحول الله من الأحلام المؤذية المفزعة، ومن قرأها في نومه فإنه دعا على نفسه فليرجع عن ذلك.

(**سورة نوح مكية**): خاصيتها من دام على قراءتها لم يمت حتى يرى مقعده في الجنة، ومن كانت له حاجة وقدم قراءتها بين يديه يسر الله قضاءها ببركة هذه السورة، ومن قرأها في نومه أرسل رسولاً إلى حاجة وأبطأ عنه.

(**سورة الجن مكية**): خاصيتها من قرأها في موضع لم يبق فيه جن، ومن دام على قراءتها وهو مسافر حفظ إلى أن يرجع إلى أهله، ومن قرأها وهو معتقل يسر الله خروجه، ومن قرأها وقصد دار السلطان أمن منه بحول الله وقوته، ومن قرأها في نومه رزق الهاماً وفهماً حقيقياً نافعاً.

(**سورة المزمل مكية**): خاصيتها من دام على قراءتها شهراً رأى النبي ﷺ، وسأل منه ما يريد، ومن دام على قراءتها وسع الله دنياه، وأصلح دينه، ومن قرأها في نومه غفل عن صلاة الليل فليعد إليها.

(**سورة المدثر مكية**): خاصيتها من دام على قراءتها لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه، وتعين على حفظ القرآن، ومن قرأها في نومه كان آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر.

(**سورة القيامة مكية**): خاصيتها أنها تخشع القلوب وتورث العفاف وتحبب قراءتها إلى الناس، ومن قرأها أمن بحول الله من الحكام الجائرين، ومن قرأها في نومه يخاف أن يؤذيه إنسان، لكن يرجى له النصر عليه، وربما قد نعيت إليه نفسه.

(**سورة الإنسان مكية**): خاصيتها تسكن القلوب وتقوى النفس، ومن كان لا يحسن القراءة كتبت له ومحيت وشربها، ومن قرأها في نومه يكون كثير الصدقة.

(**سورة والمرسلات مكية**): خاصيتها من قرأها أمن من الشرك وقد ورد عنه ﷺ، أنه قال: «إذا ختم أحد سورة والمرسلات فليقل آمنت بالله، ومن قرأها في نومه أحب أن يعرفه الناس، ويحبب إليهم».

(**سورة النبأ مكية**): خاصيتها من أراد أن يسهر الليل، ولا ينام فليقرأها فإن نومه يخف ويسهر الليل كله، ومن قرأها وهو مسافر حفظه الله في سفره، ومن كتبها وعلقها على عضده وجد لها قوة عظيمة، ومن كتبها في رق ظبي بزعفران وماء ورد، ويجعلها معه فإنه لا ينام إلا غفوة يسيرة، ومن قرأها في نومه فو يطلب العلم ويسأل العلماء.

(**سورة النازعات مكية**): خاصيتها من خاف العدو فليقرأها، فإنهم لا يرونه وينحرفون عنه ببركة هذه السورة، ومن قرأها ودخل على سلطان وهو خائف منه أمنه الله بفضله، ومن شرب محوها أعين على الجماع بفضل الله، ومن قرأها في نومه يمشي إلى الجهاد أو يسافر

سفراً مباركاً، وقيل: يموت عن قريب.

(**سورة عبس مكية**): خاصيتها من كتبها وحملها معه في سفره لم ير فيه إلا خيراً، ويروى أن قراءتها تؤدي لستر العورات مساء إلى الصباح وصباحاً إلى المساء، ومن قرأها في نومه فهو يتهاون بالناس ويحتقرهم.

(**سورة التكوير مكية**): خاصيتها من قرأها على العين يقوى نظرها، وتزيل الرمد والغشاوة، ومن قرأها على بئر ماء قد وقف جريه ثلاثة أيام غزر ماؤها، ومن قرأها على ماء ورد وشرب منه كل صباح زال ما به من وجع وحفظت صحته، ومن قرأها في بيت فيه سحر مدفون لا يعلم موضعه أظهره الله، ويبطل ولم يضره شيء بإذن الله، ومن قرأها في نومه فهو نقصان من بهائه وجماله.

(**سورة الانفطار مكية**): خاصيتها إذا قرأها محبوس أو مأسور يسر الله خروجه، ومن قرأها في نومه فليحذر جيرانه.

(**سورة المطففين مكية**): خاصيتها من قرأها على شيء مخزون حفظه الله وكفاه ما يضره، ومن قرأها في نومه فهو تطفيف في الميزان من ذلك.

(**سورة الانشقاق مكية**)) خاصيتها تكتب فتسهل الولادة، ومن كتبها وجعلها على دابة حفظت بإذن الله، ومن قرأها على ملسوع سكن وجعه، ومن قرأها وكتبها على حائط منعه الهوام، ومن قرأها في نومه تدل على الخصب والسعر الرخيص.

(**سورة البروج مكية**): خاصيتها من كتبها وعلقها على الصبي عند الفطام يسهل عليه، ومن قرأها في صلاة العصر وكثر من قراءتها فيه وقى من الدماميل، ومن قرأها في نومه فهي شهادة نسيها صاحب الرؤيا فلم يؤدها.

(**سورة الطارق مكية**): خاصيتها تكتب ويجعل ماؤها على كل دواء يشرب فإنه يؤمن منه، وقال بعضهم: من قرأها من أولها إلى قوله: والترائب، على الوجع، فإنه يبرأ على البطن الوجيع، فإنه يبرأ، ومن خاف الاحتلاف وقرأ أولها إلى القادر عند النوم فإنه لا يحتلم، ومن قرأها في نومه خيف عليه من اللصوص فليحذر ما استطاع.

(**سورة الأعلى مكية**): خاصيتها من قرأها على النفخ في الجسد يذهب عنه، ومن قرأها من أولها إلى قوله: أحوى على الدمل عند خروجه لم يتم خروجه، ويفسد من حينه، وهي هذه من أولها إلى آخرها عوذة نافعة من كل شيء وللحفظ وصفاء الذهن، فمن كتبها يوم الجمعة بعد صلاة الظهر، وعلقها عليه كانت رقية لجميع الآفات، ومن شرب محوها يسهل عليه حفظ كل ما يسمع، ومن قرأها في نومه خفف عنه النسيان ورجى له الحفظ إن شاء الله.

(**سورة الغاشية مكية**): خاصيتها من قرأها على طعام، وأكله أمن بإذن الله من ضره، ومن قرأها في نومه أنفق على قوم، وهم له غير شاكرين.

(**سورة الفجر مكية**): خاصيتها من قرأها بعد طلوع الفجر أمن بفضل الله من مخوف

إلى طلوع الفجر من اليوم الثاني، ومن قرأها على وسطه مائة مرة وجامع أهله رزقه الله ولداً تقر به عينه، ومن قرأها في نومه دعا لنفسه وللمؤمنين بالجنة، وكان معهم بفضل الله.

(**سورة البلد مكية**): خاصيتها تعلق على المولود يوم ولادته يأمن من جميع الهوام، ومن العين ولا يرى إلا خيراً إن شاء الله، (قوله تعالى): ﴿لا أقسم إلى قوله النجدين﴾ [البلد: ١] من كتبها على ثوب ولبسه فكل من رآه هابه، وأكرمه، وكان له عند الناس طاعة وقبول، وإن دخل على ملك أكرمه وقضى حاجته، ومن قرأها بين صلاة الفجر وصلاة الصبح وداوم على ذلك أكثر الله عليه العين أي الذهب والفضة، ومن قرأها في نومه، وكان حاكماً أو والياً، فذلك غبطة له في العدل، وإن كان جاهلاً فليسئل عن دينه، وإن كان قد ضاق به معاشه في بلده فليخرج منه، وليطلب الرزق في غير بلده.

(**سورة الشمس مكية**): خاصيتها من شرب ماءها سكنت منه الرجفة، وتكتب لحسن التدبير ولقبول الناس، ويروى أن بعض الصالحين قال لبنيه: يا بني إذا أهمكم أمر من أمور الدنيا والآخرة فلا يبيت أحدكم إلا طاهراً في لحاف طاهر على فراش طاهر، ولا تبيت معه امرأة، ثم يقرأ: والشمس وضحاها، سبعاً، والليل: سبعاً وليقل: اللهم اجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً، فإنه يأتيه آت أول ليلة أو في الثالثة أو في الخامسة أو في السابعة، فيقول: لهم المخرج كذا وكذا، ومن قرأها في نومه فذلك خير يأتيه وعمل صالح.

(**سورة والليل مكية**): خاصيتها من قرأها عند نومه خمس عشرة مرة ولم ير في منامه ما يكره وبات آمناً، ومن قرأها في أذن المغشي عليه أو المصروع ينتفع بذلك، من قرأها في نومه يعطي مالاً ويبسط له الخير بخلاف ما يطوي عليه ضميره.

(**سورة والضحى مكية**): خاصيتها من قرأها للتليفة رجعت، ومن ضلت له ضلة أو آبق أو ضاع له ضائع فليصل بو الضحى يوم الجمعة ثمان ركعات، فإذا شرع من الصلاة قرأ السورة سبع مرات، ثم يقول: يا صانع العجائب يا راد كل فائت يا جامع الشمالات يا راداً ما قد فات يا من مقاليد الأمور بيده أجمع علي ضالتي وعلى فلان ضالته لا إله إلا أنت، ومن قرأها في نومه خاف من شيء، ولكن لا يرى إلا خيراً، وإن كان فقيراً استغنى، وربما نعيت إليه نفسه.

(**سورة ألم نشرح مكية**): خاصيتها من قرأها على صدره أو فؤاده سكن، ومن شرب من مائها فتت عنه الحصى، (ويروى) أن من قرأ من هذه السورة الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك ثلاث مرات، عند من يضرب بالسياط، فإن ذلك العذاب يرفع عنه، ومن قرأها في الصباح وحرك لحيته من أسفل بأصبعه أو بالمشط يكون له ذلك أماناً من الفقر، ومن قرأها في نومه يمن عليه إنسان بما يصنع، وقيل: أنه خير كثير يأتيه.

(**سورة التين مكية**): خاصيتها من قرأها على طعام مخزون يحفظه من السوس وغيره وتقع فيه البركة والشفاء، ومن قرأها في نومه رجى له رزق وبركة وطول في عمره.

(**سورة العلق مكية**): خاصيتها من قرأها متوجهاً إلى سفر حفظ في سفره في بر وبحر حتى يعود إلى أهله، ومن قرأها في نومه فليحذر من عدو إن كان له.

(**سورة القدر مكية**): خاصيتها من قرأها سبع مرات بعد صلاة الصبح دفع الله عنه شر ذلك اليوم، ومن أكثر من قراءتها حفظه الله ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن قرأها مرة عند الزوال رأى النبي ﷺ في منامه، وأخبرني من يوثق به أن من لازم قراءتها قل يا أيها الكافرون في نوافله عافاه الله من وجع الأسنان من كتبها ومحاها بماء وشربه أعطاه الله نوراً في بصره ويقيناً في قلبه، وأخرج منه جميع العلل، ومن قرأها في نومه رجى له النصر وقبول الأعمال.

(**سورة البينة مدنية**): خاصيتها من كان به اليرقان وحملها معه زال عنه بإذن الله، ومن كتبها ومحاها وسقاها للحامل سلاها وأغناها عن جميع الحوائج الطبية، ومن كتبها وجعلها على جميع الأورام زالت ببركتها، ومن قرأها في نومه فهي صلاح الضمير ويقين بعد الشك.

(**سورة زلزلت مكية**): خاصيتها من كان به اليرقان، وكتبها في طست جديد لم يستعمل وشربه نفعه، ومن أراد أن يقوم من الليل أي ساعة شاء لورد أو لعمل صالح من نظر في علم أو دراسة أو غير ذلك فلينوي الساعة التي يريد أن يقوم فيها، وليقرأ من أول السورة إلى قوله: أوحى، فإنه يستيقظ في تلك الساعة إن شاء الله، ومن قرأها في نومه أعطاه الله مالاً مدفوناً ورزقه من حيث لا يحتسب، وقيل غير ذلك.

(**سورة العاديات مكية**): خاصيتها من كتبها، وحملها معه أمن بحول الله من جميع المخلوقات، وقراءتها تقرب الخير وتيسر الرزق، ومن قرأها في نومه يرجى له النصر على من يؤذيه.

(**سورة القارعة مكية**): خاصيتها من كتبها، وجعلها بموضع نال فيه مالاً كثيراً بإذن الله، ومن قرأها في الليل والنهار وسع الله عليه رزقه وعافاه من جميع الأمراض، ومن قرأها في نومه فإنه متهاون بعقوبة الله، فليرجع عن ذلك وليتب منه.

(**سورة التكاثر مكية**): خاصيتها إذا قرأها بعد العصر من به شقيقة أو صداع نفعه ذلك، ومن قرأها في نومه قد شغلته الدنيا والجمع فأخبره بأنه لايدرك أمنيته.

(**سورة العصر مكية**): خاصيتها من قرأها على شيء دفن حفظه الله من كل شيء، ومن قرأها على محموم وجد لها بركة، ومن قرأها في نومه عسر عليه أمر، ثم يسر.

(**سورة الهمزة مكية**): خاصيتها من قرأها على من أصابته العين عوفي بإذن الله، ومن قرأها في نومه فهو مغتاب لقرابته فليتب من ذلك.

(**سورة الفيل مكية**): خاصيتها من قرأها وهو خائف في سفره أمنه الله، ومن قرأها في الحرب ينهزم عدوه، وكان الظفر له، وكان قارئها قوي القلب، وكذلك جميع من معه، ومن علقها على رمح لدى القتال انهزم عدوه بإذن الله تعالى، ومن قرأها في نومه كفاه الله عدوه واستراح بإذن الله.

(**سورة قريش مكية**): خاصيتها من قرأها على طعام خاف أن يكون فيه السم حفظه الله منه، ومن كانت له هموم وقرأها زالت عنه همومه، وكذلك من كان به الوسواس، وإذا

قرأها صاحب التليفة وجدها في أسرع ما يكون، ومن أكثر من قراءتها في الفرائض كان من أعيان عصره، ومن قرأها في النوم يذكر بنعم الله فليذكر الله في سره وجهره.

(**سورة الماعون مكية**): خاصيتها من قرأها مائة مرة بعد صلاة الصبح كان في حفظ الله إلى أن يصبح في اليوم الثاني، ومن قرأها في نومه رزقه الله ثواباً وخيراً كثيراً، وقيل: جيرانه ينتفعون به ويرضون عنه.

(**سورة الكوثر مكية**): خاصيتها من قرأها بعد صلاة يصليها من الليل ألف مرة مكملة، وتكون ليلة الجمعة رأى النبي ﷺ في منامه، ومن قرأها على الدمل عند خروجه من أولها إلى قوله: وانحر، لم يتم خروجه، ويكون يسيراً بإذن الله، ومن قرأها في نومه أعطاه الله خيراً كثيراً، ويلهمه الله ما فيه ثواب عظيم.

(**سورة الكافرون مكية**): خاصيتها، من قرأها عند طلوع الشمس عشر مرات، ودعا بما شاء قضى الله حاجته، ولو كانت ما كانت، ومن داوم على قراءتها رزقه الله القبول عند الناس، ومن قرأها في نومه قوى إيمانه وخلص دينه.

(**سورة النصر مدنية**): خاصيتها من قرأها كل ليلة عشر مرات حبب الله إليه الصلاة في أوقاتها مجرب، ومن قرأها في نومه نصر على أعدائه وقيل: يموت.

(**سورة المسد مكية**): خاصيتها من قرأها على مغش الدواب سكن ما به وزال، ومن قرأها في فراش كان في حفظ الله حتى يصبح، ومن قرأها في نومه فذاك ذهاب مال من يده.

(**سورة الإخلاص مكية**): خاصيتها من قرأها وبعثها للموتى كان فيه من الثواب والأجر ما في جميع القرآن، ومن قرأها على الرمد وأسكنته، ومن قرأها على الدمل سكن وذهب بإذن الله، ومن قرأها حين يدخل منزله نفت الفقر عن أهل ذلك المنزل.

(وروي) عن سعد الساعدي رضي الله عنه أنه شكا إلى رسول الله ﷺ، الفقر وضيق المعاش، فقال له ﷺ: «إذا دخلت بيتك فسلم على من كان فيه إن كان فيه أحد، وإن لم يكن فيه أحد، فسلم علي، واقرأ قل هو الله أحد مرة»، ففعل فكثر عليه الرزق حتى أفاض على جيرانه، ذكر ذلك الثعالبي في تفسيره، ومن كتبها للمحموم على هذه الصفة يبرأ من حينه، وهي قل هو الله أحد أي: والله الله الصمد إي، والله لم يلد لا والله ولم يولد لا والله ولم يكن له كفؤاً أحد لا، والله ويروى أن من قرأها في مرضه الذي مات فيه لم يفتتن في قبره، وأمن من ضمته وحملته الملائكة بأكفها حتى تجيزه الصراط إلى الجنة، ومن قرأها في نومه رجى له ذهاب الشك عن قلبه.

(**سورة الفلق مكية**): خاصيتها، من قرأها كل ليلة من رمضان في صلاة الفريضة أو غيرها، فكأنما حج واعتمر، ومن قرأها في نومه كان له حاسد غير أنه لا يضره.

(**سورة الناس مدنية**): خاصيتها من قرأها كل ليلة أمن بإذن الله من الجن والوسواس، ومن كتبها وعلقها على صبي أمن بحول الله من كل شيطان، ومن كل ضرر، ومن قرأها في نومه فليدم على قراءتها في اليقظة فإنه يعان بذلك وتسخر له الأشياء بإذن الله تعالى.

(فائدة): روي عن بعض الحذاق أن المراد بقول الناس للحاسد، أو العائن إذا نظر الخمس في عينه إنها قل أعوذ برب الفلق إلى آخرها، لأنها خمس آيات ونقل العامة في ذلك فتشير في ذلك بالأصابع، وقال غيره: ولعل المراد أيضاً بقولهم، وست على قلبه في الإشارة إلى الحاسد قل أعوذ برب الناس، لأنها ست آيات.

(وفي الحديث) قرأ يوم الجمعة أثر صلاة الجعمة، قل هو الله أحد سبع مرات، وقل أعوذ برب الفلق سبع مرات وقل أعوذ برب الناس سبع مرات حفظه الله من الجمعة إلى الجمعة ذكر ذلك أبو حامد الغزالي في كتاب الأحياء وغيره، وليكن هذا آخر هذا المجموع الذي ظهرت كفايته، والحمد لله الذي به بداية الخلق ونهايته، وصلى الله على أفضل من به أنيلت هدايته، محمد الذي به بصر من أعمته ذنوبه وغوايته، وعليه السلام ما دام فضل من الله ورحمته وجناته.

(وكان الفراغ من تأليفه) عند أذان العصر من يوم السبت الثالث والعشرين من شهر الله ربيع الثاني الذي هو أحد شهور سنة ثلاثمائة من بعد الألف والله أرجوه أن ينيلنا خيره وخير ما بعده ويكفينا شره، وشر ما بعده نحن، وأحبتنا والمسلمين آمين، ويتفضل علينا بحسن الختام وبالقبول عنده في الأنام، ويجعلنا من المحبوبين أوليائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ويغفر لنا ولوالدينا ولذريتنا وأحبتنا كل الآثام إلى أن يدخلنا أعلى جناته مع نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام.

وقد كتب المؤلف رضي الله عنه، ونفعنا به وأعاد علينا وعلى المسلمين والنفع بما في كتابه عند انتهاء هذا التأليف العديم النظير، والمجموع الجليل الخطير هذه الأبيات:

قاريء الكتب والكتاب قرايا ... منك لا غير دعوة من منايا
هي عندي من الحبيب خفيف ... هي عندي دعا حسن النهايا

وله أيضاً رضي الله عنه، وأطال حياته:

كتبت يدي هذا الكتاب وراجيه ... من ربها غفران ما هي جانيه
بالله إن تك قد نظرت كتابها ... قل يا إلهي أعطها ذا الراجيه

وله أيضاً أدام الله النفع به:

لما ختمت ربنا هذا الكتاب ... بالفضل منك فاعتقنا من عذاب
ولتعتقنا ربنا من العقاب ... ولتعتقنا ربنا من الحساب
ولتهدنا الاهنا من الذهاب ... ولتهدنا الاهنا إلى الصواب
ولتحفظنا ربنا من العتاب ... ونجنا من كل خوف في الكتاب

وله أيضاً رضي الله عنه:

كتبت كتاباً باليمين وأنني ... رجوتك يا غفار مغفرة الذنب
واسأل ورائي الحروف دعاءه ... بخير وبالحسنى ورضوان من رب
ويغضي عن الزلات عينا فإنني ... كتبت وكتبي قل بعيد من الكتب

ولكنـــه للقـــارئيـــن إعـــانـــة ولا سيمـا أهـل العبـادة والقـرب

ولتلميذه الأكبر، وولد قلبه الأزهر، العالم المحقق، العارف بالله المدقق، السابح في بحر المحبة والشوق، الحائز الحظ الوافر من الذوق، أبي عبد الله سيدي محمد عبد الله بن محمد بن المختار بن تكرور يمدح هذا الكتاب، الذي هو أقوى سبب في سلوك طريق الصواب:

منـي إلـى كـل ثبـت فـي النهـايـات أو يلمعـي يبتغـي نعـت البـدايـات
تحيـــة كـــأريـــج النـــد مـــوجبهـــا مـا سـاقـه قـط مـن يملـي التحيـات
نعـت البـدايـات تـوصيـف النهـايـات نعـت البـدايـات تـوصيـف النهـايـات
تـــلألأت مـــن لآلـــيء دره حكـــم تبـدي لنـاظـرهـا كـل العـويصـات
نـور أضـاء لنـا مـن نـور خـالقنـا أفنـى الغيـاهـب مـن حلـك الجهـالات
جـاءت بـه نفحـات اللّـه قـائلـة نحـن العطيـة مـن ولـي العطيـات
اللـــوذعـــي همـــام جحجـــح نـــدس فـاقـت كـرامتـه كـل الكـرامـات
يا ليت أني وما تجدي المنى ظفرت كفـى بمـا قـد حـوى مـن لـي بـه آت
ســـر حـــديـــث وآداب ومعـــرفـــة حتـى المهمـات مـن أعلـى المهـات
إن خفـت شيئـاً أو أن احببتـه فيـه دفـع المضـرات أو جلـب المسـرات
فمـــن رأى أنـــه بـــه لبـــانتـــه كـانـت لبـانتـه أسنـى اللبـانـات
حقـت كتـابتـه بمـا العيـون لـه من طيب ما قد حوى أبهى الكتابات
صلـى الإلـه علـى جـد لـه أبـداً ماحي الضلالة عن أهل الضلالات

(بسم الله الرحمن الرحيم) وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصبحه وسلم

الحمد لله حمداً ينور ظلمة الطبع فيشعر بنعت البدايات، ويحسن سماحة الصنع فشرق به توصيف النهايات، والشكر له على ما أولي من الخصائص، والأسرار وجلى من العوائص في كل مضمار، وأدب وهذب، ووفق وهدى، وجذب وقرب، وشوق وأسدي، سبحانه ما أبدع آثار قدرته، وأتقن اختراعات صنعته نشهد أنه الله الفاتح أقفال الكائنات المانح جميع الموجودات والممكنات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد معدن العرفان، وهيولى صور جميع العوالم، والأكوان إنسان العين وعين الإنسان إمام الحضرات الخمس المتقدم نوره قبل وجود غد، وأمس وعلى آله وعترته النجوم الثوابت، وأصحابه ذوي الفضل بعدما استثنى على كل متحرك ولابث، (وبعد) فيقول: مرجى البضاعة في كل فن وصناعة ذو التواني والتقصير، والباع الناقص القصير منشيء المطبعة الجديدة القاسية، ومديرها وقيم محاسنها الفاشية ومنتشر المتوسل بجاه الرسول الماحي أحمد بن عبد المولى العلمي اليملاحي إن من مواهب واسع الجود، وواهب كل خير في الوجود، ومسبغ الآلاء والنعم، ودافع الآفات والنقم على هذا المغرب السعيد، والكور الموطد العميد تصدير كتب القطب الجامع للطبع، وانتشارها على أجمل هيئة، وأحسن وضع، ومربي الموارد وعمدة الصادر، والوارد ومنبع الخيرات والبركات، ومهيع السالكين في السكنات والحركات شيخ المشايخ، وطود المعارف الراسخ الشامخ ذي الأسرار الباهرة، والكرامات المتواترة والمدد والمديد

والتصرف في القريب والبعيد، طبيب الأشباح والقلوب، وحبيب الأرواح الموصل إلى علام الغيوب، ناصح الأمة المفرج عنها كل غمة، مدلهمة بحر الولاية، وفلك شمس الدراية والرواية مركز دائرة فنون العلوم، وقاموس محيط المعاني والفهوم، حجة الله البالغة وآياته البينة الدامغة، من أظهر الله به نتيجة الكونين، وأعطاه التصرف في الثقلين، شيخنا الكامل سيدي محمد مصطفى ماء العينين ابن شيخه الأكبر ومربيه الأنور ومد سره الأطهر، وعلم علمه الأشهر الشيخ الواصل سيدي محمد فاضل ذي النسبتين الزكيتين والبضعتين الطاهرتين الشريف الأدريسي القلقمي الشنكيطي، أفاض الله علينا من بركاته ما تطمئن به النفوس، ويزول به عنا كل هم وغم وبؤس بجاهه العظيم وفضله الجسيم العميم آمين، وناهيك بهذا الكتاب المزيل عن القلوب ظلمة الحجاب المسمى بنعت البدايات وتوصيف النهايات، فلقد أتى فيه بما يعجز الوصف ويخرق أسوار العادة، والعرف من استيفاء شروط المريد، والمراد وذكر ما يصلح الظواهر والبواطن، وينفع العباد من العلوم الدينية، والأسرار الربانية والتفاسير الغريبة، والأمثال والحكم العجيبة، وخواص الأسماء والصفات والحروف، وكيفية استعمال الآيات والسور، وتعمير أوفاقها لكل تسخير مألوف إلى غير ذلك من الكلام على جل الطرق وأورادها، ما يخص كل طريقة، وما ينبغي لمريدها، وخواص أذكارها، وبالجملة فهو كثير العلم صغير الحجم مشحذ للذهن، مصحح للفهم جار على نهج خوارق العادات، مفتاح لشهود التجليات والكرامات، فللّه در من كان طبعه على يده وانتشاره من قدح زنده الفقيه الأنجب الذكي الزكي الأحسب، الوزير الأسمى الرئيس الأعز الأحمى، من لبس من حلل الوزارة أفخرها وأسناها، وجاز من السياسة أرفعها وأنماها، وامتطى صهوة جواد العز المنيع، وارتقى في سلم النصح إلى ذروة المجد الرفيع، وتردى برداء الشفقة والمحبة، ولم يترك من الاستقامة ذرة ولا حبة حتى لا تراه مشتغلاً إلا بأداء واجب، أو فعل قربة، وكيف لا وهي شنشنة تعرف من أبيه وغريزة تعرب عما خفي وتستوفيه السري الأمجد الأسعد أبي العباس سيدي أحمد بن الفقيه الوزير المقدس سيدي موسى بن أحمد لا زال محوطاً بعين رعاية الملك الصمد، منوطاً بكل خير إلى منتهى الأبد آمين بجاه شيخه ماء العينين، وذلك تحت ظل بيت الشرف، والسؤدد الذي لا يتناهى، وكهف الفخر الدائم الذي بمثله يباهى، ومطلع شمس السعادة على الإطلاق، ومنبع الرشد والنصر والظفر بالإنفاق سليل الملوك الأكابر من في ذكر محاسنهم ومآثرهم نفذ القرطاس، وجفت المحابر وبلغوا الغاية في الشجاعة والنجدة، وما نووا بالرفق أعيان كل بلدة، ونالوا من الأعداء فوق المرام، وتمسكوا بحبل الله المتين وعروته الوثقى على الدوام، دولة يا لها من دولة وصولة يا لها من صولة السعد شقيقها والعدل رفيقها، والفتح والتمكين من خدمها والتأييد والإقبال من عبيدها وحشمها الدولة العلوية الشريفة المولوية دولة أمير المؤمنين، وخليفة سيد المرسلين ظل الله في الأرض، والمالك بحول الله طولها والعرض من لا تحصى مآثره بوسيط ولا وجيز، (أبي فارس مولانا عبد العزيز) أيد الله ملكه مؤسس الدعائم، والمباني محروساً من كل ما يسوء من قاص وداني آمين بجاه جده الأمين، وحيث تم طبعه وانتهى بالرقم وضعه، وكان مصححه التلميذ الأجل والمريد المعظم المبجل الصادق في الخدمة المغترف من بحر

الحكمة العالم الأتقى النحرير البركة الأبقى الأديب اللوذعي الشاعر الأريب الألمعي الماهر الشريف المنيف الغطمطم الغطريف سيدي عبد الله بن محمد بن أحمد الأديب بلغه الله من السعادة أوفر نصيب آمين في أواخر ذي القعدة الحرام عام اثني عشر وثلاثمائة وألف من هجرة خير الأنام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، فطفت على أهل الشأن، وجلت معهم في الميدان، والحامل على ذلك محبة هذا الشيخ الجليل، فقنعت في خدمته بما في طوقي من النزر القليل وقلت مؤرخاً ختام طبعه النشيط في قصيدة من بحر البسيط:

هل ذات خدر يعرف الوصل تحيينا   أم بدر تم على غصن يوافينا

أم روض حسن سقاه المزن فانتقت   أزهاره عن جنان الخلد تنبينا

أم مطلع السعد قد لاحت كواكبه   في غيهب من سقام الجهل يشقينا

أم هب روح على الأرواح فابتهجت   كل القلوب به المراح ينسينا

أم مازج الطبع ذو لطف فعدله   من لطف رقته الألطاف تأتينا

أم فيض بحر نفيس الدر يقذفه   سهل التناول بالأرفاد يغنينا

لا بل كتاب القطب العصر نسبته   شيخ المشايخ كل الهم يكفينا

أعني به ماء عيني كل ذي بصر   نور البصائر من بالله يهدينا

من حام حول حماه لم يجد ألماً   حساً ومعنى فمن سواه يأسينا

غوث الورى وابن غوث ذاك وصفهم   قدماً أباً عن أب للفضل قافينا

هم السراة وهم السر منبعثه   ومحبهم من أذى الدارين ينجينا

نعت البدايات لم يترك لذي أرب   حظاً ومنهله في الشرب يروينا

فالزم قراءته يوليك معرفة   لله ما قد حوى بالعلم يقرينا

ما شئت من أدب أو شئت من حكم   أو رمت من مطلب للنجح يدنينا

هو الكتاب فدع عنك المزاح وقم   بشكر نعمته لله يا ربنا

من أجل ذاك غدا بالطبع منتشراً   على يدي فاضل للنصح يولينا

ذاك الوزير أبو العباس نخبة من   سادوا وقد عدلوا والعدل يرضينا

في ظل من سعدت من يمن محتده   كل الورى وغدا بالنصر كالينا

(مولاي عبد العزيز المقتفي أثرا)   من مجد آبائه بالفتح واقينا

يا رب هيىء له المأمور من ظفر   واصلح به العيش يا رحمن والدينا

ثم الصلاة على المختار من كملت   به محاسن جمع الكون مهدينا

أرّخت طبعاً جليلاً للكتاب فقل   (نعت البدايات صل خبا فكافينا)

١٣١٢   ٥٢٠ ٤٤٩ ١٠١ ٢٤٢

الحمد لله الذي جعل خيار خلقه هداياتهم، وأهل النهاية قادة لذوي البداية وحمايتهم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الواسطة العظمى، ومنبع الكمالات التي ليس وراءها مرمى وعلى آله وأصحابه الحافظين لودائع أسراره المقتفين في الحقيقة والشريعة لآثاره.

(وبعد) فإن هذا التأليف الجليل الفؤاد المتضمن لنفائس الجواهر، وبدائع الفرائد

المسمى بنعت البدايات وتوصيف النهايات تأليف سيادة الشيخ الكامل، وقدوة العالم والعامل العارف المربي الموصوف بمقام تجليات الشهود، وكمال الإخلاص القلبي البحر الزاخر العلامة الذي هو حفظ النظام العلمي، علامة حائز قصب السبق في ميدان الشريعة، والحقيقة بدون مين مولاي الشيخ الأفضل الشريف سيدي ماء العينين ابن الشيخ الكامل المنعم سيدي محمد فاضل، لما جاد الزمان علينا بارتشاف زلال معانيه، وترديد النواظر في حدائق مبانيه، وجولان الروح في فسيح معانيه، واقتبسنا من مشكاة أنواره، واقتطفنا من بديع أزهاره، والتقطنا نفائس الدرر من بحاره، واتخذناه عدة في انتهاج المسالك القويمة، ومناراً نهتدي به لطرق الرشاد حتى لا نضل من الغياهب البهيمة وجدناه والحمد لله أكمل عدة وأولاها، وأعذب المناهل للمرتشفين، وأحلاها لم ينسج تأليف على منواله، ولم تظفر نفوس المسترشدين بمثاله، وقد من الله بتيسير طبعه بالمطبعة الفاسية عن أذن حضرة الفقيه الكبير، والعلامة النحرير وزير المقام العالي بالله الأعظم، وركن السياسة والفخار الأتم حافظ نظام الصلاح الحريص على نشر العلم، واعزاز الدين، وتمهيد أسباب النجاح الطالع الأسعد سيدي أحمد بن الوزير الكبير المنعم سيدي موسى بن أحمد، لا زالت الأيام به سافرة عن مباسم الثغور متوالية اليمن، والسعادة بوجود مولانا المؤيد بالله المنصور، ولما تسنى طبع التأليف المذكور المحكم الآيات نطق لسان الشوق في بعض نعوته، وذكر تاريخه بهذه الأبيات.

وصف النهايات يحيلي من مباديها ... وصفوة النفس في استرشاد هاديها
وحلية الفوز في استمداد معرفة ... من منبع الفيض تستجدي أياديها
ومنية الروح أن ترجى معارجها ... في العلويات وتحمى من عواديها
فتستنير بأنوار الشهود إذا ... حدا بها في رحاب الخير حاديها
وفي جوار بحور الكشف تركب عن ... هدى إذا خلعت نعلا بواديها
وبحور علم فمن يركب سفينتها ... يشهد مزايا تلبي من يناديها
وكيف لا تقتني من ذخرها نعما ... والسيد الشيخ ماء العينين سديها
نجم الهداية من حاز الأمانة من ... علم فأضحى لأهليها يؤديها
صدر المعارف سامي القدر في رتب ... لدينا بنور الفيض يبديها
له التقدم في رشد وتربية ... وفي نفائس للأرواح يهديها
له تآليف علم من بساحتها ... حط الرحال ينل خيراً بناديها
رياض حسن قطوف السعدانية ... فيها وللمستقي سحت غواديها
ما شئت من زهر غض ومن ثمر ... ومن زواهي غصون رن شاديها
أما ترى أن في نعت البداية ما ... ينفي عن النفس أوهاماً ترديها
أهل الحواضر نالوا من هدايته ... أقصى الأماني كما نالت بواديها
مراتع للقوى الروحانيات متى ... ترتع بها الروح صدت عن معاديها
أكرم به روضة غناء غارسها ... سامي المفاخر والآيات باديها
في الطبع تاريخه (سر سري برضي) ... من مثله فليرو النفس صاديها

١٣١٢ ٥٠٠ ٥١٠ ٣٠٢ أحمد بن عبد الواحد بدر المواز السليمني

بسم الله الرحمن الرحيم

(وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم)

ولشيخنا العالم العلامة الشيخ سيد أحمد الهيبة ابن شيخنا الفاضل الكامل سيدي ماء العينين، هذه الأجوبة المنتخبة بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وما توفيقي إلا بالله.

الحمد لله الذي جعل ملة نبيه أعظم ملة، وحماها من التبديل بقواطع الأدلة، والصلاة والسلام على أجل الأعيان الأجلة.

(وبعد) فقد سألني بعض الإخوان، عوذني الله وإياه بالسبع المثاني والقرآن، عما أحدثه الناس من القيام وإحناء الرؤوس، وتقبيل اليد تعظيماً للسلاطين والمشايخ والعلماء والكبراء، ممن لم يرد في النصوص، ولا كان في السلف هل هو جائز أو ممنوع، ومدح الولد لوالده، وعن المداهنة هل هي محرمة على الإطلاق أو منها ما هو جائز، وعند تقديم الزكاة من يوم إلى شهرين ونحوهما، هل يجزىء أم لا وعن الانتقال من مذهب إلى مذهب في بعض المسائل استقلالاً من غير تلفيق، هل يجوز أم لا، وعمن أنكر على مقدم الزكاة تقديمها فوق ما ذكره المختصر بفتوى بعض العلماء حتى كفر من أفتى بهذا التقديم، هل هذا الإنكار في محله أم لا.

(الجواب) والله الموفق للصواب.

(أما المسألة الأولى): فقد أفاد وأجاد فيها القرافي في الفروق عند الفرق التاسع والستين والمائتين بين قاعدة ما يباح في عشرة الناس، من المكارمة، وقاعدة ما ينهي عنه من ذلك ونصه.

(اعلم) أن الذي يباح من إكرام الناس قسمان:

(القسم الأول): ما وردت به نصوص الشريعة من إفشاء السلام وإطعام الطعام، وتشميت العاطس، والمصافحة عند اللقاء، والاستئذان عند الدخول، وأن لا يجلس على

تكرمة أحد إلا بإذنه أي على فراشه، ولا يؤم في منزله إلا بإذنه لقول رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحداً في سلطانه ولا يجلس على تكرمته إلا بإذنه»[1]، ونحو ذلك مما هو مبسوط في كتب الفقه.

(القسم الثاني): ما لم يرد في النصوص، ولا كان في السلف، لأنه لم تكن أسباب اعتباره موجودة حينئذ، وتجددت في عصرنا يتعين فعله لتجدد أسبابه لا أنه شرع مستأنف، بل علم من القواعد الشرعية أن هذه الأسباب لو وجدت في زمن الصحابة لكانت هذه المسببات من فعلهم وصنعهم، وتأخر الحكم لتأخر سببه، ووقوعه عند وقوع سببه لا يقتضي ذلك تجديد شرع، ولا عدمه، كما لو أنزل الله تعالى حكماً في اللواط في رجم أو غيره من العقوبات، فلم يوجد اللواط في زمن الصحابة، ووجد في زمننا اللواط، فرتبنا عليه تلك العقوبة لم نكن مجددين لشرع، بل متبعين لما تقرر في الشرع، ولا فرق بين أن نعلم ذلك بنص أو بقواعد الشرع، وهذا القسم هو ما في زماننا من القيام للداخل من الأعيان، وإحناء الرأس له إن عظم قدره جداً، والمخاطبة بجمال الدين ونور الدين وعز الدين وغير ذلك من النعوت، والاعراض عن الأسماء والكنى والمكاتبات بالنعوت أيضاً، كل واحد على قدره وتسطير اسم الإنسان بالمملوك ونحوه من الألفاظ، والتعبير عن المكتوب إليه بالمجلس العالي والسامي والجناب ونحو ذلك من الأوصاف العرفية والمكاتبات العادية، ومن ذلك ترتيب الناس في المجالس والمبالغات في ذلك، وأنواع المخاطبات للملوك والأمراء والوزراء، وأولى الرفعة من الولاة والعظماء فهذا كله ونحوه من الأمور العادية، لم تكن في السلف، ونحن اليوم نفعله في المكارمات والموالات، وهو جائز مأمور به مع كونه بدعة، ولقد حضرت يوماً عند الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وكان من أعيان العلماء وأولى الجد في الدين والقيام بمصالح المسلمين خاصة وعامة، والثبات على الكتاب، والسنة غير مكترث بالملوك فضلاً عن غيرهم، لا تأخذه في الله لومة لائم، فقدمت إليه فتيا فيها ما تقول، أئمة الدين: وفقهم الله في القيام الذي أحدثه أهل زماننا، مع أنه لم يكن في السلف، هل يجوز أم لا يجوز، ويحرم فكتب إلي في الفتيا، قال رسول الله ﷺ: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا»[2]. وترك القيام في هذا الوقت

---

(١) أخرجه مسلم (مساجد، ٢٩٠، ٢٩١)، وأبو داود (صلاة، ٦٠)، والترمذي (مواقيت، ٦٠)، (أدب، ٢٤)، والنسائي (إمامة، ٦٣)، وابن ماجه (إقامة ٤٦)، وأحمد بن حنبل (٤، ١١٨، ١٢١، ٥، ٢٧٢).

(٢) أخرجه مسلم (بر، ٢٤، ٢٤، ٢٨، ٣٠، ٣٢)، والبخاري أدب، ٥٧، ٥٨، ٦٢)، وأبو داود (أدب، ٤٧)، والترمذي (بر، ٢٤)، وابن ماجه (دعاء، ٥)، والموطأ (حسن الخلق، ١٤، ١٥)، وأحمد بن حنبل (١، ٣، ٥، ٧، ٢، ٢٧٧، ٢٨٨، ٣١٢، ٣٦٠، ٣٩٤، ٤٦٥، ٤٧٠، ٤٨٠، ٤٩٢، ٥٠١، ٥١٢، ٥١٧، ٥٣٩، ٣، ١١٠، ١٦٥، ١٩٩، ٢٠٩، ٢٢٥، ٢٧٧، ٢٨٣).

يفضي المقاطعة والمدابرة، فلو قيل: بوجوبه ما كان بعيد هذا نص ما كتب من غير زيادة ولا نقصان، فقرأتها بعد كتابتها فوجدتها هكذا، وهو معنى قول عمر بن عبد العزيز تحدث للناس أغضبه على قدر ما أحدثوا من الفجور، أي يحدثوا أسباباً يقتضي الشرع فيها أمور لم تكن قبل ذلك لأجل عدم سببها قبل ذلك، لأنها شرع متجدد، كذلك ها هنا فعلى هذا القانون يجري هذا القسم بشرط أن لا يبيح محرماً، ولا يترك واجباً إلى أن قال: قلت والنهي الوارد عن محبة القيام ينبغي أن يحمل على من يريد ذلك تجبراً.

أما من أراده لدفع الضرر عن نفسه، والنقيصة به فلا ينبغي أن ينهى عنه، لأن محبة دفع الأسباب المؤلمة مأذون فيها بخلاف التكبر، ومن أحب ذلك تجبراً أيضاً أن لا ينهى عن المحبة، والميل لذلك الطبيعي، بل لما يترتب عليه من إذاية الناس إذا لم يقوموا ومؤاخذتهم عليه، فإن الأمور الجبلية لا ينهى عنها فتأمل ذلك فقد ظهر الفرق بين المشروع من الموادة وغير المشروع إلى أن قال أيضاً.

(**المسألة التالية**): تقبيل اليد، قال مالك: إذا قدم الرجل من سفر فلا بأس أن تقبله بنته وأخته، ولا بأس أن يقبل خد ابنته، وكره أن تقبله ختنته ومعتقته، وإن كانت متجالة، ولا بأس أن يقبل رأس أبيه، ولا يقبل خد أبيه أو عمه، لأنه لم يكن من فعل الراضين، (قال ابن رشد): سألت اليهود رسول الله ﷺ، عن التسع الآيات الواردة في القرآن، فقال لهم: «لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تمشوا ببريء إلى السلطان ليقتله، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا محصنة، ولا تولوا الفرار يوم الرجف وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت»[1]، فقاموا فقبلوا يديه ورجليه، وقالوا: نشهد أنك نبي، قال: «فما يمنعكم أن تتبعوني»، قالوا: إن داود عليه السلام دعا ربه أن لا يزال في ذريته نبي، وأنا نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا اليهود، قال الترمذي: حديث حسن صحيح فتقبل اليهود ليديه ورجليه عليه السلام، ولم ينكره دليل على مشروعيته.

(وكان عبد الله بن عمر) إذا قدم من سفره قبل سالماً، وقال شيخ يقبل شيخاً: إن هذا جائز على هذا الوجه لا على وجه مكروه، وقدم زيد بن حارثة المدينة، ورسول الله ﷺ في بيته، فأتاه فقرع الباب، فقام رسول الله ﷺ، عرياناً يجر ثوبه، قالت عائشة: والله ما رأيته عرياناً قبله ولا بعده، فاعتنقه وقبله، قال الترمذي: حديث حسن غريب، وقبل عليه السلام جعفراً حين قدم من أرض الحبشة اهـ.

(وأما المداهنة): فتعتريها الأحكام الخمسة الشرعية كما ذكر القرافي عند الفرق الرابع

(١) أخرجه الترمذي (استئذان، ٣٣).

والستين والمائتين بين قاعدة المداهنة المحرمة، وبين قاعدة المداهنة التي لا تحرم، وقد تجب ونصه اعلم معنى المداهنة معاملة الناس بما يحبون من القول، ومنه قوله تعالى: ﴿ودوا لو تدهن فيدهنون﴾ [القلم: ٩] أي هم يودون لو أثنيت على أحوالهم، وعبادتهم، ويقولون لك: مثل ذلك، فهذه مداهنة حرام، وكذلك كل من يشكر ظالماً على ظلمه أو مبتدعاً على بدعته، أو مبطلاً على إبطاله وبطاله، فهي مداهنة حرام، لأن ذلك وسيلة لتكثير ذلك الظلم، والباطل من أهله.

(وروي) عن أبي موسى الأشعري أنه كان يقول: إنا لنشكر في وجوه أقوام، وأن قلوبنا تلعنهم تريد الظلمة والفسقة الذين يتقي شرهم، ويتبسم في وجوههم، ويشكرون بالكلمات الحقة، فإن ما من أحد إلا وفيه صفة تشكر، ولو كان أنحس الناس، فيقال له ذلك استكفاء لشره، فهذا قد يكون واجباً إن كان يتوصل به القائل لدفع ظلم محرم، أو محرمات لا تندفع إلا بذلك القول، ويكون الحال قد يقتضي ذلك، وقد يكون ذلك مندوباً إن كان وسيلة لمندوب، أو مندوبات، وقد يكون مكروهاً إن كان عن ضعف لا ضرورة تتقاضاه، بل خور في الطبع أو يكون وسيلة للوقوع في مكروه فانقسمت المداهنة إلى هذه الأحكام الخمسة الشرعية، وظهر حينئذ الفرق بين المداهنة المحرمة وغير المحرمة، وقد شاع بين الناس أن المداهنة كلها محرمة، وليس كذلك، بل الأمر كما تقدم تقريره اهـ. وانظر تحفة الأكياس في حسن الظن بالناس وغيرها من كتب الأحاديث عند قوله عليه السلام: «كنا نبش في وجوه قوم، وقلوبنا تلعنهم تجد شفاء الغليل في الكلام على المداهنة».

(وأما مسألة مدح الولد لوالده) فما في مدح الوالدين إلا امتثال أمر الله، وكمال البروز فيا ليتني حظيت بالحظ الأوفر منه فأفوز فوزاً عظيماً، ومما بحث عليه أحد هذه الأوجه، الأول أن يتحدث الشخص بما أنعم الله به على والده لقوله تعالى: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ [الضحى: ١١]، وفي حديث النعمان بن بشير أن النبي ﷺ قال: «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بالنعمة شكر وتركه كفر»[١].

(قال تاج الدين السبكي): الحديث في إسناده الجراح بن مليح والد وكيع تكلم فيه بعضهم والعمل على توثيقه.

الثاني: قول الحق لقوله: قل ولو على نفسك ورضي الله عن عمر حيث يقول: الحق

(١) أخرجه أبو داود (أدب، ١١)، والترمذي (بر، ٣٥)، وأحمد بن حنبل (٢، ٢٥٨، ٢٩٥، ٣٠٣، ٣٨٨، ٤٦١، ٤٩٢، ٣، ٣٢، ٧٤، ٤، ٢٧٨، ٣٧٥، ٥، ٢١١، ٢١٢).

ولو كان مراً، والثالث: أن يكون من باب البرور المأمور به.

(قال تعالى): ﴿وقل لهما قولاً كريماً﴾ [الإسراء: ٢٣] أي جميلاً ليناً، ولا أجمل من المدح أن يكون من ذكر الآباء بالمفاخرة، والجميل فذلك دأب كثير من السلف الصالح كجل الهاشميين وغيرهم، وكان تاج الدين السبكي، وهو حجة غالب أمره أنه لا يلقب أباه إلا بالإمام الشيخ إلى أن قال في كتابه: معيد النعم ومبيد النقم، فانظر كلام الشيخ الإمام الذي برز جميع العلوم، وأجمع الموافق والمخالف على أنه بحر البحار معقولاً ومنقولاً، وهذا من أمدح المدح والسيوطي يلقب أباه أيضاً إلى غير ذلك من الأجلة، وأما لو تتبعنا ما في إكرام الوالدين من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وما قاله المفسرون عندها لاحتجنا إلى مجلدات هذا إذا نظرنا إلى مجرد كونه والداً، وأما إن كان الوالد شيخاً في العلم الظاهر، وأحرى إن كان مع ذلك شيخاً في الباطن، فذلك هو الشهيد بالزبد وقال في مدحه:

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا ... قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

ولا تزال مكرراً ما قاله أبو عمرو الداني:

والتزم الإجلال والتوقيرا ... لمن يريك العلم مستنيرا

وكن له مبجلاً معظما ... مرفعاً لقدره مكرما

واخفض له الصوت ولا تضجره ... وما جنى عليك فاغتفره

فحقه من أعظم الحقوق ... وعقه من أعظم العقوق

ولا نطيل الكلام بكل ما ذكر من تبجيل المشايخ، والعلماء لكثرته، والله الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب.

(وأما تقديم الزكاة) قبل حلولها بيوم إلى شهرين ونحوهما، ففيه ستة أقوال ذكرها سيدي محمد بن المدني جنون عند قول المختصر، أو قدمت بكشهر عازباً كونها في الخطاب ونصه.

(قلت): هذه رواية عيسى عن ابن القاسم وقال ابن المواز: يوم ويومان ونحو ذلك، وقال ابن حبيب: عشرة أيام ونحوها، وقال مالك في المبسوط شهران ونحوهما، وقيل: نصف شهر، وقيل: خمسة أيام انظر الحطاب اهـ، وقاعدة هذا الخلاف المبني عليها هي ما أشار إليها الزقاق في المنهج بقوله:

هل سبق حكم شرطه مغتفر ... عليه من زكى ومن يكفر

وذكرها القرافي في الفرق الثالث والثلاثين بين قاعدة تقدم الحكم على سببه دون شرطه، أو شرطه دون سببه، وبين قاعدة تقدمه على السبب، والشرط جميعاً إلى أن قال

المسألة الثالثة وجوب الزكاة له سبب، وهو ملك النصاب وشرط، وهو دوران الحول فما أحوج من الزكاة قبل ملك النصاب لا تجزيء إجماعاً، وبعد ملك النصاب، ودوران الحول أجزأت إجماعاً، وبعد ملك النصاب، وقبل دوران الحول، فقولان في الأجزاء وعدمه، وفي الميزان الكبرى لسيدي عبد الوهاب الشعراني ما نصه، ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة أن تعجيل الزكاة جائز قبل الحول إذا وجد النصاب، مع قول مالك أن ذلك لا يجوز، فالأول مخفف، والثاني مشدد، فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان، ووجه الثاني جعل تقديم الزكاة كتقديم الصلاة، وتمام الحول كدخول الوقت، ووجه الأول أنه فعل خيراً واعتبار كمال الحول، إنما جعل توسعة لصاحب المال، فإذا اختار إخراجها قبل كمال الحول، فلا يمنع بخلاف تقديم الصلاة عن وقتها لا يجوز، واشتراط الوقت في صحتها كما هو مقرر في كتب الفقه، ولكونها لا يتعدى للفقراء نفعها بخلاف الزكاة، والله تعالى أعلم، قوله: مع قول مالك، أن ذلك لا يجوز أي في إحدى الروايات عنه، وهي رواية أشهب كما مضى، وفيه أيضاً قبل هذا، وأجمعوا على أن الحول شرط في وجوب الزكاة إلا ما حكى عن ابن مسعود وابن عباس من قوليهما بوجوبها من حين الملك، ثم إذ حال الحول وجبت، وكان ابن مسعود إذا أخذ عطاءه زكاه في الحال اهـ، وفي القرافي أيضاً عند الفرق الرابع والخمسين بين قاعدة ما ليس بواجب في الحال والمآل، وبين قاعدة ما ليس بواجب في الحال وهو واجب في المآل، فالأول لا يجزىء، والثاني قد يجزيء عنه، ويتضح الفرق في ذكر ثلاث مسائل.

المسألة الأولى: الزكاة، إذا عجلت قبل الحول أما بالشهر ونحوه عندنا، وإما في أول الحول عند الشافعي، فهذا المعجل ليس بواجب، فإن دوران الحول شرط في الوجوب والمشروط لا يوجد قبل شرطه، فإذا دار الحول وتوجه وجوب الزكاة عليه قبل الحول أجزأ عنه ما تقدم مع أنه غير واجب، فما الفرق بين هذا المخرج، وبين ما إذا نوى بإخراجه صدقة التطوع، فإنه لا يجزىء عنه، والفرق أن صدقة التطوع ليست بواجبة في الحال، ولا في المآل فلم تجزىء عنه، والمعجل للزكاة هو قاصد بالمخرج الواجب على تقدير دوران الحول، ولم يقصد التطوع، وإذا قصد به الواجب في المآل، فما أجزأ عن الواجب إلا واجب اهـ المقصود منه، والأصل في جواز تعجيل الزكاة ما ذكره الشعراني في كتابه كشف النعمة، عند باب كيفية اخراج الزكاة وتعجيلها ونصه، فمن ذلك قوله ﷺ: «يرخص في تعجيل اخراج الزكاة قبل محلها للأغنياء رفقاً بالفقراء»، وربما أخر أخذها ممن تجب عليه عامين.

(وقال ابن عباس) رضي الله عنهما: تسلف عليه وسلم من العباس صدقة عامين بسؤاله رضي الله عنه، لكونه كان غنياً، وكثيراً ما كان الراشدون يؤخرون أخذها إذا رأوا المصلحة في ذلك، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: كان رسول الله ﷺ يستسلف على أهل الصدقة، فإذا جاءتهم قضى عنهم من سهماتهم، واستسلف من رجل بكراً فجاءته إبل من الصدقة، فأمر أبا رافع أن يقضيه إياه منها.

(وأما مسألة الانتقال): في بعض المسائل استقلالاً من غير تلفيق، فمن العلماء من أجازه، ولم يذكر فيه خلافاً كالعدوي في حاشيته على الخرشي عند قول خليل فأجبت سؤالهم بقوله: **(فائدة)**: يجوز تقليد المذهب المخالف في بعض النوازل، ويقدم على العمل بالضعيف، ومنهم من ذكر فيه الخلاف، قال عليش في فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب مالك، وسأل الفقيه أبو العباس القباب عن صفة الانتقال من مذهب إلى مذهب، فأجاب الانتقال من مذهب إلى مذهب، له صورتان: أحدهما أن يكون ملتزماً لمذهب من المذاهب في جميع أحواله فيبدو له، وينتقل إلى تقليد غيره من الأئمة في جميع ما يعرض له، الصورة الأخرى أن ينتقل بالكلية في نازلة خاصة ويبقى مقلداً لإمامه في ما عداها، وأما حكمه فنقل الآمدي وابن الحاجب، في ذلك ثلاثة أقوال: جواز ذلك مطلقاً، والثالث جوازه في مسألة لم يتقدم له فيها تقليد إمامه، ومنعه فيما تقدم له فيها تقليد إمامه اهـ. وفي سعد الشموس، والأقمار وزبدة شريعة النبي المختار أنه جائز لسبب، فإن كان لعزيمة فمطلوب، وإن كان لأجل الترخيص، فينظر في المنتقل إن كان من أهل القوة فيحمل على عزيمته مذهبه، ولا يرخص له في الانتقال، وإن كان لضرورة فالضرورات تبيح المحظورات فضلاً عن الجائزات، فمن ذلك أن مالكاً رضي الله عنه لا يرى كراء الأرض بما يخرج منها كما قيل:

والأرض لا تكـري بجـزء تخـرجـه ... أو بطعــام هــب بمــا لا تنبتــه
كــذا بمــا تنبتــه غيــر الخشــب ... وأن يفــث فخـرج مثـل قـد وجـب

ومذهب الليث الجواز بما يخرج منها وبه أخذ الأندلسيون، وعليه عامة الناس اليوم، ولا يستطيع أن يردهم راد عن ذلك، حتى قال العلامة الشهير أبو بكر بن العربي رحمه الله: وأما كراء الأرض بما يخرج منها فهو مذهب وردت فيه أحاديث كثيرة، والمقنع فيها قوي، وذلك أنا رأينا الله تبارك وتعالى، قد أذن لم كان له نقد أن ينصرف في طلب الربح أو يعطيه لغيره يتصرف فيه بجزء معلوم، فالأرض مثله، وإلا فأي فرق بينهما، وهذا قوي، ونحن نفعله اهـ، فانظر قوله: ونحن نفعله، وهي إحدى المسائل التي خالف فيها أهل الأندلس مالكاً، والثانية توجيه يمين التهمة مطلقاً إلا ما كان فيه معرة كالسرقة، والثالثة توجيه اليمين بمجرد الدوى من غير ثبوت خلطة، والرابعة الحكم باليمين مع الشاهد الواحد، ويثبت الحق بهما، والخامسة غرس الأشجار في المساجد، وإباحة الأكل منها لكل مار كما قيل:

وشجــرة بمسجــد أو مقبــرة ... يــأكـل مـن مـر بتلـك الشجـرة

والسادسة أنهم جعلوا للفارس في الغنيمة سهمين، كأبي حنيفة فتحرر أنه يجوز الانتقال في بعض المسائل دون بعض إن كان اتباعاً للمصلحة ودرءاً للمفسدة، وفي نشر البنود على مراقي السعود لسيدي عبد الله ابن الحاج إبراهيم عند قوله:

وذو التــزام مــذهــب هــل ينتقــل ... أولاً وتفصيــل أصــح مــا نقــل

اعلم أن الأصح عندهم أنه يجب على العامي، والعالم الذي لم يبلغ مرتبة الاجتهاد التزام مذهب معين من مذاهب المجتهدين، وقيل: لا يجب عليه التزام مذهب معين، فله أن

يأخذ فيما يقع له بهذا المذهب تارة وبغيره أخرى، وهكذا وقال أيضاً عند البيت الأخير من هذه الأبيات:

ومـــن أجـــاز للخـــروج قيـــدا   بـــأنـــه لا بـــد أن يعتقـــدا
فضـــلاً لـــه وأنـــه لـــم يبتـــدع   بخلـــف الاجمـــاع وإلا يمتنـــع
وعـدم التقليـد فيمـا لـو حكـم   قـاض بـه فـالنقـض حكمـه يـؤم

يعني أن من أجاز الخروج قيد الجواز بالقيدين المذكورين، وبعدم تقليد المذهب المنتقل إليه فيما ينقض فيه حكم حاكم، وهو أربعة جمعها قوله:

إذا قضـى حـاكـم يـومـاً بـأربعـة   فـالحكـم منتقـض مـن بعـد إبـرام
خـلاف نـص وإجمـاع وقـاعـدة   كـذا قيـاس جلـي دون إبهـام

لأنا إذا لم نقره شرعاً مع تأكده بقضاء القاضي المجتهد، فأولى أن لا نقره إذا لم يتأكد به، وهذا هو المراد بقولهم: يمتنع تتبع الرخص، وفسر بعضهم تتبع الرخص بأن يأخذ من كل مذهب ما هو أسهل عليه فيما يقع من المسائل وإن كان لا ينقض فيه حكم الحاكم، وقد منع القرافي هذا التفسير بأن قوله ﷺ: «بعثت بالحنيفية السمحة»[1] أي السهلة يقتضي جواز ذلك، ونقل عن أبي إسحاق المروزي جواز تتبع الرخص وجوزه بعضهم للموسوس دون غيره، وهو قول حسن وامتناع تتبع الرخص شامل لملتزم مذهب معين وغيره.

(قلت): غفر الله لي: ما قلت وما فعلت يتلخص من هذا أن التقليد في بعض المسائل استقلالاً جائز حسبما ذكرنا إن لم تدع إليه ضرورة، وإلا فجائز بالإتفاق ولا ينكره إلا متعصب في الدين، ومن ذلك أنا لو لم نجد قولاً واحداً في جواز تقديم الزكاة قبل حلولها فوق شهر عند المالكية لجاز لنا أن نقلد في ذلك أحد الأئمة الثلاثة القائلين بجواز تعجيلها في جميع الحول، فضلاً عما وجدنا في ذلك من أقوال المالكية المذكورة، هذا إذا نظرنا أن كل أحد لا بد له أن يتمذهب بمذهب، ويلزمه من غيره وأما إذا نظرنا أن الشريعة في الحقيقة إنما هي مذهب واحد فلا حرج ولله الحمد كما يعضد ذلك كلام شيخنا الوالد أطال الله بقاءه في كتابه دليل الرفاق، والشعراني رضي الله عنه ومن وافقهما، ومن كلام شيخنا في كتابه المذكور ما نصه: قال جامع هذا الكتاب غفر الله له وألهمه الصواب، فبان لك أيها الناظر في هذه المسألة وأمثالها مما نجد فيه روايتين أو أكثر في مذهب كل رواية موافقة لمذهب آخر أن المذاهب في الحقيقة ليست إلا مذهباً واحداً متفرعاً، وكيف لا، وهي كلها نابعة من عين واحدة هي عين شريعته ﷺ، المطهرة ومتفرعة من أغصان شجرتها الطيبة المثمرة، لكنه ربما اشتهر، وقوي عند قوم ما لم يشتهر ويقوى عند آخرين حتى يصير عند من لم يتبحر من تابعيهم كان لم يقل به في ذلك المذهب، بل كثيراً ما تجد أحدهم يقول لك: هذا ما قيل به في المذهب الفلاني، وهو يكون قيل به، وأصله قوى غاية، وأنت أيها الناظر إذا قرأت قواعد المذاهب، وأصولها وأطلت يدك في فروعها، علمت ما قلته لك علم يقين، ونظرته

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل (٥، ٢٦٦، ٦، ١١٦، ٢٣٣).

عين يقين فجزى الله الإمام الشعراني عن الأمة خيراً في اعتنائه بذلك في كتابه الميزان الكبرى، ولأجل ذلك قلت في هذا المعنى في بحر الوافر ترغيباً لمن كان ذا عقل وافر:

إلا فاقرأ قواعد ذي المذاهب ورم أصلاً به تزهو المكاتب
ترى كل المذاهب في وفاق كأغصان بأصل ذي تعاقب

وقال تاج الدين عبد الوهاب السبكي في كتابه معيد النعم ومبيد النقم ما نصه: ومن ذلك فقهاء عصر واحد فلا ينبغي سماع كلام بعضهم في بعض إلى أن قال: ومنهم من يأخذه في الفروع الحمية لبعض المذاهب، ويركب الصعب والذلول في العصبية، وهذا من سوء أخلاقهم، ولقد رأيت في طوائف المذاهب من يبالغ في التعصب بحيث يمتنع من الصلاة خلف بعض إلى غير ذلك، مما يستقبح ذكره، ويا ويح هؤلاء أين هم من الله تعالى، ولو كان الشافعي وأبو حنيفة حيين لشددا النكير على هذه الطائفة، وليت شعري لم لا تركوا أمر الفروع الذي العلماء فيه على قولين: من قائل كل مجتهد مصيب، ومن قائل المصيب واحد، ولكن المخطيء يؤجر، واشتغلوا بالرد على أهل البدع والأهواء، وهؤلاء الحنفية والشافعية، والمالكية، وفضلاء الحنابلة، ولله تعالى الحمد في العقائد عقيدتهم واحدة كلهم على رأي أهل السنة، والجماعة اهـ المقصود منه، وفي كشف الغمة للإمام الشعراني رضي الله عنه اعلم أن الشريعة جامعة لمراتب الإسلام، والإيمان والإحسان لا حرج فيها، ولا ضيق على أحد من المسلمين، ومن شهد فيها فشهوده تنطع وبهتان فإن الله تعالى يقول: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ [الحج: ٧٨]، ومن ادعى الحرج في الدين فقد كذب القرآن فإن الشريعة كالشجرة العظيمة المنتشرة، وأقوال علمائها كالفروع والأغصان، وكل من شهد تناقضاً في أخبارها أو خطأ في أقوال علمائها، فإنما هو لقصوره عن درجة العرفان، فإن الشريعة قد جاءت على هي مرتبتين تخفيف، وتشديد ولكل منهما رجال لا على مرتبة واحدة، وفيه أيضاً بعد هذا بقليل، فإذا تقرر عندك أدلة الشريعة كلها على هذا الطريق، ثم خفت تعارضها رجعها كلها إلى مرتبتين عزيمة، ورخصة يرتفع التعارض والخلاف عندك في الشريعة لا تخرج عن هاتين المرتبتين أبداً، لأن الحديث إما أن يكون الحكم المحتوي عليه مائلاً إلى العزيمة والاحتياط، وأما أن يكون مائلاً إلى الرخصة، والتخفيف عن ضعفاء الأمة، ولكل من المرتبتين رجال في حال مباشرة الأعمال، فمن قوي منهم خوطب بالتشديد، وحكم عليه به في الحقوق ونحوهما، ومن ضعف منهم خوطب بالرخصة، فلا يكلف الضعيف بالصعود لمرتبة الأقوياء، ولا يؤمر القوي بالنزول لمرتبة الضعفاء، سواء كان المأمور به مندوباً أو واجباً، ويوضح لك ذلك في أقوال المذاهب أن تجعل كل ما شرطه مجتهد بطريق الاستنباط في طريقة الأولوية والاحتياط، وتجعل مقابله من كلام المجتهد الآخر في مرتبة خلاف الأولى لا غير مع القول بصحة القولين وموافقتهما للشريعة، وقال أيضاً رضي الله عنه في العهود الكبرى قلت: وقد من الله تعالى علي بالإطلاع على أدلة مذاهب الأئمة الأربعة وغيرها، وعرفت مستند أقوالهم في جميع أبواب الفقه، فما من قول من أقوالهم إلا ورأيته مستنداً إلى دليل، إما إلى آية وإما إلى حديث، وإما إلى أثر وإما إلى قياس صحيح، وصارت مذاهب الأئمة الأربعة بحمد الله تعالى عندي منسوجة من

الشريعة المطهرة سداها ولحمتها كما يعرف ذلك من طالع كتاب مختصر السنن الكبرى للإمام البيهقي رحمه الله، وكل من لم يطلع على أدلة المذاهب كما ذكرنا فلا يميز مسائل الرأي من النص، وربما وقع في العقائد الزائغة، وعمل بالمذاهب الباطلة وقد سنن المهتدين للمواق رضي الله عنه ما نصه، ونقل أبو عمر بسند إلى الثوري، قال: إذا رأيت الرجل يعمل الذي اختلف فيه وأنت ترى غيره فلا تنهه إلى أن قال القاسم بن محمد نفعنا الله به باختلاف أصحاب محمد ﷺ في أعمالهم لا يعمل العامل يعمل رجل منهم إلا رأى أنه في سعة، ورأى أن خيراً منه قد عمله، وعنه أيضاً أي ذلك أخذت به لم يكن في نفسك منه شيء إلى أن قال: ورأيت فتيا لابن عرفة، قال قول ابن حزم أجمعوا أن متبع الرخص فاسق مردود بما أفتى به الشيخ المتفق على علمه، وصلاحه عز الدين بن عبد السلام، أنه لا يتعين على العامي إذا قلد إماماً في مسألة أن يقلده في مسائل الخلاف، لأن الناس من لدن الصحابة إلى أن ظهرت المذاهب يسألون فيما يسنح لهم العلماء المختلفين من غير نكير من أحد، وسواء اتبع الرخص في ذلك أو العزائم، لأن من جعل المصيب واحداً لم يعينه، ومن قال: كل مجتهد مصيب فلا إنكار على من قلد في الصواب، وقال القرافي: انعقد الاجماع على أن من أسلم فله أن يقلد من يشاء من العلماء بغير حجر، وأجمع الصحابة على من استفتى أبو بكر وعمر وقلدهما فله أن يستفتي أبا هريرة ومعاذ بن جبل وغيرهما من غير نكير، فمن ادعى رفع هذين الاجماعين عليه الدليل انتهى.

وأما الإنكار فإن من فعله قبل معرفة شروطه، وأحكامه فذلك منه ضلال وقصور وغرور وفجور وشروطه وأحكامه ذكرها غير واحد من العلماء، كالقرافي في فروقه وعبد الباقي وكلامه فيه عند قوله: والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بشرط معرفة كل وأن لا يؤدي إلى ما هو أعظم منه مفسدة، وأن يظن الإفادة ويبقى الجواز، إن لم يتأذ به في بدنه أو عرضه، وإلا انتفى الجواز أيضاً، قال القرافي والظاهر: إن هذا القيد يعلم من الثاني، وقد أشار بعضهم لهذه بقوله:

معـــرفـــة المنكـــر والمعـــروف والظـــن فـــي إفـــادة المـــوصـــوف
وإلا مـــن فيـــه مـــن أشـــد التنكـــر كقتـــل شخـــص فـــي قيـــام الخمـــر

أي عند شرب الخمر، ويشترط أيضاً في المنكر الذي يجب تغييره أن يكون مما أجمع على تحريمه أو ضعف مدرك القائل بجوازه، كأبي حنيفة في شرب النبيذ فعلينا نهي حنفي عن شربه، وأما ما اختلف فيه فلا ينكر على مرتكبه إن علم أنه يعتقد تحليله بتقليده القائل بالحل كصلاة مالكي بمنى في ثوبه مقلداً الشافعي في طهارته بشرط طهارة فرجه قبله عنده، فإن علم أنه مرتكبه مع اعتقاد تحريمه نهى لانتهاك الحرمة، قال ابن عبد السلام: قال الشيخ زروق في شرح الإرشاد، وإن لم يعتقد التحريم، ولا التحليل والمدرك فيهما متوازٍ أرشد للترك برفق من غير إنكار، ولا توبيخ، لأنه من باب الورع، ولله در صاحب السرية حيث يقول:

وأيضـــاً المنكـــر ذو شـــروط وبـــالشـــروط صحـــة المشـــروط

ذكرها في الكوكب الوقاد ... عن علما أجلة نقاد
وهكذا نقلها اليد إلى ... عنهم وذا الناعق عنها خال
منها التمكن من النظر في ... منازع المجتهدين فاعرف
وعلمه مستندات العلما ... من سنة ومن كتاب من سما
وأخذ ذاك من أئمة الهدى ... من بعدما أروه وجه الاهتدا
وعلمه بمن بظاهر يقول ... ومن يرى التأويل من أهل النقول
ومن دليله قوى منهم ... وأن يحيط باصطلاحاتهم

وفي رفع العياب، والملام، ولا ينكر على من قلد بعض هذه الأقوال كالقول الأول، بل لا ينكر على من قلد الضعيف الذي لم يشتد ضعفه في الاختيار فضلاً عن القوى المشهور يدل على ذلك ما قاله عياض، ونصه: لا ينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، أن يحمل الناس على اجتهاده ومذهبه، وإنما يغير منه ما أجمع على انكاره، وكذا يدل عليه قول ابن سراج إذا جرب عادة الناس بشيء، ولم يكن متفقاً على تحريمه، فليتركوا وما هم عليه، والشاهد في قوله: فليتركوا وما هم، وكذا يدل على ما ذكر كلام ابن لب ونص المقصود منه إذا عمل الناس على قول لبعض العلماء، فلا ينبغي انكاره، وكذا يدل على كلام أبي إسحاق الشاطبي، ونصه الأولى عندي في كل نازلة يكون لعلماء المذهب فيها قولان فيعمل الناس على موافقة أحدهما، وإن كان مرجوحاً في النظر أن لا يتعرض لهم، وغير ذلك في النصوص القاطعة، وفي سنن المهتدين للمواق بعد ذكر كلام عياض المذكور آنفاً، ورشح محيي الدين النووي كلام عياض قائلاً: أما المختلف فيه إنكار فيه، وليس للمفتي، ولا القاضي أن يعترض على من خالفه إذا لم يخالف نص القرآن أو السنة أو الإجماع إلى أن قال: ومن مقدمات ابن رشد ما اختلف العلماء في تحليله وتحريمه فهو مكروه، ومن تركه أجر، ومن فعله لا يأثم.

وقال القرافي وعز الدين: من أتى شيئاً مختلفاً فيه يعتقد تحريمه أنكر عليه لانتهاكه الحرمة، وإن اعتقد تحليله لم ينكر عليه إلا أن يكون مدرك المحلل ضعيفاً ينقض الحكم بمثله في الشرع، وقال أبو عمر في تمهيده: ألا ترى أن الصحابة اختلفوا وهم الأسوة، فلم يعب أحد منهم على صاحبه اجتهاده، ولا وجد عليه في نفسه إلى الله الشكوى، وهو المستعان على أمة نحن بين أظهرها يستحل الأعراض إذا خولفت، وفي الرماح ما يشفي الغليل، ويبرىء العليل من الكلام على الإنكار.

وأما مسألة المكفر لمن أفتى بجواز تقديم الزكاة حسب ما ذكر فلا ننجس أقلامنا بإطالة الكلام في قائل ذلك أجارنا الله واحبتنا مما ابتلاه به، ويكفي ما في كتب الفقه فيمن، قال في العلماء: أدنى من ذلك من إذاية وإنكار وإهانة كالفقيه العلامة محمد كنون في حاشيته، وابن هلال إلى غير ذلك من كلام العلماء العاملين فيه، ثم لتعلم أيها الناظر أن الحامل لي على هذا إنما هو غيرة العلماء لا غير حيث نسب التكفير لبعضهم إذا أفتى بأقوام بعضهم ألم يعلم الجاهل، أن الله تبارك وتعالى يحب أن تأتي رخصة كما يحب أن تؤتي عزائمه، وقال عز من قائل، وما جعل عليكم في الدين من حرج، وقال عليه السلام:

«أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»، ولا يعذب اتفاقاً عبد يفعل ما فيه الخلاف لبدو، وأقوال العلماء وليست بعبث، والأصوب عندي أن لا يفتي في هذا المجال وغيره إلا من متبحر في الفروع، والأصول متسع العلم عالم بكمائن النفوس، كالطبيب الماهر يداوي هذا بهذا، وهذا بهذا فيأخذ لضعفاء الدين أو الجسم بالرخصة، والأقوياء بالعزيمة، لأن الفتوى دائرة على مقتضى الأحوال، ولذلك اعترضت على نفسي التكلم فيه بيد أني اتكلت على الكريم الذي من اتكل عليه لا جرم يصطفيه اللهم اجعلنا من العلماء العاملين، والأولياء المخلصين لما تحبه وترضاه موفقين آمين، وبه أفتي من ليس للفتوى أهلاً أحوج العبيد إلى مولاه، وأكثرهم زللاً، أحمد الهيبة ابن شيخه الشيخ ماء العينين كان الله لهما ولأحبتهما ولجميع المسلمين آمين في ٢ ربيع النبوي عام ١٣٢٣.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله

قال شيخنا المتحلي بالحقيقة والشريعة ابن فارض وقته الشيخ سيدي أحمد الهيبة يمدح أباه وشيخه الشيخ المربي القطب المشارك سيدي الشيخ ماء العينين مجدد سنة جده سيد الكونين عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام:

لائمي في التنائي فرط بكاء — أملام على بكاء التنائي
ليس لوم على بكا من تردى — بثياب الفراق بعد اللقاء
كيف أصبو إلى فتاة وسلمى — مازجت داء حبها بدوائي
فاشتقاق اسمها متى ما تسل ما — فهو سيلان مدمعي بدمائي
أو سلواً بها اجعلنه وعنها — لست أسلو ولو بطول رجائي
كيف أسلو وكلما لاح برق — خلته برق ثغرها المستضاء
وإذا ماس غصن بأن نضير — خلته ميس غصنها في الرداء
وإذا لاح لي كثيب لواء — قلت ذا الردف أم كثيب اللواء
وإذا ارتاع بالرمال ظباء — خلت عينيها ركبت الظباء
هي شمس لو لم تلذ لعيني — وترى الشمس تارة في انمحاء
إن تبسمت يا غزالة صحو — أو تنست يا مناء منائي
طبت نفساً إذ لاح برق الثنايا — أمنائي وفاح ريح الشذاء
يعبق المسك كلما ذكر اسمي — منذ ناديتني ضحى بسماء
وإذا ما ناديت شخصاً نداء — فمرادى سلمى بذاك النداء
يطمع العاذلون هجري سلمى — ما باحشائهم جوي أحشائي
فجميع الملاح تحت لواها — وجميع العشاق تحت لوائي
ما ثنائي عنك الجفا فلماذا — ما ثنيت الجفا إذاً عن جفائي

مـن جفـائـي والحـزن بعـد الثنـاء (مـاء عينـي) كـديمـة وكفـاء
بـالعطـا والسخـاء (مـاء عيونـي) عـم للخلـق بـالعطـا والسخـاء
لا بمـــن ولا اكتـــراث عطـــاء حبـذا حبـذا العطـا مـن عطـاء
إن طلبـت الخصـال فيـه تجـدهـا فيـــه الأبـــوة الأنبيـــاء
لـو بفضـل تعطـى لصاحـب فضـل لاستحقيتهـــا عـــن الفضـــلاء
أو بعلـم تعطـى لصـاحـب علـم لاستحقيتهـــا عـــن العلمـــاء
أو بحلـم تعطـى لصـاحـب حلـم لاستحقيتهـــا عـــن الحلمـــاء
أو ببـــذل تعطـــى لأي سخـــن لاستحقيتهـــا عـــن الأسخيـــاء
أو بتقـوى تعطـى لصـاحـب تقـو ى لاستحقيتهـــا عـــن الانقيـــاء
أو بعقـــل تعطـــى لأي ذكـــي لاستحقيتهـــا عـــن الأذكيـــاء
كيف لا هو في ابتدا حاز فضلا لـم يحـزه فـي فضلـه ذو انتهـاء
أدرك العلـم مشكـلا وعـويصـاً فتجلـى عـويصـه مـن خفـاء
وتـــردى بـالحلـم بعـد ائتـزار مـن تقـي اللّـه حبـذا مـن تقـاء
فتـرقـى إلـى مقـام التجلـي فمقـــام البقـــاء بعـــد الفنـــاء
بسـط كـف علـى الأنـام سـواء فـــي إيـــاس وشـــدة ورخـــاء
وذكـاة فـي العقـل نـاهيـك عقـلا أعجـز الفـائقيـن أهـل الـذكـاء
مـن نـواه بـالخيـر نـال الخيـر أو بصـر سقـاه كـأس الـرداء
فسعيـــد إذا دعـــاه يجيبـــه وشقـــي مخـــالـــف للـــدعـــاء
فسقـى للسعيـد أعـذب كـأس وسقـى للشقـي كـأس الشقـاء
مـرضـت قبلـه بيـوت المعـالـي فبنـــاهـــا فـــآذنـــت يشفـــاء
قلـت للمجـد والعلـى والنـدى (ما العيـــون) الـــوكفـــاء والسحـــاء
قال لي المجد ما أنا في البرايا قبـــل مـــرأى الأميـــر الأمـــراء
ثـم منـي مـا زال بينـي ارتقـاء كـل مـا انهـد مـن خـراب بنـاء
وأجـاب العلـي فقـال جهـارا مـا بهـائـي إلا هـوى فـي هبـاء
قبـل عينـي فلـم يـزل بـارتقـاء يـرقينـي حتـى استقـام عـلائـي
وأجـاب النـدى فقـال ذرونـي قبـل مـاء العيـون شـد وكـاء
فمتـى جـاء حـل مـا كـان منـي محكمـاً بـالعبيـد بـل والامـاء
بخيـول جـرد ونـوق ومـال عنـه عبـرت إذ يضيـق ثنـائـي
زينـة الأكـرميـن فـي كـل قطـر تـاجهـا عقـدهـا محـل اللـواء
ليتهـا فـي نـزال غيـث حمـاهـا زنـد نيـران حـرهـا فـي الـوغـاء

صيتها نورها قرى الضيف منها أنت قدما منها محل الثناء
ضرها نفعها وحامي حماها دافع الضر حالب النعماء
حيدري إذ الأكارم عدوا كنت منهم بيت القصيد العلاء
ألفت جيشه الطيور ضوار سيفه قاطع غير ذي اعتداء
آمر في أوامر اللّه ناه عن مناهيه أعدل الحكماء
كم عيون سقى المريدين منها أعجزت قبله ذرى الأولياء
بل بحور سقى المريدين منها حجبت دون الأولياء بارتواء
كم عويصات حلها مشكلات أشكلت قبله على البلغاء
كم مساكين آلفت ويتامى قفر فقر فعمهم بالغناء
كم دجا الجهل فاستنار بعلم من ضيا علمه حظي من ضياء
كم قلوب عمت وعمت ضلالا فهداها إلى صراط السواء
كم له في المديح مجلد تليد قصرت دونه يد الشعراء
وإذا الناس في الأراءات ضلوا أرشد الناس مسرعاً في الآراء
وإذا في اللأراء جف كرام سمح في الجود مدة اللأواء
لاح منه على البصائر بدر أخجل الشمس بالبها في الثناء
وهمت بالعلوم منه بحور لم تكدر لحاتها بالدلاء
ثم سألت بالجود منه سيول تنعش المرملين بعد الشتاء
ذاك الهدى للعمى ثم منه ذا لشرب وذا غنى الفقراء
بغيني ليست المكارم إلا يا أبا الفضل والعلا والوفاء
لفظة والمعنى لها قد جعلتم والمراد المعني من الأشياء
يا بني الوحي والنبوة يا من باسم ما العين قد سمي في السماء
يا حليف العلي نعم وأباه كرماً يعتلي على الكرماء
يا طويل العماد يا قطب يا من سخطه للإله مثل الرضاء
يا كثير الرماد يا من تعطي بالتقى فانمحى كثير الغطاء
أملي لا برحت في الدهر كنا للمعالي في عزة وهناء
كابت الحاسدين عليك اعتزاز وابتهاجاً نما بطول بقاء
يا نصيري على الخطوب وغوثي من ذنوبي لا أرتجي برء داء
قد تطفلت بالمديح وحاشى بغيتي أن يخيب فيك رجائي
ثم مني الصلاة تتلو سلاماً في ابتداء على النبي وانتهاء
(انتهت وبالحسن ازدهت وقال أيضاً زاده الله فيضا)

إلـى إيـان أنـت أخـو سهـاد وتصبـح هـائمـا فـي كـل واد
ودمـع العيـن يجـري بـانسكـاب ونـار الشـوق تضـرم فـي الفـؤاد
فمـا ذاك التـذكـر واشتيـاقـي وتيـك النـار إلا كـالـزنـاد
متـى يقـدح يطـر شـرراً وإلا يـواري سـر نـار غيـر بـاد
لقـد غـرس الهـوى بسـواد قلبـي غـرامـاً بـالمحبـة والـوداد
وأسقـاه بـدمـع العيـن سقيـاً كمـا تسقـي الجـذوية بـالغـوادي
فلمـا حـان قلـت لـه اقتطفـه فقـال مخلـد حتـى التنـادي
ركبـت سفينـة الأشـواق تجـري علـى بحـر المـدامـع للجهـاد
جهـاد العشـق ثـم أبيـت ليلـى رفيـق الحـب والهيمـان زادي
فحيـن أصبتـه وطمعـت فيـه جنـى منـي بـأرمـاح جـداد
متـى نهلـت قـواديـم وصـدت أتـت أخـرى مـرشفـة صـواد
وحيـن رأيـت ذاك ثنيـت عنـه غنـائـي ثـم صـار لـه انقيـادي
فثبـت قبيـل ذاك وبعـد كـرى إلا مـولاتـه لأنـل مـرادي
فلمـا أن رأيـت الـوصـل منهـا بعيـداً دونـه خـرط القتـاد
إلـى مـدح المعظـم فـي البـريـا ثنيـت لأن ذلـك مـن رشـادي
فقـل مـا شئـت مـن مـدح وشكـر فمـا دون النبـوءة نيـه بـادي
فقـل إن شئـت ذو علـم وعـز وقـل إن شئـت منسكـب الأيـادي
ومـن يبغـي جيـاداً مـن خيـول فيعطيـه مـن الخيـل الجيـاد
ومـن خـاف الأعـادي حيث كـانـوا فيكفـي مـا يخـاف مـن الأعـادي
ومـن عـاداه دمـره بحتـف كمـا فعـل الإلـه بقـوم عـاد
تـرى العـافيـن حـول البـاب دأبـا علـى مـر الشـدائـد كـالجـراد
فـإن زادوا يـزيـد جـداه زيـدا وإن نفضـوا فيبقـى فـي ازديـاد
فـلا سحنـون شـاكلـه بعلـم ولا لا فـي الحـديـث أبـو الـزنـاد
ولا الجيلـي فـي سـر مصـون ولا فـي القـرب مـن رب العبـاد
ولا والله مـا سمـع ابـن صـدق بمثلـك فـي المـدائـن والبـوادي
أجـل الخلـق عنـد الله سـؤلا وأعظـم حـرمـة يـوم التنـادي
يغيـث مـن استغـاث بـه سـريعـا سـواء فـي الـدنـو وفـي البعـاد
لقـد شهـدت لـك الحيتـان طـرا علـى رغـم الحسـود وكـل نـاد
وأقمـار السمـاء ومـا حـوتـه بـأنـك لـن تمـاثـل فـي البـوادي
ومـن فيهـا يقيسـك قـاس جمـلا يـوافيتـا بحمـل مـن رمـاد

وحاصل ذا أيا إنسان عيني ... بأنك في المعالي ذو انفراد

أتيتك بعد افلاسي وذلي ... وضلت بي مناهيج الفساد

اغثني يا عماد ومن عليه ... إذا لم تغث يكن اعتمادي

على الهادي الأمين ومن تلاه ... صلاة ما حدا بالركب حادي

وما قال الغريم سها دليل ... إلى إيان أنت أخو سهاد

(انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه)

(وقال أيضاً زاده الله فيضاً)

لقد شطت فانحلنا الهيام ... متى شطت أميمة والغرام

ودمع العين يجري بانسجام ... وما طاب القعود ولا القيام

ودام الحزن والأفراح ولت ... ودام السهد وامتنع المنام

وما طاب المذاق على كلا ... وما طاب السكوت ولا الكلام

إذا ريئت يفوح المسك منها ... قبيل الصبح والريق المدام

لها ليل وصبح لو تبدي ... لشمس الصبح كان لها الظلام

وردف مثل دعص من كثيب ... تلبد بالندى منه الهيام

وعين للمهاة وجيد ظبي ... ترود وظل مكنسها البشام

وألمي ثغره مثل الأقاحي ... يزينه إذا افتر ابتسام

هيامي لا يماثل من رواها ... كحبر لا تماثله الكرام

فذا (ماء العيون) له مقام ... مقام لا يماثله مقام

فذا ماء العيون حماه ربي ... وهذا الحبر والبطل الهمام

لقد حاز اليوم وحاز فضلاً ... على كل الأنام كما يرام

وكان العلم ليس له دعام ... وحين أتاه كان له الدعام

وكان الجود ليس له سنام ... وحين أتاه كان له السنام

وكان العدل ليس له مقام ... وحين أتاه كان له المقام

وكان الدين ليس له قوام ... وحين أتاه كان له القوام

وكان الحق ليس له إمام ... وحين أتاه كان له إمام

وكان الجهل ليس له انعدام ... وحين أتاه كان له إمام

لقد حاز المكارم والمعالي ... أبي (ماء العين) مذ بلغ الفطام

ويطعم للوفود ولليتامى ... طعاماً لا يماثله طعام

ويسقيهم ويكسوهم دواماً ... وغير الشيخ يغلبه الدوام

وبذل الشيخ ليس له ملال ... وبذل الشيخ أيسره انسجام

لحبل الخير يجلب كل خير ... وحبل الشر كان له انصرام

وبحر لا تكدره دلاء ... تقاصر له كل فتى يرام

وزهد للارامل والعوافي ... ومجد لا يفارقه انتظام

وحلم لا يغيره عذول ... وصبر لا تغيره الأنام

فماء العينين مولاه اجتباه ... له قد آذن الملك السلام

مطيع أوامر الرحمن غيث ... غيور النفس ما انتهك الحرام

وللأعداء والباغين منه ... حريق القلب والسيف الحسام

على كل الأنام يداك طول ... وبذلك للأنام بها دوام

نرى العافين وفدا بعد وفد ... لهم في رجب منزلة ازدحام

ألا يا سائلي عن ماء عيني ... متى ما جئت يخبرك المقام

لقد أدى حقوقاً ما عليه ... تكفلها فليس له ملام

فلو كان السماء والأرض طرا ... قراطيساً والأشجار أقلام

وكل الناس تكتب من بحار ... وما بهم الفتور ولا المنام

لما من فضله جاءوا بعشر ... ففضل القطب ليس له تمام

فيا شيخ الشيوخ عليك مني ... سلام لا يماثله سلام

رجوت بجاهكم علماً ودينا ... وتغفر لي خطاياي العظام

صلاة الله يتلوها سلام ... لمن بالرسل كان به الختام

(انتهى وقال أيضاً زاده الله فيضاً)

إلى كم دمع عينك في انسكاب ... وتوكاف على دور الرباب

وعينك لا تنام كان فيها ... كلوماً كيها مثل الشهاب

وقلبك مستهام طاش شوقا ... وتذكاراً على طول اكتئاب

عراني الشوق والهيمان حتى ... كللت عن المسير أو الإياب

عهدت بها عروباً أودعتني ... حزيناً مستهاماً كالمصاب

لها وجه كصبح تحت ليل ... غدائره كأجنحة الغراب

إذا ابتسمت ترى لمعان فيها ... كلمع البرق في كف السحاب

كأن رضابه من بعد نوم ... فتيت الرند خولط بالرضاب

لذيذ الطعم عذب مستطاب ... وحسبك من لذيذ مستطاب

يؤثر إن مشى ذر عليها ... ويزلف فوقها فرخ الذباب

فتاة تخجل البدرين ضوءا ... إذا برزت بحافية النقاب

ديار قد عهدت بها زمانا ... قد أفنى من تذكره شباب

فلا آوي إلى زمن وراء   ولا آوى إلى لهو الكعاب
فيا قلبي زمانك قد تنحى   فدع تذكاره واطلق ركابي
إلى مدح الشريف أبي اليتامى   أبي الجواد المسمى بالسحاب
سألت العلم (ما العينين) ما هو   فقال عمامتي بل هو نقابي
سألت الدين ما هو قال ذا هو   جداري دائماً بل هو بأبي
سألت الجود ما هو قال عبد   لما العينين صرت بلا حجاب
نرى العافين دأباً في اختلاف   عليه في المجيء وبالذهاب
فيمناه عليهم كل حين   كأمواج الغطمطم والعباب
ويسراه تسح لهم بفيض   سحنون المزن في أعلى انسكاب
فيطعمهم مع الترحيب منه   طعام في طعام مستطاب
ومسكنهم حصين بل حسين   سواء من خيام أو قباب
وما زالوا بأطيب ما استطابوا   تعمهم جفان كالجواب
وكم ساروا بما يرجون منه   من الخيل المسومة العراب
وكم حاذا النبي بكل فعل   وقول في امتثال واجتناب
وكم حاذاه في الأوصاف طرا   كما حاذ الغراب أخو الغراب
فما يدعو دعاء كان إلا   تقبله المجيب من المجاب
فمن آخاه صار إلى نجاح   ومن عاداه عاد إلى تباب
ومن داناه كان على سرور   ومن جافاه كان على اكتئاب
أتم الناس ميثاقاً وعهدا   وأشرفهم وأحرى في انتساب
وأرأفهم بجيران وأهل   وأصدقهم كلاما في الخطاب
وأسرعهم إلى الهيجا وأندى   نداء على العفات من السحاب
وأعرفهم وأعلمهم جميعاً   بأحكام الحديث مع الكتاب
وأعلاهم نصيباً في المعالي   وأطلقهم لسانا في الجواب
وأشرفهم وأطلقهم جبيناً   وأوفقهم إلى حكم الصواب
وألين جانباً وأعم نفعا   إذا احمر السماء على التراب
وأرحم للأرامل واليتامى   وأعتق في الشدائد للرقاب
وقد ظهرت عليه في صباه   أدلة ما تبدي في الشباب
وأعطاه فضائل واضحات   منوعة تجل عن الحساب
فما نور البدور إذا تجلت   ونور الشمس واضعة الثتاب
ونور الأولياء بكل وصف   بنور الشيخ ألا كالسراب

وما الأمطار في وكف وسح ... وثـج وانهمـال وانسكـاب
وأمواج البحار على اختلاف ... بجنب نداء إلا كالرضاب
إذا صعب الأمور على أناس ... فنعم الشيخ من عدد الصعاب
ونعم الا نجب الأوفى بعهد ... ونعم الباسل الحامي والآبي
فما من قاسه في الناس إلا ... كمن قاس الأسود على الذئاب
مغيث للأنام حماه ربي ... وفي يوم الحفيظة ليث غاب
فيا أهل القرابة فاسمعوني ... ويا أهل الإخاء والاقتراب
فإن شئتما نجاح الأمر أنتم ... واتيان المنى من كل باب
دعو الأموال والأوطان كلا ... وذكر الغانيات من الكعاب
وائتوا ماجداً براً كريما ... يوصل للإله بلا حجاب
إماما محسناً هيناً ولينا ... عفواً عن عتاب ذوي العتاب
أبر فتى فصوحاً فاق علماً ... أجل فتى مشى فوق التراب
وأكرم مكرم ركضت إليه ... وحطت عنده قلص الركاب
ويا من زانه علم وحلم ... وشرفه التمسك بالكتاب
ويا أملي وريحاني وروحي ... أتيتك من دنوبي من عذاب
ولي يا خير مقصود خطايا ... عظام أوجبت ألم العقاب
وأن تدعو الإله أزلت خوفي ... من أهوال العقاب وكل ما بي
قصدتك بالمديح وليس قصدي ... لمدحك ما ينال من الثواب
ولكن للمديح أراك أهلاً ... لأنك للمكارم ذو اكتساب
ومني للنبي صلاة ربي ... شفيع الخلق في يوم الحساب
بعدد الرمل والأمواج دأبا ... وعد الوكف من قطر السحاب
وما قال الغريم على اشتياق ... إلى كم دمع عينك في انسكاب

(انتهى)

(وقال أيضاً زاده الله فيضاً وأطال حياته)

دور لعبلة أقفرت أطلالها ... واستعجمت بعد الأنيس رمالها
وتوالفت فيها الوحوش نعاجها ... وعباؤها ونعامها وغزالها
وتعاورت بربوعها مزن السما ... توكافا وغزيرها هطالها
وتعاقبت برسومها بعد الأنيـ ... ـس الرامسات جنوبها وشمالها
دور عهدت بها عروباً يستبي ... قلب الحليم حديثها ونبالها
تسقى بنظر عيونها سقما كما ... يسقي الخلائق قطبها وتفالها

ماء العيون وما العيون وما السما ... تاج المعارف والعلوم سجالها

قطب بني للجود بنيانا إذا ... تجد البرية بذلها عيالها

وترى الوفود على الوفود ببابه ... صبيانها ونساؤها ورجالها

ونراه يعطي للأباعد إبله ... فصلانها ونيافها وجمالها

وترى الأرامل عاكفين إزاءه ... قسماً لهو يمينها وشمالها

والشمس إن نظرت إلى أنواره ... قد أطرقت خجلات وقل جمالها

قطب تقاصرت البرية دونه ... وتقاصرت أقوالها وفعالها

وترى البلاد لنأيه عنها تحـ ... ـن عليه شوقاً سهلها وجبالها

وعلى الرسول وآله وصحابه ... أزكى الصلاة مع السلام كمالها

(انتهى)

(وله أيضاً أطال الله حياته ونفعنا به)

من ذكر حي مضى في سالف الزمن ... سقمت يا قلب حتى صرت كالزمن

بليت حتى بليت من تذكره ... وازددت حزناً على ما كان من حزن

وللناس جاهلة ما فيك من شغف ... والعين باكية وأنت في شجن

أبكي عليه ودمع العين منسكب ... حتى قلقت من الأحزان والمحن

أبكي عليه بكاء من تذكرة ... بكاء ولهة في حالك الدجن

تبكي عليه بكاء زادني شغفاً ... وقلقت منه أحشائي وقرقني

دع الوقوف على دياره وعلى ... أطلاله وعلى دوارس الدمن

وخل عنك الطوال والبكاء بها ... فليس ينفع مسكون بلا سكن

واقصد مدائح قطب حاذق لبق ... ينسيك الأهل والأحباب والوطن

سمح لبيب تقي عالم بطل ... حبر تقي بحبل الشرع مقترن

فخاض بحر العلى الصبا وعلا ... على الذي قد علا في البدو والمدن

وخاض بحر الهدى وللطغاة هدى ... كلا وخاض بحار الحق بالسفن

فمثلكم لم يكن هنا وليس يرى ... فيما مضى أبداً في سالف الزمن

وإن يكن فيه (يا ماء العيون) فلم ... تبصره عيني ولم تسمع به أذني

فمن (أياماء عيني) للأناس متى ... ما حل ضيم ومن للداء في البدن

ومن لهم عند ما حلت بهم أزم ... ومن لهم عند دفع الظالم الدخن

ومن لهم من لهم فيما يحل بهم ... سواك يا ملجىء في السر والعلن

فأنت إذا ذاك تنجيهم وتنقذهم ... من المضرة والظلام والفتن

طليق وجه لدى انسكاب راحته ... كأنه البرق في انسكاب ما المزن

بـدر منيـر كـأن الضـوء منتشـر — والبدر مقتبس من وجهه الحسن
لـه يـدان يـد مبسـوطـة أبـداً — علـى الـورى ويـد تـزيـل للمحـن
لله مـا للنـاس مـن نعـم — أسدى جميعاً وما يزيل من درن
عن القلوب وما عن الرسول حوى — مـن العلـوم ومـا أحيـا مـن السنـن
الطاهر الحسن ابن الطاهر الحسن ابن — الطاهر الحسن ابن الطاهر الحسن
والواهب المنن ابن الواهب المنن ابن — الـواهـب المنـن ابـن الـواهـب المنـن
فمثلكـم فـي الـورى يـا خيـر كـل فتـى — مـا كـان قـط وحتـى الآن لـم يكـن
مـدحتكـم ولقـد يكـل مـدحكـم — حمـل القـراطيـس والأقـلام واللسـن
لكـن أتيـت بقـول قـل يـا أملـي — ورب قـول قليـل جـاد بـالحسـن
أتيـت ملتجئـاً لبـاب فضلكـم — مـن الـذنـوب فقـد فـادتني بـالـرسـن
أريـد أن يغمـرنـي الفضـل مـن ملـك — رب رحيـم عـن الأعمـال هـو غنـي
صلى الإله على المختار ما سجعت — حمـامـة أو بكـى طيـر علـى فتـن

(انتهى)

(وقال أيضاً زاده الله فيضاً)

فـاق الـورى فـي علمـه بحـر النـدى — مـاء اليـون الشيـخ سيـدي المصطفـى
وهـو الخليفـة للنبـي محمـد — وهـو الـذي نـال المحـامـد فـي الصبـا
ذاك الـذي فـاق الـرجـال بفقهـه — وأصـولـه وبيـانـه بيـن الـورى
وبشعـره وبنحـوه وحـديثـه — وبنفـع ذي القـربـى ونفـع اللـذ نـأى
كـل الشـريعـة والحقيقـة حـزتـه — لا زلـت فـي كـل البـريـة منتقـى
يـا ذا التقـى حـزت المكـارم كلهـا — حزت السخا حزت السنا حزت العلى
يا ذا الحجا حزت الهدى حزت الوفى — حزت إليها حزت الصفا حزت المنى
ماء العيون لدي الصفا شمس الضحى — حتف العدىٰ جم الجدي بدر الدجى
قطب الثرى رحب الذرى رأس الذر — ى ظن الورى دفء الشتا نور القرى
حلـو الفكـاهـة للـورى لكنـه — يوم الوغى يسقى العدى كأس الردى
يـا شمسنـا مـن جـاء بـك زائـراً — يلقـى المنـى ممـا أشتهـاه مـن القـرى
اجعـل قـرأي لـديكـم مـا تشتهـي — نفسي الفدى لك والجميع لك الفدى
ثـم الصـلاة علـى النبـي وآلـه — مـا دمـت فـي كـل البـريـة منتهـى

(وله أيضاً زاده الله فيضاً)

الدمع بعد سليمى — سين وكاف وباء — سكب
ثج ووبل وسح — وكف وصاد وباء — صب

أصابعي من هواها واو وصاد وباء وصب
وحرق القلب منه لام وهاء وياء لهب
مذ زان برق لماها شين ونون وباء شنب
خمر يشاب بمسك عين وذال وباء عذب
ما راق لي في سواها نون وعين وتاء نعت
للدمع عن سر قلبي باء وحاء وثاء بحث
أوجهها ذاك أم هو صاد وباء وحاء صبح
وليس يسليك إلا شين وياء وخاء شيخ
لدين خير البرايا نون وصاد وراء نصر
بحر عطوف مرب حاء وباء وراء حبر
قطب لأهل المعاصي طاء وهاء وراء طهر
وللعيوب جميعاً سين وتاء وراء ستر
وصيته في النواحي ظاء وهاء وراء ظهر
ماء العيون يداه ميم وطاء وراء مطر
وكفه لا يبارى باء وحاء وراء بحر
للخائفين دواما حاء وراء وزاء حرز
قطب لكل فقير كاف ونون وزاء كنز
على العفاة جسداه باء وسين وطاء بسط
لكل مفتقر من جدواه حاء وظاء حظ
وللعدوين منه حاء وتاء وفاء حتف
لجده طه ماح خاء ولام وفاء خلف
سهل الجناب لطيف نون وياء وهاء نيه
رجائي من ماء عيني سين وقاف وياء سقى
وأن يمد به لي عين وميم وراء عمر
لا زال للخلق منه ميم ونون وحاء منح
ولطفه بالبرايا عين وجيم وباء عجب
لغامض العلم دأبا شين وراء وحاء شرح
من الصلاة دواما واو وكاف وفاء وكف
على أمام البرايا يس طاء وهاء طه

(وله أيضاً زاده الله فيضاً)

إلى م سهاد القلب والناس نوم … ويهتز منه العطف إن قيل مريم

ومدمع عين كلما رمت رده … يفيض على الخدين شوقاً ويسجم

فهل لسهاد القلب نوم وهل له … سكون وهل للدمع رد محكم

بل إن تكن بالرشف مريم أعرضت … بألحاظها المرضى وللصب ترحم

كتمت هواها كي يقال سلوتها … وهل يألف الكتمان صب متيم

ولي مهجة في النازعات وعبرة … من المرسلات ديمة بل وديم

فما الودق إلا صبه من مدامعي … وما البرق إلا القلب إذ هو يضرم

لقد اشغلت قلباً وفيه توطنت … فلله جنات حوتها جهنم

وإن جلت في نظمي عليها تسرعا … تناثر دمعي قبل ما النظم ينظم

ولو جاءها خصم على مغرم له … لما صريعاً وانثني وهو مغرم

معاطفها قضت على صبح وجهها … غدائرها ليل تدجدج مظلم

أما وحباب الثغر وهو مفلج … وما هو إلا والجواهر توأم

وعطف كغصن البان هزت له الصبا … تحقق وألحاظ رتت وهي أسهم

لفيك من الشمس المنيرة ضوؤها … وليس لها منك الحيا والتبسم

والرئم منك الجيد والعين والحشا … وليس له منك الروادف والفم

إذا حدثت في تربة أو تنفست … فهاروت أو مسك علاه التنسم

رماني الهوى منها فهنت من أجله … وليس الهوى إلا الهوان المرخم

وخوفني حتى انتهيت لما يشا … كما خاف مولاه الولي المعظم

حليف العلى ماء العيون من ارتقى … إلى المكرمات قبل ما هو يفطم

إليه انتهى التعليم والعلم كله … وما الناس إلا عالم ومعلم

تقي همام موثق بعهوده … جواد كريم من كرام غطمطم

بلى إنه البحر المحيط بفضله … ولكنه أشهى مذاقاً وأعظم

وتج غيوب السحب إذ هي تراكمت … وليس لها منك العطا والتكرم

جنان نعيم في زهو لدى الهنا … ولكنه في البأس صبر جهنم

ولا غروان سلطت نقماً على العدى … وجادت مع الرضوان لا غرو أنعم

له خلق أزهى من الروض ضاحكاً … وفهم لسحنون بلى هو أفهم

وسخط لو أن النحل ترعاه دائماً … لمجته من أفواهها وهو علقم

ولطف لو الأفعى حوته بدمها … لأصبح منها سكراً ذلك الدم

وعدل لو أن العاشقين احتموا به … لرد سهام الأعين النحل عنهم

وعـزم يـزيـل الطـود بعـد رسـوخـه ... فللـه مـا يسـدي لنـا حيـن يعـزم
ومجـد رقـي فيـه ومـا غيـره رقـى ... إليـه ولـو أن المجـرة سلـم
إذا شمرت عن ساقها الحرب بعدما ... بـدا مـن ثنـايـاهـا البـلاء المصمـم
وجـال رمـاح الهنـد والـريـق غـائـر ... وأضـراس أفـواه المهـالـك تبسـم
سطا كالأسود الضاريات إذا سطت ... لـه وثبـات يـا لهـن ولهـذم
كان رؤوس القوم في الجو إذ رمى ... عصـائـب طيـر فـي التخـالـف حـرم
يلـذ سـؤال المعتفيـن بسمعـه ... كمـا لـذ فـي سمـع الطروب الترنـم
تـرى بـذلـه دأبـاً يشتـت مـالـه ... كـأدمـع صـب هيجتهـن أرسـم
أقـام اعـوجـاج الـديـن بعـد انهـدامـه ... ومـا زال طـول الـدهـر وهـو مقـوم
أبـوه ولـى عقبـه سعـد أنجـم ... ومـا هـو إلا الشمـس يعـرف منهـم
فـإن قلـت هـل عنـدي علـوم بـوصفـه ... نعـم بـاردن أنـي بمـا رمـت أعلـم
فمـاء ولا ملـح ولطـف ولا هـوى ... وعلـم ولا لـد وسيـف مصمـم
وإن قلـت إن المكـرمـات فضـائـل ... فـذلـك لفـظ مـن معـانيـه يعلـم
أبـوهـا أخـوهـا أمهـا وكفيلهـا ... سنـاهـا دوام الـدهـر والأخ والحـم
لقـد أمـه المعـروف والجـود والتقـى ... ومـا هـو إلا سـائـر حيـث يممـوا
أطـال لنـا رب العبـاد بقـاءه ... ولا زال آيـاف العـدى منـه تـرغـم
ليهنـك شهـر الصـوم وافيـت أجـره ... وعـودة عيـد الفطـر أنـت مكـرم
ولا زلـت تكسـو صـومـه مـن ليـالـه ... قيـامـا وبـالإقبـال نحـوك يقـدم
ولا زال غصـن البشـر عنـدك فـوقـه ... تغـرد أطيـار السـرور وتنغـم
إليكـم أسيـر جـاءكـم فـي ذمـامكـم ... ومـا فـي الـذمـام لازم ومحتـم
أغثنـي إذا ظلـت نفـوس حـزينـة ... وأرعـد أفـراص العصـاة التنـدم
صـلاة علـى المختـار مـا ذر شـارق ... ومـا دام مـن يـأتـي لبـابـك يغنـم

(انتهى)

(وقال أيضاً زاده الله فيضاً)

ديـار عفـت بـالملتقـى وتغيـرت ... وجـادت عليهـا الـواكفـات السحـائـب
جنـوب إذا غـابـت بـرسـم طلـولهـا ... تظهـر شمـأل لمـا هـو غـائـب
ومهمـا أتيـت الـدار جنـت بـلابـل ... ومسحت على خدي دموع سواكب
ديـار لقطـب الكـون (مـاء عيـوننـا) ... على كل موجود له الفضل راسب
فـلا مثلـه حبـر ولا مثلـه فـي ... إمـام إليـه المكـرمـات عـوازب
لقـد حـاز كـل العلـم قبـل بلـوغـه ... فبـانـت لـه مـن العلـوم عجـائـب

كـريـم همـام طـاهـر ومطهـر ... مغيث لمن ضاقت عليه المذاهب
رحيـم شفيـق بـالمسـاكيـن كلهـا ... وسيف حسام في الحفيظة ضارب
وبحـر زلال يستقـي منـه مـن يشـا ... ونـور بـه ضـوء الغيـاهب ثـاقب
فما الغيث إذ سحت وسحت سحابه ... ومـا البحـر إذ جنـت عليه الغـوارب
بـأكثـر مـن جـدواه إذ أظلـم السمـا ... ولم يبق إلا من قرى النمل كاسب
إذا كنت ترضى أن يكون لك المنى ... وتـأخـذ مـا تهـوى ومـا أنـت راغـب
فبـايـع لـه بـالنفـس والمـال مطلقـاً ... وحقـق بـأن تمـت عليـك المطـالـب
لـه منـزل يعلـو علـى كـل منـزل ... لـه رتـب فـوق السمـاء رواتـب
لـه راحـة تجـري علـى الخلـق دائمـاً ... مـواهبهـا للمعتفيـن سـواكـب
تـرى كـل مسكيـن إلـى الشيـخ راغبـاً ... كمـا كـل جبـار مـن الشيـخ راهـب
فمثـل إمـام النـاس ليـس بمـوجـب ... ولا هـو حـاضـر ولا هـو غـائـب
لقـد ورث المختـار (مـاء عيـوننـا) ... فتمـت سجـايـاه وتـم المنـاقـب
منـاقبـه لـم يحصهـا مـدح مـادح ... ومـن رام إحصـاء لهـا فهـو كـاذب
بجـاهكـم تقضـي جميـع حـوائجـي ... ومـا أنـا فـي الـداريـن عنـدك طـالـب
صـلاة علـى المختـار أحمـد جدكـم ... سـلام عليـه دائمـاً يتعـاقـب
كذا الآل والأصحاب ما ذكر كوكب ... ومـا نيـل مـن مـاء العيـون المـآرب

(وقال أيضاً زاده الله فيضاً)

لقـد طعـت للحـب المقيـم صبـابـة ... وللحـب قبـل اليـوم لسـت بطـائـع
متـى ضيعـت قلبـي أميمـة ضـائعـاً ... ومـا عـوضتنيـه سـوى حقـف ضـائـع
لهـا مقلتـي بعـد المسـامـع هـاجـرت ... وعـن مقلتـي كيـف الهنـا ومسـامـع
ثـوى حبهـا بيـن الأضـالـع والحشـا ... ومـازج بـالهيـام شـوقـا طبـائـع
وكيـف احتـرازي منـه إن أنـا رمتـه ... إذا هـو ثـاو بـالحشـا والأضـالـع
مـدامـع عينـي بعـدهـا انهملـت ولا ... عجيـب مـن العبـد انهمـال المـدامـع
طمعت فرمت القبض بعد الجفا على ... وصـولـي لهـا يـومـاً لـذيـذ المطـامـع
فصـرت كـأنـي يـوم ذلـك قـابـض ... علـى المـاء خـانتـه فـروج الأصـابـع

(وقال أيضاً زاده الله فيضاً)

ألـح وشـاتـي ثـم قـالـوا عصـابـة ... دع الحث يا هـذا وحـالـي لـه نطـق
أبـى الحـب إلا ذاك والقـول قـائـل ... على الرافع الراقي قد اتسع الخرق

(وقال أيضاً زاده الله فيضاً)

هنيئـاً لمجنـون وصـاحـب عـزة ... علـى الـوجـد واعتيـاد بـرح المحبـة
وفي الحب فقت الصاحبين في الهوى ... فيـا لائمـي دعنـي أردد زفـرتـي

فلو ذقت طعم الحب والوجد والهـ ـوى وذقت بعيد الصب بعد الأحبة
لما لمت في التذكار مجنون عامر وما لمت من قومي كثير عزة

(وله أيضاً زاده الله فيضاً)

من ذكر سلمى وهي بوين سلوان عن الغواني سلوت أي سلوان
ولا وحق محياها المليح فما صغيت بعد حديثها لا تسل
ولا دريت لشيء لا ولا اكتحلت بعيد تارة بالنوم اخفان
ولا اشتغلت بحسن بعد غربتها ولا جعلت سوها في الهوى ثان
فنم يريد لاظهار هواها فعن رسيس سرى فقد ينبيه إعلان

(وله أيضاً زاده الله فيضاً)

أسنى الخرائد قلتم إنها قمر في سائر الخلق اذ تبدو إلى النظر
وهي شمس الضحى تلوح تحت دجى وعند شمس الضحى لا حظ القمر

(وله أيضاً زاده الله فيضاً)

فرع ووجه وخد والغرام رسا للريم ليل وصبح وسطه لهب
يدي لنا فرنا وماس مبتسما بدرا وربما وغصنا زانه الجيب
فطاش مني وضل هائماً قلقاً عقل ودير وقلب أنه العجب

(وله أيضاً زاده الله فيضاً)

برزن لي بعد متى هائماً دنفا عين ولا عقل لي إذا ولا دين
ثغورهن بروق في الدجا لمعت يزينها الشين بعد الباء والنون
تسل فلن باحدانا فقلت إذاً لا عطر بعد عروس أيها العين

(وله أيضاً زاده الله فيضاً)

في غزال ختف أنفي رشأ من مقلتيه
لا أطيق الصبر عنه لا ولا الوصل إليه
ومدام الثغر منه إن عقلي لعليه
ليت شعري ليت شعري بعد قتلي ما لديه

(وله أيضاً زاده الله فيضاً)

إن قلت قولاً نمى لغير مي هوى فذاك سمه من الأقوال بالغلط
أو قلت إن اشتياقي من محبتها ومن تذكرها الأعمال في حبط
صدقت يا قلب لكن في محبتها أغريتني بعدما قد كنت في شطط
أما سمعت من الأمثال مطردا أباك أباك والاغراء في الوسط

(انتهى)

أبدر ضاء أم برق اليمان أضوء الصبح متسع المكان

أميــة أم جبينــك وســط ليــل | يبيــن لنــا ليكســب للجمــان
وخــدك أم صفــاء غــد يــرمــزن | وثغــرك أم تفتــق أقحــوان
وسيـف اللحـظ أم عضـب ولكـن | كـلا السيفيـن عضـب هنـدوان
وذاك الــردف أم دعـص بحقـف | أغصنـك فـي الـردا أم خـوط بـان
جزعت الحب بي وخففت مني | ممـل الـرفـع ثـم نصبت شـان
علـى ذكـر الغـوانـي قبيـل ذكـري | لميــة كنــت منقســم الجنــان
وعـن ذكـر الغـوانـي حمتنـي مـي | رقيقــات المثــالــث والثمــانـي
ولــو كــان الحمــى لنــا ســواهـا | لمــا مسـك العنـان عـن الغـوانـي
رمــانـي القلـب بـالتشبـب فيهـا | وبـالتشبيـب صـرت كمـا دعـانـي
وحيــن ألــح بــالتشبيــب فيهــا | وقلـت هبلـت دع هـذا عصـانـي

(وقال أيضاً زاده الله فيضاً)

لعــائشــة غــدت للعيــن فــرضــا | وفـرض كفـايـة عـن كـل فـرض
أرتنـي البـدر يمشـي فـوق أرض | ومــا عهــدي ببــدر فــوق أرض
أردت لهــا المجــيء فقــابلتنــي | فلـم أسطـع أجـيء لهـا أو أمضـي
فللّــه المليحــة مــا أبــاحــت | علـى الـواشيـن والعـذال عـرضـي

(وقال أيضاً زاده الله فيضاً)

تمكنــت المليحــة مــن عنــانـي | متـى منهـا عنيـت بمـا عنـانـي
فقــالــوا لـي لنـا صفهـا جمـالا | فقلـت لهـم ومنهـا فـي هـوان
فمــا أدري ولكــن مــن أتــاهــا | محـال أن يئـوب إلـى الحسـان
وإن جــاءت ذوائبهــا بليــل | يجـيء صبـح يشـاب بـأقحـوان
وإن جـار دفهـا الـراسـي بحقـف | يجـيء الميـس منهـا خـوط بـان
وقـالـوا صـف لنـا شـوقـاً هـواهـا | فقلـت لهـم يضيـق بـدا جنـانـي
فليـس يـرى لشـيء منـه جـزء | ولا يختــص عــن وقــت بشـان
ولا ينجيــك منــه البعــد كــلا | وذكــر الغـانيـات ولا النـدانـي
ولا يلقـــى تستـــر فـــي خفـــاء | ولا هـو فـي الظهـور ولا البيـان
بلـى طهـورا أمـوت ومنـه طـورا | أصــم الأذن منعقــد اللســان
وطــوراً هــائـم قلبـي وطـورا | لـوجـه الأرض أنضـح بـالجمـان
وحلــو تــارة مــر جنــاه | عسـى يـرمـي عسـاه بمـا رمـانـي

(انتهى. وله أيضاً زاده الله فيضاً)

أبكـي حـزينـاً مـن تبـاعـد مهـدد | آه لمــن يبكــي تبــاعــد مهــدد
للحب جمع من هواها بي كما | اثنيـن صـرنـا مـا لنـا مـن مفـرد
حـاولـت منـه تجـردي فـأجـابنـي | هيهـات تلتمـس الثـريـا بـاليـد

(وله أيضاً زاده الله فيضاً)

جرت العيون بمدامع مرجان | هل بالعيون معادن المرجان
أمدى الدهور نعم فقدت مدامعي | وجرت بما هو مثله العينان
يوما غداً فيه التفرق ضاحكاً | وبكى وصال مشوقة الأظعان
يكفي هواي مربماً ما راعني | يوم النوى من جالب الأحزان
قرشية يا سائلي عن أصلها | والفرع منها من ذوي السودان
والردف منها من كثيب هائل | والميس منها من قضيب البان
عذرية الأهوام صرم وصلها | وحديثها يهدي إلى الطغيان
جمعت بقلبي داءها ودواءها | واها لمن هو جامع الضدان

(وقال أيضاً زاده الله فيضاً)

إن عيني من تذكر خود | صرفتني للحب عما أريد
لصباها ترد صاحب شيب | ويشيب الصغير منه الوليد
وصفها حار فيه بل عنه حسنا | عجز الشاعر البليغ المجيد
جرتا بالدموع حتى رماني | وله دائم وحزن شديد
وطويل ووافر كبهاها | وبسيط وكامل ومديد
فلهذا تلاطمت وسط لي | أبحر الحب والغرام يزيد
إن أبادت تلك المليحة لي | إنما الحب طارف وتليد
طارف حبها ومنها تليد | فغرامي من حبها لا يبيد

(وقال أيضاً زاده الله فيضاً)

هلموا هلموا أوقد الشوق في صدري | ومالي عن أظغان مية من صبر
ونجوا بكاء بالدماء دموعكم | وإلا بكاء ما تألمت من ذكر
لعل بكاكم أو تباكيكم إذا | يخفق ما بالصدر من شرر الجمر
لبست ثياب الشوق والحب بعدما | خلعت أسى ثوب التجلد والصبر
فأوقفتا عيناي دمعاً فقلت بل | جعلتكما وقفاً على ربعها يجري
وما ربعها إلا ربيع لأربع | بكائي والتذكار والشوق والخسر
فهل يدر مشتاق تكنفه الهوى | سوى شوقه واها لمن هو لا يدري
ولم أدر بين العدل والعدل مهملا | ولا العذب والتعذيب في المد والقصر
أردت بها التشبيب في الشعر مغرما | فصادفني البحر الطويل من الشعر
ومهما بدا لي فعل كسر لطرفها | وفي كسره حسن على حبها يغري
ولم تق فعل الكسر نون لحاجب | بنيت إذا منه الروي على الكسر
فسبحان مبد في النهار لياليا | ومن هو فوق الأرض سير للبدر
ومبد قرونا كالقرون طوالها | من الفرع أو ليل التذكر من عمر
وأنبت في الخدين وردا معندما | وفي الهدب أبدى للمثقفة السعر
وأنبت فوق الدعص للغصن يانعا | وبختره بالميس في الحلل الخضر

وأعطى لقلب الريم والمرط غصة   ومبدي اللئالي البيض في شهدة الثغر

حديثك يروي مرسلاً لمدامعي   عن المسك عن دارين عن دارة العطر

عن الرند مرفوعاً عن القلب ما عدا   تأجج نار الشوق والحب للنشر

أثغرك هذا أم هو الخمر صفيت   أم الشهد أم أشهى من الشهد والخمر

أما والهوى لولا العيون التي رنت   وما هي إلا السحر أو شبه السحر

ولولا هواها والصبابة والجوى   لما ذقت في الأهواء برح الهوى العذري

ولولا كلام في رخاء وغنة   لما هز عطفي سجع نائحة القمري

ولولا اهتزاز الردف بل لين غصنها   لما هيجت شوقي صبا مطلع الفجر

ولولا لآلي الثغر بين شفاهها   لما شمت برقا لاح في هيدب العطر

نحرت لضيف الطيف جفني عن الكرى   فاسبل يجري بالدماء على النحر

منام جفوني مستحيل ومدمعي   على لعين فرض بالتنظم والنثر

لشوقي وما أحبت أعطت وما طلت   وضنت وجادت بالوصال وبالهجر

حشاي التصق جفني أرق دمعي انطلق   قلبي احترق جسمي ذق ألم الصدر

ألم يك ماء العين يخلف ما السما   بوكفاء في التهتان دائمة القطر

فيا طالبا خوضاً بسبعة أبحر   ستكفيك سبع من أنامله العشر

وخض لجة من بحر واحدها تنل   بلجته ما رمت من خالص الدر

ولله ما تحويه منها ثلاثة   وتلقيه في بطن القراطيس من سطر

فيا للذي تحوي القراطيس عندما   تفجر من أنواره فتواه للمقري

فواعجبا في كفه عند حربه   تحيض ذكور الهند كالقضب السمر

وأعجب من ذا أنها بأكفه   تؤجج نارا وهي في لجج البحر

لقد نسخت فضلاً سجاياه ذكر من   رقى المجد في صدر الأنام إلى الفخر

كما نسخت للمبتدا كان والذي   ككان من الأفعال في حكمها يجري

وقد عجزوا عن مثله بأخيرهم   فمن ذاك رد الآخر العجز للصدر

فأفنى وأغنى للعصاة وللورى   ذوي الظلم والعصيان والحج والفقر

أبو الفضل والتمكين والجود والندى   أخو المجد والإحسان والعفو والبر

وفي سخى بالعهود وماله   مثيل مزبل للمعالي وللضر

إذا خرجت من جيبه اليد للندى   فيا ويح أم الكوم والورق الصفر

فلو سيح تهطال السماء بجوده   لما سح إلا بالجياد وبالتبر

نداه بساط فوق سبعة أبحر   ودعوته سيف على هامة النصر

فضائله نور على عاتق العلى   وسرج معاليه على راية الفخر

فإن قلت في الناس العلي متفرق   فليس الليالي كلها ليلة القدر

وما كل ماء أعذب ماء زمزم   وما كل نجم لاح كالكوكب الدري

وما كل ضرب ضربة هاشمية   وما كل نفل مثل نافلة الوتر

وما كل برق شيم برقا يمانيا   وما كل طير عنده قوة النسر

وأين حداد السيف من حدة العصا | وأين ارتفاع الشمس هيهات من شبر
وأين جبال الأرض من وزن حلمه | ومن قدره أين الكرام ذوو القدر
إذا هز يوم الحرب ثعلب رمحه | فويل لأهل الريب والشك والنكر
تخاف أعادي الله سطوة عزه | ومن عقره الآبال دائمة الذعر
يظهر للمسكين لطفاً كماله | يلين فؤاد اللص لو كان من صخر
له رأفة لو موزج الصبر باسمها | لأصبح نخلاً تمره رطب التمر
وسخط لو أن النخل يسقي بمائه | لأمسى قتادا ثمره حنظل الصبر
يلين ويقسو رأفة وصلابة | يمر ويحلو بالمنافع والضر
حليف العلي عمر الندى ملجأ الورى | براحته قد أينعت دوحة الدهر
فتى جاء والأيام عبس وجوهها | فأينع في أغصانها ثمر البشر
فيا سائلي عنه فلا تسألني | فضائله تنبيك عن معجم السر
إذا جال ذكر الأكرمين فذكره | بمنزلة الأولى من الذكر في الذكر
ألا فأطب نفساً وفضلك شاهد | بأن ليس تحصيه السلافة في الشعر
أيحصى الحصى أم ينزح البحر نازح | أيحصى من الأمطار قطر على قطر
أما والذي أعطيت من منن العلى | نعم والليالي العشر والشفع والوتر
لما نظرت عين نظيرك في العلى | ولا سمعت أذن ولا جال في فكر
حصرت الثنا عما سواك وإنما | حصرت الثنا فضلاً كما هي للحصر
يؤم بلاد السهل إن سرت نحوه | وإن سرت نحو الوعر سار إلى الوعر
فهنيت في التقديم في الفضل والعلى | وبعد صيام الشهر هنيت بالفطر
ولا زلت تكسوا صومه بقيامه | ويأتيك بالأقبال يا راية الفخر
ولا برحت أيامك الغر مكرما | قلائد مجد يبتسمن عن الدهر
رياض لياليها تساعف بالمنى | وتضحك بالورد المفتق والزهر
أعاديك نون الجمع في الخلق لن تضف | وإلا فهمز الوصل والواو من عمرو
ودمت مهابا في السعادة والهنا | وعشت معاني في السعيد من العمر
أيا ملجئي حصني مرادي وبغيتي | أتيتك كن لي واقياً ظلمة القبر
فواحسرتي واحسرتي من جرائمي | ووالهفي يوم القيامة والحشر
إذا لم تكن لي واقياً وأغثتني | وأنقذتني مما أخاف من الضر
صلاة على المختار ما دمت مولعا | يجمع شتات المجد والأنجم الزهر
وما قال مشتاق على الصب والنوى | هلموا هلموا أوقد الشوق في الصدر

(انتهى)

(وله أيضاً زاده الله فيضاً)

أنت منطوقي إن نطقت بقول | بل ومفهوم لو سكت بقال
هل رأيتم يا قوم منطوق شيء | هو مفهومه على كل حال

(وله أيضاً زاده الله فيضاً)

ليت الزمان على ثلاثة موقف　　حيث انتهت هذي لذي يتنقل
برح التذكر لا له من شائب　　إلا بما باللب منا يفعل
أو غادة غصنية دعسية　　صبيحة والليل منها أليل
أو أهل ود إن قصدت بمقول　　بعدا فلا للقول من يستشكل
هذا يئن وذا يغرد منشدا　　شعرا وهذا منصت يتململ

(وله أيضاً زاده الله فيضاً)

غزالة صحو أنني مغرم بها　　غراماً توارى كامنا وهو بائن
لقد قدر الله العظيم غرامها　　على دواما والمقدر كائن

(وله أيضاً في بحر الطويل)

إذا منحت وصل الحبيب وشاتنا　　وطول الجفا مع أنه من صفاته
فلم يمنعوا تصدير ذهني شخصه　　ولهوى وتأنيسي بصورة ذاته

(وله أيضاً في المديد)

كل شيء ما عدا الحب سهل　　ليته لم يخلق الله شكله
أو إذا قدره الله لم تملك　　ـه طائع الملك جله
أو إذا ملكه الله ميا　　لا أراني حبها طائعا له

(وله أيضاً أطال الله حياته)

ماذا أقول وخير القول أصدقه　　في حي مي ضنى العشاق من غدهم
أقول أني بهم شغلت أني بهم　　شغلت شوقاً بلا قولي شغلت بهم
أولاً أقول تركت غيرهم فلقد　　تركته قبل ذا شوقاً لغادتهم

(وله أيضاً زاده الله فيضاً) متقارب

وبالمتقارب حبل غرام　　أميمة جا مولعاً بالأذى
وفي المتقارب هل جاءكم　　أيا قومنا الخبل من قبل ذا

(وله أيضاً زاده الله فيضاً) وافر

فذا ثغر له أشر وظلم　　وعذب والملاحة والمدام
وذاك هو النصاب ولا يزكي　　لأن به المدام وذا حرام

(وله أيضاً أطال الله حياته)كامل

إني رأيت بدور تم أشرقت　　وغصون بان خاليات رقيب
يجذبن بل يقتلن بل يحيين بل　　هن السيوف وآلة التعذيب
بينا أنا في حسنهن مفكر　　ولأيهن تغزلي ونسيبي
حتى بدت مي فقلت بديهة　　قطعت جهيزة قول كل خطيب

(وله أيضاً زاده الله فيضاً) رمل

فـــأنـــــا أحمـــــد كلمـــــة　　صـــرفهـــا النحـــو أبـــاهـــا
قبـــل مـــي صـــرفتنـــي　　نحـــوهـــا عمـــا ســـواهـــا
معـــرفـــة ليســـت مضـــافـــا　　بـــل مضـــافـــا لهـــواهـــا

(وله أيضاً زاده الله فيضاً)مدح

تنـــائـــي مـــي لـــوعـــات　　ولقيـــاهـــا لقينـــاهـــا
فـــويحـــي ثـــم ويحـــي مـــن　　تنـــائيهـــا ولقيـــاهـــا

(وله أيضاً زاده الله فيضاً)رجز

حـــال غـــرام ميـــة　　سعـــى وذلـــك اشتهـــر
حـــالـــة شـــرط أن يقـــم　　زيـــد يقـــم حتمـــا عمـــر

(وله أيضاً زاده الله فيضاً)سريع

ميـــم تكلمـــت وسيـــن لنـــا　　تبسمـــت عـــن بـــرد بـــارد
يـــا عجبـــا والـــواو تلسعنـــا　　والعيـــن تـــرمـــي سهمهـــا صـــائـــدي
والعجـــب العجـــاب تكـــويـــن ذا　　مجتمـــع فـــي شـــادن مـــاهـــد

(وله أيضاً زاده الله فيضاً)خفيف

ومليـــح مليـــح شكـــل ولكـــن　　حـــاز كـــل الجمـــال منـــه إليـــه
وابتـــلائـــي بحبـــه اللّـــه شـــوقـــا　　هكـــذا الحـــق لا غبـــار عليـــه

(وله أيضاً زاده الله فيضاً) طويل

فـلا علـم لـي فـي دهـرنـا بمكـدر　　على القلب تكديرا كشخص بلا جنس
أيجـع بيـن المـاء والنـار أو تـرى　　سفينـة ميـاه تسيـر علـى يبـس

(وله أيضاً زاده الله فيضاً)

أأهـــل الحـــب هـــل لكـــم دواء　　بـــه أسلـــو وتجـــب المحـــب تحـــد
فمهمـــا أنـــس منـــزل آل مـــي　　تـــذكـــرنـــي منـــازل آل دعـــد
ومهمـــا أنـــس منـــزل آل دعـــد　　تـــذكـــرنـــي منـــازل أم سعـــد
فـأيـن سـلامتـي مـن تـي وهـاتـي　　ومـــن هـــاتيـــك فـــي قـــرب وبعـــد
نعـــم إنـــي ميـــاديـــن الهـــوى لـــي　　بهـــا تـــأنيـــس مشغـــوف بهنـــد

(وله أيضاً زاده الله فيضاً)

يـــا الله يـــا الله يـــا مغيـــث يـــا صمـــد　　يـــا مـــن تنـــزه عـــن أب وعـــن ولـــد
يا مذهب الغم كاشف الكروب أيا　　مـــولاي جيشـــي مـــلاذي ملجئـــي عضـــد
مهمـــا احتيـــاجـــي للحـــوجـــاء تعلمـــه　　بـــلا إشـــارة أفـــواه ولا بيـــد

فلا بحال تحوجني إلى أحد | بل كن وليي وكيلي ناصري مددي
ما أحوج اليوم أمثالي لمثلك يا | من لا مثيل له حاشاه في بلد

(وله أيضاً زاده الله فيضاً)

يا بر يا بر يا واف المخاوف يا | كاف اكفني كل مكروه وكل أذى
حالي تراه وسقمي أنت تعلمه | كيف احتياجي لأن أقول ها أنا ذا

(وله أيضاً زاده الله فيضاً)

إذا كان أمري في يديك صلاحه | فأصلحه أكربي ففرحه حيث حل
وإن لم يكونا في يديك إلا هنا | فسيان عندي فيهما كل ما فعل

(وله أيضاً أطال الله حياته)

جعلتك دون النفس والأب والأم | وحبي دون الخال والأخ والعم
فيا رب يا مولاي يا من تنزهت | صفاتك عن شبه وكيف وعن كم
فكن لي ولياً ناصراً مشفعاً ولا | تكلني إلى نفسي وارحم من أم
ومن كادني ربي فكده وعاد من | يعاد وفرج كربة الهم والغم

(انتهى)

الشعر خير نتائج الأفكار | لا سيما في المدح والتذكار
إن قلت هل حلو فحلو الطعم أو | مر فمر شيب لهب النار
شبب به إن كنت من أهل الهوى | إن الهوى لمرونق الأشعار
أو قلت هل خافي الغرام وشوقه | أو ظاهر البلوى فكالأحجار
أو كالزناد حديدة إن رمتها | وإذا قدحت فكالشهاب الواري
كالثلج برداً والزلال عذابه | عذب ويرمي لفحه بشرار
لا هو مختص بوقت لا ولا | بمجزأ الأدواء والأضرار
من لم يمت فيه فليس بعاشق | والعشق فينا شيمة الأحرار
هل نافع آه أو الصعداء أو | إهراقنا للمدمع المدرار
من أين ذاك لمن يرى النسمات للـ | أسحار والنغمات للأطيار
ويرى التذلل والتدلل والتملمـ | ـل والتعلل ساعة الأسحار
وتمايل الأغصان في كثبانها | وتورد الوجنات في الأقمار
وتفلج البرق الشتيت العذب من | ثغر مليح بارد معطار
ولياليا كست الصباح دجنة | وكسى الصباح ظلامها بنهار
وتناشد الأشعار من أربابها | وتدندن النغمات في المزمار
قسما ببيض البيض وهي فواتر | وخدود ورد صوغها بنهار
المصمتات دمالجا وخلاخلا | ولكل قلب مفصح وسوار
السالبات رماحهن عقولنا | فحذار من تلك الرماح حذار

لحديث كل الغانيات وما جرى ... من فتكهن بأسهم الأوتار
هو الصحيح سوى العيون أو الخصو ... ر فإنه لمضعف الأخبار
لما رأى شعبان والزوار من ... أني أنا رجب مدى الأطوار
قالوا به عين فقلت نعم وبي ... ثغر حمته البيض وهي عوار
قالوا به سحر فقلت نعم ولا ... كن من عيون السمهر البتار
قالو نشوان فقلت لهم أجل ... من سكر خمر رضا بها المعطار
أو ما جعلت العطف لي بذل الخفا ... توكيده بنعوت وصل الدار
أمرضتني وأنا الذي لا بد من ... صلة وعائدها عن الزوار
وأبيت عن هذين هل أفتى بذا ... نحو النحاة ومن لهم من قار
حولت فكري في العجائب لم أجد ... كعجيبة في سائر الأقطار
ليل على صبح على ريم على ... غصن على حقف من الأوعار
في صبحه سينات در ختمها ... ميم على مسك ذكي واري
وبغصنه رمانتان عليهما ... حيات فرع ضل فيها الساري
عجبا ونون فوق ألحاظ المها ... ذا بالقفار وهذه ببحار
بل إنما العجب العجاب تشوقا ... ألف لذا جمعت بأيدي الباري
ألف ولا للوصل بل قطيعة ... قطعت مكان توصلي ومزاري
لا تعجبوا مما ذكرت فهذه ... أعجوبة كتفتق الأزهار
نور يداه السحب تسكب عسجداً ... جمعت لكل فضيلة وفخار
يوم الندى بحر خضم زاخر ... أذفى الوغى ليث العرين الضاري
طود الوغى جم الجدا فلك العلى ... رحب الفضا حامي حمى الجار
وهو ابن عباس لدى القرآن لا ... كن في الحديث بخاري الأخبار
وهو الخليل لذي العروض وسيبو ... يه لدى النحاة فكيف بالأنباري
أو مالكي الفقه بل هو جامع ... كل المذاهب قبل عقد إزار
بل كل فن منه عن غيره ... لكن تسربل سنة المختار
أما الحقيقة فهو طلسم سرها ... لكنه كنز من الأسرار
فبعبرة وعبارة يقضي الظلا ... م وعبرة خال من الأغيار
وتورع وتبرع وتولع ... وتخضع وتضرع للباري
مرآة أهل اللّه ضوء شعاعهم ... روح الزمان مشارق الأنوار
ذو نعمة ذو نعمة ذو رأفة ... ذو رتبة في هيبة ووقار
إن قيل إن النهر يوجد فيه ما ... لا في البحار فأعظم الأنهار
أو كان من جهة العظامة والندى ... فهو البحار فكيف بالأمطار
وهو الربيع الفضل من يحيا به ... ميت القلوب وميت الأوزار
للفضل أقفال وهو مفاتح ال ... إقفال معطى الفضل بالإكثار
يرتاح للعافي إذا ما جاءه ... مثل ارتياح فرزدق لنوار

هو خير الأعلام والأحبار بل ... علم على الأعلام والأحبار
أفراد كل فضيلة هو فردهم ... لكنه هو خير الأخيار
يوصي بحفظ الجار وهو كفيله ... واللّه أوصانا بحفظ الجار
بيمينه في الجود ألف حاتم ... وكذاك ألفا جعفر بيسار
وبذهنه إياس ألفي مرة ... والشافعي في جودة الأفكار
ما ظنكم بمن اصطفاه اللّه من ... أهل التقرب سادة الاعصار
فكفاه تفضيلاً جميع أموره ... وجرت ببغيته يد الأقدار
أدنى مراتبه العلو عن الورى ... وإدامة التدريس والأذكار
يا قائساً (ماء العيون) بغيره ... من سائر الغياب والحضار
قست السهى بالشمس والنيران ... بالمياه والظلمات بالأنوار
وكذاك أنت أيا حسود فقصر أو ... بالغ وضاعف صيغ الانكار
أو ضائر نبح الكلاب الشمس أو ... يؤذي النجوم تحرك الأشجار
وكذاك يا من رمت تحصي ... خصال القطب في الإظهار والاضمار
اجمل وفصل واستعن واشرح وزد ... وامدح وبالغ أنت بالمختار
لم تبلغ المعشار من أمداحه ... كلا ولا جزءا من الأعشار
تتسابق الأقداح نحو جنابه ... وقرائح الشعراء بالأشعار
هذا وليس بمقدح ما قلته ... في فضل حبر شامخ المقدار
فجلالة الصديق والخلفاء لم ... تنقص فضيلة الآل والأنصار
ولقد علمت بأن فضلك ظاهر ... شمساً ولا يحتاج للإظهار
وكقائل إن السماء من فوقنا ... والنار تحرق والضيا بنهار
وعلمت أن مقالتي تحصيل ما ... هو حاصل وإرادة التكرار
لكن قول الحق ليس بضائر ... تكراره عن كل ما أخبار
أو ضائر تكرارنا للذكر أو ... ادماننا الصلوات للغفار
يا قطب يا خنذيذ يا صمصام يا ... بحر البحور وقرة الأبصار
يا زينة الدنيا وبهجة أهلها ... يا خير أهل البدو والأمصار
يا عدني يا عمدتي يا نزهتي ... يا نصرتي يا زينتي ومنار
لا زلت تاج على وبدر مهابة ... وطراز مكرمة وسيف وقار
ورجوت من يدعي مجيباً أن ... يصير عمرك من آخر الأعمار
يا وارث المختار دمت معافياً ... وصلاة مولانا على المختار
ما قال تذكرة غريم منشد ... الشعر خير نتائج الأفكار

نحمدك يا من جعلت رياض السنة النبوية نزهة لبصائر العارفين، وأجلست خدامها على منابر النور في مجالس الإنس بحضرة صفوته المقربين، نسألك أن تديم وافر صلواتك، وكامل تسليماتك، على سيدنا محمد خاتم النبيين، ورسولك إلى الخلق أجمعين، من جعلت سنته في قوله وفعله، هي الطريق فمن شذ عنها لا يظفر من عرضاتك بأمر له، وعلى

آله سفينة النجاة الذين هم العروة الوثقى لمن يرجو شفاعته ورضاه، وأصحابه الذين تهذبت نفوسهم بمتابعته، فصاروا أنجماً يهتدى بهم في شريعته.

(أما بعد) فقد تم بحمد الله طبع هذا الكتاب الجليل الوضع والترتيبات، المسمى بنعت البدايات، وتوصيف النهايات للشيخ الإمام، القطب الرباني والعارف الصمداني، الجامع بين علمي الباطن والظاهر، المقتفى آثار جده سيد الأوائل والأواخر، سيدي محمد مصطفى ماء العينين، بلغته الله سؤله في الدارين، لله دره من كتاب لا يستطيع البيان وصف محاسنه، ولا يستجرىء البنان على حصر دور معادنه، وقد حسن الطبع شكل وضعه، وزين مباني صنعه، محلى الهوامش

والطرر، ومزين الحواشي والغرر، بالكتاب الجليل، المسمى بفاتق الرتق
على راتق الفتق، للمؤلف المذكور، ضاعف الله له الأجور، ومذيلاً بأجوبة
وديوان نجله الفقيه العلامة المشارك النحرير الفهامة الشيخ الصوفي
سيد أحمد الهيبة أدام الله وجودهما ومتع المسلمين ببركتهما
وبلغهما من الخيرات مأمولهما آمين
وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم
والتابعين لهم بإحسان
إلى يوم الدين
آمين

فهرس المحتويات





